



# دم فاسد

أسرار وأكاذيب شركة ناشئة  
في وادي السيليكون

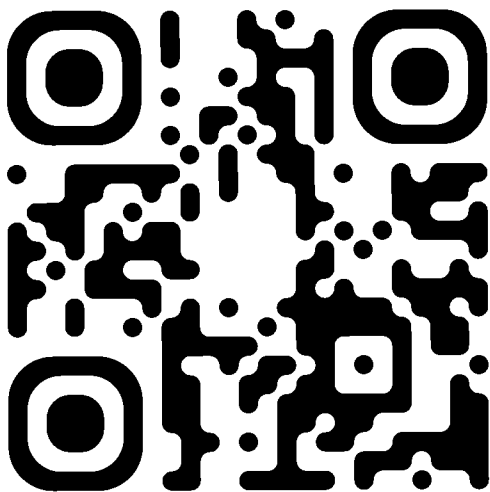
جون كاريرو

ترجمة: أحمد م. أحمد



مكتبة

t.me/soramnqraa



سجل في مكتبة  
اضغط! الصفحة  
SCAN QR

## دم فاسد

أسرار وأكاذيب شركة ناشئة في وادي السيليكون

الكتاب: دم فاسد

المؤلف: جون كاريرو

ترجمة: : أحمد م. أحمد

التصنيف: اقتصادي - سياسي

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: فبراير (شباط) 2020 م

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: 8 - 769 - 429 - 614 - 978 ISBN:

This is a borzoi book

Published by alfred a. knopf

Copyright © 2018 by John Carreyrou

مكتبة  
t.me/soramnqraa

ترجمات مزون

Madarek

Madarek Publishing House



مدارك

دار مدارك للنشر

بيروت،

bey@mdrek.com

ديبي،

dxh@mdrek.com

الرياض،

ruh@mdrek.com



mdrek.com

read@mdrek.com



DarMadarek

"منزول" ... غلب الإنتاج مواد مترجمة تقدمها مدارك  
بمجهود الزملاء، من خلال الظاهر، الذي اختار أن يكون  
الاسم والفهد، هدية لأهله، منزلة رجباً لله، حيث كانت ترسل  
كالسحابة، وتغيب كالطير، وتكتب العام بسبغف.

تري الدخيل

٢٠١١/٩/٢٥

## الفهرس

|     |                           |
|-----|---------------------------|
| 11  | تمهيد                     |
| 21  | حياة موجهة                |
| 35  | وعاء الغراء The Gluebot   |
| 54  | حسد آبل                   |
| 71  | وداعاً إيست بالي          |
| 92  | جار الطفولة               |
| 112 | سوني                      |
| 134 | الدكتور ج                 |
| 156 | المختبر المصغّر، ميني لاب |
| 176 | لعبة الصحة                |
| 192 | «من هو المقدم شوميكر؟»    |
| 210 | إشعال فويتز               |
| 223 | إيان غيبونز               |
| 236 | Chiat\Day تشيات/داي       |
| 252 | البدء بالعمل الحي         |
| 272 | أحادي القرن               |
| 287 | الحفيد                    |

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| 312 | ..... الشهرة                       |
| 330 | ..... قسَم أبوقراط                 |
| 345 | ..... المعلومة                     |
| 370 | ..... الكمين                       |
| 384 | ..... أسرار الصنعة                 |
| 398 | ..... لا ماتانزا                   |
| 411 | ..... السيطرة على الأضرار          |
| 431 | ..... الإمبراطورة لا ترتدي الملابس |
| 451 | ..... الخاتمة                      |
| 460 | ..... شكر وعرفان                   |

إلى مولي، وسيباستيان، وجاك، وفرانسييسكا





## ملاحظة من المؤلف

يستند هذا الكتاب إلى مئات المقابلات التي أُجريت مع أكثر من ١٥٠ شخصاً، ومن بينهم ما ينوف عن ستين من الموظفين السابقين في ثيرانوس Theranos. معظم الرجال والنساء الذين يظهرون كشخصيات في متن الكتاب إنما يفعلون ذلك تحت أسمائهم الحقيقية، لكن البعض طلب مني حماية هوياتهم، إما بسبب خشيتهم من انتقام الشركة، أو قلقهم من أن يشملهم التحقيق الجنائي المتواصل الذي تقوم به وزارة العدل، أو أنهم أرادوا صونَ خصوصيتهم. وبهدف الوصول إلى العرض الأكثر استيفاءً وتفصيلاً للوقائع، وافقتُ على منح هؤلاء الأشخاص أسماءً مستعارة. لكن كل ما أوردته خلاف ذلك عنهم وعمّا واجهوه واقعيٌ ودقيقٌ.

إن كافة الاقتباسات التي استخدمتها من رسائل البريد الإلكتروني والوثائقِ حُرْفِيَّةٌ وتستند إلى الوثائق ذاتها. وعندما أنسبُ الاقتباسات إلى شخصيات ضمن الحوارات، فإن تلك الاقتباسات قد أُعيدَ بناؤها اعتماداً على ذاكرة المشاركين. كما تعتمد بعض أبواب الكتاب سجلات من المحاضر القانونية، مثل

الشهادات المقدّمة إلى المحاكم. وفي تلك الحالات، أوردتُ تلك المحاضر بإسهاب ضمن قسم الملاحظات في نهاية السرد.

خلال عملية تأليف الكتاب، تواصلتُ مع كافة الشخصيات الرئيسية في قصة ثيرانوس وعرضتُ عليهم فرصة التعليق على كلّ ما من شأنه أن يقلقهم. أما إيزابيت هولمز، فرفضت طلبات مقابلي لها، كحقّ من حقوقها، واختارت عدم التعاون معي في هذا المسعى.

## تمهيد

١٧ نوفمبر / تشرين الثاني، ٢٠٠٦

لدى تيم كيمب أخبار سارة يزفّها إلى فريقه.

كان مدير IBM التنفيذي مسؤولاً عن قسم المعلوماتية الحيوية في ثيرانوس، الشركة الناشئة المنتجة لنظام فائق الحداثة في اختبار الدم. وكانت الشركة قد استكملت أول برهان حيّ ومباشر أمام إحدى شركات تصنيع الأدوية. لقد سافرت إليزابيت هولمز، مؤسّسة الشركة ذات الـ ٢٢ عاماً إلى سويسرا، وعرضت إمكانيات النظام أمام المديرين التنفيذيين في شركة نوفارتيس Novartis، عملاق صناعة الأدوية الأوروبي.

«اتصلت بي إليزابيت هذا الصباح»، كتب كيمب في رسالته الإلكترونية إلى فريقه المؤلف من خمسة عشر شخصاً. «لقد أعربت عن شكرها وقالت، كان الأمر عظيماً! طلبت مني بالتحديد أن أشكركم وأوصل إليكم جميعاً امتنانها. كما ذكرت أن نوفارتيس كانت راضية جداً حتى إن مديريها طلبوا تقديم عرض وعبروا عن اهتمامهم بإجراء ترتيبات مالية تخص المشروع. لقد أنجزنا ما أتينا من أجله!»

كانت تلك لحظة بالغة الأهمية لـ ثيرانوس. فالشركة الناشئة قد طورت السنوات الثلاث فكرة طموحة حلمت بها هولمز في غرفة سكنها في جامعة ستانفورد إلى منتج فعليّ تعنى شركة ضخمة متعددة الجنسيات باقتنائه.

وصلت كلمة نجاح العرض التجريبي الطابق الثاني، حيث كانت مكاتب كبار المديرين التنفيذيين.

من بين أولئك المديرين كان هنري موسلي، المدير المالي لـ ثيرانوس، الذي التحق بالشركة قبل ذلك بثمانية أشهر، في آذار ٢٠٠٦. وهو رجل مجعد الملامح ذو عينين خضراوين نفاذتين وشخصية هادئة، كان خبيراً عتيقاً بما يتعلق بالمشهد التكنولوجي في وادي السيليكون. بعد أن ترعرع في منطقة واشنطن العاصمة وحصل على شهادة الماجستير في الإدارة العامة من جامعة يوتا، اتجه إلى كاليفورنيا في أواخر السبعينيات ولم يغادرها. كان عمله الأول في شركة إنتل لتصنيع الرقائق، إحدى الشركات الرائدة في الوادي. وفيما بعد تابع عمله في إدارة أربعة أقسام في أربع شركات تكنولوجية مختلفة، أخذاً بيد اثنتين منهما إلى الشهرة. وكانت ثيرانوس بعيدة عن اهتماماته.

إن المواهب والخبرات التي تجمعت حول إليزابيث هي ما جذب موسلي إلى ثيرانوس. قد تكون شابة، لكنها كانت محاطة بطاقم من النجوم. فمجلس إدارتها هو دونالدل. لوكاس، الرأسمالي المغامر الذي رعى متعهد البرمجيات الملياردير لاري

إليسون وساعده على الارتقاء بشركة أوراكل إلى النور في أواسط الثمانينيات. وقد استثمر كل من لوكاس وإليسون بعض أموالهما في ثيرانوس.

هناك عضو آخر في مجلس الإدارة يتمتع بسمعة طيبة هو تشانينغ روبرتسون، العميد المساعد في كلية الهندسة بجامعة ستانفورد. كان روبرتسون من نجوم جامعة ستانفورد. وقد أرغمت شهادة خبرته حول خصائص السجائر المسببة للإدمان مصنعي التبغ على الدخول في تسوية تاريخية تقدر بـ ٦,٥ مليار دولار مع حكومة ولاية مينيسوتا أواخر سنة ١٩٩٠. واعتماداً على التفاعل بينه وبين موسلي، بات من الواضح أن روبرتسون يضع نصب عينيه عالم إليزابيت.

كما تمتعت ثيرانوس بفريق إداري محكم. فقد أمضى كمب ثلاثين عاماً في IBM. وتتمتع دايان باركس، كبيرة المديرين التجاريين في ثيرانوس، بخبرة خمسة وعشرين عاماً في مجال شركات الصناعة الدوائية والتكنولوجيا الحيوية. وجون هاوارد، النائب الأول لرئيس قسم المنتجات، كان المشرف على فرع شركة باناسونيك لتصنيع الرقائق. وكان من النادر أن يجد المرء مديرين تنفيذيين من هذا الوزن في شركة صغيرة ناشئة.

مع ذلك، لم يكن مجلس الإدارة والفريق التنفيذي ما أقنع موسلي بـ ثيرانوس وحسب. فالسوق التي تسعى الشركة وراءها كانت كبيرة. وكانت شركات الأدوية قد أنفقت عشرات مليارات

الدولارات على التجارب السريرية لاختبار الأدوية كل عام. ولو استطاعت ثيرانوس أن تجعل من نفسها أمراً واقعاً لا غنى عنه وتلتقط كسرة من ذلك الإنفاق، فستجني في وقت قصير الكثير من المال.

طلبت منه إليزابيث حشد بعض الاستقراءات المالية التي يمكنها عرضها على المستثمرين. لم ترق لها مجموعة الأرقام الأولى التي طلع بها، لذلك عدّها بشكل تصاعديّ. كان قلقاً بعض الشيء حيال الأرقام المعدّلة، لكنه حسب أنها في الحدود المعقولة فيما لو تصرفت الشركة بطريقة محترفة. إلى جانب ذلك، فإن الرأسمالين المغامرين الذين تلتمس الشركات الناشئة تمويلهم يعرفون أن مؤسسي الشركات الناشئة يبالغون بشأن هذه التوقعات. إنها جزء من اللعبة. فحتى الممولون أنفسهم يصطلحون على تسميتها بـ: توقعات عصا الهوكي. إذ تكشف عن ركود في الإيرادات لبضع سنوات يعقبها ارتفاع سحري بخط مستقيم.

كان الأمر الوحيد الذي لم يكن موسلي متأكداً منه بشكل تام هو كيف نجحت تكنولوجيا ثيرانوس. فعندما جاء المستثمرون المستقبليون، صحبهم للتعرف إلى شوناك روي، المؤسس الشريك لـ ثيرانوس. كان شوناك يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة الكيميائية. وعمل مع إليزابيث جنباً إلى جنب في مختبر أبحاث روبرتسون بجامعة ستانفورد.

يخز شوناك إصبعه ويعتصر منه قطرات دم قليلة. ينقل الدم

إلى خرطوشة بلاستيكية بيضاء بحجم بطاقة الائتمان. تُدخَل الخرطوشة في علبة مستطيلة بحجم سَخَّانة الخبز. تُسمى العلبة قارئاً. تستخرج رمز البيانات من الخرطوشة وترسلها لاسلكياً إلى مخدّم يحلل البيانات ويعيد إرسال النتيجة. تلك كانت طبيعة الجهاز.

عندما عرض شوناك النظام على المستثمرين، ووجههم إلى شاشة كمبيوتر أظهرت تدفق الدم عبر الخرطوشة داخل القارئ. لم يدرك حقاً ماهية الفيزياء والكيمياء التي لعبت دورها في اللعبة. لكن ذلك لم يكن اختصاصه. كان رجل الموارد المالية. وطالما أن النظام أظهر نتيجة، فإنه سعيد. وسيبقى الأمر دائماً كذلك.

بعد أيام عادت إليزابيت من سويسرا. كانت تتمشى والابتسامة ترتسم على محياها، كدليل إضافي على أن الرحلة قد حققت أهدافها، كما لاح لـ موسلي. لم يكن الأمر أن ذلك غير عادي. فغالباً ما كانت إليزابيت متفائلة. بل امتلكت تفاؤلاً صاحب وممول الأعمال اللامحدود. وأجبت استخدام تعبير «فوق-العادي»، بـ «فوق» المكتوبة بالخط المائل والواصلة (-) بين الكلمتين لمزيد من التشديد، في وصفها مهمة ثيرانوس عبر رسائلها الإلكترونية إلى موظفيها. كان الأمر فوق الأوج بقليل، لكنها بدت صادقة وموسلي مدرك أن التبشير هو ما قامت به الشركات الناشئة الناجحة في وادي السيليكون. ولن تغير سخرية المرء العالم.

ما كان غريباً أنه لم يبدو أن حفنة الزملاء الذين رافقوا إليزابيت في الرحلة قد شاركوها الحماس. فقد لاح بعضهم في حالة كدر مطبق.

هل دهسَ أحدٌ ما جرواً؟ تساءل موسلي بشيء من المزاح.

تجول في الطابق السفلي، حيث جلس معظم موظفي الشركة الستين في مجموعة من المقصورات، وبحث عن شوناك. فمن المؤكد أن شوناك يعرف ما إذا كان هناك مشكلة لم يعلمه أحد بها.

في البداية، زعم شوناك أنه لا يعرف شيئاً. لكن موسلي شعر بأنه يمتنع عن قول شيء ما فتابع بالإلحاح عليه. تخلى شوناك عن حذره بالتدريج وباح بأن ثيرانوس ٠ ، ١ ، كما أسمت إليزابيت نظام اختبار الدم لأول مرة، لم يعمل بشكل دائم. كان نوعاً من مغامرة في عالم الأعمال، في واقع الأمر، كما قال. كان يمكن أحياناً استجداء نتيجة منه وأحياناً لم يقيض ذلك.

تلك كانت الأخبار التي حصل عليها موسلي. كان يظن أن النظام جدير بالثقة.

ألم يكن يبدو فعالاً عندما كان المستثمرون يأتون لمعاينته؟

حسناً، كان هناك سبب في أنه بدا دائماً فعالاً، قال شوناك. الصورة على شاشة الكمبيوتر التي تُظهر تدفق الدم عبر الخرطوشة ثم استقراره في الأوعية كانت حقيقية. لكن لم يكن للمرء أن يتأكد أنه سيحصل على نتيجة أم لا. ولذلك قاموا بتسجيل نتيجة من



إحدى المرات التي كان فيها فعالاً. كانت النتيجة المسجلة هي التي قُدمت في نهاية كل عرض ترويجي.

كان موسلي مصعوقاً. فقد اعتقد أن النتائج استُخلصت خلال الوقت الحقيقي من وجود الدم داخل الخرطوشة. ذلك بالتأكيد ما كان يدفع المستثمرين الذين أتى بهم لأن يثقوا بالنظام. وما وصفه شوناك للتو كشف أن الجهاز مزيف وصوريّ. لا بأس في أن يكون المرء متفائلاً وطموحاً عندما يدفع بالمستثمرين، لكن هناك حدّاً لا يُسمَح بتجاوزه. وهذا الحد، برأي موسلي، قد تمّ تجاوزه.

إذاً، ماذا حدث مع نوفارتيس؟

لم يستطع موسلي أن يحظى بإجابة مباشرة من أيّ أحد، لكنه الآن يشتهه في أن الأمر ينطوي على شيء من الخداع. وكان محقّقاً في ذلك. فأحد جهازيّ القراءة اللذين أخذتهما إليزابيت إلى سويسرا قد تعطل حال وصولهم إلى هناك. سهر الموظفون الذين صحبتهم معها الليل بطوله وهم يحاولون تشغيله. ولإخفاء المشكلة أثناء العرض الترويجي في الصباح التالي، أدخل فريق تيم كيمب في كاليفورنيا نتيجة زائفة في الجهاز.

كان هناك اجتماع أسبوعي بين موسلي وإليزابيت قد حُدّد في تلك الظهيرة. عندما دخل مكتبها، ذكره شيء ما بالكاريزما التي تمتلكها. كان لديها حضور مَنْ يفوقها في العمر بكثير. كما أن الطريقة التي ولّفت عينيها الزرقاوين الواسعتين عليك دون أن يرف لها جفن تجعلك تشعر بأنك مركز العالم. كانت طريقة ذات

تأثير منوم. وقد انضاف صوتها إلى التأثير الفتان: تحدثت بطبقة صوت الباريتون الرجولي الجهير، العميق بشكل غير اعتيادي.

قرر موسلي ترك الاجتماع يسير بالطريقة المعتادة قبل أن يبوح بمخاوفه. فثيرانوس قد أغلقت للتو جولة تمويلها الثالثة. ووفق أي معيار، تكون قد حققت نجاحاً باهراً: فالشركة أضافت ٣٢ مليون دولار أخرى من المستثمرين إلى الـ ١٥ مليوناً التي جمعت في جولتي التمويل السابقتين. كان التقييم الجديد للرقم هو الأكثر إثارة للإدهاش: مائة وخمسة وستين مليون دولار. ولم يكن هناك الكثير من الشركات الناشئة بعمر ثلاث سنوات التي يمكن القول إنها تستحق هذه القيمة. كان السبب الرئيسي للتقييم السخي أن ثيرانوس قد أبلغت مستثمريها بالاتفاقيات التي توصلت إليها مع شركاء من مصنعي الأدوية. وضمن عرض شرائح أدرجت ست صفقات مع خمس شركات من شأنها أن تحقق إيرادات تتراوح بين ١٢٠ مليون دولار و ٣٠٠ على مدى الأشهر الثمانية عشرة القادمة. وأدرجت خمس عشرة صفقة أخرى قيدَ التفاوض. وإذا أثمرت، فإن الإيرادات قد تبلغ في نهاية الأمر إلى ١,٥ مليار دولار، بحسب عرض الشرائح على برنامج باور بوينت.

كانت شركات الأدوية بصدد استخدام نظام ثيرانوس لاختبار الدم لمراقبة استجابة المرضى للأدوية الجديدة. وستوضع الخراطيش و«قارئات النتائج» في بيوت المرضى خلال التجارب السريرية. يخز المرضى أصابعهم عدة مرات في اليوم فترسل القارئات نتائج فحوص دمهم إلى المشرف على الاختبار. وإذا دلت النتائج على

استجابة سلبية تجاه الدواء، فسيكون بمقدور مصنع الدواء تخفيض الجرعة فورياً بدلاً من الانتظار حتى نهاية الاختبار. وذلك ما سوف يقلص من نفقات أبحاث الشركات الدوائية بنسبة ٣٠ بالمائة. أو هذا ما يقوله عرض الشرائح.

تنامى قلق موسلي مع كل هذه الادعاءات منذ الاكتشاف الذي حدث في ذلك الصباح. ويكمن أحد الأسباب في أنه، خلال أشهره الثمانية في ثيرانوس، لم ير عقود شركات الدواء. كان كلما سأل عنها، قيل له إنها «قيد المراجعة القانونية». والسبب الأهم من ذلك، موافقته على التوقعات الطموحة للإيرادات لأنه ظن أن نظام ثيرانوس كان يعمل بكفاءة.

ولو شاركت إيزابيت بتلك المخاوف، فلن تبدر منها إشارة تدل على ذلك. كانت مثال الاسترخاء والسعادة. وكان التقييم الجديد على وجه الخصوص مبعث فخر كبير. وقد أخبرته أن ثمة مدراء جديدين قد ينضمون إلى الإدارة مما يعكس قائمة المستثمرين الآخذة بالازدياد.

لمس موسلي أنه يمكنه من خلالها فتح موضوع الرحلة إلى سويسرا وشائعات المكاتب بأن شيئاً ما لم يسر كما يجب. وعندما فعل، اعترفت إيزابيت بأن مشكلة قد وقعت، لكنها هزت كتفيها وقللت من شأنها. وقالت، سيتم تلافيها بسهولة.

أصبح موسلي موضع شكّ نظراً لما يعرفه الآن. لقد أثار ما أخبره به شوناك عن عرض المستثمرين الترويجي. وعليهم أن

يتوقفوا عن إنتاج أنظمة الاختبار إذا لم تكن حقيقية بالكامل، قال.  
«لقد كنا نخدع المستثمرين. لا يمكننا الاستمرار في ذلك.»

على الفور تغيرت تعابير وجه إيزابيت. تلاشى سلوكها المرح  
الذي كان سائداً منذ لحظات مضت وحلّ محله قناع العداوة. كان  
الأمر مثل نقرة على زرّ التشغيل والإطفاء. وسلّطت نظرة جامدة  
إلى مديرها المالي.

«هنري، أنت لستَ من لاعبي الفريق الأساسيين،» قالت  
بنبرة باردة. «أظن أن عليك المغادرة الآن.»

لم يكن ثمة خطأ فيما حدث للتو. لم تطلب منه إيزابيت مجرد  
مغادرة مكتبها. بل طلبت منه مغادرة الشركة - على الفور. لقد  
طُرد موسلي.

(١)

## حياة موجهة

كانت إليزابيث آن هولمز تدرك منذ نعومة أظفارها بأنها ستكون سيدة أعمال.

عندما كانت في السابعة من عمرها، شرعت بتصميم «آلة زمن» فملأت دفترها بالرسومات الهندسية المفصلة.

وفي التاسعة أو العاشرة، سألتها أحد أقاربها في تجمع للعائلة السؤال الذي سيوجه إلى أي صبي وبنت عاجلاً أم آجلاً: «ما العمل الذي تتمنيه مستقبلاً؟»

ودون أدنى تردد، أجابت إليزابيث، «أريد أن أصبح مليارديرة».

«ألا تفضلين أن تكوني رئيسة؟» سأل قريبها.

«لا، الرئيس سيتزوجني لأنني سأمتلك مليار دولار».

لم تكن تلك كلمات فارغة من فم طفل. بل تلفظت بها إليزابيث بكل الجدية والإرادة، بحسب عضو العائلة الذي عاش المشهد.

رعى والدها إليزابيث طموحها. فقد كان له كريستيان ونويل هولمز آمال عريضة في ابنتهما تعود بجذورها إلى تاريخ العائلة المتميز.

فمن طرف والدها، تحدرت من تشارلز لويس فلايشمان، المهاجر الهنغاري الذي أسس عملاً مزدهراً عُرف باسم شركة فلايشمان للخميرة. وجعل نجاحها اللافت آل فلايشمان من أغنى العائلات في أميركا مع بداية القرن العشرين.

وتزوجت بيتي فلايشمان، ابنة تشارلز، من طبيب والدها الدانمركي، الدكتور كريستيان هولمز. كان جدّ جدّ إليزابيث. هولمز الذي أسس، اعتماداً على العلاقات السياسية والمهنية بعائلة زوجته الموسرة، مشفى سينسيناتي العام والمعهد الطبي في جامعة سينسيناتي. بذلك قد تكون الأسباب متوفرة - ولا بد أن تكون متوفرة للمالكي رأس المال المتجمّعين في شارع ساند هيل قرب حرم جامعة ستانفورد - إذ لم ترث إليزابيث جينات سيدة الأعمال، بل جينات الطب أيضاً.

كان لأمّ إليزابيث، نويل، إرثها العائلي الذي يبعث على الفخر. فولدها خريج ويست بوينت الذي خطط ونقذ النقلة من جيش قائم على السحب إلى قوة تعتمد كلياً على تطويع المجندين بصفته ضابطاً رفيع المستوى في البنتاغون في بداية السبعينيات. لقد اقتفى أبناء عائلة داوست خطاً أسلافهم وصولاً إلى الماريشال دافو، أحد أهم قادة نابليون الميدانيين.

غير أن الإنجازات المتعلقة بعائلة والد إليزابيت هي التي طغى ضوءها وسلبت الأبواب. فقد حرص كريس هولمز على تنشئة ابنته ليس في ميدان النجاح الهائل بأجياله القديمة بل أيضاً في إخفاقات أجياله الشابة. فوالده وجدّه عاشا حياتين طليقتين لكنهما كانتا حافلتين بالعيوب، تتناوبان بين الزيجات المتعددة وعلاج الإدمان الكحولي. وكان كريس يلقي باللائمة عليهما لتبديدهما ثروة العائلة.

تقول إليزابيت في مقابلة أجرتها معها مجلة نيو يوركر بعد سنوات، «ترعرعتُ مع تلك القصص التي تدور حول العظمة، وعن أناس يقررون عدم إهراق حيواتهم على أشياء موجّهة وهادفة، وما يحدث لهم عندما يتبعون هذا الخيار - الأثر الذي يتركه على خاصية ونوعية الحياة.»

أمضت إليزابيت سنّيتها المبكرة في واشنطن العاصمة، وهناك شغل والدها سلسلة من الوظائف في الوكالات الحكومية تراوحت بين وزارة الخارجية ووكالة التنمية الدولية. وعملت والدتها كمساعد في الكابيتول هيل إلى أن أوقفت حياتها المهنية لتربية إليزابيت وشقيقها الأصغر كريستيان.

وفي فصول الصيف كانت نويل والولدان يتجهون إلى بوكا راتون، فلوريدا، حيث امتلكت عمّة إليزابيت، وهي إليزابيت دايتز، ورون دايتز، شقةً بإطلالة جميلة على Intracoastal Waterway. كان ابنهما ديفيد يصغر إليزابيت بثلاث سنوات ونصف السنة، ويصغر كريستيان بسنة ونصف السنة.

اعتاد أبناء العمومة النوم على مراتب خفيفة تفرش على أرضية الشقة لينطلقوا في الصباح إلى السباحة. كانت الظهيرات تُبدد بلعب المونوبولي (بنك الحظ). وحين تكون إليزابيث متقدمة، وهذا ما يحصل دائماً، فإنها سوف تصرّ على إكمال اللعب مهما يكن الثمن، لتراكم البيوت والفنادق إلى أقصى أمد يكفل أفلاس ديفيد وكريستيان. وعندما كانت تخسر في بعض الأحيان، كانت تصاب بفورة غضب، وفي أكثر من مرة، اقتحمت شاشة الباب الأمامي للشقة. تلك كانت لمحة مبكرة عن نزعتها التنافسية الحادة.

وفي المدرسة الثانوية، لم تكن إليزابيث ضمن التجمعات المألوفة. ففي ذلك الحين، كان والدها قد انتقل مع العائلة إلى هيوستن ليشغل وظيفة في تجمّع شركات تينيكو. درس أولاد هولمز في سانت جون، المدرسة الخاصة الرفيعة في هيوستن. أما إليزابيث، البنت المراهقة ممشوقة القوام ذات العينين الزرقاوين الواسعتين، فبيضت شعرها في محاولة للتكيّف وعانت من اضطرابات في الأكل.

في سنتها الدراسية الثانية، ألقت بثقلها في واجباتها المدرسية، وغالباً ما سهرت للدراسة حتى وقت متأخر من الليل، وأصبحت من الطلاب الذين ينالون الدرجة A بشكل مباشر. كان ذلك بداية نمط حياة كاملة: العمل الشاق والنوم القليل. وأفلحت، بالإضافة إلى تفوقها الأكاديمي، بإيجاد موطئ قدمها اجتماعياً فارتبطت بعلاقة مع ابن جراح عظام مرموق في هيوستن. وقاما سوياً برحلات إلى نيويورك ليحتفلا بالألفية الجديدة في ساحة التايمز.



ومع اقتراب الدراسة الجامعية، وضعتُ إيزابيت جامعة ستانفورد نصبَ عينيها. كانت الخيار الذي لا لبس فيه للطالب المكتمل المعنيّ بالعلم والكمبيوتر الذي يحلم بأن يصبح من رواد الأعمال. فالكلية الزراعية الصغيرة التي أسسها جهاзде الخطوط الحديدية في ليلاند ستانفورد مع نهاية القرن التاسع عشر قد أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوادي السيليكون. وفي ذلك الحين، كانت طفرة الإنترنت ومعها بعض نجومها الكبيرة، مثل ياهوو، في أوج نشاطها، قد تأسست في حرم جامعة ستانفورد. وفي سنة إيزابيت الأخيرة، كان اثنان من طلبة الدكتوراه في ستانفورد قد بدأا يلفتان الانتباه بشركة ناشئة صغيرة اسمها غوغل.

عرفتُ إيزابيت ستانفورد على أكمل وجه. فقد عاش أهلها في وودسايد، كاليفورنيا، على بُعد أميال قليلة من تلك الجامعة، لسنوات عديدة أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات. وهناك ربطتها صداقة بفتاة سكنت قربها وتدعى جيسي دريبر. كان والد جيسي هو تيم دريبر، مغامر ينتمي إلى الجيل الثالث من رجال المشاريع الرأسمالية الذي كان في طريقه لأن يصبح من أكثر مستثمري الشركات الناشئة نجاحاً في الوادي.

أتحتُ لـ إيزابيت علاقة أخرى في ستانفورد: مع الصينيين. فقد سافر والدها إلى الصين أكثر من مرة لإنجاز أعمال هناك وقرر أن أولاده يجب أن يتعلموا الماندرينية، لذلك رتب مع نويل مسألة مجيء مدرّس إلى البيت في هيوستن صبيحة كل سبت. وفي منتصف دراستها الثانوية، وجدت إيزابيت وسيلة لدخول برنامج

تعلّم اللغة الماندرينية الصيفي في ستانفورد. كان من المفترض أن يكون متاحاً لطلبة الجامعة فحسب، لكنها أثارت إعجاب مدير البرنامج إلى حدّ كبير بطلاقتها التي جعلتها حالة استثنائية. فتلقّت دروس الأسابيع الخمسة الأولى في حرم الجامعة بالو ألتو، أعقبتها أربعة أسابيع دراسية في بكين.

قبلت إليزابيث في ستانفورد في ربيع ٢٠٠٢ ضمن منحة البحث الرئاسية، وهي امتياز يُعطى للطلاب المتفوقين يُرفق بمنحة ثلاثة آلاف دولار يمكن استخدامها لمتابعة أي مسعى فكريّ تختاره.

زُرعت فيها فكرة أن تعيش حياة موجّهة. وخلال عمله في حقل الخدمات العامة، أشرف كريس هولمز على قضايا إنسانية مثل هروب مارييل الجماعي سنة ١٩٨٠، الذي هاجر فيه أكثر من مائة ألف كوبيّ وهايتيّ إلى الولايات المتحدة. وتوزعت صور له في منزله وهو يقدم إعانات الكوارث لأبناء البلدين اللذين مزقتهما الحرب. والرسالة التي استشفّتها إليزابيث من تلك الصور أنها إذا أرادت ترك أثرٍ في هذا العالم، فعليها إنجاز شيءٍ يعمّق الخير الأشمل، وليس مجرد أن تصيب الغنى. وقد تكفلت التكنولوجيا الحيوية بتحقيق غرض الأمرين معاً. فقررت دراسة الهندسة الكيميائية، الحقل الذي يفتح الطريق الطبيعي إلى تلك الصناعة.

كان تشانينغ روبرتسون أبرز شخصيات قسم الهندسة الكيميائية في ستانفورد. وقد اشتغل هذا الرجل الوسيم والمرح ذو الجاذبية بالتدريس في الجامعة منذ عام ١٩٧٠ وامتلك مقدرة قلّ

نظيرها على التواصل مع طلابه. وكان إلى حد بعيد العضو الأكثر تأثقاً في كلية الهندسة، الذي يتميز بشعر أشقر ضارب إلى الشيب ويتباهى بسترات الجلد حديثة الطراز التي جعلته يبدو أصغر عمراً بعشر سنوات من عمره الحقيقي الذي يبلغ تسعة وخمسين عاماً.

حضرت إليزابيث سلسلة دروس روبرتسون وهي تحت عنوان المدخل إلى الهندسة الكيميائية وحلقة دراسية له عن أجهزة التحكم في توصيل الدواء. كما ضغطت عليه كي يتيح لها مساعدته في مختبر أبحاثه. وافق روبرتسون وأوكل إليها مساعدة طالب دكتوراه كان يعمل على مشروع إيجاد أفضل الأنزيمات التي تُضاف إلى مساحيق الغسيل.

خارج الساعات الطويلة التي أمضتها في المختبر، خاضت إليزابيث حياة اجتماعية فاعلة. حضرت حفلات الجامعة وعاشت قصة حب مع طالب في السنة الثانية اسمه ج. ت. باتسون. كان باتسون، ابن البلدة الصغيرة في جورجيا، مشدوهاً من حجم ثقافة إليزابيث وخبرتها الحياتية، رغم أنه وجدها أيضاً حذرة. يتذكر قائلاً إنها «لم تتشارك عالمها مع أحد إلى درجة كبيرة.» و«تُبقي أشياءها طيَّ الكتمان.»

خلال عطلة الشتاء من سنتها الأولى، عادت إليزابيث إلى هيوستن لقضاء الأعياد مع أهلها وعائلة دايتز، الذين طاروا من إنديانا بوليس. كانت قد أمضت شهراً قليلاً في الجامعة، لكنها

استمتعت بالانسلال من الدراسة. وأثناء عشاء الميلاد، طير والدها طائرة ورقية نحوها حيث كانت على الطرف الآخر من الطاولة كتب على جناحيها أحرف «P.H.D.»

كان ردّ فعل إيزابيت فظاً، بحسب أحد الحاضرين من أعضاء العائلة: «لا يا بابا، لستُ مهتمة بنيل الـ Ph. D، أريد كسبَ المال.» في ذلك الربيع، وقفت على باب غرفة السكن الجامعي التي يحتلها باتسون وأبلغته بأنها لم تعد قادرة على اللقاء به لأنها بصدد تأسيس شركة وسيكون عليها تخصيص جلّ وقتها لذلك الأمر. أما باتسون، الذي لم يحدث أن تُرك من قبل، فأصيب بالذهول، لكنه يتذكر أن السبب غير العادي الذي قدمته خفف من لسعة النبذ.

في الواقع، لم تهمل إيزابيت الدراسة في ستانفورد حتى الخريف التالي بعد عودتها من فترة تمرين في معهد الجينوم في سنغافورة. كانت آسيا قد ابتليت في أوائل ٢٠٠٣ بتفشي مرض عُرف سابقاً بمتلازمة التنفس الحاد المبرح، أو SARS، وقد أمضت إيزابيت الصيف في اختبار عينات أخذت من المرضى بطرق قديمة ومتخلفة التقنية مثل الحقن ومسح الأنوف بالقطن الطبي. وتركت تلك التجربة قناعة لديها بأنه لا بد من إيجاد وسائل أفضل.

عندما رجعت إلى بيتها في هيوستن، انكبّت على الكمبيوتر خمسة أيام متواصلة، لتنام ساعة أو ساعتين في الليلة وتأكل من صحاف الطعام التي كانت أمها تحضرها إليها. واعتماداً على

التكنولوجيا الجديدة التي تعلمتها في فترة التمرين وفي صفوف روبرتسون، كتبت طلبَ براءة اختراع للمصق ذراع طبيّ يشخص الحالات الطبية ويعالجها في نفس الآن.

عوضت إيزابيت ما فاتها من نوم في سيارة العائلة بينما كانت والدتها تقلّها من تكساس إلى كاليفورنيا لبدء سنتها الدراسية الثانية. ومع عودتها إلى الحرم الجامعي، أطلعت روبرتسون وشوناك روي، طالب الدكتوراه الذي كانت تساعد في مختبره، على براءة اختراعها.

بعد سنوات، في شهادة المحكمة، تذكّر روبرتسون مدى إعجابه بمقدرتها على الابتكار: «استطاعت على نحوٍ ما أخذ هذه الشذرات من العلم والهندسة والتكنولوجيا وتركيبها بطرق لم تخطر ببالي قطّ.» كما ذهّل لدى اندفاعها وتصميمها على متابعة فكرتها حتى النهاية. قال، «لم ألتق بطالب مثلها من قبل من بين آلاف الطلاب الذين تحدثتُ إليهم آنذاك.» وأردف، «شجعتها على المضي والسعي في تحقيق حلمها.»

كان شوناك أكثر ارتياباً. وحيث أنه ابن لوالدين هنديين مهاجرين في شيكاغو، بعيداً عن صخب وادي السيليكون، اعتبر نفسه براغماتياً وواقعياً للغاية. وبدا مفهوم إيزابيت إليه بعيد المنال إلى حدّ ما. لكنه اجتّح بحماسة روبرتسون وفكرة إطلاق شركة ناشئة.

وبينما كانت إيزابيت تقدم أوراقها لتأسيس الشركة، كان

شوناك قد أنجز الفصل الأخير المطلوب كي يحصل على شهادته. وفي أيار/ مايو ٢٠٠٤، انضم إلى الشركة الناشئة كأول موظف فيها ونال أقل حصة سهمية في العمل. والتحق روبرتسون هو الآخر بمجلس الإدارة بصفة مستشار.

في البداية، حُشِرَت إليزابيت وشوناك ضمن مكتب صغير في برلينغيم لأشهر قليلة إلى أن وجدا مكاناً أكثر اتساعاً. كان المكان الآخر أبعد من أن يكون جذاباً. في حين أن عنوانه، تقنياً، كان في مينلو بارك، وسط منطقة صناعية مغطاة بالحصى على أطراف إيست بالو ألتو، حيث يتكرر إطلاق النار. ذات صباح دخلت إليزابيت العمل وشظايا زجاج على شعرها. أحدهم أطلق النار باتجاه سيارتها فهشّم نافذة السائق، مخطئاً رأسها مسافة بوصات. سجلت إليزابيت الشركة باسم Real-Time Cures الشفاء الفوري، التي تحولت بسبب خطأ مطبعي مشؤوم إلى «Real-Time Curses» اللعنات الفورية، على شيكات الموظفين الأولى. وفيما بعد حولت الاسم إلى Theranos، وهي مركّبة من كلمتي «therapy» العلاج و«diagnosis» تشخيص المرض. ولزيادة الأموال التي تحتاجها، استغلت علاقات عائلتها. فقد أقنعت تيم دريبر، والد صديقة طفولتها وجارتها السابقة جيسي دريبر، باستثمار مليون دولار. كان اسم دريبر ذا وزن كبير للغاية وساعد في منح إليزابيت شيئاً من المصداقية: فقد أسس جدّ تيم أول شركة لرأس المال الاستثماري في وادي السيليكون أواخر الخمسينيات وعُرفت شركة تيم الخاصة، DFJ، باستثماراتها المبكرة الراححة في الشركات المعتمدة على شبكة الإنترنت مثل خدمة البريد الإلكتروني المسماة Hotmail.

كما استغلت أواصر عائلية أخرى في استثمار كبير، فيكتور بالميري المتقاعد المتخصص في تطوير الشركات، الذي كان صديق والدها لزمّن طويل. والتقى الاثنان في أواخر ١٩٧٠ في فترة إدارة كارتر عندما عمل كريس هولمز في وزارة الخارجية وشغل بالميري منصب سفيرها العام لشؤون اللاجئين.

أثارت إлизаيت إعجاب دريبر وبالميري لمقدرتها ورؤياها المتوثبة في تطبيق مبادئ النانو- والتقنيات الدقيقة في حقل التشخيص. وفي وثيقة من ست وعشرين صفحة استخدمتها لتجنيد المستثمرين، أسهبت في وصف رقعة لاصقة تسحب الدم من الجلد دون ألم باستعمال أبرٍ مجهرية دقيقة. ستحتوي اثرياباتش TheraPatch، كما أُسميت في الوثيقة، نظامَ رقاقة مستشعرة تقوم بتحليل الدم «وتقرر طريقة سير العملية» فيما يتعلق بكمية الدواء المعطاة للمريض. كما أنها تُوصل قراءة نتائجها لاسلكياً إلى طبيب المريض. تضمنت الوثيقة رسماً تخطيطياً للصّاقة وتوابعها المختلفة.

لم يأخذ الجميعُ الفكرةَ على محمل الجد. ذات صباح من تموز/ يوليو ٢٠٠٤، اجتمعتُ إлизаيت بـ MedVenture Associates، وهي شركة رأسمالية مساهمة أولى متخصصة في استثمارات التكنولوجيا الطبية. وأثناء جلوسها على طاولة في غرفة اجتماعات قبالة الشركاء الخمسة من الشركة، تحدثت بسرعة وبتركيز عما تمتلكه تكنولوجيا شركتها من الإمكانيات في تغيير البشرية. ولكن عندما طلب شركاء MedVenture المزيد من التفاصيل عن نظام الرقاقة الدقيقة ومدى اختلافها عن تلك التي سبق أن طورتها وطرحتها

في الأسواق شركة تسمى Abaxis، أصيبت اِحتياج ملحوظ وخيم التوتر على الاجتماع. ولدى عجزها عن تقديم إجابات على أسئلة الشركاء التقنية المتشككة، نهضت بعد ساعة وغادرت وقد اعترأها الغضب.

لم تكن MedVenture Associates شركة الرأسمال المساهمة الوحيدة التي تخذل المتسربة الجامعية ابنة التسعة عشر عاماً. غير أن ذلك لم يمنع إليزابيت من جمع قرابة ستة ملايين دولار مع نهاية سنة ٢٠٠٤ من حقائب المستثمرين. فبالإضافة إلى دريبر وبالميري، ضمنّت استثمارات من مساهمين مخضرمين هما رَجُل مالٍ مساهم اسمه جون بريان وكذلك من ستيفن ل. فاينبرغ، مستثمر عقارات وأسهم خاصة كان عضواً في مجلس إدارة مركز د. أندرسون لعلاج السرطان في هيوستن. كما أقنعت طالباً زميلاً لها في ستانفورد اسمه مايكل تشانغ، الذي أدارت عائلته وكالة تقدر بمليارات الدولارات لتوزيع الأجهزة فائقة التقنية في تايوان، بالاستثمار لديها. بالإضافة إلى عدة أعضاء من عائلة هولمز الكبيرة، من بينهم شقيقة نويل هولمز، كما أسهمت إليزابيت دايتز بأموالها هي الأخرى.

ومع تدفق السيولة المالية، بات واضحاً لـ شوناك أن الرقعة الطبية الصغيرة التي ستحقق كل ما أرادته إليزابيت رهينة الخيال العلمي. وقد تكون ممكنة نظرياً، كما كانت رحلات الطيران المأهولة إلى المريخ ممكنة من الناحية النظرية. غير أن الشيطان يكمن في التفاصيل. وفي محاولة إسباغ المزيد من الواقعية على



مفهوم الرقعة الطبية، عمدوا إلى تقليصه إلى مجرد جزء تشخيصي، لكن حتى ذلك كان شيئاً من التحدي الذي لا يُصدّق.

وفي النهاية تخلّوا عن فكرة الرقعة بكاملها لصالح شيء أقرب إلى الأجهزة المستخدمة في قياس مستويات سكر الدم لدى مرضى السكري. فقد أرادت إليزابيث أن يكون جهاز ثيرانوس محمولاً مثل أجهزة قياس السكر، لكنها أرادت أن يقيس موادّ أخرى في الدم أكثر من مجرد السكر، الذي سيجعله أكثر تعقيداً وبالتالي أكبر حجماً.

كان الحلُّ الوسطُ في نظامِ خرطوشةٍ وقارئٍ يجمعان بين حقليّ علم الموائع الدقيقة microfluidics والكيمياء الحيوية. يقوم المريض بوضع إصبعه لسحب عيّنة دم صغيرة ووضعها في خرطوشة تشبه بطاقة ائتمان سميكة. وتُدخل الخرطوشة في آلة أكبر حجماً تسمى «القارئ». وستدفع المضخاتُ الدمَ في داخل القارئ عبر أقبية دقيقة ضمن الخرطوشة ثم إلى حجيرات صغيرة مطلية ببروتينات تُعرّف بالأجسام المضادة. وفي طريقها إلى الحجيرات، سيفصل فلترٌ مرشح ما بين عناصر الدم الصلبة، كريات الدم الحمراء والبيضاء، عن المصل (البلازما)، وعندما تلامس البلازما الأجسام المضادة، فإن استجابة كيميائية ستُصدر إشارة تمكن «قراءتها» بواسطة القارئ الذي يترجمها إلى نتيجة.

كان في ذهن إليزابيث أن توضع الخرطوشة و«القارئ» في بيوت المرضى بذلك يتسنى لهم فحص دمهم على نحو منتظم.

ويتكفل الهوائي الخلويّ المثبت على القارئ بإرسال نتائج الفحص إلى كمبيوتر طبيب المريض بواسطة مخدّم مركزي. وهذا ما يتيح للطبيب تعديل أدوية المريض بسرعة، بدلاً من انتظار ذهاب المريض لاختبار دمه في مركز لسحب الدم أو حين زيارته القادمة للعيادة.

في أواخر سنة ٢٠٠٥، بعد ثمانية عشر شهراً من استلامه مركزه في مجلس الإدارة، بدأ شوناك يشعر وكأنهم يحرزون تقدماً. فقد امتلكت الشركة نموذجاً أولياً، أطلق عليه اسم ثيرانوس ١,٠، وبلغ عدد موظفيها الأربعة والعشرين. وكان لديها نظام أعمال يؤمل أن يحقق الأرباح بسرعة: فقد خططت الشركة لترخيص تكنولوجيايتها في اختبار الدم لشركات صناعة الأدوية لمساعدتها في كشف تأثيرات الدواء السلبية أثناء الاختبارات السريرية.

بل إن مشروعهم الصغير كان قد بدأ يلفت الانتباه. ففي يوم عيد الميلاد، أرسلت إليزابيت إلى الموظفين بريداً إلكترونياً حمل سطر عنوانه «أعياداً سعيدة للغاية أتمناها لكم». تمت لهم الخير وأحالتهم إلى مقابلة أجرتها لصالح مجلة التكنولوجيا Red Herring. وانتهت الرسالة بـ، «ومن هذه اللحظة وإلى أن نكون أفضل شركة ناشئة في الوادي!!!»

(٢)

## وعاء الغراء The Gluebot

في بدايات سنة ٢٠٠٦ أجرى إدموند كو Edmond Ku لقاءً مع إيزابيت هولمز وسرعان ما فُتن برؤياها التي تكشفت أمامه. فقد وصفت عالماً ستُحدّد فيه الأدوية بدقة للأفراد بفضل تقنية ثيرانوس لمراقبة الدم. ولإثبات وجهة نظرها، أوردت على سبيل المثال عقار سيليريكس Celebrex، مسكّن الآلام الذي يُشكّ بأنه قد يكون مسبّب النوبات القلبية والسكتات الدماغية. وراجّ أنه سيكون على الشركة المصنّعة له، Pfizer، سحبه من الأسواق. أما بوجود نظام ثيرانوس فإن إزالة تأثيرات سيليريكس الجانبية ستكون ممكنة، وبذلك سيتاح للملايين الذين يتعاطون الدواء الاستمرار في استخدامه لتخفيف أوجاعهم وآلامهم، على حدّ تعبيرها. واستشهدت إيزابيت بحقيقة أن نحوَ مائة ألف أميركي يموتون كل عام نتيجة التجاوب السلبي للأدوية. وثيرانوس ستوقف كلّ هذه الوفيات كما قالت. ستحفظ حياة الناس بكل معنى الكلمة.

شعر إدموند، الذي أطلق عليه اسم «إد»، بأنه منشدّ إلى الشابة الجالسة قبالة التي كانت تحدق فيه بإصرار دون أن يرفّ لها جفن. فقد كانت المهمة التي تسهب في وصفها محطّ الإعجاب، كما جال

في خاطره تلك اللحظة. كان «إد» مهندساً رزيناً اكتسب سمعة جيدة في الوادي كرجل يجد الحلول لكل شيء. وكانت الشركات التكنولوجية الناشئة التي تعترضها عقبة هندسية ترسل في طلبه، وفي معظم الأحيان، وجد حلاً للمشكلة. وُلد في هونغ كونغ، وهاجر إلى كندا مع عائلته في بدايات مراهقته ولازمته تلك العادة الشائعة بين ذوي الأصل الصيني الذين يتعلمون الإنكليزية كلغة ثانية وهي التحدث دائماً بزمان المضارع.

كان عضو في مجلس إدارة في ثيرانوس قد تواصل معه في الآونة الأخيرة بشأن تسلمه قسم الهندسة في الشركة. وإذا قبل الوظيفة، فستكون مهمته تحويل نموذج ثيرانوس ١٠، ١ الأولى إلى منتج قابل للتطبيق يمكن للشركة تسويقه. وبعد سماعه كلام إيزابيت المنمق، قرر التوقيع على استلام العمل.

لم يستغرق الأمر «إد» طويلاً حتى أدرك أن جهاز ثيرانوس كان أصعب تحدٍّ هندسي واجهه على الإطلاق، فقد انحصرت خبرته في مجال الإلكترونيات، وليس الأجهزة الطبية. كما أن النموذج الأولي الذي تسلمه لم يعمل بشكل جيد. كان شبيهاً بتصميم أولي رسمته إيزابيت في ذهنها. وعليه تحويل التصميم الأولي إلى جهاز يعمل بشكل حقيقي.

برز التحدي الرئيسي في إصرار إيزابيت على استخدام كمية ضئيلة من الدم. لقد ورثت عن والدتها رهاب الإبر؛ وكان يغمى على نويل هولمز بمجرد رؤية حقنة. أرادت إيزابيت أن تعمل

تكنولوجيا ثيرانوس بقطرة دم واحدة تنزّ من رأس الإصبع. وركزت على الفكرة لدرجة أنها شعرت بالضيق عندما اشترى أحد الموظفين قطع حلويات «هيرشي» الحمراء ووضع شعار ثيرانوس عليها في جناح الشركة في معرض فرّص العمل. كانت النية أن تمثل قطع حلوى هيرشي الصغيرة قطرات الدم، لكن إليزابيت شعرت بأن الحلوى أكبر بكثير من أن تعطي فكرة عن المقادير الدقيقة التي كانت في ذهنها.

امتدّ هاجسها بالمصغّرات إلى الخرطوشة، فقد أرادت أن تناسب راحة اليد، مما يزيد من تعقيد مهمة «إد». فأمضى وفريقه أشهراً في إعادة تصميمها، دون أن يتوصلوا أبداً إلى التمكن من إعادة استنساخ نفس نتائج التحاليل من نفس عينات الدم.

كانت عينات الدم التي سُمح لهم بالعمل عليها صغيرة للغاية لدرجة أنه كان عليهم مزجها بمحلول ملحيّ لزيادة كميتها. وذلك ما أفضى إلى عمل كيميائي روتيني نسيباً أكثر من أن يكون تحدياً.

ثمة مستوى آخر من التعقيد انضاف إلى ذلك، فلم يكن الدم والمحلول الملحيّ السائلين الوحيدين اللذين كان يجب أن يتدفقا عبر الخرطوشة. فقد تطلّبت التفاعلات الناتجة عن وصول الدم إلى الأوعية الصغيرة عناصر كيميائية تُسمى الكواشف. وتلك حُفظت في حجيرات منفصلة.

كان ينبغي أن تمرّ كل هذه السوائل من خلال الخرطوشة ضمن سلسلة مصممة بمنتهى الدقة، ولذلك احتوت الخرطوشة على

صمامات تنفتح وتنغلق ضمن فترات زمنية محددة. تلاعب «إد» والمهندسون العاملون معه بتصميم وتوقيت الصمامات وبالسريعة التي تتدفق بها السوائل المختلفة عبر الخرطوشة.

هناك مشكلة أخرى في منع كل تلك السوائل من التسرب وتلويث بعضها الآخر. حاولوا تغيير شكل وطول واتجاه الأقبية الدقيقة في الخرطوشة لتقليل التلوث. وأجروا ما لا يُعدّ من الاختبارات باستخدام الملونات الغذائية لمعرفة أين تذهب الألوان المختلفة وأين يحدث التلوث.

كان نظاماً معقداً، متشابكاً ضُغط ليصبح صغير الحجم. وقد شبّهه أحد مهندسيّ إذ بشبكة من الأربطة المطاطية، فشَدّ أحدها سيجعل الأخريات تتمدد بالتأكيد.

قُدِّرَتْ تكلفة كلّ خرطوشة بمائتي دولار ولم تكن لتُستعمل إلا مرة واحدة. وكانوا يجرون اختباراتهم على المئات منها كلّ أسبوع. وقد اشترت إيلزابيث خطّاً تغليف مؤتمت بكلفة مليوني دولار ترقباً لليوم الذي سيبدوون شحنها فيه، غير أن ذاك اليوم بدا بعيداً جداً. ومع إنفاق ثيرانوس أول ستة ملايين دولار، أضافت تسعة ملايين دولار في جولة تمويل ثانية لسدّ النقص في صندوقها المالي.

تكفّلت بالأعمال الكيميائية مجموعة منفصلة من خبراء في الكيمياء. وكان التعاون بين تلك المجموعة ومجموعة إذ أبعد عن أن يكون مثالياً. فكلّ منهما بعثت بالتقارير إلى إيلزابيث دون

أن تتجراً على التواصل مع الأخرى. لقد حَبَّذت إيزابيت إبقاء المعطيات مجزأةً وبذلك تحظى وحدها بالصورة الكاملة لتطور الجهاز.

ونتيجة ذلك، لم يكن إذ متأكداً من أن المشاكل التي يواجهونها يعود إلى الموائع الدقيقة microfluidics التي كان مسؤولاً عنها أو العمل الكيميائي الذي لم يكن ملماً به أبداً. غير أنه يعلم شيئاً واحداً: ستكون فرصتهم بالنجاح أكبر لو أن إيزابيت سمحت لهم باستخدام دم أكثر. لكنها لن تقبل بأن تصغي إلى ذلك.

ذات مساء، كان إذ يعمل حتى وقت متأخر عندما جاءت إيزابيت إلى مكان عمله. أُحْبِطُ من مدى تقدم العمل فعزمت على تشغيل قسم الهندسة على مدار الأربع والعشرين ساعة يومياً، سبعة أيام في الأسبوع، لتسريع التقدم في العمل. ورأى إذ في ذلك أمراً مريعاً. فقد كان فريقه يشتغل لساعات طويلة بطبيعة الحال.

انتبه إذ إلى أن معدل استبدال الموظفين في الشركة مرتفع بالفعل دون أن يقتصر ذلك على أصحاب المركز أو الأهمية. ولم يبدُ أن المدراء التنفيذيين يمكنهم طويلاً بدورهم. وذات يوم اختفى هنري موسلي، المدير الرئيسي للشؤون المالية. وسرتُ شائعة في مكاتب الشركة بأنه أمسك متلبساً باختلاس أموال. لم يعلم أحد إن كان ثمة شيء من الحقيقة في ذلك لأن مغادرته، مثل مغادرة الآخرين، لم تُعلن أو تفسر أسبابها. وقد نتج عن ذلك بيئة عمل

مضطربة: فقد يكون زميل برفقتك في يوم ما ثم يرحل في اليوم التالي دون أن تدري السبب.

اعترض إذ على مطلب إليزابيت. قال لها إنه حتى لو أسس نظام الورديات، فإن برنامج العمل على مدار الساعة سوف يستنفد طاقة مهندسيه.

أجابت، «لا يهمني. يمكننا استبعاد واستقدام الموظفين. الشركة في المقام الأول.»

لم يظن إذ أنها تعمدت أن يبدو ذلك قاسياً كما بدا في الحقيقة. لكنها ركزت جلّ تفكيرها على تحقيق أهدافها لدرجة أنها غفلت عن النتائج العملية لقراراتها. وقد انتبه إذ إلى اقتباس على مكتبها اقتطعته من مقالة صحفية تتحدث عن ثيرانوس. كان من تشانينغ روبرتسون، البروفيسور في جامعة ستانفورد الذي كان ضمن مجلس إدارة الشركة.

يقول الاقتباس: «ثمة يقين يبدأ بالتشكل لديك بأنك تنظر في عينيّ بيل غيتس جديد أو ستيف جوبز جديد.»

كان ذلك سقفاً أعلى من أن تصبوا إليه، كما فكّر إذ. لكن بالمقابل، إن كان هناك من يمكنه تجاوزه، فستكون تلك الشابة. لم يلتقِ إذ من قبل بشخص يمتلك اندفاعاً لا يفتر كما امتلكت. فقد كانت تنام أربع ساعات كلّ ليلة وتتناول حبات البنّ المغطسة بالشوكولا كي تحقق نفسها بالكافيين. حاول أن ينصحها بالمزيد من النوم واتباع حياة أكثر صحة، لكنها تجاهلته.



بهذا العناد الذي تتصف به إليزابيث، عرف إذ شخصاً توليه أذانها الصاغية: رجل يحفّ به الغموض اسمه سوني Sunny. كانت إليزابيث قد استبعدت اسمه عدة مراتٍ ما يكفي لأن يستخلص بعض الحقائق الأساسية المتعلقة به: كان هندياً، وأكبر عمراً من إليزابيث، وكانا مرتبطين بعلاقة. والحكاية تتلخص في أن سوني حصد ثروة من خلال شركة إنترنت أسهم في تأسيسها أو آخر سنة ١٩٩٠.

لم يكن لـ سوني حضور في ثيرانوس لكن بدا أنه يشغل مكاناً كبيراً في حياة إليزابيث. ففي حفلة عيد الميلاد التي أقامتها ثيرانوس في مطعم بمدينة بالو ألتو مع نهاية سنة ٢٠٠٦، ثملت إليزابيث أكثر من أن تعتمد على نفسها بالذهاب إلى بيتها، فاتصلت بـ سوني وطلبت منه الحضور لاصطحابها. وفي ذلك الحين علمَ إذ أنهما كانا يعيشان معاً في شقة تبعد عدة كتلٍ سكنية.

لم يكن سوني الرجل الوحيد الأكبر سنّاً الذي قدّم النصيح إلى إليزابيث. فقد كانت تتناول الغداء مع دونّ لوكاس كل أحد في منزله بـ أثيرتون، المقاطعة المترفة شمالي بالو ألتو. كما كان لاري إيسون، الذي تعرفت إليه من خلال لوكاس، ذا تأثير عليها. وقد استثمر كلّ من لوكاس وإيسون في جولة تمويل ثيرانوس الثانية، التي عُرفت في وادي السيليكون بـ جولة «السلسلة B». ولم يكن غريباً أن يسمع المرء إليزابيث تستهل عبارةً بـ «قال لاري».

ربما كان إيسون أحد أغنى البشر في العالم، إذ تبلغ ثروته نحو

٢٥ مليار دولار، لكنه لم يشغل بالضرورة موقع القدوة المثلى. ففي سنوات أوراكل Oracle الأولى، بالغ في تقدير كفاءة قواعد البيانات الخاصة ببرمجياته وسوّقَ منها نسخاً تحتوي فايروسات قابلة للانتقال. وهذا ما لا يُسمَحُ بحدوثه في جهاز طبي.

كان من الصعب معرفة إلى أي مدى اختصَّ نهجُ إليزابيت في إدارة ثيرانوس بها وكم كانت تسير بهدي إليسون أو لوكاس أو سوني، لكن شيئاً واحداً كان جلياً: لم تكن سعيدة عندما رفض إذ أن تعمل مجموعته الهندسية ٢٤ ساعة، سبعة أيام في الأسبوع. ومنذ تلك اللحظة بدأ الفتور يعتري علاقتها.

لم يمضِ وقت طويل حتى لاحظَ إذ أن إليزابيت بصدد تعيين موظفين هندسيين، لكنها لم تكن تسمح لهم بنقل ذلك إليه. وشكلوا مجموعة منفصلة. بل مجموعة منافسة. ثم تبينَ له أنها كانت تؤلَّب فريقه الهندسي والفريقَ الجديد أحدهما على الآخر بطريقة تشبه البقاء للأصلح.

لم يمتلك إذ الوقت للتمعن في ذلك طويلاً لأن هناك أمراً آخر كان عليه التعامل معه: لقد أقنعت إليزابيت شركة فايزر بتجربة نظام ثيرانوس ضمن مشروع بحثي تجريبي يقام في تينيسي. وبموجب الاتفاقية، فإن وحدات ثيرانوس ١,٠ ستوضع في بيوت الناس وسيقوم المرضى باختبار دمهم بتلك الأجهزة كلَّ يوم. وسُترسل النتائج لاسلكياً إلى مكتب ثيرانوس في كاليفورنيا، وهناك ستخضع للتحليل ثم تُحوَّل إلى فايزر. فتوجَّبَ عليهم

بطريقة أو بأخرى حلّ كافة المشاكل قبل بدء الأبحاث. وقد وضعت في برنامجها رحلة إلى تينيسي للبدء بتدريب بعض المرضى والأطباء على كيفية استخدام النظام.

في أوائل آب/ أغسطس ٢٠٠٧، ذهب إد برفقة إليزابيت إلى ناشفيل. أقلّهما سوني من المكتب بسيارته البورش وأوصلهما إلى المطار. كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها إد بـ سوني شخصياً. ليُلَوِّحَ البَوْنُ في العمر واضحاً بينهما بشكل فجائي. فقد بدا سوني في بدايات الأربعين، أي أكبر من إليزابيت بعشرين سنة تقريباً. كما كان هناك نوع من حيوية أصحاب البنس الباردة في علاقتهما. وعندما افترقوا في المطار، لم يقل سوني «وداعاً» أو «أتمنى لكما رحلة ممتعة». بل قال بصوت مرتفع، «والآن امضيا لكسب بعض المال!»

عند وصولهما إلى تينيسي لم تعد قارئات النتائج والخرائطش تعمل كما يجب، لذلك كان على إد أن يمضي الليل في تفكيكها ثم تركيبها على سرير غرفته في الفندق. وقد نجح في أن يجعلها تعمل بشكل مقبول مع طلوع الصباح فتمكنوا من سحب عينات الدم من مريضين وستة أطباء وممرضات في عيادة الأورام المحلية.

بدا المريضان في حالة سيئة للغاية. وعلم إد أنهما يحتضران بسبب السرطان. وكانا يتناولان أدوية أُعدت لإبطاء نموّ وَرَمَيْهِمَا مما يتيح لهما أشهراً قليلة إضافية من الحياة.

في طريق عودتهما إلى كاليفورنيا، عبّرت إليزابيت عن نجاح

الرحلة وبعثت بإحدى رسائلها الإلكترونية المبتهجة إلى طاقم العاملين.

كتبت، «كان مذهلاً حقاً. سرعان ما أصبح المرضى ملمين بالنظام. وأن يلتقيهم المرء يشعر بخوفهم، وأملهم، وألمهم.»

وأضافت، إن على موظفي ثيرانوس أن «يتقبلوا التهئة بالنصر.» لم يشعر إذ بالتفاؤل. فقد بدا استخدام ثيرانوس ١٠، ١ في تقصي حالات المرضى سابقاً لأوانه، وخاصةً بعد أن عرف أن الدراسة شملت مرضى مراحل السرطان الأخيرة.

ولكي يخفف عن نفسه، كان إذ يخرج لتناول البيرة مع شوناك في مساءات الجمعة في حانة رياضية صاخبة اسمها «أولد برو» داخل حدود مدينة بالو ألتو. وغالباً ما كان غاري فرنزل، رئيس فريق الكيمياء، ينضم إليهما.

كان غاري شخصاً طيباً من تكساس، ممن يهون قصص حكايات المواجهات التي تحكي عن أيامه كممارس للروديو. أطلع عن ركوب الثيران ومارس الصيدلة بعد أن حطم بعض عظامه. كان يحب الهذر وإلقاء النكات، التي سببت انفجار شوناك بنوبات قهقهة مجلجلة شكلت بالنسبة إلى إذ أكثر ما سمعه سخفاً في حياته. وخلال طلعاتهم المشتركة ربطت الثلاثة أواصر صداقة حميمة.

وذاذ يوم، توقف غاري عن المجيء إلى أولد برو. ولم يعرف إذ وشوناك السبب في بادئ الأمر لكنهما سرعان ما عرفا الجواب.

في أواخر شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٧، عُمِّمَ بريد إلكتروني على سائر الموظفين للتواجد في الطابق العلوي لعقد اجتماع. كان عدد موظفي الشركة قد ازداد إلى سبعين. وكلّ منهم ومنهن توقف عن متابعة ما كان يقوم به وتجمعوا أمام مكتب إيزابيت في الطابق الثاني.

كان المزاج يتسم بالجدية. ثمة مسحة تجهم على وجه إيزابيت. وبدأت غاضبة. إلى جوارها وقف مايكل إسكوفيل، وهو محام سريع الكلام متأنق اللباس التحق بـ ثيرانوس منذ أشهر قليلة بصفة استشاريٍّ عام من مؤسسة ويلسون سونسيني غودريتش أند روزاتي الرائدة في وادي السيليكون.

تكفل إسكوفيل بمعظم الحديث. قال إن ثيرانوس بصدد مقاضاة ثلاثة موظفين سابقين لسرقتهم ملكيتها الفكرية. كانت أسماءهم مايكل أوكونيل، كريس تود، وجون هاوارد. وقد أشرف هاوارد على جميع الأبحاث والتطوير وأجرى المقابلة مع إذ قبل توليه الوظيفة. كان هاوارد سلفَ إذ في المنصب وقاد عملية تطوير النموذج الأولي لـ ثيرانوس ٠, ١. وأوكونيل هو الموظف الذي اشتغل على خرطوشة الـ ٠, ١ حتى مغادرته في الصيف الفائت.

يُحظَر على الجميع التواصل معهم في المستقبل وعليهم المحافظة على كافة رسائل البريد الإلكتروني والوثائق، بحسب تعليمات إسكوفيل. كما سيقوم بإجراء تحقيقات شاملة لجمع الأدلة بمساعدة ويلسون سونسيني. ثم أضاف شيئاً آخر هزَّ أركان القاعة.

«لقد اتصلنا بمكتب التحقيقات الفيدرالي FBI لمساعدتنا في هذه القضية.»

ظنَّ إذْ وشوناك أن غاري فرنزل ربما أزعجه ذلك التقلُّبُ في الأحداث. فقد كان على صداقة طيبة مع كريس تود، سلف إذْ. كما اشتغل غاري مع تود لسنوات خمس في شركتين سابقتين قبل الانضمام إليه في ثيرانوس. وبعد مغادرة تود ثيرانوس في يونيو/ تموز ٢٠٠٦، بقي وغاري على اتصال دائم، يتبادلان الأحاديث الهاتفية ورسائل البريد الإلكتروني. ولا بدَّ أن إليزابيت وإسكوفيل قد عرفا ذلك ووبّخا غاري، الذي بدا مروَّعاً للغاية.

كان شوناك هو الآخر صديقاً لـ تود وبإمكانه تركيب تفاصيل ما قد حدث بكل دقة.

ظنَّ أوكونيل، الحاصل على شهادة ما بعد الدكتوراه من ستانفورد، أنه قد وجد حلاً لمشكلات الموائع الدقيقة microfluidic التي عرقلت عمل نظام ثيرانوس وتحدث مع تود حول تأسيس شركة بالتعاون معه. وأسميا الشركة أفيدنوستيكس Avidnostics. كما أجرى أوكونيل محادثات مع هاوارد، الذي قدم بعض العون والمشورة لكنه أحجم عن الانضمام إلى مغامرتهم. كانت أفيدنوستيكس تشبه ثيرانوس، سوى أنها خططت لتسويق أجهزة لها إلى الأطباء البيطريين بناء على أن تحصيل الموافقات الرقابية سيكون أسهل على جهاز يختبر دم الحيوانات بدلاً من البشر. وطرحوا بعض رؤوس الأموال المغامرة دون جدوى، وفي

تلك المرحلة نفذ صبر أوكونيل وأرسل رسالة إلكترونية يسألها ما إذا كانت تريد الحصول على ترخيص تقنيتهن.

يا له من خطأ فادح.

لطالما اعتري القلق إليزابيت من تسرب معلومات الملكية الخاصة بالشركة، لدرجة أنه بدا مفرطاً للغاية في بعض الأحيان. فلم تكتفِ بمطالبة الموظفين فقط بتوقيع اتفاقية الكتمان، بل كل من دخل مكاتب ثيرانوس أو ارتبط مع الشركة بعلاقة عمل. وحتى في داخل الشركة، أبقت سيطرتها مشددة على تدفق المعلومات.

أكدت ممارسات أوكونيل أسوأ مخاوفها. ففي غضون أيام، كانت تُعدّ العدة لدعوى قضائية. تقدمت ثيرانوس باتهام من أربع عشرة صفحة إلى محكمة كاليفورنيا العليا بتاريخ ٢٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٧. وطلبت فيها من المحكمة إصدار أمر حجز مؤقت بحق الموظفين الثلاثة السابقين، وتعيين خبير مختص «لضمان عدم استخدامهم أو كشفهم الأسرار التجارية للمدعي»، وتعويض ثيرانوس بخمسة أنواع مختلفة من الأضرار المالية.

في الأسابيع والأشهر اللاحقة، أصبح الجو في مكاتب الشركة متشددًا. وصلت الرسائل الإلكترونية التي تنص على الاحتفاظ بالوثائق في صناديق بريدهم الوارد بكل دقة ودخلت ثيرانوس في الحُجر الأمني. ونشر القائم على تكنولوجيا المعلومات، وهو فني كمبيوتر يدعى مات بيزل، ميزات أمنية جعلت الكل يشعرون

بأنهم قيد المراقبة. فلم يكن بوسع المرء وضع سَوّاقة USB في كمبيوتر المكتب دون أن يعرف بيزل بالأمر. وقد قُبِض على أحد الموظفين لمجرد أنه فعل ذلك وطُرد من الشركة.

في خضم الدراما، احتدمت المنافسة بين فريقَي الهندسة. وقد رُئِسَ طوني نوجنت المجموعة المنافسة لمجموعة إِدْ. كان طوني إيرلندياً فظاً أجوفَ أمضى إحدى عشرة سنة في شركة لوجيتك Logitech، التي تصنع اكسسوارات الكمبيوتر، أعقبته مهمة في شركة تسمى كوليستك Cholestech تصنع نسخة أبسط مما تحاول ثيرانوس أن تبتكره. وكانت من إمكانيات جهازها Cholestech LDX إجراء ثلاثة اختبارات للكوليسترول واختبار غلوكوز واحد من خلال عينات دمٍ صغيرة تُسحب من الإصبع.

استُدعي طوني إلى ثيرانوس في بداية الأمر بصفة مستشار من قِبَل غاري هيويت، مؤسس كوليستك. وكان عليه اقتفاء خطا هيويت عندما طُرد الثاني بعد خمسة أشهر فقط من تولّيه منصب نائب رئيس قسم البحث والتطوير في ثيرانوس.

كانت قناعة هيويت عند وصوله إلى ثيرانوس أن السوائل المائعة لن تجدي في تشخيص الدم لأن المقادير أكثر ضآلة من أن تسمح بإجراء قياسات دقيقة. غير أنه لم يحظَ بالوقت الكافي كي يستنبط ما يرقى إلى مرتبة البديل. وتحولت تلك المهمة إلى طوني.

قرر طوني أن ذلك الجزء من مقترح ثيرانوس القيم يجب أن يؤمّت كل الخطوات التي يتبعها الكيميائيون عندما يختبرون الدم



في المختبر. ولكي تتم الأتمتة، احتاج طوني إلى روبوت. لكنه لم يشأ هدر الوقت في بنائه من الصفر، لذلك طلب روبوتاً مخصصاً لتوزيع الغراء بسعر ثلاثة آلاف دولار من شركة في نيوجرسي اسمها فيسنار. وأصبح قلب نظام ثيرانوس الجديد.

كان روبوت فيسنار نوعاً من آلة بدائية إلى حدّ كبير. عبارة عن ذراع ميكانيكية مثبتة إلى جسرٍ داعمٍ مجهّز للحركة بثلاث درجات: اليمين واليسار؛ الأمام والخلف؛ الأعلى والأسفل. لجأ طوني إلى تثبيت ماصّة - أنبوبة دقيقة نصف شفافة تُستعمل لنقل أو قياس الكميات الصغيرة من السوائل إلى الروبوت وبرمجته لتأدية الحركات التي يؤديها الكيميائي في المختبر.

وبمساعدة مهندس عيّن مؤخراً يدعى ديف نلسون، استطاع أخيراً تركيب نسخة أصغر من روبوت الغراء الذي يناسب علبة ألنيوم أعرض وأقصر بقليل من الكمبيوتر المكتبيّ القائم. استعار طوني وديف بعض المكونات من ٠، ١، مثل القطع الإلكترونية والبرنامج، وأضافاها إلى علبتهما، التي أصبحت القارئ الجديد.

وكانت الخرطوشة الجديدة عبارة عن صينية تحتوي أنابيب بلاستيكية صغيرة ورأسيّ ماصّتين دقيقين. ومثل سابقه المختص بالموائع الدقيقة، كان يمكن استخدامه مرة واحدة فقط. توضع عينة الدم في أحد الأنابيب ويُدفع بالخرطوشة إلى القارئ عبر باب صغير ينوسُ نحو الأعلى. تبدأ ذراع القارئ الروبوتية بالعمل، فتكرر خطوات المخبريّ البشريّ.

بدايةً، يُطبَّق على أحد الرؤوس الماصَّة ويستخدمه لنَضْح الدم ومزجه بمخفَّفات اللزوجة المخزَّنة في الأنابيب الأخرى داخل الخرطوشة. ثم يُطبَّق رأس الماصَّة الآخر وينضح به الدم الذي تعرض لتخفيف الكثافة. وهذا الرأس الثاني مغطَّى بالأجسام المضادة التي تعلق على الجزيء المعنيَّ بالاهتمام، فتولَّد طبقة بينية مجهرية.

وتتمثل خطوة الروبوت الأخيرة في نضح الكواشف الكيميائية reagents من أنبوب آخر في الخرطوشة. وعندما تصبح الكواشف في تماسٍّ مع الطبقات البينية المجهرية، يحدث تفاعل كيميائي يُصدر إشارة ضوئية. وثمة أداة داخل القارئ يُطلَق عليها أنبوب المضاعفة الضوئية تقوم بترجمة الإشارة الضوئية إلى تيار كهربائي. ويمكن لتركيز الجزيء في الدم - الذي يهدف الاختبار إلى قياسه - أن يُستنتج من قوة التيار الكهربائي، المتناسبة مع تركيز الضوء.

تُعرَف تقنية اختبار الدم هذه باسم المقايسة المناعية الضيائية الكيميائية chemiluminescent immunoassay. (بتعبير المختبر، فإن كلمة « assay » مرادفة لـ « اختبار الدم ») والتقنية ليست جديدة: كان رائدها في أوائل الثمانينات بروفيسور في جامعة كارديف. لكن طوني عمد إلى أتمتها داخل جهاز، رغم أنه أكبر من ثيرانوس ١٠، الذي يبلغ حجمَ محمصة الخبز، إلا أنه لايزال صغيراً ما يكفي لجعل رؤيا إليزابيث بوضعه في بيوت المرضى ممكنة.

ويحتاج إلى ٥٠ ميكرو لتر من الدم فقط. وذلك ما يزيد عن الـ ١٠ ميكرو لتر التي أصرت عليها إيزابيت في بداية الأمر، لكنها تبقى تعادل مقدار قطرة.

بحلول أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧، بعد أربعة أشهر من شروعه بتركيبه، أصبح النموذج الأولي الفعال جاهزاً لدى طوني. الجهاز الذي كان أدائه أفضل بكثير من نظام Ed Ku غير المستقر الذي كان لا يزال يعمل في جزء آخر من المكتب.

سأل طوني إيزابيت عن الاسم الذي تريد أن تطلقه على الجهاز. أجابت «جربنا كل ما سواه وفشل، لذلك فلنسّمّه إديسون.»

ما أسماه بعض الموظفين gluebot على سبيل السخرية أصبح فجأة الطريقة الجديدة للمضي إلى الأمام. وحظي الآن باسم أكثر احتراماً بكثير، استوحى من اسم الرجل الذي يُعتبر المخترع الأميركي الأكبر.

ثمة مفارقة في قرار التخلي عن نظام المواعيد الدقيقة لصالح إديسون نظراً لأن ثيرانوس قد رفعت دعوى قضائية لحماية الملكية الفكرية التي يشكل السابق جزءاً منها. كما أنه خبر سيء لـ Ed Ku.

في صبيحة يوم سبق عيد الشكر بأسابيع قليلة، دُعي إد وفريق مهندسيه إلى قاعة الاجتماعات واحداً تلو الآخر. وعندما جاء دور إد، أبلغه كل من طوني وتارا النسيوني مديرة الموارد البشرية ومايكل إسكوفيل بأنهم استغنوا عن خدماته. فالشركة ماضية في

اتجاه جديد ولن تلتزم بما كان يشتغل عليه، كما قالوا. واضطّرّ إذ على توقيع اتفاقية كتمان وعدم تشهير إذا كان يريد إنهاء خدمته. رافقته لنسيوني وإسكوفيل إلى مكان عمله كي يستعيد بعض أغراضه الشخصية ثم صحباه حتى خروجه من المبنى.

بعد نحو ساعة من ذلك، ألقى طوني نظرة من النافذة ولاحظ أن إذ لا يزال واقفاً في الخارج، وسترته مثنية على ذراعه، ويبدو عليه الضياع. تبين أنه لم يأت بسيارته إلى المكتب في ذلك الصباح وتقطعت به السبل. كان هذا قبل حلول أيام تاكسي أوبر، لذلك مضى طوني باحثاً عن شوناك، ولأنه يعرف مدى صداقتها، طلب إليه أن يوصله إلى البيت.

لحق شوناك بـ إذ خارجاً من الباب نفسه بعد أسبوعين، وإن كان ضمن ظروف أكثر لطفاً. كان جهاز أديسون في جوهرة روبوت غراء خضع للتحويل وذلك كان خطوة كبيرة فادحة هبطت بالمشروع من رؤية إليزابيت الأصلية المتعالية للجهاز التي دفعته بنفسها للعمل عليه. ولم يكن مستقراً بسبب التغيير الدائم للموظفين وهستيريا الدعوى القضائية. بعد زهاء ثلاث سنوات ونصف السنة، بدا وكأن الوقت حان للانتقال. أبلغ شوناك إليزابيت بأنه يفكر بالعودة إلى الجامعة واتفقا على الانفكاك. وأعدت حفلة في المكتب بمناسبة وداعه.

ربما لن يعود منتج ثيرانوس التقنية الحديثة والمستقبلية التي رسمتها في خيالها، لكن إليزابيت بقيت على التزامها بشركتها. وفي

الحقيقة، كانت متحمسة للغاية لجهاز أديسون لدرجة أنها سرعان ما بدأت تأخذه معها إلى المكتب كي تتباهى به. وقد سخر طوني من الأمر أمام ديف قائلاً بأنه كان عليهما تركيب جهازين قبل أن يجبراها بأمره.

وإذا تركنا النُّكات جانباً، ساورَ طوني شيء من القلق جراء تسرعها. فقد أجرى مراجعة لأساسيات السلامة للتأكد من أن الجهاز لن يصعق أحداً، لكن الأمر لم يتجاوز اختبارات السلامة. حتى إنه لم يعرف أي نوع من اللصاقات يتعين تثبيتها عليه. لا فائدة ترجى من المحامين إذا سألهم عن ذلك، مما اضطره للبحث من تلقاء نفسه في تعليقات إدارة الغذاء والدواء وقرر أن لصاقة «لغرض الاستخدام البحثي فقط» ربما كانت الأنسب.

فكّر

(٣)

## حسد آبل

كان من الصعب بالنسبة إلى رجل أعمال شاب يؤسس شركة في قلب وادي السيليكون أن يفلت من تأثير ستيف جوبز. فبحلول سنة ٢٠٠٧، أرسى مؤسس آبل دعائم أسطوره في عالم التكنولوجيا داخل المجتمع الأمريكي على اتساعه باستحضار مصنّعي الكمبيوتر من الرماد بجهاز iMac، و iPod، ومتجر iTunes للموسيقى. وفي كانون الثاني/ يناير من ذلك العام، كشف النقاب عن آخر وأكبر ضربة عبقرية، iPhone، أمام جمهور متحمس في مؤتمر Macworld في سان فرانسيسكو.

من الواضح لكل من أمضى ردهاً من الوقت مع إيزابيت أنها كانت تُجَلّ جوبز وآبل. وأجبت أن تطلق على جهازا ثيرانوس لاختبار الدم «آيود الرعاية الصحية» وتوقعت أنه، مثل منتجات آبل واسعة الانتشار، سيكون يوماً ما داخل كل بيت في البلاد.

في صيف ٢٠٠٧، دفعها إعجابها بشركة آبل خطوة إلى الأمام باستقطابها العديد من موظفيها لصالح ثيرانوس. وكانت منهم آنا أريولا، مصممة المنتجات التي اشتغلت على iPhone.

كان لقاء أنا الأول بـ إيزابيت في Coupa Café الرائع الذي يقدم القهوة والشطائر في بالو ألتو، الذي أصبح ملاذها المفضل خارج المكتب. وبعد التحدث إليها عن خلفيتها المهنية ورحلاتها إلى آسيا، قالت إيزابيت لـ أنا إن لديها تصورات عن إنشاء خارطة لأمراض كل شخص من خلال جهاز ثيرانوس لاختبار الدم. بذلك يمكن للشركة مكافحة أمراض مثل السرطان بواسطة نماذج رياضية قادرة على معالجة بيانات الدم والتنبؤ بتطور الأورام.

بدا ذلك مثيراً للإعجاب ومن شأنه تغيير وجهة العالم إلى ما يشبه فتوة الحياة من الناحية الطبية. بدت أنا وإيزابيت مشرقتين. ونظراً إلى أن أنا ستخلف وراءها خمسة عشر ألف سهم من أسهم آبل في حال انضمامها إلى ثيرانوس، فإنها تريد أن تحصل على رأي شريكها كورين. وقد رتبت أمر لقاءها بـ إيزابيت مرة أخرى في بالو ألتو، وهذه المرة بحضور كورين. وكان كل ما ساورها من تردد قد تلاشى مع ما تركته إيزابيت من انطباع إيجابي على كورين هي الأخرى.

التحقت أنا بـ ثيرانوس كمهندسة تصميم أولى. وهذا يعني في الدرجة الأولى أنها مسؤولة عن الشكل والتكوين العام لـ أديسون. أرادت إيزابيت برنامج شاشة تعمل باللمس شبيهة بشاشة آيفون وغلاف خارجياً أنيقاً للجهاز. ويجب أن يكون الغلاف الخارجي مؤلفاً من لونين مفصولين بـ (قَصَّة) فُطرية، مثل الـ iMac الأصلي. لكن على عكس الـ iMac القديم، لن تكون نصف شفافة. فيجب إخفاء الذراع الروبوتية وبقية أجزاء أديسون الداخلية.

تعاقدت على تصميم الغلاف الخارجي مع إيف بيهار Yves Béhar، المصمم الصناعي سويسري المولد الذي كان صيته في الوادي الثاني بعد صيت جوني آيف Jony Ive الذي يعمل مع آبل. تفتّق ذهن بيهار عن تصميم أنيق يجمع الأسود والأبيض لكن ثبتت صعوبة تنفيذه. كما أمضى طوني نوجنت وديف نلسون ما لا يُحصى من الساعات في سبّك الصفيحة المعدنية في محاولة لتطويعها على نحوٍ مناسب.

لن يكتّم الغطاء الضجيج العالي الذي ينجم عن ذراع الروبوت، لكن أنا كانت مقتنعة بأن ذلك سيجعل الجهاز مقبولا عندما تأخذه إيزابيت كعيّنة تجريبية.

شعرت أنا بأن إيزابيت تستطيع أن تغيّر في هيئتها كلياً. فطريقة لباسها ليست عصرية البتّة. إذ تلبس سراويل رمادية فضفاضة وبلوزات عيد الميلاد التي جعلتها تبدو مثل محاسبة عتيقة الزي. وبدأ المحيطون بها مثل تشانينغ روبرتسون ودون لوكاس بمقارنتها بـ ستيف جوبز. وإذا كان الأمر كذلك، فعليها ارتداء ثياب الشغل، كما قالوا لها. أخذت إيزابيت الاقتراح على محمل الجد. ومنذ ذلك الحين فصاعداً، كانت تأتي إلى العمل وهي تعتمر كنزات ذات ياقة ضيقة سوداء وسراويل سوداء في معظم الأيام.

سرعان ما انضم إلى أنا في ثيرانوس كلّ من جاستن ماكسويل ومايك باورلي، مجندان آخران تمّ توظيفهما للعمل على تصميم



برنامج وبعض جوانب النظام التي سيتفاعل معها المرضى في جهاز أديسون، مثل تعليب الخراطيش. كانت أنا وجاستن قد عملاً معاً في آبل وتعرفا إلى مايك من خلال صديقه، التي كانت أيضاً زميلتهما هناك. ولم يمض وقت طويل حتى داخلَ (غِراسُ) آبل الشعورَ بأن ثمة ما يريب في سلوك إليزابيت وثيرانوس. كانت أنا تصل باكراً كل صباح لاجتماع الساعة والنصف اليومي مع إليزابيت كي تطلعها على مستجدات التصميم. وذات يوم، عندما تقدمت أنا بسيارتها إلى باحة رُكن السيارات، وجدتها تشوش الجو بصوت موسيقى الهيب-هوب في سيارتها الإنفiniti السوداء رباعية الدفع، وخصلات شعرها الشقراء تتقاذف بجنون.

وفي مناسبة أخرى، مع دخول جاستن إلى مكتبها ليططلعها على الحديد في المشروع، دفعته إليزابيت بشيء من الحماس، وهي تقول إنها تريد أن تريه شيئاً ما. وأشارت إلى ثقالة ورق معدنية بطول تسعة إنشات على طاولة مكتبها، نُقِشت عليها عبارة، «ما الذي أنت بصدد فعله إذا كنتَ تعلم بأنك لن تُخفق؟» كانت قد وضعتها بحيث تواجهها الكلمات وقد وجدتها معبرة للغاية.

لم يكن وجود رئيسٍ مثالي في العمل أمراً سيئاً، لولا حضور جوانب أخرى للعمل في ثيرانوس أقل متعة. أحد تلك الجوانب هو الاضطرار لخوض معركة يومية مع مات بيزل، رئيس شعبة تكنولوجيا المعلومات، ورفيقه اللصيق ناثن لورتز. وقد أعدّ بيزل ولورتز شبكة كمبيوتر الشركة بتلك الطريقة التي تتفرع بها المعلومات لتذهب إلى مكان تخزين، الأمر الذي أعاق التواصل

بين الموظفين وأقسام الشركة. ولم يعد بإمكان المرء حتى تبادل الرسائل الفورية مع زميله في العمل. بالإضافة إلى حظر منافذ الدردشة. وكل ذلك كان تحت شعار حماية معلومات الملكية الفكرية والسرية التجارية، لكن النتيجة النهائية كانت ساعاتٍ من الإنتاجية المهدورة.

أصبح الوضع بالغ الإحباط لدرجة أن جاستن سهر حتى ساعة متأخرة من الليل وكتب رسالة إلكترونية مطولة إلى أنا عن الأمر.

«لقد فقدنا البصيرة فيما يتعلق بهدف عملنا. هل تأسست هذه الشركة لمجرد أن تضع مجموعة من الناس في غرفة وتمنعهم من ارتكاب الأشياء اللاقانونية، أو هل تأسست لكي تنجز أشياء رائعة مستعينةً بأفضل الناس، وبأقصى سرعة ممكنة؟» كتب كي يتخفف من الغيظ الذي اعتمل داخله.

كذلك تكوّن لدى جاستن ومايك انطباع لا يقبل الشك بأن بيزل ولورتز كانا يتجسسان عليهما ويوصلان لـ إлизаبيت ما يجذانه. كانا أبداً يريدان معرفة البرامج التي يستخدمانها على كمبيوتريهما وأحياناً يصبحان ودودين بشكل يبعث على الارتياح فيما بدا أنها محاولات شفافاة لاستدرار ما لديهما من الكلام. ولم يكن التطفل مقتصرأ على شلة تكنولوجيا المعلومات. فمساعداو إлизаبيت الإداريون سيطلبون صداقة الموظفين على فيسبوك ويخبرونها عما كانوا ينشرونه على صفحاتهم.

وبقي أحد المساعدين على تعقبه الموظفين متى وصلوا ومتى غادروا وبذلك كانت إлизаبيت نعلم بالضبط عدد الساعات التي أمضاها كل منهم. ولكي تغوي العاملين بالعمل شطراً أكبر من اليوم، كانت توصي على طلبية العشاء في المساء. وغالباً لم يكن الطعام يصل حتى الثامنة أو الثامنة والنصف، أي أن أبكر توقيت لمغادرة المكتب كان في العاشرة.

ثم يوغل الجو الغريب في مزيد من الغرابة عندما ينعقد اجتماع مجلس إدارة ثيرانوس مرة كل ثلاثة أشهر. فيوصى الموظفون بأن يتظاهروا بالانشغال دون اتصال بصري مع أعضاء المجلس أثناء تحركهم في المكتب. قادتهم إлизаبيت إلى قاعة اجتماعات كبيرة مزججة وأسدت الستائر. بدا الأمر وكأن عملاء المخابرات المركزية الأميركية يقومون بعملية استجواب سري لأحد العملاء المتخفين.

ذات مساء، أقلت أنا كلاً من جاستن وآرون مور، وهو مهندس، إلى سان فرانسيسكو. كان آرون قد توقف عن متابعة برنامج الدكتوراه في علم الموائع الدقيقة بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT وقدمَ ليعمل مع ثيرانوس في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ بعد اطلاعه على إعلان صغير في نشرة تجارية. اشتغل في الشركة لما يقارب السنة عندما انضم جاستن وأنا إلى طاقم العمل. امتلك آرون ما يكفي من الذكاء للالتحاق بإحدى كليات ستانفورد وقسم الدراسات العليا في MIT، لكنه يكن يأخذ نفسه على محمل الجد. كان من بورتلاند، أوريغون، وله مظهر (متمرد)

بورتلانديّ: الشعر الأشعث، الذقن غير الحليقة منذ ثلاثة أيام، والأقراط. كان أيضاً سريع البديهة، ما جعل منه موظفَ ثيرانوس الذي يُعتدّ به من بين (غراس) آبل في الشركة.

أقام كلّ من أنا وجاستن وآرون في سان فرانسيسكو وكانوا يعتمدون على السيارة أو القطار للوصول إلى المكتب. وخلال رحلة عودتهم إلى بيوتهم في ذلك المساء، تشارك آرون بعض الهواجس مع زميليه الجديدين وهم في سيارة آنا الـ «بريوس» وسط حركة المرور الخانقة. قال آرون، في حال لم يلحظوا بعد، إن الناس يُطردون من ثيرانوس بشكل متواصل. وبالتأكيد كانت آنا وجاستن متنبّهين لذلك. وقد حدث تسريح فريق Ed Ku منذ أمد قريب. وبالإضافة إلى إذ، فقدَ عشرون آخرون وظائفهم. حدث الأمر بسرعة خاطفة لدرجة أن إذ قد ترك وراءه الكثير من أدوات عمله، من ضمنها مجموعة رائعة من سكاكين X-Acto بالغة الدقة والتي تصيّدُها جاستن من سلة المهملات وادّعى أنها ملكٌ له.

كما عبّر آرون عن انزعاجه حيال الدراسة المتعلقة بمرضى السرطان في تينيسي. لم يسبق لهم التوصل إلى نظام مايكروفلويدي يعمل كما يجب وبالتأكيد ليس صالحاً بالحد الأدنى لاستخدامه مع المرضى الأحياء، ومع ذلك استمرت إليزابيت بالدراسة. كان الانتقال إلى الجهاز الجديد الذي ابتكره طوني نوعاً من التطور، لكن آرون لمس أنهم لا يزالون عاجزين عن الحصول على قراءة جيدة بأداء كأداء ذلك الجهاز. لكن ثمة تواصل بين مجموعة الهندسة ومجموعة الكيمياء. وكلّ منهما كانت تختبر الأجزاء التي

تختص بها، لكن دون أن تُجْريَ إحداهما اختبارات تشمل النظام بكامله.

أصغت أنا بقلق متزايد. فقد افترضت بأن ثيرانوس استكملت تكنولوجيا اختبار الدم إذ كانت بصدد استخدامها على المرضى. والآن يخبرها آرون أنه لا يزال أمام الشركة الكثير من العمل لإنجاز العمل. وعلمت أنا أن دراسة تينيسي تضمنت بشراً يحتضرون بسبب السرطان. وقد ألمها أنهم ربما يُستخدمون بمثابة «خنازير غينيا» لتجريب جهاز طبي ذي عيوب.

ما لم تعرفه أنا وآرون وما قد يلطف من مخاوفهما بعض الشيء أن نتائج الاختبار التي استخرجتها ثيرانوس من دم مرضى السرطان لن تُستعمل لإجراء أيّ تغيير في علاجاتهم. بل أُجريت لأغراض بحثية، هدفها مساعدة فايزر في تقدير مدى فعالية تقنية ثيرانوس. لكن ذلك لم يكن واضحاً لدى معظم موظفي ثيرانوس لأن إليزابيت لم تشرح أبداً الظروف التي أحاطت بالدراسة.

في الصباح التالي، تواصلت أنا مع الشخص الذي قدّمها إلى ثيرانوس: زميلها السابق في آبل آفي تيفانيان.

كان آفي عضو مجلس إدارة ثيرانوس. وكان مَنْ أوصى بجسّ نبض أنا منذ أشهر عديدة سبقت توظيفها ورتّب أمر لقاءها بإليزابيت. ثم التقت آفي في بيتس كوفي وسط لوس أنجلوس وأبلغته بما سمعت من آرون مور. كانت تتوجس من أن ثيرانوس ربما تجاوزت الخط الأخلاقي بالدراسة التي أُجريت في تينيسي.

أصغى آفي باهتمام قال لـ أنا إن الشكوك بدأت تساوره حيال الشركة.

كان آفي أحد أقدم وأقرب أصدقاء ستيف جوبز. وقد عملاً معاً في NeXT، شركة البرامج التي أسسها جوبز بعد إقصائه من أبل في منتصف ١٩٨٠. وعندما عاد جوبز إلى الشركة في ١٩٩٧ صَحَبَ معه آفي وأوكلَ إليه رئاسة قسم هندسة البرامج. وبعد عَقْدٍ مَضْنٍ، أعرب عن رغبته بالاستقالة. لقد جنى من المال أكثر مما يعرف كيف ينفقه وأراد أن يتمتع بمزيد من الوقت مع زوجته وولديه. وبعد أشهر قليلة من تقاعده، تواصل معه مكلفٌ بالعشور على المدرء استأجرته ثيرانوس.

ومثل أنا، كان لقاء آفي الأول بإليزابيت في «كوبا كافي». أذهلته كصبيّة متألقة شغوفة بما تنجزه، بالضبط المواصفات ذاتها التي يبحث عنها المرء في رجال وسيدات الأعمال. أشرقت عيناها عندما تبرع ببعض النصائح الإدارية التي اكتسبها خلال عمله في أبل. إذ بدت علاقته الطويلة بـ جوبز مصدر سحرٍ بالنسبة إليها. وبعد لقائهما، وافق آفي على الانضمام إلى مجلس إدارة ثيرانوس واشترى ما قيمته ١,٥ مليون دولار من أسهم الشركة في عرض أواخر سنة ٢٠٠٦.

كان الاجتماعان الأولان اللذان حضرهما آفي لمجلس الإدارة هادئين نسبياً، غير أنه في الاجتماع الثالث بدأ يلحظ نوعاً غريباً من السلوك. إذ تقدم إليزابيت على الدوام صورة زاهية لتوقعاتها

عن الإيرادات بناء على الصفقات التي قالت إن ثيرانوس تتفاوض بشأنها مع شركات الأدوية، لكن الإيرادات لن يكتب لها الظهور إلى حيّز الوجود. ولم ينفذ طرد هنري موسلي مدير الشؤون المالية بعيد تنصيب آفي مديراً. وفي آخر اجتماع حضره آفي، طرح الأسئلة التي ركزت على صفقات شركات الأدوية فقيل له إنها قيد المراجعة القانونية. وحين طلب رؤية العقود، قالت إليزابيت إنه ليس بحوزتها أية نسخ متاحة الآن.

كان هناك تأخير تلو الآخر في طرح المنتج كما بقي شرح ما يحتاج إلى الإصلاح يتغير بين مناسبة وأخرى. لم يدع آفي إمامه بعلم اختبارات الدم؛ كانت خبرته تنحصر في البرمجيات. لكن إذا كان نظام ثيرانوس في مراحل ضبطه النهائية كما قيل له، فكيف يمكن أن تحدث مشكلة تقنية مختلفة كلياً تشكّل عقبة كأداء كلّ ثلاثة أشهر؟ الذي لم يبدُ بالنسبة إليه منتجاً قاب قوسين أو أدنى من التسويق التجاري.

في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧، حضر اجتماعاً للجنة المدفوعات المالية التابعة لمجلس الإدارة. أبلغ دون لوكاس، رئيس المجلس، أعضاء اللجنة أن إليزابيت تعمل على إرساء أساس لمسائل التخطيط الضريبي وتطلب من اللجنة الموافقة على صرف منحة أسهم خاصة لهذا الغرض. انتبه آفي إلى مدى حنوّ دُون على إليزابيت. لقد عاملها الرجل العجوز كحفيدته. دُون، الرجل الجليل ذو الشعر الأشيب الذي يهوى ارتداء القبعات العريضة، في أواخر السبعين، كان جزءاً من جيل الرأسماليين المغامرين القدامى

الذين انتهجوا أسلوب الاستثمارات المغامرة كما لو أنها مجرد نادٍ خصوصي. وقد وجد في رجل أعمال مشهور هو لاري إيلسون خيرَ مستشار. وظن أنه وجد في إليزابيت مستشاراً آخر.

وسوى أن آفي لم يجد في ما تفعله إليزابيت سجلاً لصالح إدارة الشركات. وحيث أنها تريد التحكّم بالمؤسسة، ما يعني التحكّم بحقوق التصويت المرتبطة بالرصيد المالي الجديد، الذي سيؤدي إلى ارتفاع حصتها التصويتية بشكل إجمالي، لم يرَ آفي أن مصلحة المساهمين الآخرين تقتضي منح المؤسّس سلطة أكبر. وأثّر الاعتراض.

بعد أسبوعين، تلقى مكالمة من دُون يسألهم إذا كان يمكنهما أن يلتقيا. قاد آفي سيارته إلى مكتب الرجل العجوز على شارع ساند هيل. ومع وصوله أنبأه دُون أن إليزابيت في منتهى الانزعاج. لقد شعرت بأنه تصرف بطريقة كريهة خلال اجتماع مجلس الإدارة ولا تظن أنه يجب أن يكون ضمن المجلس بعد الآن. وسأله دُون إن كان يريد الاستقالة. بدت الدهشة على آفي. كان يؤدي مهامه كمدير لا أكثر؛ ومنها طرح الأسئلة. وافقه دُون وقال إنه مدرك بأن آفي كان يقوم بعمل ممتاز. أفصح آفي لـ دُون عن نيّته بأخذ بضعة أيام للتفكير بالأمر.

حين رجع إلى منزله في بالو ألتو، قرر العودة والنظر في كل الوثائق التي كان يتسلّمها على مدى السنة السابقة التي قضاها كعضو مجلس إدارة، ومن بينها مواد الاستثمار التي تلقاها قبل



أن يشتري أسهمه. وحين قرأها بأكملها، أيقن أن كل شيء يتعلق بالشركة قد تغير في غضون سنة، بما في ذلك كامل فريق إлизаبيت التنفيذي. وقال في سره، يجب أن يطلع دُون على ذلك.

في تلك الأثناء، كان صبر آنا آريولا قد بدأ ينفد. فطبيعة آنا كانت انفعالية. تحدثت بسرعة وفي حيويتها تشبه الزوبعة. وطوال الوقت، كانت تدفعها الطاقة الإيجابية في عملها فتنجز أشياء عظيمة. لكن في بعض الأحيان يمكن أيضاً أن تتحول إلى إجهاد وقلق ودراما.

بعد انتهائهما من تناول القهوة، بقيت على تواصل مع آني كما علمت من زميلتها السابقة في آبل أن إлизаبيت أرادت أن يكون خارج مجلس الإدارة. لم تدرِ ما الذي سبب هذا الصدع، لكن الأمر صدمها كتطور ينذر بالشؤم.

كانت علاقة آنا بإлизаبيت في طور الانتكاس. فإлизаبيت لم تحب أن يُرَدَّ لها طلب، وأنا فعلت ذلك في مناسبات عدة كلما وجدت أن مطلب إлизаبيت لم يكن معقولاً. كما كانت تماطل بسبب التكتّم الذي أحاطت نفسها به. قد لا يكون للمصمم في هذا المشروع الصغير دور حاسم مثل المهندس أو الكيميائي، لكنها مع ذلك تحتاج إلى أن تكون ضمن دائرة الاطلاع على تطور المنتج لكي تنفذ عملها على أكمل وجه. وعلى الرغم من ذلك استمرت إлизаبيت بإبقاء آنا في حالة من العوز إلى معرفة الجديد.

وفي أثناء أحد اجتماعاتهم الصباحية، واجهت آنا إлизаبيت

بما عرفته من آرون مور عن مشاكل نظام ثيرانوس. وإذا كانوا لا يزالون يعالجون العقبات التقنية، أفلا يجب إرجاء دراسة تينيسي والتركيز أولاً على إصلاح العضلات القائمة؟ فبوسعهم دائماً الإقلاع بها من جديد متى استطاعوا تشغيل الجهاز بشكل مستقر وموثوق، كما قلت لها.

رفضت إليزابيث الفكرة بشكل بات. وقالت إن فايزر وسائر شركات الأدوية العملاقة تطلب جهازها المختص باختبار الدم وأن ثيرانوس في طريقها لأن تصبح شركة عظيمة. وأردفت، إذا لم تكن أنا سعيدة، فربما يجدر بها إعادة التفكير في مدى جدارة هذا المكان بالنسبة إليها. وأضافت، «فكّري بالأمر ثم أخبريني ماذا سيكون قرارك.» عادت أنا إلى مكتبها ومكثت هناك عدة ساعات في حالة من الاستياء الشديد. لم تستطع إبعاد فكرة أن دراسة تينيسي لم تكن شيئاً يجب حدوثه. وواقع أن إليزابيث أرادت إقصاء آفي من المجلس يبعث على القلق. لقد وثقت أنا بآفي واعتبرته صديقها. وإذا كان ثمة خلاف بين إليزابيث وآفي، فإنها ستميل إلى جانب آفي.

عند منتصف الظهيرة، حسمت أنا أمرها. كتبت رسالة استقالة وجيزة وطبعت منها نسختين، واحدة لإليزابيث والثانية لقسم الموارد البشرية. كانت إليزابيث خارج المكتب في ذلك الحين، لذلك دسّ الرسالة تحت بابها. وأثناء خروجها كتبت رسالة إلكترونية تخبرها فيها أين تجد رسالة الاستقالة.

بعد نصف ساعة ردت إليزابيث على رسالتها الإلكترونية،

تطلب منها الاتصال بهاتفها الخلويّ. تجاهلت أنا طلبها. لقد انتهى أمر ثيرانوس بالنسبة إليها.

لم يستخدم دون لو كاس البريد الإلكترونيّ. فقد نال نصيبه من الدعاوى القضائية على مرّ السنين، من بينها موجة التدابير القانونية الجماعية التي استهدفت شركة أوراكل في بداية التسعينيات، ولم ترقّ له فكرة أن يترك وراءه رسالة أو أثراً لصفحة إلكترونية قد تُستخدم ضده في المحكمة ذات يوم. وإذا شاء آفي أن يعرض أمام دُون ما وجده، فعليه أن يُريّه ذلك بشكل شخصي. وقد تواصل مع مساعديّ دُون الاثنين واتفقوا على اجتماع آخر.

وفي اليوم المحدد، حضر آفي إلى مكتب دُون مع نسخ ورقية تشمل كل الوثائق التي حصل عليها بصفته مديراً في ثيرانوس. وقد بلغت مئات الصفحات. قال لـ دُون، إنها بمجملها تفضح سلسلة من التناقضات التي لا تقبل الجدل. وأردف أن ثمة مشكلة يتحملها المجلس. كان من الممكن إصلاح ثيرانوس، لكن ذلك لن يحدث بطريقة إлизаبيت في معالجة الأمور. واقترح توكيل بعض الكبار للإشراف على سير الشركة.

«حسناً، أظن أن عليك الاستقالة»، أجاب دُون. وأضاف بسرعة، «ماذا تنوي فعله برزمة الأوراق هذه؟»

بوغت آفي. حتى إن دُون لم يبدُ مهتماً بالاستماع إليه، الأمر الوحيد الذي كان الرجل المسن معنياً به ما إذا كان سيمضي في تصعيد المسألة وإيصالها إلى كامل المجلس. وبعد تقليب الأمر

في ذهن آفي للحظات قليلة، قرر الانسحاب. لقد تقاعد من آبل لسبب محدد. ولا يحتاج إلى أي نوع من التصعيد.

«حسناً، سأستقيل وسأترك لك هذه الأوراق»، قال.

و حين نهض واستعد للمغادرة، قال دُونُ إن هناك شيئاً ما يجب أن يناقشاه. كان شوناك روي، الموظف الأول والمؤسس الفعلي لـ ثيرانوس، بصدد ترك الشركة وإعادة بيع معظم أسهم المؤسس لإليزابيت. وهو يريد من المجلس تجنب الشركة حقوق إعادة شراء تلك الأسهم. لم يرَ آفي الفكرة جيدة لكنه قال لـ دُونُ إن بوسع المجلس التصويت على الاقتراح من دون وجوده إذ أنه يوشك على الاستقالة.

«هناك شيء آخر يا آفي»، قال دُونُ. «أريدك أن تتنازل عن حقوقك الخاصة في شراء الأسهم.»

كان الغيظ قد بدأ يعتمل في صدر آفي. لقد طلب منه أكثر مما يحتمل. أجاب دُونُ بأن يطلب من مايكل إسكوفيل، المستشار العام لـ ثيرانوس، إرسال الوثائق المطلوبة. وسيراجعها هو لكن دون أن يلتزم بأية وعود.

ولدى وصول الوثائق، قرأها آفي بعناية وخلص منها إلى أن الشركة حين تتنازل عن حقوقها في إعادة شراء أسهم شوناك، فإن من حقه وحق الآخرين شراء بعضها. كما لاحظ أن إليزابيت قد تفاوضت حول صفقة (غالية على قلبها): كان شوناك مستعداً للتخلي عن أسهمه التي تبلغ قيمتها ٣,١ مليون دولار مقابل

٥٦٥٠٠٠ دولار. وذلك يعني ٥٠ ستاً للسهم الواحد، أي تخفيض ٨٢٪ عما دفعه وبقية المستثمرين منذ ما ينوف عن السنة في جولة تمويل ثيرانوس الأخيرة. كان جزء من التخفيض مبرراً لأن أسهم آفي أسهم مفضلة ذات استحقاق أعلى على أصول الشركة وأرباحها في حين كانت أسهم شوناك عادية، إلا أن تخفيضاً بهذا الحجم لم يُسمع به من قبل.

قرر آفي ممارسة حقوقه وأبلغ إسكوفيل بأنه يريد نيل الجزء التناسبي من أسهم شوناك التي أُجيزت له. لم يلق الطلب قبولاً جيداً. وأعقب ذلك تبادل رسائل إلكترونية حادة بين الرجلين امتدت حتى عطلة عيد الميلاد.

في الساعة ١٧:١١ من مساء عيد الميلاد، أرسل إسكوفيل رسالة إلكترونية إلى آفي يتهمة فيها بالتصرف «بسوء نية» ويحذره بأن ثيرانوس كانت تنظر بجدية في أمر مقاضاته بسبب خرقه لواجباته الموكلة إليه كعضو مجلس إدارة وبسبب الاستخفاف العلني بالشركة.

كان آفي مشدوهاً. فلم يفعل أشياء كهذه، ولم يحدث طوال حياته في وادي السيليكون أن هُدد بإحالاته إلى القانون. وعلى امتداد الوادي، ذاع صيته كإنسان رائع. (الدبدوب اللطيف). لم يكن له أعداء. فما الذي يحدث هنا؟ حاول التواصل مع أعضاء المجلس الآخرين، لكن لم يستجب أحد منهم لاتصالاته.

ودون أن يدري ما الذي يمكن أن يفعله، استشار آفي صديقه

المحامي. إنه ممتنّ للثروة التي جناها من آبل، وميزانيته الشخصية تفوق ميزانية ثيرانوس، لذلك فإن احتمال المقاضاة المكلف لم يبعث الخوف لديه. لكن بعد أن أخبر صديقه بكل ما حدث، طرح الصديق سؤالاً أعانه على وضع الأمور في نصابها: «بالنظر إلى كل ما تعرفه عن هذه الشركة الآن، هل تودّ حقاً أن تملك المزيد منها؟»

وحين تفكّر آفي بالأمر، كان الجواب بالنفي. إلى جانب ذلك، كان يعيش موسم العطاء والبهجة. قرر أن يبقى الأمر معلقاً ويترك ثيرانوس وراءه. لكن قبل أن يفعل ذلك، كتب رسالة انفكاك إلى دُون وأرسلها بالبريد الإلكتروني إلى مساعديه، مرفقة بنسخة من التنازل الذي ضغطت عليه الشركة من أجل توقيعه.

كتب، إن التكتيكات المستخدمة لدفعه لتوقيع التنازل قد أكّدت «بعض المخاوف الأسوأ» التي أثارها مع دُون حول الطريقة التي تُدار بها الشركة. وأضاف أنه لا يلوم مايكل إسكوفيل لأنه كان من الجليّ أن المحامي يتصرف بناءً على أوامر أخته من الأعلى. وختم الرسالة بـ:

أمل أن تُبلغ بقية أعضاء المجلس بما حدث هنا. فهم يستحقون أن يعرفوا أنهم بعدم المضي ١٠٠٪ «لصالح البرنامج» فإنهم يخاطرون بالاقتصاص من الشركة/ إليزابيت.

بكل مودة

آفي تيفانيان

(٤)

## وداعاً إيست بالي

في مطلع عام ٢٠٠٨، انتقلت ثيرانوس إلى مبنى جديد في جادة هيل فيو في بالو ألتو. كان ذلك يوازي في وادي السيليكون الانتقال من جنوب برونكس إلى وسط منهاتن.

تكتسب المظاهر في وادي السيليكون أهمية بالغة، وعلى مدى ثلاثة أعوام كانت ثيرانوس تدير أعمالها على الجانب الخطأ من الميدان. و«الميدان» في هذه الحالة كان الطريق ١٠١، المعروف بـ Byshore Freeway. يفصل هذا الطريق بالو ألتو، إحدى أكثر المدن الثرية في أمريكا، عن إيست بالو ألتو، شقيقتها الأفقر، التي حملت يوماً الخصيصة المريبة بكونها عاصمة الجريمة في البلاد.

كان مكتب الشركة القديم يقع في جانب إيست بالو ألتو القريب من الطريق السريعة ذات المسارات الأربعة، بجانب متجر آلات في الشارع المقابل لمركز متعهد سقوف. لم يكن ذلك نوع الرأسماليين المستثمرين الأثرياء في الحي ممن تُجذب رؤيتهم. وعلى النقيض، كان العنوان الجديد بجانب حرم جامعة ستانفورد وبالقرب من المقر الفخم لجامعة هيويت باكارد. لقد كان عقاراً

باهظ الثمن يشي بأن ثيرانوس في طريق الارتقاء إلى مستويات عليا.

كان دون لو كاس مسروراً بهذه الخطوة. وعبر عن ازدرائه للموقع القديم خلال محادثة مع طوني نوجنت. أخبر فيها طوني أنه «من الجميل إخراج إليزابيت أخيراً من إيست بالي».

إلا أن هذه الخطوة لم تكن ممتعة بالنسبة إلى الشخص الذي اضطر لتحقيقها. فقد وقعت هذه المهمة على كاهل مات بيزل، رئيس قسم تكنولوجيا المعلومات. كان بيزل أحد أبرز مساعدي إليزابيت الموثوقين. انضم إلى ثيرانوس عام ٢٠٠٥ باعتباره الموظف رقم ١٧ وتولّى مهامه بكل جدية. وبالإضافة إلى مسؤوليته عن البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات الخاصة بالشركة شملت مسؤوليته أيضاً أمن الشركة. لقد كان الوحيد الذي أجرى التحليل الجنائي لأدلة الكمبيوتر في دعوى مايكل أوكونيل.

استغرق التخطيط للانتقال جزءاً كبيراً من وقت «مات» على مدى الأشهر القليلة الماضية. وفي يوم الأربعاء، ٣٠ كانون الثاني عام ٢٠٠٨، بدا كل شيء جاهزاً أخيراً. كان من المقرر أن يصل الحمالون أولاً في الصباح التالي لنقل كل شيء.

إلا أنه عند الساعة الرابعة من عصر ذلك اليوم، استدعي «مات» إلى غرفة المؤتمرات مع مايكل إسكوفيل وغاري فرنزل. أدارت إليزابيت هذا الاجتماع عبر الهاتف من سويسرا، حيث كانت تجري عرضاً ثانياً لنوفارتيس بعد حوالي أربعة عشر شهراً



من العرض المزيف الذي أدى إلى رحيل هنري موسلي. فقد علمت لتوها أن مالك المبنى سيحملهم أجرة شهر شباط في حال لم يقوموا بإخلاء المبنى بحلول منتصف الليل. وقالت إنه من المستحيل عليها السماح بحدوث ذلك.

أوعزت إلى مات بالاتصال بشركة النقل كي تبعث بالحمالين على الفور. اعتقد مات أن احتمالات حدوث ذلك ضعيفة جداً غير أنه وافق على المحاولة. خرج من قاعة المؤتمرات وأجرى المكالمات. سخر منه منظم النقل في الشركة. وقال له، لا سيدي، ليس ممكناً تغيير مواعيد نقل شركة في الساعة الحادية عشرة.

كانت إيزابيت مصممة على الانتقال. أخبرت مات أن يتصل بشركة نقل أخرى تعاملت معها فيما مضى كي يوكل المهمة إليها. وعلى عكس الشركة الأولى، لم تكن هذه الشركة عضواً في النقابة. كانت متأكدة من أنها ستكون أكثر مرونة. لكن عندما اتصل مات بالشركة الثانية وشرح لهم الوضع، نصحه شخص هناك بشدة بالتخلي عن الفكرة. قال هذا الشخص إن شركات النقل النقابية تخضع جميعها لسيطرة العصابات/ المافيا. وما اقترحته ثيرانوس كان مخاطرة بالوقوع ضحية العنف.

لم تتخلَّ إيزابيت عن الأمر حتى بعد سماع ذلك الجواب الرزين. حاول مات وغاري التفاهم معها عبر وضع عراقيل أخرى. أثار غاري مسألة مخزونهم من عينات الدم. وأشار إلى أنهم لو نجحوا، على سبيل الافتراض، بإيجاد طاقم في ذلك اليوم؛ فلن

يفرغ الحمالون كل شي في العنوان الجديد حتى يوم الغد. ثم كيف سيتمكنون من إبقاء عينات الدم محفوظة ضمن درجات حرارة ملائمة في غضون ذلك؟ قالت إليزابيث إن بإمكانهم استخدام شاحنات تبريد وإبقائها قيد التشغيل في موقف السيارات حتى صباح اليوم التالي.

وبعد عدة ساعات حافلة بالتوتر، استطاع مات أخيراً التكلم معها ببعض المنطق عبر الإشارة بأنه حتى لو قاموا بإخلاء المبنى بحلول الساعة ١١:٥٩ في تلك الليلة، فسيكون عليهم أيضاً إجراء جولة ميدانية بحضور مسؤولي الولاية لإثبات أنهم تخلصوا من أية مواد خطيرة على نحو صحيح. ففي نهاية الأمر كانت ثيرانوس شركة تكنولوجيا حيوية. وقد تستغرق هذه الجولات الميدانية أسابيع لتنظيمها وما من مستأجر جديد سيتمكن من الانتقال حتى نهايتها.

في نهاية المطاف، تم الانتقال كما خطط له أصلاً في اليوم التالي، إلا أن هذه الواقعة كانت القشة الأخيرة لمات. نظرَ شطراً منه إلى إليزابيث بعين التقدير. لقد كانت أحد أذكى الأشخاص الذين قابلهم في حياته وكان يمكن أن تكون قائداً ملهماً ومحفزاً بحق. وغالباً ما كان يقول مازحاً بأنها ستبيع الثلجات للإسكيمو. إلا أن جزءاً آخر منه كان مرهقاً نتيجة العجز عن التنبؤ بأفعالها ومن الفوضى المستمرة في الشركة.

أصبح أحد جوانب عمل مات مقيتاً بشكل متزايد بالنسبة

له. طالبت إيزابيت موظفيها بولاء مطلق وحين تشعر بأنها لم تعد تلقاه من أحدهم كانت تنقلب عليه في ومضة عين. وخلال العامين والنصف من عمل مات في ثيرانوس، شهد كيف طردت حوالي ثلاثين شخصاً، دون احتساب قرابة العشرين من الموظفين الذين خسروا وظائفهم في الوقت نفسه كحال مجموعة إد كو عندما عمدت إلى التخلي عن المنصة المايكروفلويدية.

وكلما فصلت إيزابيت أحداً، كان على مات أن يساعد في إنهاء عقد الموظف. وفي بعض الأحيان، كان ذلك يتجاوز مجرد إبطال وصول الموظف المقال لشبكة الشركة وإخراجه/ إخراجها من المبنى. بل طلبت منه في بعض الحالات أن يُعَدَّ ملفاً عن الشخص بحيث يمكنها استخدامه كورقة ضغط.

هناك حالة واحدة على وجه الخصوص ندم فيها مات على مساعدتها: حالة هنري موسلي، المدير المالي السابق. بعد أن قامت إيزابيت بطرد موسلي، عثر مات على مواد جنسية غير لائقة على لابتوبه الخاص بالعمل بينما كان ينقل ملفاته على المخدم المركزي بغية حفظها. عندما علمت إيزابيت بأمرها، استخدمتها للدعاء بأنها سبب إنهاء عقد موسلي ولتنكر عليه خياراته بالأسهم.

كان مات يوصل تقارير العمل إلى موسلي حتى مغادرته، واعتقد بأنه قام بعمل ممتاز في مساعدة إيزابيت في جمع الأموال لصالح ثيرانوس. من الواضح أنه لم يكن من المحبذ أن يستعرض الصور الإباحية على كمبيوتر العمل المحمول، لكن مات لم يعتقد

أن ذلك جريمة كبرى تستحق أن يتم ابتزازه بها. علاوة على ذلك، فإن اكتشافها حدث بعد الواقعة. والقول إن هذا الأمر سبَّب طرد موسلي لم يكن صحيحاً ببساطة.

إن الطريقة التي عومل بها جون هاوارد أزعجت مات أيضاً. فعندما قام بمراجعة جميع الأدلة التي جُمعت لرفع دعوى قضائية ضد مايكل أوكونيل، لم يلحظ ما يثبت أن هاوارد ارتكب شيئاً على نحو خاطئ. لقد ربطته علاقات مع أوكونيل غير أنه كان يرفض الانضمام لشركته. ومع ذلك أصرت إليزابيت على فهم الأمور بطريقة معينة ومقاضاته أيضاً على الرغم من أن هاوارد كان من أوائل الناس الذين ساعدوها عندما تسربت من جامعة ستانفورد، متيحاً لها استخدام قبو منزله في ساراتوغا لإجراء التجارب في بدايات الشركة. (قامت ثيرانوس بإسقاط الدعوى ضد موظفيها الثلاثة السابقين عندما وافق أوكونيل على التنازل للشركة عن حقه في براءة الاختراع).

لطالما أراد مات أن يبدأ بشركته الخاصة لاستشارات تكنولوجيا المعلومات وقرر أنه حان وقت الرحيل والبدء. عندما أبلغ إليزابيت بقراره، نظرت إليه بذهول تام. لم تستطع فهم كيف يمكن له أن يتخلى من أجل ذلك عن عمل في شركة كانت ستحدث ثورة في الرعاية الصحية وتغير العالم. حاولت إغراءه بالبقاء بزيادة الراتب والترقية، غير أنه رفضها.

خلال أسبوعيّ مات الأخيرين في ثيرانوس، بدأ يحدث له

ما كان قد شهد حدوثه لعدد كبير من الموظفين. لم تعد إлизаبيت تتحدث إليه أو حتى تنظر إليه. عرضت منصبه على أحد زملائه في القسم وهو «إد رويز» شريطة أن يوافق إد على التفتيش في ملفات مات وبريده الإلكتروني. إلا أن صداقة طيبة كانت تربط إد بمات فرفض العرض. وبطبيعة الحال لم يكن هناك ما يمكن العثور عليه. لقد كان سجل مات نظيفاً تماماً. وعلى عكس هنري موسلي، كان مات قادراً على الحفاظ على مزايا أسهمه والتداول بها. غادر ثيراسون في شباط ٢٠٠٨ وبدأ بشركته الخاصة. وبعد بضعة أشهر انضم له إد رويز.

كان مكتب ثيرانوس الجديد في بالو ألتو جميلاً، إلا أنه كان حقاً كبيراً للغاية بالنسبة لشركة ناشئة تقلصت لتوها إلى خمسين شخص بعد عمليات تسريح إد كو. وكان الطابق الرئيسي فسحة مستطيلة طويلة. أصرت إлизаبيت على تجميع الموظفين في جانب واحد منها، تاركة مساحة كبيرة فارغة ممتدة في الجانب الآخر. حاول آرون مور أن يستخدمها، لمرة أو مرتين، عبر إقناع عدة زملاء بلعب كرة قدم في الداخل.

أصبح آرون أقرب إلى جاستن ماكسويل ومايك بورلي بعد مغادرة آنا آريولا المفاجئة. لم تلمح آنا إلى أيّ منهم بأنها تخطط للاستقالة. لقد خرجت ذات يوم ولم تعد فحسب. وذلك ما أزعج جاستن أكثر من غيره لأن آنا كانت الوحيدة التي أقنعت بترك آبل

والمجيء إلى ثيرانوس، لكنه حاول أن يحتفظ بحكم إيجابي. قال في نفسه، إذا كانت الشركة تنتقل إلى مكتب رئيسي أكثر اتساعاً في بالو ألتو فلا بد أنها تقوم بأشياء صحيحة.

بعد فترة وجيزة من الانتقال، قرر آرون ومايك إجراء بحث «عوامل بشرية» غير رسمي مع اثنين من نماذج إديسون التي ركبها كل من طوني نوجنت وديف نيلسون. كانت مناقشة هندسية عن وضعها بمتناول الناس ومشاهدة كيفية تفاعلهم معها. غلب آرون الفضول لمعرفة كيفية تعامل الناس مع وخز أصابعهم ومع الخطوات اللاحقة المطلوبة لإدخال الدم في الخرطوشة. أكثر من وخز إصبعه وهو يجري اختبارات داخلية لدرجة أنه فقد الإحساس به.

وبإذن من توني، وضعاً نموذجي إديسون في الصندوق الخلفي لسيارة المازدا الخاصة بآرون وتوجهها إلى سان فرانسيسكو. كانت خطتهما أن يجولا بهما في الشركات الناشئة الصديقة في المدينة. بدايةً، توقفوا في شقة آرون في مقاطعة ميشن - سان فرانسيسكو للقيام ببعض التحضيرات. وضعوا الجهازين على طاولة القهوة الخشبية في غرفة معيشة آرون وتأكدوا من أن لديهما كل ما يحتاجانه: الخراطيش، المباسع لسحب الدم، والمحاقن الصغيرة التي تسمى «أقلام النقل» المستخدمة لوضع الدم في الخرطوشة.

التقط آرون صوراً بكاميرته الرقمية ليوثق ما كانا يقومان به. لم تكن أغلفة إيف بيهار جاهزة بعد، فبدأ الجهازان في مظهر بدائي.

كان غلافهما المؤقتان مصنوعين من ألواح الألمنيوم رمادية مثبتة على الجهازين. كان اللوح الأمامي مائلاً للأعلى مثل باب دخول القطة للسماح للخرطوشة بالولوج. وُضعت واجهة برنامج بدائية بأعلى باب القطة وفق زاوية معينة. وفي الداخل، أصدرت الذراع الآلية أصوات صرير عالية. في بعض الأحيان، سترتطم بالخرطوشة فتقذف الرؤوس الماصة. كان الانطباع العام أنه مشروع علمي للصف الثامن.

عندما وصل آرون ومايك إلى مكاتب أصدقائهما، استقبلا بضحكات خافتة وفناجين قهوة. ومع ذلك، كان الجميع يتحلّى بروح رياضية، ووافقوا على مواكبة تجربتهما الصغيرة. كانت «بيو» إحدى المحطات، وهي شركة ناشئة للشبكات الاجتماعية استحوذت عليها AOL بعد أسابيع قليلة مقابل ٨٥٠ مليون دولار.

وبمرور النهار، باتَ جلياً أن وخزة إبرة واحدة لم تكن كافية في معظم الأحيان لإتمام العمل. فلم يكن نقل الدم للخرطوشة من أسهل الإجراءات. لقد كان على الشخص أن يمسح إصبعه بالكحول، يخزه بإبرة، ويطبق قلم النقل على الدم المنشق من الإصبع لشفطه، ثم يضغط على مكبس قلم النقل لقذف الدم نحو الخرطوشة. وقلّة من الناس قاموا بالعملية على نحو صحيح من المحاولة الأولى. كان ينبغي على آرون ومايك مطالبة الأشخاص الخاضعين للاختبار بأن يخزوا أنفسهم عدة مرات. أصبح المكان قذراً. وانتشر الدم في كل مكان.

أكدت هذه الصعوبات ما كان يشك به آرون أساساً: كانت الشركة على دراية بهذا الجزء من العملية. فافتراض أن مريضاً يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاماً سيحترف هذه العملية على الفور في منزله كان أضغاث أحلام. وإن لم يفهم هذا الجزء بشكل صحيح، فلن يهتم مدى أداء بقية النظام؛ ولن يحصل المرء على نتائج جيدة. عندما عادا إلى المكتب، مرر آرون نتائجه إلى طوني وإليزابيت، إلا أنه استطاع أن يخمّن بعدم إيمانها بأولويتها.

بدأ آرون يشعر بالإحباط وخيبة الأمل. لقد وقع في البداية تحت تأثير رؤية إليزابيت ووجد العمل في ثيرانوس مشوقاً. غير أنه بعد سنتين تقريباً، بدأ يشعر بالإرهاك. ومن جملة مسائل أخرى، لم ينسجم مع طوني الذي أصبح رئيسه. وللخروج من تحت جناحه، طلب نقله من الهندسة إلى المبيعات. كما أنه أمضى السبب الماضي وهو يتسوق بذلة على أمل أن تسمح له إليزابيت بمرافقتها في رحلتها إلى سويسرا. إلا أنها لم تسمح له، لكن بدا على الأقل أنها تأخذ طلب نقله بعين الاعتبار.

بعد بضعة أيام من رحلة سان فرانسيسكو، كان آرون في بيته يشرب البيرة ويحُمّل الصور التي التقطها عندما خطرت على باله فكرة مزحة. وباستخدام برنامج الفوتوشوب أخذ إحدى الصور - التي يظهر بها نموذج التوأم إديسون وقد رُكنا جنباً إلى جنب على البساط فوق طاولة القهوة - وصمم إعلان كريغليست مزيفاً. فوق الصورة، وتحت العنوان الرئيسي الذي يقول «ثيرانوس إديسون ١,٠» «قارئات» - يرجح بأنها صالحة - ١٠,٠٠٠ دولار (أو أفضل عرض)، كتب:



تتوفر لدينا مجموعة نادرة متطابقة من أجهزة العناية الشخصية «إديسون» من إنتاج ثيرانوس. وبوصفه «جهاز آيود للرعاية الصحية»، فإن إديسون برنامج كيميائي مناعي شبه محمول، قادر على إجراء فحوصات البروتين المتعدد على عينة دم كامل لأصابع بشرية أو حيوانية . . .

ابتعتُ هذه الوحدات مؤخراً حينما اعتقدت أني عرضة لخطر الخضوع لهجمة إنتانية. الآن وقد اختبرت البروتين C لدي وأدركت أني بأمان ضمن نطاق ٤ ميكروغرام/مل، فلن أحتاج بعد الآن إلى جهاز تحليل دم في مرحلة ما قبل الإنتاج. خسارتي مكسب لكم!

بسرعة عشرة آلاف دولار للزوج، وستة آلاف للقطعة الواحدة، أو أفضل عرض - مستعدون أيضاً للنظر بالمقايضة بجهاز تشخيصي ما قبل سريري مشابه (مثل روش، بيكتون-كولتر) كما ورد، أباكسيز، بيوسايت، إلخ.) مزود بخراطيش تستخدم لمرة واحدة، علب شحن بيليكان، محوّل تيار متردد، محولات طاقة من الاتحاد الأوروبي، ولوازم متنوعة لجمع الدم، وعلقات، إلخ.

قام آرون بطباعة الإعلان الزائف وأخذه معه إلى عمله في اليوم التالي. وعندما رصده جاستن ومايك على مكتبه، اعتقدوا بأنه مضحك. قرر مايك أن الإعلان يستحق جمهوراً أكبر وألصقه على الحائط في مراحيض الرجال.

ثم قامت الدنيا ولم تقعد. نزع أحدهم الإعلان وأخذه إلى

إليزابيث، التي ظنت أنه جديّ. عقدت اجتماعاً طارئاً لكبار المدراء والمحامين. كانت تتعامل معه كحالة تجسس صناعي متقدمة وأرادت تحقيقاً فورياً للعشور على الجاني.

قرر آرون أنه من الأفضل أن يعترف قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة أكثر. تقدم بخجل واعترف لطوني. موضحاً أن القصد من ذلك كان مزحة بريئة. لقد اعتقد أن الناس سيجدونها مسلية. بدا طوني متفهماً. كان يشترك في عدة مزحات خاصة به عندما كان يعمل في لوجيستيك. إلا أنه حذر آرون أن إليزابيث كانت حانقة.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، استدعت إليزابيث آرون إلى مكتبها وحدقت به بعينين يتطاير منهما الشرر. وأخبرته أنها شعرت بخيبة أمل عميقة منه. لم تجد حيلته الصغيرة مضحكة على الإطلاق، ولا حتى موظفون آخرون. كانت حيلة غير محترمة بالنسبة للأشخاص الذين عملوا بجِد لإنجاز المنتج. كان قد نسي مسألة الانضمام إلى فريق المبيعات. لم يعد بإمكانها ندبه ليكون واجهتها أمام الزبائن. ذلك أنه يبدو ممثلاً سيئاً للشركة. عاد آرون إلى مكتبه وهو موقن تماماً أنه الآن في مأزق مع إليزابيث.

لعلّ الانتقال إلى قسم المبيعات لم يكن حكيماً على أية حال. ومن دون علم آرون، كانت المشكلة تختمر في ذلك الجزء من الشركة. أتى موظف جديد اسمه تود سوردي ليرأس المبيعات والتسويق، وهو دور سبق وأن لعبته إليزابيث نفسها.

كان تود مسؤول المبيعات التنفيذي. وقبل انضمامه لثيرانوس،

عمل في عدة شركات قائمة، بما فيها مؤخراً برمجيات ونظم وتطبيقات المشروع الألماني jugernaut. كان مناسباً وحسن المظهر، يرتدي بذلة لائقة، ويصل إلى العمل كل يوم بسيارة BMW فاخرة. وخلال فترة الغداء، كان يخرج من صندوق سيارته دراجة هوائية مصنوعة من ألياف الكربون، ويذهب بنزهات إلى التلال المحيطة. أحب آرون ركوب الدراجة أيضاً ورافق تود عدة مرات في محاولة منه لكسب وده وذلك قبل أن تضعه مزحته في خانة القصاص مع إليزابيت.

استقرّ موظفو تود للمبيعات في الساحل الشرقي، حيث يقع مقر جميع الشركات الصيدلانية الكبرى. من بينهم كانت سوزان ديجايامو، وهي موظفة اشتغلت خارج مكان إقامتها في نيوجيرسي وعملت لدى ثيرانوس قرابة الستين، كما رافقت إليزابيت في العديد من عمليات ترويج المبيعات لمصنعي الأدوية وأصغت إليها بعدم ارتياح بينما كانت تعدهم بالمستحيل. عندما سأل المسؤولين التنفيذيون عن إمكانية تخصيص نظام ثيرانوس ليتوافق مع حاجاتهم، كانت تجيبهم إليزابيت دوماً «بالتأكيد».

بدأ تود يسأل سوزان أسئلة كثيرة بُعيد شروعه بالعمل عن الإيرادات التي كانت إليزابيت تتوقعها من صفقاتها مع مصنعي الأدوية. وكانت قد احتفظت بجدول بيانات يحتوي توقعات مفصلة عن الإيرادات. كان العدد كبيراً، يقدر بعشرات ملايين الدولارات لكل صفقة. وقد قالت سوزان لـ تود، بناءً على ما علمته، إنه كان مبالغاً بها إلى حد كبير.

علاوة على ذلك، ما من إيرادات كبيرة سيقض لها الظهور ما لم تثبت ثيرانوس لكل شريك أن نظام الدم الخاص بها ناجح. ومن أجل ذلك قدمت لكل صفقة تجربة أولية تسمى مرحلة التحقق. بعض الشركات، مثل شركة AstraZeneca البريطانية لتصنيع الأدوية، لم تكن تنوي دفع أكثر من ١٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي لمرحلة التحقق، وكان يمكنها التخلي عن كل الأمر إذا لم تكن راضية عن النتائج.

كانت دراسة عام ٢٠٠٧ في ولاية تينيسي مرحلة التحقق لعقد شركة فايزر. وهدفت إلى إثبات أن ثيرانوس تستطيع مساعدة فايزر في قياس مدى استجابة مرضى السرطان للعقاقير عبر قياس تركيز الدم لثلاثة بروتينات ينتجها الجسم بإفراط عندما تنمو الأورام. وإذا فشلت ثيرانوس في إثبات وجود علاقة بين مستويات البروتين لدى المرضى وبين العقاقير، فستنهى فايزر شراكتها معها وأي تنبؤ بإيرادات استقرأته إليزابيت من الصفقة سينقلب إلى خيال.

كما أسرّت سوزان إلى تود بأنها لم تر أبداً تحقق أية بيانات. وعندما بدأت بالتجارب مع سوزان كانت الأجهزة معطلة في معظم الأحيان. تشهد على ذلك التجربة التي أجرتها في نوفارتيس. فبعد العرض التجريبي الأول لنوفارتيس في أواخر عام ٢٠٠٦، حين قام تيم كيمب بنقل نتيجة ملفقة من كاليفورنيا إلى سويسرا، واصلت إليزابيت التودد لمصنّع الأدوية ورتبت زيارة ثانية إلى مقره في كانون الثاني عام ٢٠٠٨.

وفي الليلة السابقة للقاء الثاني، وخزت كل من سوزان وإليزابيث أصابعهما لمدة ساعتين في فندق في مدينة زيوريخ في محاولة لإثبات بعض التطابق في نتائج الاختبار الذي كانوا يجرونه، لكن دون جدوى.

في صباح اليوم التالي، عندما وصلت مكاتب نوفارتيس في بيزل، زاد الأمر سوءاً: أصدرت جميع قارئات إديسون الثلاث رسائل خلل أمام غرفة مليئة بمسؤولين تنفيذيين سويسريين. شعرت سوزان بالخزي إلا أن إليزابيث حافظت على رباطة جأشها وألقت اللوم على خلل فني ثانوي.

بناء على المعلومات التي حصل عليها تود من سوزان وموظفين آخرين في بالو ألتو، اقترح أن مجلس إدارة ثيرانوس قد ضلّل بما يتعلق بالشؤون المالية للشركة وحالتها التكنولوجية، فنقل مخاوفه إلى مايكل إسكوفيل، المستشار العام الذي أقام معه صلة جيدة.

تبين أن مايكل بدوره كان يبني شكوكه الخاصة. ذهب وعاد خلال فترة الغداء مع زميل من المكتب الجديد إلى ستانفورد دِش، وذكر أنه لا يساوره شعور طيب تجاه شركات ثيرانوس الصيدلانية. لم يقل أكثر من ذلك إلا أن الزميل حُمن بأن شيئاً ما كان يزعجه.

وفي آذار ٢٠٠٨ تقرّب تود ومايكل من توم برودين، أحد أعضاء مجلس إدارة ثيرانوس، وأخبراه بأن توقعات الإيرادات التي

ترَوِّج لها إليزابيت لم تستند إلى الواقع. وقالوا إن التوقعات مبالغ بها بشكل هائل ومن المستحيل أن تتفق والحالة غير المكتملة للمنتج.

كان برودين رجل أعمال متمرساً في منتصف الستينات ترأس أحد أكبر شركات الاستشارة بالإضافة إلى عدة شركات تكنولوجيا. لم يمض على وجوده طويلاً في مجلس إدارة ثيرانوس، وقد التحق بالمجلس بناء على طلب دون لوكاس في خريف عام ٢٠٠٧. ونظراً لكونه جديداً كمدير، نصح تود ومايكل أن ينقلوا الأمر مباشرة إلى لوكاس، رئيس مجلس الإدارة.

وبعد أشهر قليلة من إثارة آفي تيفانيان مخاوف مماثلة، أخذ لوكاس المسألة بجدية هذه المرة. وبطريقة ما، لم يستطيع تحمّل ألا يقوم بذلك: كانوا تود صهر أحد مستثمري ثيرانوس، المستثمر الرأسمالي ج. ب. كاسين. وتربط كاسين ولوكاس صداقة طويلة. كما كانا يستثمران في ثيرانوس في الوقت نفسه، خلال جولة بدء تشغيل Series B في بداية عام ٢٠٠٦.

عقد لوكاس اجتماعاً طارئاً لمجلس الإدارة في مكتبه في ساند هيل رود. وطلب من إليزابيت أن تنتظر خارجاً بينما كان المدراء الآخرون - لوكاس، برودي، تشانغ روبرتسون وبيتر توماس، مؤسس شركة رأسمالية استثمارية بمرحلتها الأولى تدعى Ventures ATA - يتباحثون في الداخل.

وبعد شيء من المداولات توصل الرجال الأربعة إلى إجماع: سيزيخون إليزابيت من منصبها كرئيس تنفيذي. لقد أثبتت أنها

صغيرة للغاية وغير خبيرة بالعمل. سيتقدم توم برودين ليدير الشركة لفترة مؤقتة ريثما يتم إيجاد بديل دائم. استدعوا إليزابيت ليواجهوها بما تداولوا به وأعلموها بقرارهم. غير أنه بعد ذلك حدث شيء غير عادي.

على مدار الساعتين التاليتين أقنعتهم إليزابيت بتغيير رأيهم. أخبرتهم أنها أدركت وجود مشاكل في إدارتها ووعدت بالتغيير. ستكون أكثر شفافية ومسؤولية خلال إدارتها القادمة. ولن يتكرر ذلك مجدداً.

لم يكن برودين يتوق للخروج من التقاعد ليدير شركة ناشئة في مجال لم يكن لديه خبرة به، لذا اتخذ موقفاً حيادياً وشاهد إليزابيت وهي تستخدم تماماً المزيج الصحيح من التأسف والسحر لتستعيد تأييد زملائه في مجلس الإدارة بالتدريج. اعتقد أنه كان عرضاً رائعاً. إن مديراً تنفيذياً أكبر سناً وأكثر خبرة ومهارة في فن التناحر الداخلي في الشركات كان سيشعر بضغط كبير لو أراد قلب الموقف رأساً على عقب كما فعلت إليزابيت. لقد ذكره ذلك بمثل قديم: «عندما تهاجم الملك، ينبغي أن تقتله». هاجم كل تود سوردي ومايكل إسكوفيل الملك، أو الملكة، بالأحرى، غير أنها نجت.

ولم تهدر الملكة أي وقت في إخماد التمرد.

صوّبت إليزابيت نارها على سوردي أولاً ثم على إسكوفيل بعد أسابيع قليلة. أما بالنسبة لآرون مور، ومايك بويرلي وجاستن ماكسويل، فكانت حملة التطهير تلك تطوراً سلبياً آخر. لم يكونوا

مطلعين على ما قد حدث إلا أنهم علموا أن ثيرانوس فقدت موظفين اثنين جديدين. لم يكن تود ومايكل مجرد شخصين لطيفين ربطتهم بهما علاقة جيدة، بل كانا زميلين ذكيين ومبدئين. كانا من الطينة نفسها، على حد قول مايك باورلي.

عمقت الإقالات شعور جاستن بالمرارة تجاه ثيرانوس. كان معدل تبديل طاقم الموظفين لا يشبه شيئاً شهدته من قبل وكان منزعاً إزاء ما اعتبره ثقافة عدم النزاهة في الشركة.

كان المتهم الأسوأ تيم كيمب، رئيس فريق البرمجيات. ف تيم شخص خنوع لم يصارح إليزابيت أبداً بشأن ما هو مجذٍ وغير مجذٍ. على سبيل المثال، خالف جاستن بأن طمأنها إلى إمكانية إنشاء واجهة مستخدم لبرنامج إديسون على فلاش بشكل أسرع من جافاسكريبت. وفي صباح اليوم التالي مباشرة وقعت عينا جاستن على كتاب «Learn Flash» على مكتبه.

لم تؤنب إليزابيت تيم، حتى عندما لفتت انتباهها أمثلة واضحة عن ازدواجيته. لقد قدّرت ولاءه، وفي نظرها، عكست حقيقة أنه لم يعارضها أبداً سلوك الشخص القادر. ولم يكن من الأهمية بمكان أن الكثير من زملائه اعتقدوا أن تيم كان مديراً رديئاً وسيئاً.

كانت هناك حادثة واحدة تتعلق بإليزابيت نفسها لم تُرقّ لجاستن. فخلال تبادل البريد الإلكتروني في إحدى الأمسيات، طلب منها معلومة احتاجها لكتابة قسم من البرنامج. أجابت بأنها



ستبحث عنها عندما تعود للعمل في الصباح التالي. كان الدليل الواضح أنها ذهبت إلى منزلها لكنه وجدها بعد دقائق في مكتب طوني نوجيت في آخر الردهة. غضب جاستن وغادر سريعاً.

جاءت إليزابيت إلى مكتبه بعد فترة لتقول له إنها تتفهم سبب انزعاجه إلا أنها حذّرتة: «إياك أن تخرج غاضباً من حضرتي مجدداً». حاول جاستن أن يذكر نفسه بأن إليزابيت كانت صغيرة جداً وما زال أمامها الكثير لتتعلمه عن إدارة شركة. في إحدى رسائل البريد الإلكتروني التي تبادلها فيما بينهما مؤخراً، اقترح لها كتابين للمساعدة الذاتية في الإدارة، وهما: The No Asshole Rule و Building a Civilized Workplace and Surviving One That Isn't Beyond Bullsh\*t: Straight-Talk at Work ، أرفقهما برابطي الكتابين على موقع Amazon.com.

استقال بعد يومين. وهذا جزء من بريد استقالته الإلكتروني :

حظاً موفقاً ورجاء ألا تقرئي ذينك الكتابين، شاهدي The Office، وآمني بالناس الذين لا يوافقونك الرأي ... الكذب عادة مقرفة، إنها تتدفق عبر المحادثة هنا وكأنها عملتنا المتداولة ما بيننا. إن المرض الثقافي هنا هو ما ينبغي بنا معالجته قبل أن نتصدى للبدانة ... لا أقصد سوء النية تجاهك لأنك كنت تؤمنين بما كنت أفعله وتأملين أن أنجح في ثيرانوس. أشعر بأني مدين لك بهذه المحاولة الفاشلة لمقابلة الخروج بما أنه ليس لدينا مسؤول موارد بشرية ليسجلها رسمياً.

استدعته إليزابيت إلى مكتبها وهي مستاءة. أخبرته أنها لا توافق على انتقاده وطلبت منه أن يستقيل «بكرامة». وافق جاستن على تسهيل عملية الانتقال عبر إرسال بريد إلكتروني إلى زملائه مرفقاً بتعليمات مفصلة عن مكان إيجاد مشاريع متعددة كان يعمل عليها. غير أنه حالما جلس ليكتب البريد، لم يقاوم تضمينه بضعة أفكار شخصية عن حالة هذه المشاريع، مما أكسبه تأنيباً آخر من قبل إليزابيت.

بقي آرون مور ومايك باورلي بضعة أشهر في ثيرانوس، لكن مشاعرهما تقلصت تجاهها. كانت إحدى أفضل ميزات المكتب الجديد وجود شرفة كبيرة تعلو مدخل المبنى. فرشها مايك بكراسي استلقاء وأرجوحة. وكان مايك وآرون يلجآن إليها في استراحات القهوة الطويلة، وشمس الظهيرة تدفئ وجهيهما بلطف وهما يتمازحان.

شعر آرون أنه ينبغي على أحد ما إخبار إليزابيت أن تتروى وتوقف الضغط نحو تسويق منتج لا يزالون يحاولون تشغيله. ولكي تصغي إليزابيت، كان على الرسالة أن تأتيها من أحد كبار المديرين الثلاثة - إما تيم أو غاري أو طوني - ولم يكن في نيّة أحدهم إيصالها. فقد ضاق طوني الذي كان تحت عبء ضغط كبير من إليزابيت بشكاوى آرون في النهاية وطلب منه ترك الشركة. قال له «اذهب وجد مكاناً حيث يمكنك أن تكون سمكة كبيرة في بركة صغيرة».

وافق آرون، فقد حان الوقت لذهابه. ولدهشته، حاولت إيزابيت إقناعه بالبقاء. تبين أنها تقدّره بشدة على الرغم من مزحته. لكنه كان قد اتخذ قراره. استقال في حزيران ٢٠٠٨. وتبعه مايك باورلي في كانون الأول. وبذلك استقال كافة أعضاء فريق آبل، في إشارة إلى انتهاء حقبة فوضوية من حياة الشركة. لقد نجت إيزابيت من انقلاب فاشل للمجلس وعادت بسيطرة محكمة. وتطلّع موظفو ثيرانوس المتبقين إلى أوقات أكثر هدوءاً واطمئناناً، غير أن آمالهم سرعان ما سوف تتلاشى.

(٥)

## جار الطفولة

بينما كانت إليزابيث مشغولة بتأسيس ثيرانوس، كان أحد معارف العائلة القديمين يبدي اهتماماً بما تقوم به عن بُعد. اسمه ريتشارد فويتز، وهو مخترع طبيّ بمرتبة شرف ورائد أعمال ذو أنا كبيرة وخلفية زاهية.

عرفت عائلتا هولمز وفويتز بعضهما لعقدين من الزمن. التقوا للمرة الأولى خلال الثمانينيات كجيران في فوكسهول كريسينت، الحيّ وارف الظلال في واشنطن العاصمة، ذي المنازل الفخمة، المحاط بالغابات والمتاخم لنهر بوتوماك.

ربطت صداقة حميمة بين أم إليزابيث، نويل، وزوجة ريتشارد، لورين. كانت كلّ منهما أمّاً وربة بيت في ذلك الوقت، تربيان أطفالاً بأعمار متماثلة. وكان ابن لورين في صف إليزابيث بمدرسة سان باتريك الأسقفية النهارية، وهي مدرسة ابتدائية تابعة للحي.

اعتادت نويل ولورين التنقل بين المنزلين. وتشاركتا ضعفهما أمام إغراء الطعام الصيني وغالباً ما ذهبتا لتناول الغداء أثناء وجود الأطفال في المدرسة. وكانت إليزابيث وأخوها يحضران

حفلات أعياد ميلاد أولاد عائلة فويتز ويمرحان في بركة السباحة الخاصة بهم.

في إحدى الأمسيات، انقطعت الكهرباء عن منزل فويتز بينما كان ريتشارد في الخارج، فاستقبلت عائلة هولمز لورين وطفليها، جاستن وجيسيكا، لقضاء الليلة.

لم تكن العلاقة بين زوجيهما بنفس الحميمة. فبينما كان على كريس هولمز أن يتدبر شؤونه براتب حكومي، كان ريتشارد فويتز رجل أعمال ناجحاً ولم ينجل من التباهي بذلك. فهو طبيب مجاز، باع منذ بضعة سنوات شركة كانت تصنع أفلام تدريب طبي مقابل أكثر من ٥٠ مليون دولاراً وركب سيارة بورش وفيراري. كما كان مخترعاً طيباً رخص براءات اختراعاته وجنى الأرباح. خلال إحدى نزعات العائلتين إلى حديقة الحيوان، تذكر جاستن فويتز مقالته له كريستيان، أخ إليزابيث الأصغر، «يرى أبي أن أباك أحق». وعندما ذكر جاستن هذا التعليق لأمه، عزت لورين الأمر إلى الغيرة.

كان المال نقطة حساسة بالفعل في أسرة هولمز. فجد كريس، كريستيان هولمز الثاني، قد استفد حصته من ثروة فليشمان عبر عيشه نمط حياة فاخراً مليئاً بالملذات على جزيرة في هاواي، كما بدد والد كريس، كريستيان الثالث، ما تبقى من خلال عمل فاشل في مجال النفط.

وأياً كان الاستياء المضطرب الذي يخفيه كريستان فهو لم يمنع

نويل هولمز ولورين فويتز من أن تكونا صديقتين مقربتين. فقد ظلت المرأتان على تواصل منتظم حتى بعد انتقال عائلة هولمز، إلى كاليفورنيا أولاً ثم إلى تكساس. وعندما عادت عائلة هولمز إلى واشنطن لفترة وجيزة ما بين فترتي الانتقالين، اصطحبتهم عائلة فويتز إلى مطعم لطيف احتفالاً بعيد ميلاد نويل الأربعين. وقد ربت لورين هذه المناسبة تعويضاً عن حقيقة أن كريس لم يقيم حفلة لزوجته.

بعد ذلك زارت لورين نويل في تكساس عدة مرات، كما سافرتا معاً إلى نيويورك سيتي للتسوق وزيارة المعالم السياحية. أخذتا الأطفال في إحدى المرات وحجزوا غرفاً في فندق ريجنسي على بارك أفينيو. ويمكن رؤية إليزابيث تقف يداً بيد بين أمها ولورين، في إحدى الصور، أمام الفندق. كانت ترتدي فستاناً صيفياً أزرق فاتح اللون وتزين شعرها بقوس زهري. وفي رحلة لاحقة، تركت لورين ونويل الأطفال في المنزل وبقيتا في شقة اشتريتها عائلة فويتز في فندق وبرج ترامب الدولي في سنترال بارك ويست.

في سنة ٢٠٠١، تعرض كريس هولمز لضربة قاسية في مسيرته المهنية. ترك تينيكو ليتسلم منصباً في إنرون، أبرز شركات هيوستن. وعندما فُضحت عمليات الاحتيال في إنرون وأفلست في كانون الأول من نفس العام، خسر عمله كآلاف من الموظفين الآخرين. إثر ذلك، زار ريتشارد فويتز باحثاً عن فرص عمل ومشورة تجارية. كان فويتز قد افتتح مع أحد أبنائه من زواج سابق شركة

جديدة تنتج أحد اختراعاته: شريط رفيع يذوب في الفم ويوصل الدواء إلى مجرى الدم على نحو أسرع من أقراص الدواء التقليدية. وقد أدار وابنه «جو» الشركة من جناح مكاتب في غريت فولز، فيرجينيا.

يتذكر فويتز أن كريس أتى بمظهر شاحب وكئيب. فكر بصوت عالٍ بشأن محاولته اللجوء إلى الاستشارات وذكّر أنه ونويل يتوقان للعودة إلى واشنطن. وبُعِدَ شرائه منزلاً جديداً في ضاحية بيلتواي الثرية في ماكلين، عرض ريشتراد فويتز عليه استخدام المنزل الذي كان ولورين قد أخليه في الجهة المقابلة من الشارع، بدون أجرة. لم يكونا قد عرضاه للبيع في سوق العقارات بعد. تلفّظ كريس بكلمة «أشكرك» غير أنه لم يقبل العرض. وفي نهاية المطاف انتقل كريس ونويل هولمز إلى واشنطن بعد أربع سنوات عندما حصل كريس على وظيفة في صندوق تمويل الحياة البرية العالمي. بقيا في البداية عند أصدقائهم في غريت فولز حتى وجدا مكاناً جديداً ليعيشا به. وأثناء جولات نويل بين بيت وآخر، كانت تتصل بلورين كثيراً لتعلمها بمستجدات بحثها.

وخلال غداء أحد الأيام، تحول الموضوع إلى إليزابيت وما كانت تخطط له. أخبرت نويل ولورين بفخر أن ابنتها اخترعت جهاز معصم يستطيع تحليل دم شخص وأطلقت شركة لتسويقه. وفي الحقيقة أن ثيرانوس كانت قد بدأت تتجاوز فكرة إليزابيت الأصلية في تلك المرحلة، غير أن هذا الفارق الضئيل الضائع

بالكاد كان مهماً في خضم سلسلة الأحداث التي أرخت لها ثقة نويل العنان في مناسبات الغداء.

سردت لورين على مسامع زوجها ما أخبرتها به نويل حين عادت إلى البيت، وفي ظنها أن ذلك يثير اهتمامه كمخترع طبي زميل. وما لم تتوقعه على الأرجح هو كيف سيكون رد فعله. فريتشارد فويتز رجل مغرور وذو كبرياء. لقد أهانته بعمق فكرة أن ابنة أحد أصدقائه القدماء وجيرانه السابقين باشرت تأسيس شركة في مجال اختصاصه دون أن يطلبوا مساعدته أو حتى مشورته.

وكما قال بعد سنوات عدة في بريد إلكتروني، «حقيقة أن عائلة هولمز كانت راغبة بشدة في استضافتنا (شقة نيويورك، العشاءات، إلخ.) زادت من مرارة ألا يطلبوا النصيحة.» كانت الرسالة بالأساس: «سأشرب نبيذك إلا أنني لن أطلب نصيحتك فيما يتعلق بنفس الحقل الذي استوجب هذا النبيذ».

كان لدى فويتز تاريخ من أخذ الإهانات بشكل شخصي وتحمل الضغائن. وتتجلى الأشواط التي كان ينوي قطعها لمواكبة حتى الناس الذين تصور أنهم تجاوزوه بأوضح صورها في عدائه الطويل الممتد مع فيرنون لوكي، المدير التنفيذي لشركة باكستر الدولية لتصنيع لوازم المستشفيات.

في فترة السبعينيات وبداية الثمانينيات، أكثر فويتز من سفره إلى الشرق الأوسط، الذي أصبح أكبر سوق لميدكوم، شركة أفلامه الطبية. وفي طريق عودته، كان غالباً ما يمضي ليلة في



باريس أو لندن ويستقل من هناك، عائداً إلى نيويورك، طائرة كونكورد، طائرة الركاب فوق الصوتية التي تديرها الخطوط الجوية البريطانية وشركة الخطوط الجوية الفرنسية. وخلال إحدى تلك الوقفات عام ١٩٨٢، التقى بـ لوكس في فندق Plaza Athénée في باريس. وفي ذلك الحين، كانت شركة باكستر تستमित للتوسع في الشرق الأوسط. وخلال العشاء، عرض لوكس شراء ميدكوم مقابل ٥٣ مليون دولار وقبل فويتز بذلك.

كان من المفترض أن يبقى فويتز رئيساً لفرع باكستر الجديد لثلاثة سنوات غير أن لوكس طرده بعد وقت قصير من إغلاق الصفقة. قاضى فويتز باكستر بسبب الإنهاء غير المشروع، مدعياً أن لوكس طرده بسبب رفضه دفع رشاوى بقيمة ٢,٢ مليون دولار لشركة سعودية كي تُخرج باكستر من القائمة العربية السوداء للشركات التي تعاملت مع إسرائيل.

توصل الطرفان إلى تسوية عام ١٩٨٦، وافقت باكستر بموجبها على دفع ٨٠٠,٠٠٠ دولار لـ فويتز. ومع ذلك، لم تكن تلك نهاية الأمر، فعندما سافر فويتز إلى مقر باكستر في ديرفيلد وإلينوي ليقع على التسوية، رفض لوكس مصافحته، مما أغضب فويتز وأعادته إلى ساحة الحرب.

في عام ١٩٨٩، أُخرجت باكستر من قائمة المقاطعة العربية، الذي منح فويتز فرصة السعي للانتقام. كان يعيش حياة مزدوجة آنذاك كعميل سري لوكالة الاستخبارات الأمريكية، فقد تطوع

بخدماته للوكالة قبل بضع سنوات بعد أن صادف إعلاناً لها في الصفحات السرية لصحيفة واشنطن بوست.

تضمن عمل فويتز لوكالة الاستخبارات الأمريكية تأسيس شركات وهمية في الشرق الأوسط لتوظيف عملاء للوكالة، ومنحهم غطاء غير دبلوماسي للعمل خارج رقابة أجهزة الاستخبارات المحلية. قامت إحدى الشركات بتزويد الشركة الوطنية للنفط في سوريا بمشغلات منصات بترول، وهناك بشكل خاص كان يتمتع بصلات واسعة.

خامرت فويتز الشكوك بأن باكستر أعادت نفسها إلى نعيم البلاد العربية عبر الخداع فشرع بإثبات ذلك مستخدماً صلاته السورية. أرسل عميلة كان قد جندها للحصول على مذكرة محفوظة في مكاتب لجنة جامعة الدول العربية في دمشق والتي كانت مسؤولة عن إنفاذ المقاطعة. وتبين أن باكستر زودت اللجنة بوثائق مفصلة عن مبيعاتها الأخيرة لمصنع إسرائيلي ووعدت أنها لن تقوم باستثمارات جديدة في إسرائيل أو تبيعها تقنيات جديدة.

لقد وضع ذلك باكستر في موضع انتهاك لقانون مكافحة المقاطعة الأمريكي، الصادر عام ١٩٧٧، الذي يحظر على الشركات الأمريكية المشاركة في أي مقاطعة أجنبية أو تزويد المسؤولين الرسميين عن القوائم السوداء بأية معلومات تثبت تعاونهم مع المقاطعة.

أرسل فويتز نسخة من المفكرة الناسفة إلى مجلس إدارة باكستر

ونسخة أخرى إلى صحيفة وول ستريت، التي نشرت قصة حولها على صفحتها الأولى. لم يدع فويتز الأمر ينتهي هنا. وحصل لاحقاً على الرسائل التي كتبها مستشار باكستر العام إلى لواء في الجيش السوري والتي تؤيد المذكرة وقام بتسريبها.

قادت هذه الاكتشافات وزارة العدل لفتح تحقيق. وفي عام ١٩٩٣، أُجبرت لاكستر على الإقرار بأنها مذنبه بتهمة جنائية انتهاك قانون مكافحة المقاطعة وعلى دفع مبلغ ٦, ٦ مليون دولار كغرامات مدنية وجنائية. وحُظرت العقود الفيدرالية الجديدة على الشركة لمدة أربعة أشهر ومنعت من ممارسة الأعمال في سورية والسعودية لمدة عامين. كما كلفها الإضرار بسمعتها عقداً بقيمة ٥٠ مليون دولار مع شركة مستشفيات كبيرة.

بالنسبة إلى معظم الناس، قد يشكل ذلك تبرئة كافية، ولكن ليس بالنسبة إلى فويتز. فقد أزعجه أن لوكس نجا من الفضيحة وبقي مديراً تنفيذياً لباكستر. لذلك قرر إخضاع خصمه إلى إهانة واحدة أخيرة.

كان لوكس خريج جامعة ييل ويحظى بمنصب «الأمين» في المؤسسة، ضمن الهيئة الإدارية الإدارية للجامعة. كما كان رئيس حملتها لجمع الأموال. وعلى عادته في كل عام بصفته أميناً، كان يخطط لحضور انطلاق تدريبات ييل في نيو هافن، كونيتيكت، في شهر أيار.

ومن خلال ابنه، جو، الذي تخرج من ييل العام المنصرم:

تواصل فويتز مع طالب يدعى بن غوردون، الذي كان رئيس رابطة أصدقاء إسرائيل في ييل. ونظماً معاً مظاهرة يوم التخرج، تتضمن لافتات وكتيبات «لو كس سيء بالنسبة إلى ييل». وبلغ الأمر ذروته بطائرة توربينية استأجرها فويتز تطير فوق الحرم الجامعي وقد ذُيّلت بلافتة كتب عليها «قدّم استقالتك يا لو كس».

وبعد ثلاثة أشهر، تنحى لو كس عن منصبه كأمين في جامعة ييل.

ومع ذلك، فإن مقارنة متأنية من ثأر فويتز من لو كس بالمقارنة مع الإجراءات التي سيتخذها بحق ثيرانوس ستكون تبسيطاً مفرطاً للغاية.

فبقدر ما كان منزراً عجباً مما اعتبره جحوداً من قبل عائلة هولمز، كان فويتز انتهازياً أيضاً. وكسب أمواله من تسجيل براءات اختراعاته التي توقع طلب الشركات لها يوماً ما. كما تضمنت إحدى أكثر أعماله ربحاً إعادة تهيئة آلة (غزل البنات) لتحويل الدواء إلى كبسولات سريعة الذوبان. خطرت له الفكرة عندما أخذ ابنته إلى معرض ريفي في بنسلفانيا في بداية التسعينيات. وباع لاحقاً المؤسسة المساهمة التي أسسها كمقر للتكنولوجيا إلى شركة دوائية كندية مقابل ١٤٥ مليون دولار، اختلس منها ٣٠ مليون دولار لجيبه الشخصي.

بعد أن قصت لورين على مسامعه ما أخبرتها به نويل، جلس فويتز إلى كمبيوتره في المنزل ذي غرف النوم السبع الذي شغلوه

بوساطة ماكلين، وبحث عن «ثيرانوس» على غوغل. كان المنزل واسعاً جداً لدرجة أنه حوّل غرفته الكبيرة، ذات السقف المحدث العالي ومدفأة النار الحجرية الضخمة، إلى مكتبه الشخصي. وكان كلبه الـ «جاك راسل» يحب الاستلقاء أمام مدفأة النار بينما يقوم هو بعمله.

عشر فويتز على موقع الشركة الناشئة. أعطى الموقع وصفاً سريعاً لنظام ميكروفلوديك الذي كانت تقوم ثيرانوس بإنشائه. كما وجد ضمن علامة تبويب الأخبار رابطاً لمقابلة إذاعية قدمتها إليزابيت إلى قسم «أمة التكنولوجيا الحيوية» في NPR قبل بضعة أشهر، في أيار عام ٢٠٠٥. وضمن هذه المقابلة، وصفت نظام فحص الدم الخاص بها بتفصيل أكثر وشرحت الاستخدام الذي تنبأته له: مراقبة منزلية للارتكاسات المضادة للأدوية.

استمع فويتز إلى مقابلة NPR عدة مرات بينما كان ينظر خلال النافذة إلى حوض الـ Koi في حديقة منزله وقرر أن هنالك منفعة ما بلقائه إليزابيت. إلا أنه كطبيب متدرب، رصد نقاط ضعف محتملة يمكنه استغلالها. إذا كان المرضى سيقومون بفحص الدم في المنزل مستخدمين جهاز ثيرانوس لمراقبة مدى تحمّل أجسادهم للأدوية التي يأخذونها، فإن هنالك حاجة إلى وجود آلية مدمجة من شأنها تنبيه أطبائهم حينما تكون النتائج غير طبيعية.

لقد رأى فرصة لتسجيل براءة اختراع هذا العنصر المفقود، متخيلاً وجود أموال يمكن كسبها مستقبلاً، سواءً من ثيرانوس

أو من أحد آخر. فسنوات خبرته الخمس والثلاثون في تسجيل براءات الاختراع تؤكد بأن تسجيل براءة كهذه قد تبلغ نحو ٤ مليون دولار في نهاية الأمر للحصول على ترخيص حصري.

وفي الساعة ٧:٣٠ من مساء يوم الجمعة بتاريخ ٢٣ أيلول عام ٢٠٠٥، أرسل فويتز بريداً إلكترونياً إلى محامي براءات الاختراع الخاص به منذ فترة طويلة، آلان شيافيلي من مكتب محاماة أنتونيلي، تيري، ستاوت & كراوس، معنوناً بـ «تحليل دم - انحراف عن المعيار (التمييزي)»:

آل، جُؤ وأنا نود تسجيل براءة اختراع التطبيق التالي. إنه (كذا..) طريقة فحص متغيرات الدم المتعددة (كذا..) مثل سكر الدم، والشوارد، ونشاط الصفائح الدموية، والخلايا الحمراء، إلخ. إن ما نود أن نشمله كتطوير هو وجود شريحة ذاكرة أو غيرها كجهاز تخزين يمكن برمجته عبر الكمبيوتر أو جهاز مشابه وتضمن «المتغيرات الطبيعية» للمريض الفردي. وبذلك، إذا اختلفت النتائج بشكل كبير عن هذه المعايير - سيتم إشعار المستخدم أو أخصائي الصحة لإعادة أخذ العينة. وإذا استمر الاختلاف بعد إعادة الفحص، يستخدم الجهاز تقنية موجودة معروفة في هذا المجال، للاتصال بالطبيب، مركز الرعاية، (كذا..) شركة الأدوية أو غيرها أو كلّ الجهات ذات الصلة.

أرجو أن تخبرني خلال الأسبوع القادم إن كنت تستطيع تولي الأمر. شكراً.

فويتز

كان شيافيللي منشغلاً بقضايا أخرى ولم يستجب لعدة أشهر. وأخيراً، حظي فويتز باهتمامه في كانون الثاني عام ٢٠٠٦، عندما أرسل إليه بريداً إلكترونياً آخر يقول فيه إنه يرغب بإجراء تعديل على فكرته الأصلية: ستكون آلية التنبيه عبارة عن «رمز شريطي أو إشارة تعريف لاسلكية» على النشرة الداخلية المرفقة بالدواء الذي يأخذه المريض. ستقوم شريحة ضمن جهاز فحص الدم بمسح الرمز الشريطي وبرمجة الجهاز ليرسل تنبيهاً إلى طبيب المريض بشكل تلقائي حالاً عندما يُظهر دم المريض أعراضاً جانبية نتيجة الدواء.

تبادل فويتز وشيافيللي الرسائل الإلكترونية لبلورة الفكرة، وتُوج الأمر بطلب مكون من أربعة عشر صفحة قدماء إلى مكتب براءات الاختراع والعلامات التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢٤ نيسان ٢٠٠٦. ولم يكن هدف براءة الاختراع المقترحة اختراع تكنولوجيا جديدة رائدة. بدلاً من ذلك، دمجت تقنيات جديدة - نقل بيانات لاسلكية، شرائح كمبيوتر، ورموز شريطية - ضمن تقنية تنبيه طبية يمكن تضمينها في أجهزة فحص دم منزلية مصنعة من قبل شركات أخرى. ولم يكن خافياً من هي الشركة المحددة التي كانت تستهدفها: ذكرت ثيرانوس بالاسم في الفقرة الرابعة واقتبست من موقعها الإلكتروني.

لا تُشهر طلبات براءة الاختراع إلا بعد ثمانية عشر شهراً من تقديمها، لذلك لم تكن إليزابيت ولا والداها أساساً على دراية بما فعله فويتز. استمرت لورين فويتز ونويل هولمز برؤية بعضهما

بشكل منتظم. واستقرت عائلة هولمز في شقة جديدة اشتروها في جادة ويسكونسن قرب المرصد البحري. كانت لورين تقود سيارتها من ماكلين في عدة مناسبات ورافقت نويل، مرتدية لباس الجري، في مشاوير ضمن الحي. وفي أحد الأيام، حضرت نويل إلى منزل فويتز للغداء. ثم انضم إليهما ريتشارد في الفناء الحجري الكبير وانحرف الحديث نحو إليزابيت. كانت مجلة «إنك» قد أوردت لمحة عنها إلى جانب عدة شباب رائدين آخرين، بمن فيهم مارك زوكربيرغ مؤسس فيسبوك. كانت الشعبية التي بدأت تحظى بها إليزابيت مصدر فخر كبير لنويل.

أثناء تناولهم إحدى الوجبات التي اشترتها لورين من محل أطعمة في ماكلين، اقترح فويتز على نويل بصوت غنائي حلو استخدامه عندما وجه الحديث إلى مدى روعة أن يكون مساعداً لإليزابيت. وأشار إلى أنه من السهل أن يتم استغلال شركة صغيرة مثل ثيرانوس من قبل شركات أكبر. لم يكشف عن تسجيل براءة اختراعه، غير أن التعليقات كانت كافية ربما لوضع عائلة هولمز في حالة تأهب. ومنذ تلك اللحظة فصاعداً، أصبحت العلاقات مشحونة بين العائلتين.

التقت عائلتا فويتز وهولمز مرتين لتناول العشاء في الأشهر الأخيرة من عام ٢٠٠٦. كان أحد العشاءين في مطعم سوشيكو، مطعم ياباني عند نهاية الشارع الذي توجد به الشقة الجديدة لكريس ونويل. لم يأكل كريس كثيراً في تلك الليلة. وأثناء زيارة إليزابيت في بالو ألتو، أجبرته مضاعفات الجراحة الأخيرة على



الدخول إلى مشفى ستانفورد. وقال لفويتز إنه من حسن الحظ أن صديق إлизаيت، سوني، قام بترتيب بقاءه في جناح كبار الشخصيات في المستشفى ودفع الفاتورة. وتحولت المحادثة إلى ثيرانوس، التي أكملت جولة التمويل الثانية في وقت سابق من العام. وذكر كريس أن حملة جمع الأموال جذبت بعض كبار المستثمرين في وادي السيليكون، مما يعتبر أمراً جيداً، مضيفاً أنه وضع هو ونويل مبلغ ٣٠,٠٠٠ دولار في الشركة كانا قد ادخراها لتعليم إлизаيت في ستانفورد.

ثم بدا وكأن العشاء يصبح محتملاً لأسباب ليست واضحة بالكامل. لم يسبق لكريس وريتشارد أن توافقا ولربما قال ريتشارد شيئاً تغلغل في صدر الرجل الآخر. أياً كانت القضية، فوفقاً للورين، انتقد كريس هولمز عقد شانيل الذي كانت تلبسه ولاحقاً، بعد أن دفعوا الفاتورة وتجولوا في جادة ويسكونسن، بدا ما يجعل الأمر كتهديد مقنّع عبر إثارة حقيقة أن جون فويتز، أحد أبناء فويتز من زواجه الأول، عمل لصالح صديقه المقرب. وفي الحقيقة، كان جون فويتز محامياً في شركة محاماة ماكديرموت ويل & إيمري، حيث كان الصديق المقرب لكريس هولمز، تشاك وورك، شريكاً رئيسياً.

بعد فترة، بدأت صداقة لورين ونويل بالتداعي. ولطالما كان التوافق ما بينهما غريباً. فقد كانت لورين من شطر الطبقة العاملة في كوينز، وهي خلفية مؤهتها بلكنة نيويورك الخشنة. وعلى عكس لورين، كانت نويل مثال امرأة المؤسسة الواشنطنية العلمانية، التي

أمضت جزءاً من شبابها في باريس، عندما عمل والدها لدى مقر القيادة الأوروبية.

وفي الأشهر التالية، شربت المرأتان القهوة مرات عديدة أخرى. لكن كريس هولمز كان يصّر دائماً على الانضمام إليهما، ربما لأن الشك ساوره بأن ريتشارد فويتز ينوي على شيء، ما جعل تواصلهم محرّجاً ومتوتراً. وخلال إحدى المصادفات، في دين & ديلوكا، جورج تاون، توتر الحديث عندما تحدثوا عن وفاة شقيق لورين مؤخراً والقطة التي تركها بعد موته. وقد عانت لورين فيما يجب أن تفعله مع القطة، ما بدا أنه يثير غيظ كريس، الذي نصحتها بأن تتخلص منها ببساطة مقلداً عملية إمساكه ووضعها في كيس. قائلاً بنفاد صبر: «القطة ليست ذات شأن».

منذ أن عادت عائلة هولمز إلى واشنطن، كانت نويل تذهب لنفس صالون الشعر الذي ترتاده لورين في تيسوس كورنر، فيرجينيا. تشاركتا مصففة شعر تدعى كلوديا. وأثناء تصفيفها شعر لورين في أحد الأيام، سألتها كلوديا إن كانت هناك مشاكل بينها وبين نويل. يبدو أن نويل كانت تفضي ببعض ما في نفسها لكلوديا. وردت لورين بحرج أنها لا تريد الحديث عن ذلك وغيرت الموضوع.

رأت لورين فويتز ونويل هولمز بعضهما مرة أخرى عندما زارت لورين شقة عائلة هولمز وهي تحمل الكعك في فترة الميلاد عام ٢٠٠٧. كان لا بد أن إليزابيت، التي كانت في البلدة أيضاً،

على علم بأن والديها على خلاف مع عائلة فويتز. لم تقل الكثير واسترقت نظرة جانبية إلى صديقة أمها.

أصبحت براءة اختراع فويتز متاحة بعد حوالي أسبوع، بتاريخ ٣ كانون الثاني عام ٢٠٠٨، لأي شخص يود إجراء بحث في بيانات مكتب الولايات المتحدة لبراءات الاختراع والعلامات التجارية USPTO على الانترنت. ومع ذلك، لم تعلم ثيرانوس به إلا بعد خمسة أشهر أخرى حين وقّع عليها مصادفةً غاري فرنزل، رئيس فريق الكيمياء في ثيرانوس، ولفت انتباه إليزابيت إليها. بحلول ذلك الوقت، لم تعد عائلتا هولمز وفويتز على علاقة طيبة وكان فويتز يشير لبراءة الاختراع تلك في محادثاته مع زوجته على أنها «قاتل ثيرانوس».

في ذلك الصيف، قام كريس هولمز بزيارة صديقه القديم تشاك وورك في مكاتب ماك ديمرموت ويل & إيمري في واشنطن، على بعد كتلتي بناء شرقي البيت الأبيض. كان كريس وتشاك صديقين لأمد طويل. التقيا عام ١٩٧١ عندما أوصل تشاك كريس إلى اجتماع احتياطي الجيش. ومع أن تشاك كان أكبر من كريس بخمس سنوات، فقد أدركا سريعاً أن هناك قواسم مشتركة كثيرة بينهما: كان كلاهما من كاليفورنيا والتحقا بنفس المدرسة الثانوية والجامعة، مدارس ويب في كليرمونت، كاليفورنيا، وجامعة ويسليان في ميدلتاون، كونيتيكت.

كثيراً ما قدم تشاك يد العون لكريس على مر السنوات. فبعد

انهيار إنرون، أتاح لكريس استخدام مكتب الزوار الخاص به في شركته كي يقوم بالبحث عن عمل. وعندما غادر أخ إليزابيت، كريستيان، ثانوية سان جونز في هيوستن بسبب ما وصفه كريس بأنه تهوّر بالاشتراك في عرض فيلم، كان تشاك قادراً على الوصول إلى مدرسة ويب لأنه عمل في مجلس إدارتها. وعندما تسربت إليزابيت من جامعة ستانفورد واحتاجت المساعدة في تسجيل براءة اختراعها، وصلها تشاك بزملائه في ماكديرموت المتخصصين في ذلك النوع من العمل.

ذلك بالتحديد هو موضوع زيارة كريس هولمز في ذلك اليوم الصيفي عام ٢٠٠٨. كان كريس مهتماً. أخبر تشاك أن شخصاً يدعى ريتشارد فويتز سرق فكرة إليزابيت وسجل براءة اختراعها باسمه. وأشار كريس بوضوح إلى أن حون ابن فويتز عمل لدى ماكديرموت. كان تشاك بالكاد يعرف من كان جون فويتز. فقد تقاطع مساراها مرة أو مرتين في الشركة عندما تدخل في إحدى القضايا.

كان يدرك أيضاً أن ماكديرموت قد وكلت كشركة محاماة لصالح ثيرانوس بخصوص براءات الاختراع لعدة سنوات، وكان هو من قدم العرض الأولي. لكن بقية ما قاله كريس كان خارج نطاق العمل. لم يكن لديه فكرة عما كان ريتشارد فويتز ولا عن براءة الاختراع التي يشير كريس إليها. ومع ذلك، وافق على رؤية إليزابيت، كمعروف لصديقه القديم.

جاءت بعد أسابيع لاحقة، في ٢٢ أيلول عام ٢٠٠٨، وقابلت تشاك ومحام آخر يدعى كين كيچ. كان تشاك شريك ماكدير موت الإداري عندما انتقلت الشركة إلى مبنى روبرت أ.م شتين الحجري الذي احتلته في شارع ثرينث، فأصبح لديه أكبر وأجمل ركن مكتب في الطابق الثامن. أتت إليزابيت وهي تجر جهاز اختبار الدم الخاص بها وجلست على إحدى الأرائك التي استقرت في ركن صغير قرب نافذة المكتب الكبيرة. لم تبادر بشرح كيفية عمل الجهاز، غير أن تشاك ظن للوهلة الأولى أنه كان رائعاً. كان مكعباً كبيراً، بالأبيض والأسود اللامع، مزوداً بشاشة لمس رقمية تشبه جهاز آيفون بشكل واضح.

دخلت إليزابيت بالموضوع مباشرة. أرادت معرفة إن كانت ماكدير موت ستوافق على تمثيل ثيرانوس ضد ريتشارد فويتز. فقال كين إنه يمكنهم النظر في رفع قضية تدخل بتسجيل براءة اختراع إذا كان ذلك ما تفكر به. إن قضايا التدخل نزاعات يبت فيها مكتب العلامات التجارية وبراءات الاختراع بغية تحديد أي من المتقدمين المتنازعين، الذين يتنافسون على براءة الاختراع، قد توصل إليها أولاً. والملف الرابع يأخذ الأولوية حتى لو قام بتسجيل البراءة لاحقاً. وكان كين متخصصاً في هذا النوع من القضايا.

ومع ذلك، تردد تشاك بالقيام بالأمر. أخبر إليزابيت أن عليه التفكير بالأمر والتحدث إلى بعض زملائه. وقال إن لدى فويتز ابناً مساهماً في الشركة، مما يجعل الموقف محرجاً. لم تغض إليزابيت

الطرف عن ذكر جون فويتز. كانت تلك الفرصة التي انتظرتها. سألت إذا كان من المحتمل أن يكون جون قد وصل إلى معلومات سرية من ملف ثيراسون لدى ماكديرموت وسر به إلى أبيه.

كان ذلك أمراً بعيد الاحتمال بالنسبة إلى تشاك. فذلك الأمر من النوع الذي يتسبب بطرد محام من الشركة وشطبه من جدول المحامين. كان جون محامي براءات اختراع. لم يكن جزءاً من الفريق المنفصل للدعاء ببراءات الاختراع الذي يصوغ ويسجل براءات الاختراع. لم يكن لديه سبب أو مبرر للوصول إلى ملف ثيرانوس. بالإضافة إلى ذلك، كان شريكاً في الشركة. فلماذا يُقدم على الانتحار المهني؟ لم يكن ذلك منطقياً. وفوق ذلك، قامت ثيرانوس بنقل أعمال براءات الاختراع جميعها إلى شركة ويلسون سونسيني للمحاماة في وادي السيليكون منذ عامين، أي سنة ٢٠٠٦. تذكر تشاك أن كريس اتصل به وأخبره معتذراً أن لاري إليسون أصر على أن توكل إليزابيت تلك الشركة. وأُلزمت ماكديرموت بذلك فنقلت إليهم كل شيء. ولم يبق لمحامي ماكديرموت شيء يمكن الوصول إليه.

بعد مغادرة إليزابيت، استشار تشاك رؤساء فرق محامي تسجيل ومقاضاة براءة الاختراع في الشركة. آخرهم كان رئيس جون فويتز. وأُحيطَ علماً بأنه قد يكون لثيرانوس قضية تدخل مقبولة ضد ريتشارد فويتز، إلا أن جون فويتز كان يتمتع بسمعة طيبة ومظاهر الشركة التي كانت تعلو بمواجهة والد أحد

شركاتها كانت مشوشة. قرر تشاك رفض طلب إيزابيت. أعلمها بقراره من خلال مكالمة هاتفية بعد بضعة أسابيع. وكان ذلك آخر ما يتوقع المرء سماعه من قبل تشاك وماكدير موت بشأن القضية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(٦)

## سوني

كانت مقدرات تشيلسي بوركيت تُستنفد شيئاً فشيئاً. كانت أواخر صيف عام ٢٠٠٩ وهي تعمل لساعات طويلة في شركة بالو ألتو الناشئة، وتحاول التوفيق بين خمسة أدوار في ما يفترض أن يكون شركة قائمة. ليس الأمر أنها كرهت العمل بكذّ. فهي مثل كثيرين من خريجي ستانفورد الكبار ذوي الخمسة والعشرين عاماً، كان الكفاح متأصلاً في جيناتها. بل الأمر أنها كانت تتوق إلى شيء من الإلهام ولم تجد شيئاً منه في عملها: كان دوستانغ، حيث تعمل، موقعاً إلكترونياً خاصاً بالمسيرة بالمهنية للمحترفين الماليين.

كانت تشيلسي واحدة من أعز أصدقاء هولمز في ستانفورد. كمبتدئين في السنة الأولى، سكتا في مهاجع متقاربة في ويلبر هول، المجمع السكني الضخم في الطرف الشرقي من السكن الجامعي، وانسجمتا على الفور. كانت إليزابيث ترتدي تي - شيرت أحمر وأبيض وأزرق كُتِبَ عليه «لا تعبث مع تكساس» مع ابتسامة كبيرة حين التقتا للمرة الأولى. وقد وجدتتا تشيلسي لطيفة، وذكية، ومرحة.



كانتا بنتين اجتماعيتين ومنطقتين، بعيون زرقاء متشابهة. ونالتا كفايتهما كطالبتين من الشرب واللهو وتعهدا بالولاء للنادي، إلى حدّ ما للحصول على مسكن أفضل. لكن، في حين بدت تشيلسي مراهقة عادية تحاول إيجاد نفسها، كانت إليزابيث تعلم تماماً ما تريد أن تكونه وتفعله. وحين عادت إلى السكن الجامعي، مع براءة اختراع كانت قد أعدت له في بداية السنة الثانية، طار صواب تشيلسي.

بقيت المرأتان الشابتان على اتصال لسنوات خمس من ترك إليزابيث دراستها الجامعية لتطلق ثيرانوس. لم ترَ إحداهما الأخرى كثيراً، لكنهما تبادلتا الرسائل النصية بين وقت وآخر. وفي إحدى تلك الرسائل، ذكرت تشيلسي اكتئابها في العمل، مما حث إليزابيث على الجواب، «لم لا تأتين وتعملين لدي؟»

ذهبت تشيلسي لترى إليزابيث في مكتب جادة هيلفيو. لم تستغرق صديقتها وقتاً طويلاً حتى أقنعتها بثيرانوس. تحدثت إليزابيث بحماس عن المستقبل الذي ستنقذ فيه الشركة الحيوانات بالتكنولوجيا الخاصة بها. بدا الأمر أكثر إثارة ونبلاً بكثير لتشيلسي من مساعدة مستثمري المصارف في إيجاد عمل. وكانت إليزابيث شديدة الإقناع. امتلكت تلك الطريقة الحادة بالنظر إليك حين تتحدث مما يجعلك تؤمن بها وترغب في السير وراءها.

اتفقتا بسرعة على دور لتشيلسي: ستعمل في مجموعة حلول العملاء، والتي كانت مسؤولة عن وضع دراسات تقرير مشروعية

كانت تجربها ثيرانوس لمحاولة كسب العمل مع الشركات الصيدلانية. كانت مهمة تشيلسي الأولى تنظيم دراسة مع سيتتوكور، وهو قسم من شركة جونسون أند جونسون.

حين كتبت تقريراً يخص عملها الجديد بعد ذلك بأيام قليلة، علمت تشيلسي أنها لم تكن الصديقة الوحيدة التي وظفتها إليزابيت. قبل ذلك بأسبوع فقط، انضمّ راميش «سوني» بالواني كمدير تنفيذي رئيس في ثيرانوس. التقت تشيلسي بسوني مرة أو مرتين دون أن تتعرف إليه كما يجب. لم تعلم سوى أنه صديق إليزابيت وأنها كانا يعيشان معاً في شقة في بالو آلتو. ولم تذكر إليزابيت شيئاً عن انضمام سوني إلى الشركة، لكن تشيلسي واجهت الآن واقع أنها تعمل معه. أو هل كانت تعمل تحت إمرته؟ لم تكن متأكدة هل ترسل التقارير إلى سوني أم إلى إليزابيت. كانت التسمية الوظيفية لعمل سوني، ك نائب تنفيذي للرئيس، عالية ومبهمة في آن معاً. أياً كان ما عناه دوره، فهو لم يفوّت مناسبة في تعزيز سلطته. فمنذ اللحظة الأولى، أقحم نفسه في كل شأن من شؤون الشركة حتى بات حضوره طاغياً.

مثل سوني قوة الطبيعة، لكن ليس بالمعنى الحميد. على الرغم من أن طوله لم يتجاوز حوالي خمس أقدام وخمس بوصات بالإضافة إلى سمته، إلا أنه عوّض عن بنيته الصغيرة بأسلوب إداري عدائي هجومي. أظهر حاجباه الثخينان وعيناه اللوزيتان، التي توضعّت فوق فم تدلّى جانباه وذقن مثلثة، نفحة من التهديد. كان متغطرساً يقلل من احترام الموظفين، ينبح بالأوامر ويوبخ الناس.

سرعان ما شعرت تشيلسي بالنفور منه على الرغم من أنه دأب على أن يكون أكثر لطفاً معها احتراماً لصداقتها مع إليزابيث. لم تفهم ما رآته صديقتها في هذا الرجل، الذي كان أكبر منها بعقدين ويفتقر لأبسط مقومات اللباقة والسلوك. أخبرتها جميع حواسها أن سوني سيأتي بالشؤم، لكن بدا أن إليزابيث كانت توليه الثقة المطلقة.

كان سوني حاضراً في حياة إليزابيث منذ الصيف قبل أن تغادر الجامعة. التقيا في بكين خلال سنتها الثالثة أثناء حضور برنامج ستانفورد المندريني. وقد عانت إليزابيث في تكوين صداقات في ذلك الصيف كما تعرضت للمضايقة من قبل بعض الطلاب في الرحلة. فأنبرى سوني لمساعدتها، وكان البالغ الوحيد في مجموعة الطلاب الجامعيين تلك. هكذا وصفت نويل، والدة إليزابيث للورين فويتز بداية علاقة إليزابيث وسوني.

وُلد ونشأ في مومباي، وصل سوني إلى الولايات المتحدة لأول مرة في عام ١٩٨٦ ليكمل دراساته الجامعية. بعدها، عمل كمهندس برامج لعشرة أعوام في لوتس ومايكروسوفت. في عام ١٩٩٩، انضم إلى رائد أعمال إسرائيلي يدعى ليرون بتروشكا في شركة ناشئة في سانتا كلارا، كاليفورنيا تدعى كوميرسيد. كوم. كان بيتروشكا يطور مخطط برمجيات يمكن الشركات من المفاضلة بين مزودها واحداً تلو الآخر ليتنافسوا في مزادات مباشرة على الانترنت لضمان اقتصاديات متوازنة وأسعار أقل.

حين انضم سوني إلي كوميرسيد، كان جنون الدوت-كوم في ذروته وكان موضع شركة بيتروشكا فيها يزداد رواجاً بشكل كاسح، مع سمعتها كمركز تجارة إلكترونية يتفاعل فيها رجال الأعمال رجلاً لرجل. توقع المحللون بحماس أن ما تبلغ قيمته ٦ تريليونات دولار أمريكي من التبادلات التجارية بين الشركات ستُعقد قريباً عبر الانترنت.

كان كوميرس ون، الرائد في هذا القطاع، قد بات لتوه علنياً وشوهد سعر سهمه يبلغ ثلاثة أضعافه في أول يوم له من التبادلات. وختَم السنة بزيادة بلغت ١٠٠٠ بالمئة. وفي تشرين الثاني من ذلك العام، بعد أشهر قليلة من تسمية سوني رئيساً لكوميرسيد بأشهر قليلة ومديراً لقسم التكنولوجيا، اشترت كوميرس ون الشركة لقاء ٢٣٢ مليون دولار نقداً. كان سعراً باهراً لشركة لديها ثلاثة زبائن فحسب يجربون برنامجها وبالكاد لديها أي ريع. وبوصفه ثاني أعلى مدير تنفيذي كسب سوني أكثر من ٤٠ مليون دولاراً لجيبه. لقد كان توقيته مثالياً، فبعد ذلك بخمسة أشهر، فقئت فقاعة الدوت-كوم وانهارت سوق البورصة. وأشهرت كوميرس ون في النهاية إفلاسها.

على الرغم من ذلك لم ير سوني نفسه محظوظاً. فبالنسبة إليه، كان رجل أعمال موهوباً وكان الكسب غير المتوقع الذي حققه من كوميرس ون تأكيداً على موهبته. حين التقته إليزابيت بعد ذلك بسنوات، لم يكن لديها سبب لتشكك بذلك. كانت فتاة في الثامنة عشرة من عمرها قابلة لأن تؤخذ بالانطباعات ورأت في سوني

ما أرادت أن تكونه: رائدة أعمال غنية وناجحة. أصبح مرشدها، والشخص الذي سيعلمها إدارة الأعمال في وادي السيليكون.

ليس من الواضح تماماً متى ارتبط سوني وإليزابيت بعلاقة عاطفية، لكن يبدو أن ذلك لم يكن بعد وقت طويل من تخليها عن دراستها الجامعية في ستانفورد. وحين التقيا للمرة الأولى في الصين في صيف عام ٢٠٠٢، كان سوني متزوجاً من فنانة يابانية تدعى كيكو فوجيموتو ويعيش في سان فرانسيسكو. بحلول تشرين الأول من عام ٢٠٠٤، سُجِّل كـ «رجل أعزب» في إجراء لتسجيل ملكية مشتركة اشتراها في جادة تشانينغ في بالو آلتو. تظهر سجلات عامة أخرى أن إليزابيت انتقلت إلى الشقة في تموز من عام ٢٠٠٥.

أمضى سوني السنوات العشر بعد مهمته المريحة والموجزة في كوميرسيد لا يعمل الكثير إلى جانب الاستمتاع بأمواله ونصح إليزابيت في الكواليس. بقي كنائب رئيس في كوميرس ون حتى كانون الثاني ٢٠٠١ ومن ثم سجّل في مدرسة إدارة الأعمال في بيركلي. وفيما بعد، درّس علوم الكمبيوتر في ستانفورد.

بحلول الوقت الذي انضم فيه إلى ثيرانوس في عام ٢٠٠٩، تضمن سجل سوني القانوني علامة حمراء واحدة على الأقل. فقد تهرب من الضرائب على ما جناه من كوميرسيد، واعتمد على شركة المحاسبة BDO سيدمان، التي رتبت له الاستثمار في مأمّن من الضرائب. نجم عن هذه المناورة خسارة في الضريبة بلغت

٤١ مليون دولار أي ما يعادل مكاسبه في كوميرسيبيد، لكنها ألغت التزامه الضريبي. وحين وضعت مصلحة الضرائب حداً للمسألة في ٢٠٠٤، أجبر سوني على دفع ملايين الدولارات من الضرائب السابقة المترتبة عليه كتسوية مع الوكالة. ثم انقلب وقاضى BDO، مدعياً أنه كان جاهلاً في شؤون الضرائب وأن الشركة ضللتته عن سابق عمد. وسويت الدعوى بشروط لم يُصرَّح عنها في عام ٢٠٠٨.

بترك مشاكل الضرائب جانباً، كان سوني فخوراً بثروته، فأحب أن يشاطر تلك الثروة سياراته. قاد سيارة لامبورغيني غالاردو سوداء وسيارة بورش ٩١١ سوداء. كان لكليهما لوحات رخصة تفاخرية. كتب على لوحة البورش «DAZKPTL» في إشارة ساخرة لكتاب كارل ماركس عن الرأسمالية. كتب على لوحة اللامبورغيني «VDIVICI»، وهي لعب على عبارة «veni, vidi, vici» («أتيت، رأيت، غزوت»)، التي استخدمها يوليوس قيصر في رسالة إلى مجلس الشيوخ الروماني لوصف نصره السريع والحاسم في معركة زيبلا.

كما تعمّد سوني في طريقة لباسه إظهار الغنى، وليس الذوق الرفيع بالضرورة. فقد ارتدى قمصاناً بيضاء لمصممين معروفين ذات أكمام منفوخة، وجينزاً مغسولاً بالحمض، وأحذية غوتشي زرقاء. كانت الأزرار الثلاثة العلوية لقميصه مفتوحة دوماً، لتسمح لشعر صدره بالبروز خارجاً وإلى ظهور سلسلة ذهبية رفيعة حول عنقه. وتنفوح منه رائحة عطر لاذعة في كل الأوقات.

وبإضافة كل ذلك إلى السيارات المبهرة، كان الانطباع العام أن هذا الشخص ذاهب إلى النادي الليلي وليس إلى المكتب.

تركزت خبرة سوني في البرمجيات، وضمن هذا المجال كان من المفترض أن يكون لوجوده قيمة إضافية في ثيرانوس. وفي أحد اجتماعات الشركة الأولى التي حضرها، تبجح بأنه كتب ملايين الأسطر من الشيفرات. ظن بعض الموظفين أنه كان منافياً للمنطق. عمل سوني في مايكروسوفت، حيث أعدت فرق من مهندسي البرمجيات نظام تشغيل ويندوز بمعدل ألف سطر من الشيفرات كل عام من أعوام التطوير. ولو افترضنا أن سوني كان أسرع بعشرين مرة من مطوري ويندوز، فلا بد أن الأمر سيستغرق منه خمسين سنة لفعل ما ادّعا.

كان سوني صلفاً ومتعالياً تجاه الموظفين، لكنه كان أيضاً متملّصاً في بعض الأحيان بشكل غريب. فحين كان دون لو كاس يحضر إلى المكتب مرة أو مرتين في الشهر لزيارة إيزابيت، كان سوني يختفي فجأة. وجد موظف رسالة على طابعة مكتب أرسلتها إيزابيت بالفاكس إلى لو كاس، وجدت فيها مهارات سوني وسيرته المهنية الاحترافية، ولم تحف أمر توظيفه. لكن أشخاصاً مثل ديف نيلسون، المهندس الذي ساعد طوني نوجنت في بناء أول نموذج لجهاز إديسون والذي يستقر الآن مقابل مقصورة تشيلسي، بدأ يشك بأن إيزابيت كانت تتلاعب بالمجلس بما يتعلق بسعة صلاحيات سوني.

كان هناك أيضاً السؤال الضبابي بشأن ما أخبرت به المجلس عن علاقتها. فحين أعلمت إليزابيث طوني أن سوني انضم إلى الشركة، سأل طوني صراحة إن كانا ما زالنا ثنائياً. أجابت أن العلاقة انتهت. من الآن فصاعداً فإن الأمور تتعلق بالأعمال وحسب، كما قالت. لكن سيثبت أن هذا عارٍ عن الصحة.

قادت مهمة سيتوكور تشيلسي إلى أنتويرب، بلجيكا، في خريف عام ٢٠٠٩. رافقها إلى هناك دانييل يونغ، الشاب اللامع الذي يحمل شهادة دكتوراه في الهندسة الحيوية من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT، وقد عُيِّن دانييل منذ ستة أشهر للمساعدة في إضافة بعد آخر لنظام ثيرانوس في تحليل الدم: النمذجة التنبؤية. وحين توجهت إليزابيث إلى المدراء التنفيذيين الصيدلانيين الآن، أخبرتهم أن بإمكان ثيرانوس توقُّع كيف ستكون استجابة المرضى للأدوية التي يأخذونها. ستوضع نتائج تحليل المرضى في برنامج حاسوبي مسجِّل طورته الشركة. وكلما ازدادت النتائج المدخلة إلى البرنامج، كلما تحسنت قدرته أكثر فأكثر على توقع الآلية التي يُحتمل أن تتغير المؤشرات الدموية خلال العلاج، كما قالت.

بدا اختراعاً ثورياً، فهناك نقطة جديدة بالاهتمام: فعلى نتائج التحاليل الدموية أن تكون جديدة بالثقة ليكون لتوقعات برنامج الحاسوب قيمة ما، وبدأت الشكوك تساور تشيلسي حول ذلك بعد أن وصلت إلى بلجيكا بوقت قصير. فقد كان من المفترض بثيرانوس أن تساعد سيتوكور بتقدير كيف سيستجيب المرضى مع دواء للربو بقياس مؤشر حيوي في دمهم يدعى إيمينوغلوبين



E الخاص بمادة محددة تثير الحساسية، أو IgE، لكن بدت أجهزة ثيرانوس وكأنها عشتت فيها الحشرات بالنسبة لتشيلسي. كان ثمة فشل ميكانيكي متكرر. فإما أن تستعصي الخراطيش على الدخول في القارئ بشكل صحيح، أو يتعطل شيء داخل القارئ. حتى حين لم يتعطل الجهاز، كان من الصعب استخراج أية نتيجة منها.

لطالما ألقى سوني اللوم على الاتصال اللاسلكي، وكان محقاً في بعض الحالات. وقد تضمنت العملية التي تُستخرج بها نتائج التحاليل الدموية جولة عبر -أطلسية من الواحدات والأصفار: حين يكتمل التحليل الدموي، يث هوائي خليوي البيانات الكهربائية الصادرة عن الإشارة الضوئية إلى مخدم في بالو آلتو. يحلل المخدم البيانات ويث مجدداً نتيجة نهائية إلى جهاز خليوي في بلجيكا. وحين تكون إشارة الخليوي ضعيفة، يفشل نقل البيانات.

لكن كان يمكن لأشياء أخرى بالإضافة إلى الاتصال اللاسلكي أن تتداخل وتولد النتيجة. تتطلب جميع تحاليل الدم تقريباً كمية معينة من التمديد لتخفيض تركيز المواد في الدم والتي يمكن أن تسبب البلبلة في التحليل. في حالة التحاليل المناعية بالضيائية الكيميائية - نسق التحاليل الذي يجريه جهاز إديسون - كان تمديد الدم ضرورياً كي يُخرج عن طريق التصفية الأصبغة الماصة للضوء والمكونات الأخرى التي يمكن أن تتدخل في إطلاق الإشارة الضوئية. كانت كمية التمديد التي تطلبها نظام ثيرانوس أكبر من المعتاد بسبب صغر العينات الدموية التي أصرت عليها إليزابيت. وحتى تتوفر للقارئ كمية السائل المطلوبة لعملها، كان يجب

زيادة حجم العينات بشكل كبير. والطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي تمديد الدم أكثر. وهذا بدوره جعل الإشارة الضوئية أضعف وأصعب من أن تقاس بدقة. لنبسط الأمر، كان بعض التمديد جيداً، لكن كان الكثير منه سيئاً.

كانت أجهزة إديسون أيضاً حساسة جداً للحرارة المحيطة. ولكي يكون أداؤها جيداً، احتاجت أن تعمل عند درجة حرارة تبلغ تماماً ٣٤ درجة مئوية. كان ثمة جهازا تدفئة بجهد ١١ فولت ركبا داخل القارئ لمحاولة المحافظة على تلك الحرارة حين إجراء تحليل على عينة دموية. لكن في الأماكن الأبرد، كبعض المشافي في أوروبا، لاحظ ديف نيلسون أن أجهزة التدفئة الصغيرة لم تحفظ دفء القارئ بما فيه الكفاية.

لم يعلم سوني أو يفهم شيئاً من هذا لأنه لم يمتلك خلفية في الطب، بل إن معرفته في علوم المخابر كانت أقل. كما لم يتحلل بالصبر فيستمع إلى شروحات العلماء. وهكذا كان من الأسهل إلقاء اللوم على الاتصال الخليوي. ولم تكن تشيلسي أكثر درايةً منه بهذه العلوم، لكن علاقتها بغاري فرينزل كانت ودية، وهو رئيس فريق الكيمياء، وأدركت من محادثاتها أن الصعوبات تتجاوز مسائل التواصل بكثير.

ما لم تعلمه تشيلسي حينذاك أن واحداً من شركائهم الصيدلانيين قد ابتعد مسبقاً عن الشركة. في وقت سابق ذلك العام، أعلمت فايزر ثيرانوس أنها تنهي التعاون ما بينهما لأن

نتائج دراسة تينيسي جاءت مخيبة للآمال. حاولت إيزابيت أن تقدم أفضل إخراج للدراسة التي امتدت على مدى خمسة عشر شهراً في تقرير من ست وعشرين صفحة أرسلته إلى العملاق الصيدلاني في نيويورك، لكن تحليل التقرير كثير من المعلومات غير المتسقة. وفشلت الدراسة في إظهار أية صلة واضحة بين الانخفاض في مستويات البروتين عند المرضى ومراقبة العقاقير المضادة للسرطان. وتوصل التقرير إلى بعض الارتباكات الشبيهة بالتي تشهدها تشيلسي الآن في بلجيكا، مثل الفشل الميكانيكي وأخطاء البث اللاسلكي. وقد عزا العطل الأخير إلى «الغطاء النباتي الكثيف، والأسطح المعدنية، ونوعية الإشارة السيئة بسبب بُعد المكان».

اتصل اثنان من مرضى تينيسي بمكتب ثيرانوس في بالو آلتو يشتكيان من أن القارئ لا تعمل لأسباب تتعلق بالحرارة. «كان الحل»، بحسب التقرير، الطلب من المرضى إبعاد القارئ عن وحدات تكييف الهواء والتيارات الهوائية المحتملة. وضع أحد المرضى الجهاز في سيارته المخصصة للرحلات وآخرون في «غرفة حارة جداً» و«أثرت» درجات الحرارة العالية للغاية «على قدرة القارئ في الحفاظ على درجة الحرارة المطلوبة»، كما ذكر التقرير. لم يتم إطلاع تشيلسي على التقرير إطلاقاً. بل لم تدر أساساً بوجود دراسة فايذر.

حين عادت إلى بالو آلتو من رحلة أنتويرب التي استغرقت

ثلاثة أسابيع، اكتشفت تشيلسي أن إيزابيت وسوني قد غيرا اهتمام الشركة من أوروبا إلى قسم آخر من الكوكب: المكسيك. لقد تفاقمت جائحة انفلونزا الخنازير هناك منذ الربيع ورأت إيزابيت في ذلك فرصة كبيرة لعرض جهاز إديسون.

كان الشخص الذي زرع في ذهنها هذه الجرثومة هو سيث مايكلسون، المدير العلمي في ثيرانوس. كان سيث شخصاً بارعاً جداً بالرياضيات وعمل فيما مضى لدى مختبر محاكاة الطيران في ناسا. كان اختصاصه في علم الرياضيات الحيوية، وهو استخدام النماذج الرياضية للمساعدة في فهم الظواهر في علم الأحياء. وأصبح مسؤولاً عن جهود النمذجة التوقعية في ثيرانوس ورئيس دانييل يونغ. كان سيث يذكّر بـ دوك براون في فلم مايكل جاي فوكس عام ١٩٨٥ واسمه Back to the future • العودة إلى المستقبل. لم يكن لديه شعر دوك الأبيض المجنون، لكن كانت لديه لحية ضخمة رمادية شعثناء منحتة مظهراً مشابهاً علمياً ومجنوناً. وعلى الرغم من أنه في أواخر الخمسينات من عمره، إلا أنه كان لا يزال يردد «يا صاح» كثيراً ويصبح مفرط الحيوية حين يشرح المفاهيم العلمية.

أخبر سيث إيزابيت عن نموذج رياضي يدعى SEIR (رمزت الحروف للكلمات التالية \* حساس، مكشوف، مصاب، ومحلول) ظن أن بالإمكان تبنيه لتوقع أين سيتنشر فيروس انفلونزا الخنازير تالياً. ولكي يعمل النموذج، كان على ثيرانوس أن تفحص مرضى مصابين حديثاً وتضع نتائج تحاليلهم الدموية في النموذج. وذلك

كان يعني حمل قارئات إديسون والخراطيش إلى المكسيك. فارتأت إليزابيت أن تضعها في أراضيات شاحنات النقل وتقود بها إلى القرى المكسيكية في جبهة انتشار المرض.

ولأن تشيلسي طليقة باللغة الإسبانية، تقرر إرسالها إلى المكسيك مع سوني. لم يكن الحصول على ترخيص لاستخدام أجهزة طبية في بلد أجنبي أمراً سهلاً بالعادة، لكن إليزابيت استطاعت أن تستخدم نفوذ العلاقات العائلية لتلميذ مكسيكي غني في ستانفورد. واستطاع تأمين حضور مسؤولين ذوي نفوذ ليجلسوا مع سوني وتشليسي في معهد الأمن الاجتماعي المكسيكي، الوكالة التي تدير نظام الرعاية الصحية العامة في البلاد. وافقت IMSS على شحن دزيتين من قارئات ثيرانوس إلى مشفى في مكسيكو سيتي. المشفى، وهو منشأة شاسعة تدعى المشفى العام في مكسيكو، كان يقع في كولونيا دوكتوريس، واحدة من أكثر أحياء المدينة الحافلة بالجريمة. لم يشجّع سوني وتشيلسي على الذهاب بمفردهما من وإلى المستشفى، فكان سائق يوصلهما إلى حرم المنشأة كل صباح ويقلّهما من هناك في آخر كل نهار.

لأسابيع، أمضت تشيلسي أيامها حبسةً غرفة صغيرة داخل المشفى. كدّست قارئات إديسون على رفوف تُبِتت على امتداد أحد الحيطان. كما صُفّت برادات تحوي عينات دموية متلاصقة. وكان الدم قد سُحب من مرضى مصابين خضعوا للعالجة ضمن المشفى. اقتضى عمل تشيلسي أن تدفّئ العينات، وتضعها في الخراطيش، وتدسّ الخراطيش في القارئات، ثم تتأكد إن كانت نتيجة تحليل وجود الفيروس إيجابية.

ومن جديد، لم تجر الأمور بسلاسة. وبشكل متكرر، أرسلت القارئات رسائل وجود خطأ، أو كانت النتيجة التي عادت من بالو آلتو سلبية للفايروس بينما كان يجب أن تكون إيجابية. كما أن بعض القارئات لم تعمل على الإطلاق. وتابع سوني إلقاء اللوم على البث اللاسلكي.

غمر الإحباط والاكئاب تشيلسي. وتساءلت عما كانت تفعله هناك. أخبرها غاري فرينزل وبعض علماء ثيرانوس الآخرين أن أفضل طريقة لتشخيص H1N1، كما سُمي فيروس انفلونزا الخنازير، كانت من خلال عينة أنفية وأن فحص وجوده في الدم كان مشكوكاً بفعاليته. طرحت الأمر على إليزابيت قبل المغادرة، لكن إليزابيت تجاهلت الأمر. قالت عن العلماء، «لا تستمعني إليهم، إنهم يشكون دوماً.»

عقدت تشيلسي وسوني عدة اجتماعات مع مسؤولين في IMSS، وزارة الصحة المكسيكية، لإطلاعهم على سير عملهم. لم يتحدث سوني أو يفهم أية كلمة بالإسبانية، فتكفلت تشيلسي بكامل الحديث. وفيما تواصل الاجتماع لوقت طويل، لاح على وجه سوني مزيج من الانزعاج والقلق. ارتابت تشيلسي بأن شكوكاً ربما راودته حيال إطلاعها الحكومة المكسيكية على فشل جهاز ثيرانوس. وقد استمتعت برؤيته مرتبكاً.

أما في بالو آلتو، فانتشرت شائعة في المكتب مفادها أن إليزابيت تفاوض لبيع أربعمئة قارئة إديسون إلى الحكومة المكسيكية. كان

من المفترض للصفقة أن تأتي بسيولة مالية تحتاجها الشركة الآن بشدة. لقد مرّ وقت طويل على الـ ١٥ مليون دولار التي جمعتها ثيرانوس في أول جولتين لحشد التمويل واستُهلكت سلفاً ضمن جزء كبير من الـ ٣٢ مليون دولار التي كان لهنري موزلي الفضل في الحصول عليها ضمن جولته التي أطلق عليها السلسلة C في أواخر ٢٠٠٦.

في ذلك الوقت، كان سوني لا يزال يسافر إلى تايلاند بهدف التحضير لقاعدة تحليل انفلونزا خنازير أخرى. انتشرت الجائحة إلى آسيا، وكانت تايلاند واحدة من أصعب ضربات الوباء في المنطقة مع عشرات آلاف الحالات وأكثر من مئتين من الوفيات. لكن على عكس المكسيك، لم يكن واضحاً أن نشاطات ثيرانوس في تايلاند محظورة من قبل السلطات المحلية. راجت شائعات بين الموظفين تفيد بأن صلات سوني هناك كانت مثيرة للشبهة وأنه دفع الرشاوي للحصول على عينات دموية من مرضى مصابين. وحين استقال زميل لتشيلسي يعمل في مجموعة حلول الزبائن مباشرة بعد العودة من رحلة إلى تايلند مع سوني في كانون الثاني ٢٠١٠، واسمه ستيفان هريستو، اعتبر كثيرون أن هذا الأمر دليل على صحة الشائعة.

عادت تشيلسي من مكسيكو في ذلك الوقت وأرعبتها شائعة تايلاند. كانت تعلم بوجود قانون مضاد للرشاوى يدعى قانون الممارسات الفاسدة الأجنبية. وكان خرقه جناية يمكن أن تؤدي إلى السجن.

حين تأنت كي تتفكر في الأمر، وجدت تشيلسي الكثير من الأمور التي لا تبعث على الارتياح في ثيرانوس. وكان أكبر هذه الأمور سوني، الذي زرع ثقافة خوف بسلوكه المهدد. كان فصل موظفين حدثاً شائعاً في الشركة، لكن في أواخر عام ٢٠٠٩ وأوائل ٢٠١٠ كان سوني قد أخذ دور الرجل الفأس. حتى إن تشيلسي تعرفت إلى مصطلح جديد: أن تخفي شخصاً. هكذا اعتاد الموظفون استخدام الفعل اللازم كلما سُرح شخص ما. كانوا يقولون «أخفاه سوني»، مستحضرين صورة ضربة مافيوية في بروكلن أيام السبعينيات.

كان العلماء خاصة، خائفين من سوني. ومن القلة الذين وقفوا ضده سيث مايكلسون. فقبل عيد الميلاد بأيام، خرج سيث ليشتري قمصان بولو لفريقه. طابقت ألوان القمصان اللون الأخضر الخاص بشعار الشركة ونُقش عليها «فريق ثيرانوس للرياضيات الحيوية». اعتقد سيث أن تلك كانت بادرة جيدة لبناء فريق، ودفع ثمن القمصان من جيبه الخاص.

حين رأى سوني قمصان البوللو، غضب. لم يعجبه أنه لم يُستشر وجادل في أن بادرة سيث تجاه فريقه أخرجت المدراء الآخرين. وفي تاريخ سابق من مهنته، عمل سيث لدى شركة روش، الشركة الدوائية السويسرية العملاقة، حيث كان مسؤولاً عن سبعين شخصاً وعن ميزانية سنوية مقدارها ٢٥ مليون دولار. وقرر أنه لن يسمح لسوني بوعظه عن الإدارة. فدافع عن نفسه وتورط الاثنان في صراع حفل بالصراخ.



بعد ذلك، بدا أن سوني قد أضمر الشر لسيث فأوغل في مضايقته، مما دفع سيث للبحث عن عمل آخر. وجد عملاً بعد ذلك بأشهر قليلة في شركة مقرها ريدوود سيتي تدعى جينوميك هيلث ومضى إلى مكتب إليزابيت مع ورقة استقالته بيده ليقدم إشعاره. فتح سوني الذي كان هناك الرسالة، قرأها، ثم رماها في وجه سيث.

وصرخ «لن أقبل بهذا!»

فصرخ سيث بدوره بوجه جامد، «لدي أخبار لك سيدي: في عام ١٨٦٣، حرّر الرئيس لينكولن العبيد.»

كان رد سوني على ذلك أنه رماه خارج المبنى. لم يتمكن سيث من استعادة كتب الرياضيات الخاصة، والمجلات العلمية، وصور زوجته على مكتبه قبل مرور أسابيع بعد تلك الحادثة. واضطر إلى تجنب محامية الشركة الجديدة التي اشتغل فيها، جودي شاتن، ورجل أمن لمساعدته في توضيب أشيائه في وقت متأخر من إحدى ليالي الأسبوع حين لم يكن سوني موجوداً.

دخل سوني أيضاً في شجار مع طوني نوجنت في إحدى أماسي يوم الجمعة. كان يعطي أوامر مباشرة ويضغط بشدة على مهندس شاب ضمن فريق توني، مما سبب انهيار الشاب من شدة التوتر. واجه طوني سوني بالأمر فتصاعد جداهما بسرعة. صاح سوني وقد ورط نفسه في نوبة غضب بأنه كان يقدم للجميع خدمة بالتطوع بوقته في الشركة وعلى الناس أن يكونوا أكثر تقديراً.

وصرخ في وجه طوني قائلاً «كسبت من المال ما يكفي لرعاية عائلتي لسبعة أجيال قادمة. لا أحتاج لأن أكون هنا!»

فزأر طوني رداً عليه بلكنته الإيرلندية، «لا أملك فلساً ولا أحتاج لأن أكون هنا أيضاً!»

اضطرت إليزابيت إلى التدخل لفض المسألة. ظن ديف نيلسون أن طوني سيُطرد وأنه سيكون لديه رئيس جديد بحلول صباح يوم الاثنين. لكن نجا طوني بطريقة ما من المواجهة.

حاولت تشيلسي أن تشتكي سوني إلى إليزابيت، لكنها لم تتمكن من الوصول إليها. بدا أن الرابط الذي يجمعهما أقوى من أن يتزعزع. وكلما خرجت إليزابيت من مكتبها، والذي يفصله عن مكتب سوني غرفة اجتماعات زجاجية، يخرج مباشرة من مكتبه ويمشي معها. وغالباً، ما رافقها حتى الحمام الواقع في مؤخرة المبنى، مما حدا ببعض الموظفين إلى التساؤل مازحين إن كانا يتنشقان معاً بعض الكوكائين هناك.

بحلول شباط ٢٠١٠، بعد مرور ستة أشهر على عملها، فقدت تشيلسي كامل حماسها للعمل في ثيرانوس وفكرت بالاستقالة. كرهت سوني. وبدأ أن مشاريع المكسيك وتايلند تفقد زخماً مع تراجع وباء انفلونزا الخنازير. كانت الشركة تتأرجح من مبادرة مخففة إلى أخرى كطفل يعاني اضطراب قصور في الانتباه. وفوق كل شيء، كان صديق تشيلسي يقيم في لوس أنجلوس وكانت تسافر جيئة وذهاباً بين لوس أنجلوس ومنطقة الخليج كل عطلة نهاية أسبوع لتراه. كان السفر جيئة وذهاباً ينهكها.

وبينما تقلّب الأمر في ذهنها حول ما ستفعله، حدث شيء سرّع من قرارها. ففي أحد الأيام، جاء الطالب الجامعي في ستانفورد مع والده، الطالب الذي استثمرت إлизаبيت علاقات عائلته في المكسيك. لم تكن تشيلسي موجودة لتشهد الزيارة، لكن ضج المكتب بالحديث حولها بعد ذلك. كان لدى الوالد خوف من إصابته بمرض السرطان. بعد سماع مخاوفه الصحية، أقنعت إлизаبيت وسوني بإجراء تحليل دم لدى ثيرانوس للكشف عن مؤشرات السرطان الحيوية. سمع بالأمر لاحقاً في ذلك اليوم طوني نوجنت، الذي لم يكن موجوداً أيضاً أثناء الحادثة، من غاري فرنزل.

قال غاري لتوني، «حسن، كان هذا مثيراً للاهتمام»، بنبرة صوت تشي بالحيرة. «لعبنا دور الطبيب اليوم».

ذعرت تشيلسي. كانت دراسة التحقق من الصلاحية في بلجيكا والتجارب في المكسيك وتايلند شيئاً واحداً. ويفترض أن تكون لغاية البحث فقط وألا يكون لها علاقة بالطريقة التي سيُعالج فيها المرضى. لكن أن يُشجّع شخص ما على الاعتماد على تحليل ثيرانوس الدموي لاتخاذ قرار طبي هام كان شيئاً آخر تماماً. صُدمت تشيلسي لهذا الأمر المتهور واللامسؤول.

ذعرت أكثر أيضاً بعد وقت ليس بطويل بعد أن نشرت إлизаبيت وسوني نسخاً من الصيغة التي استخدمها الأطباء في طلب التحاليل الدموية من المخبر، وتحدثا بحماس عن الفرص الهائلة الكامنة في التحليل للزبون.

انتهى الأمر بالنسبة إليّ، فكرت تشيلسي في سرها. لقد تجاوز ذلك الكثير من الحدود.

تحدثت مع إليزابيث وأخبرتها أنها تريد الاستقالة لكن قررت أنها ستحتفظ بمشاعرها السلبية تجاه سير الأمور لنفسها. بدلاً من ذلك، أخبرت صديقتها أن الرحلات التي تجريها في عطلة نهاية الأسبوع ترهقها وأنها أرادت الانتقال إلى لوس أنجلوس بشكل كامل، الأمر الذي كان صحيحاً بكل الأحوال. عرضت أن تبقى لفترة انتقالية، لكن لم تقبل إليزابيث وسوني بذلك. إن كانت تشيلسي سترحل، فمن الأفضل أن تفعل ذلك مباشرة، كما قالوا لها. طلبا منها ألا تتحدث في الأمر مع الموظفين الثلاثة الذين كانوا يرسلون إليها التقارير أثناء مغادرتها. اعترضت تشيلسي. لم يكن من المستحب أن تهرب كلصّة في منتصف الليل. لكن كانت إليزابيث وسوني حازمين: لن تتحدث إليهم.

خرجت تشيلسي من المبنى إلى شمس بالو ألتو بمشاعر متضاربة. كان الشعور الطاغي هو الراحة. لكن أيضاً شعرت بالأسى لأنها لم تتمكن من توديع فريقها وإخبارهم عن سبب رحيلها. كانت ستقول لهم السبب الرسمي - أنها كانت ستنتقل إلى لوس أنجلوس - لكن سوني وإليزابيث لم يثقاً بأنها ستفعل ذلك. كانا يريدان التحكم برواية رحيلها.

قلقت تشيلسي أيضاً على إليزابيث. في اندفاعها العتيد لتأسيس

شركة ناشئة ناجحة، إذ بَنَتْ فقاعة حول نفسها فصلتها عن الواقع. وكان الشخص الوحيد الذي أدخلته إلى عالمها ذا تأثير مريع. فكيف لم تتمكن صديقتها من رؤية ذلك؟

(٧)

## الدكتور ج

مع قلب ورقة الرزنامة من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٠، بقيت أمريكا في مستنقع الضيق الاقتصادي. فعلى مدى السنتين السابقتين، خسر ما يقارب ٩ ملايين شخص وظائفهم في أسوأ نكبة منذ الكساد الكبير. وأصابته إشعارات الرهن ملايين آخرين. لكن في منطقة الـ ١٥٠٠ ميل مربع جنوب سان فرانسيسكو والتي شكلت حدود وادي السيليكون، استُثِرت أرواح الحيوانات<sup>(١)</sup> مجدداً.

كان فندق فخم جديد في ساند هيل رود يدعى روزوود ممتلئاً دوماً، على الرغم من أجور الغرف التي بلغت ألف دولار ليلة الواحدة. وبأشجار نخيله المستوردة وقربه من حرم جامعة ستانفورد، سرعان ما أصبح بسرعة موئل الرأسماليين المغامرين، ومؤسسي الشركات الناشئة، ومستثمري الخارج الذين قصدوا أسراباً مطعمه وبارّه القريب من المسبح لمناقشة الصفقات ولكي يتيحوا للآخرين رؤيتهم. واصطفت سيارات البيتلي، المازيراتي، والماكلارين في باحة موقف السيارات المرصوفة بالحجارة.

(١) «أرواح الحيوانات»، مصطلح استعمله الاقتصادي البريطاني الشهير جون مينارد كينز في وصفه كيف يصل الناس إلى قرارات مالية، بما في ذلك بيع وشراء السندات المالية في أوقات الركود الاقتصادي. (م)

وبينما تعلق بقية البلاد جروحها جراء الأزمة المالية المدمرة، كانت طفرة تكنولوجية جديدة تشق طريقها، ضخمت فيها العزم عدة عوامل، أحدها النجاح الخارق لفيسبوك. ففي حزيران ٢٠١٠، ارتفعت القيمة الصافية الخاصة المقدّرة للشبكة الاجتماعية إلى ٥٠ مليار دولار أمريكي. وأراد كل مؤسس شركة ناشئة في وادي السيليكون أن يصبح مارك زوكربيرغ التالي ورغب كل رأسمالي مغامر بمقعد في السفينة الصاروخية التالية إلى الغنى. ومما زاد الحماس ظهور تويتر، والتي بلغت قيمتها المقدّرة مليار دولار أمريكي في أواخر عام ٢٠٠٩.

في هذه الأثناء، بدأت أجهزة آيفون والأجهزة الذكية العاملة على نظام تشغيل غوغل / أندرويد نقلتها إلى حوسبة أجهزة الخليوي. في حين أصبحت شبكات الخليوي أسرع وأكثر قدرة على معالجة كميات أكبر من البيانات، كما أن ألعاب الخليوي الشائعة على نطاق واسع مثل لعبة Angry birds / الطيور الغاضبة، والتي دفع مستخدمو أجهزة الآيفون دولاراً عن كل مرة تحميل لها، زرع فكرة أن بإمكانك تأسيس عمل تجاري من تطبيق هاتف ذكي. وفي ربيع ٢٠١٠، قامت شركة مغمورة تدعى أوبر بإطلاق برنامج تجريبي لسيارات الأجرة السوداء العاملة في سان فرانسيسكو.

لكن، ربما لم يكن كل ذلك كافياً لإزكاء الطفرة الجديدة، من دون عامل مفتاحي آخر: معدلات الفائدة التي وصلت إلى الحضيض. ولإنقاذ الاقتصاد، خفّض الاحتياطي الفيدرالي

المعدلات إلى ما يقارب الصفر، مما جعل الاستثمارات التقليدية مثل السندات المالية غير مرغوبة ودفع المستثمرين إلى البحث عن عوائد أعلى في مكان آخر. كان واحداً من الأمكنة التي لجؤوا إليها هو وادي السيليكون.

فجأة، حجّ مدراء المحافظ الوقائية في الساحل الشرقي والذين استثمروا فقط في الأسهم المتداولة تجارياً بشكل عام إلى الغرب بحثاً عن فرص واعدة جديدة في عالم الشركات الناشئة. انضم إليهم مدراء تنفيذيون من شركات عريقة تسعى إلى استخدام ابتكارات وادي السيليكون لتعيد الحياة إلى أعمال أنهلكها الركود. من تلك المجموعة الأخيرة رجل يبلغ خمسة وستين عاماً من فيلادلفيا حياً الناس برفع اليد بأسلوب (الهائي فايف) بدلاً من المصافحات وعُرفَ باسم «د.ج.»

كان اسم د.ج الحقيقي جاي روزان وكان طبيباً في الواقع، على الرغم من إمضائه معظم حياته المهنية يعمل لصالح الشركات الكبيرة. وكان عضواً في فريق الابتكار لدى وولغرينز، والذي تولى مهمة التعرف على أفكار وتكنولوجيات جديدة يمكنها أن تنعش نمو سلسلة المتاجر الدوائية التي بلغ عمرها ١٠٩ سنوات. عمل د.ج من مكتب في إحدى ضواحي فيلادلفيا تدعى كونشو هوكن ورثتها وولغرينز من حيازتها عام ٢٠٠٧ لشركة نظم الرعاية الصحية، وهي مشغّل في العيادات داخل المتاجر حيث كان موظفاً سابقاً.



في كانون الثاني عام ٢٠١٠، خاطبت ثيرانوس وولغرينز برسالة إلكترونية تقول فيها إنها طورت أجهزة صغيرة قادرة على إجراء أي تحليل دموي من قطرات قليلة من الدم المسحوب من وخزة إصبع في وقت قصير وبكلفة أقل من نصف الكلفة التقليدية للمختبرات. بعد ذلك بشهرين، سافرت إليزابيت وسوني إلى مقر وولغرينز الرئيسي في ضاحية من ضواحي شيكاغو تدعى ديرفيلد، إيلينوي، وأقامت عرضاً تقديمياً أمام مجموعة من المدراء التنفيذيين في وولغرينز. سافر د. ج من بنسلفانيا بالطائرة لحضور الاجتماع، أدرك مباشرة الإمكانيات المحتملة في تكنولوجيا ثيرانوس، إذ يمكن أن يفتح إدخال آلات الشركة الناشئة إلى متاجر وولغرينز مصدر دخل كبير وجديد للبيع بالتجزئة ويكون الحدث الذي يغير شروط اللعبة والذي كان يبحث عنه، كما اعتقد.

لم يكن عرض العمل وحده ما جذب د. ج، كان مهووساً بالجانب الصحي ويراقب حميته، ونادراً ما يشرب الكحول، كما كان ملتزماً بالسباحة يومياً، شغف أيضاً بتمكين الناس من الحصول على حياة صحية أكثر. شعر برابط يشده إلى الصورة التي رسمتها إليزابيت في الاجتماع حول تخفيف آلام التحاليل الدموية وتوفيرها بشكل سريع وواسع بحيث تكون نظام تحذير مبكر ضد المرض. وفي ذلك المساء، بالكاد استطاع السيطرة على حماسه على العشاء في حانة للنبيذ مع زميلين من وولغرينز لم يحجب عنهما أمر النقاش السري مع ثيرانوس. وبعد أن طلب منهما أن يبقيا ما سيقوله طي الكتمان، كشف في نبذة هامسة أنه وجد شركة اقنع أنها ستغير وجه الصناعة الصيدلانية.

«تخيلاً كشف سرطان الثدي قبل الماموغرام»، قال لزميليه المسحورين، ثم صمت لتعميق أثر ما قاله.

قبل الساعة الثامنة صباحاً بدقائق في ٢٤ آب، ٢٠١٠، توقفت مجموعة من السيارات المستأجرة أمام ٣٢٠٠ جادة هيلفيو في بالو آلتو. نزل من إحداها رجل مربع القامة بنظارات ذو دما مل تغطي أنفه العريض، اسمه كيفن هنتر، ويترأس شركة استشارية صغيرة للمخابر تدعى كولابوريت. كان عضواً في فريق المفاوضات الخاص بولغرينز والذي قاده د. ج، وقد سافر الفريق بالطائرة إلى كاليفورنيا لعقد اجتماع مدته يومان مع ثيرانوس. استأجرت سلسلة المتاجر الدوائية خدماته منذ أسبوعين للمساعدة في تقييم وتأسيس الشراكة التي فاوضت لأجلها مع الشركة الناشئة.

امتلك هنتر ميلاً خاصاً تجاه المجال الذي تعمل فيه وولغرينز: كان كلٌّ من والده، وجدته، ووالد جده صيادلة. وفي نشأته، كان يمضي الصيف يساعد والده بتجهيز المنضدة وترتيب الأدوية على رفوف الصيدليات التي امتلكها في القواعد الجوية في نيويورك، وتكساس، ونيو مكسيكو. على الرغم من إلمامه بتلك بالتاجر الدوائية، تركزت خبرة هنتر الرئيسية في المخابر السريرية. وبعد حصوله على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة فلوريدا، أمضى السنوات الثماني الأولى من مهنته يعمل في شركة كويست دياغنوستيكس، الشركة العملاقة التي تقدم الخدمات المخبرية. وأنشأ إثر ذلك كولابوريت، التي اهتمت بنصح الزبائن الذين يُرحّلون من المشافي إلى شركات العيادات الخاصة بسبب المشاكل المخبرية.

كان أول ما لاحظته هنتر حين أغلق باب سيارته المستأجرة ومشى باتجاه مدخل مكتب ثيرانوس سيارة لامبورغيني سوداء لماعة مركونة بجانب المدخل تماماً. وفكر، يبدو أن أحدهم يحاول إثارة إعجابنا.

رحبت إليزابيت وسوني به وببقية فريق وولغرينز من أعلى السلم وأدخلاهم إلى غرفة الاجتماعات الزجاجة بين مكتيههما. انضم اليهما هناك دانييل يونغ، الذي خلف سيث مايكلسون كرئيس فريق ثيرانوس للرياضيات الحيوية. من جانب وولغرينز، بالإضافة إلى هنتر ود. ج، حضر معها في الرحلة ثلاثة آخرون: مدير تنفيذي بلجيكي يدعى رينات فان دين هوف، ومدير مالي يدعى دان دويل، وجيم ساندبرغ، الذي عمل مع هنتر في كولا بوريت.

حيّاه د. ج إليزابيت وسوني بطريقة (الهائي فايغ)، ومن ثم جلس وبدأ الاجتماع بالسطر نفسه الذي طالما استخدمه ليقدم نفسه، «هاي، أنا د. ج وكنت أَلعب كرة السلة.» سمعه هنتر يقول هذه الجملة لأكثر من عشر مرات في الأسابيع القليلة التي عملا فيها معاً ولم يعد يبدو ظريفاً حين يقولها، لكن بالنسبة إلى د. ج كانت مزحة لم يُلح أنها ستشيخ. وأثارت بضعة ضحكات غريبة.

«منشدٌ جداً لقيامنا بهذا.» قال د. ج بحماس. مشيراً إلى مشروع تجريبي اتفقت عليه الشركتان. تضمن وضع قارئات ثيرانوس في ثلاثين من تسعين من متاجر وولغرينز في وقت لا يتجاوز أواسط ٢٠١١. وسيتمكن زبائن المتاجر من إجراء تحاليلهم الدموية بعينة

دموية تسحب من وخزة إصبع ويتلقون النتائج خلال أقل من ساعة. جرى توقيع عقد مبدئي، التزمت وفقه وولغرينز بشراء ما تبلغ قيمته ٥٠ مليون دولار أمريكي من خراطيش ثيرانوس وإقراض الشركة الناشئة ٢٥ مليون دولار أمريكي إضافية. وإذا سار كل شيء على ما يرام مع المشروع التجريبي، ستوسع المؤسسات شراكتهما على مستوى البلاد.

لم يكن من المعتاد لـ وولغرينز أن تتحرك بهذه السرعة. إذ كانت تدرس الفرص التي يتعرف عليها الفريق الإبداعي في لجان داخلية وتسير في السبل البيروقراطية لعملاق سلسلة البيع بالتجزئة. تدبر د. ج. أمر تسريع سير هذه الفرصة بوصولها مباشرة إلى وايد ميكيلون، مدير القسم المالي في وولغرينز، وجعله يدعم المشروع. كان على ميكيلون أن يسافر بالطائرة في ذلك المساء وينضم إليهم في جلسة اليوم التالي.

بعد مرور ما يقارب نصف ساعة من النقاش المتمركز حول المشروع التجريبي سأل هنتر عن مكان الحمام. تشنجت إليزابيت وسوني بشكل واضح. كان للأمن أهمية كبرى كما قالوا، ومن الضروري مرافقة أي شخص يغادر غرفة الاجتماعات. رافق سوني هنتر إلى الحمام، وانتظره خارج بابه، ومن ثم مشى معه عائدين إلى غرفة الاجتماعات. بدا ذلك لهنتر إجراء غير ضروري ومثيراً للريبة لدرجة غريبة.

في طريقه عائداً من الحمام، مسح المكتب بنظره ليرى ان كان

ثمة مختبر لكن لم ير شيئاً يشبه المختبر. أخبروه أن السبب يعود إلى أنه في الطابق السفلي. قال هنتر إنه يأمل رؤيته في وقت ما خلال الزيارة، الأمر الذي ردت عليه إليزابيت بقولها، «حسن، إن أسعفنا الوقت.»

أخبرت ثيرانوس وولغرينز أن لديها مختبراً تجارياً جاهزاً زوّدته بـ ١٩٢ تحليل دم مختلف قالت إن أجهزتها المسجلة تستطيع إجراءها. في الواقع، على الرغم من وجود مختبر في الطابق السفلي، كان مختبراً للبحوث والتطوير حيث أجرى غاري فرينزل وفريق الكيمياء الحيوية العاملون فيه أبحاثهم. علاوة على ذلك، لم يُقيّض لهم إجراء نصف التحاليل الموجودة على اللائحة مثل التحاليل المناعية بالضيائية الكيميائية، وتقنية التحليل التي اعتمد عليها نظام إديسون. فقد تطلبت تلك التحاليل طرق تحليل أخرى تتجاوز إمكانية إديسون.

استؤنف الاجتماع واستمر حتى منتصف الظهيرة، الوقت الذي اقترحت فيه إليزابيت أن يتناولوا وجبة عشاء مبكر في البلدة. فيما نهضوا من مقاعدهم، سأل هنتر مجدداً هل بإمكانه أن يرى المختبر. نظرت إليزابيت على كتف د. ج وأشارت إليه أن يتبعها إلى خارج غرفة الاجتماعات. عاد بعد دقائق وأخبر هنتر أن ذلك لن يحدث. لم تكن إليزابيت عازمة على السماح لهم برؤية المختبر بعد، كما قال. بدلاً من ذلك، عرض سوني على فريق وولغرينز رؤية مكتبه. كان هناك كيس نوم على الأرض خلف مكتبه، ودوش في حمامه، كما احتفظ ببعض الملابس ليتمكن من استبدال ما يرتديه.

إذ عمل لساعات طويلة بحيث نام في المكتب في ليال كثيرة، كما أخبر الزوار بفخر.

وأثناء خروجهم للطعام، طلبت إيزابيت وسوني أن يغادروا ضمن فواصل متناوبة. لم يرغب أن يصل الجميع إلى المطعم في الوقت نفسه فقد يلفت ذلك الانتباه ولم يرغب بهذه المخاطرة. كما طلبا من هنتر وزملائه ألا يستخدموا أسماءهم. وحين وصل هنتر إلى المطعم، وهو مطعم سوشي صغير في إيل كامينوريل يدعى فوكي سوشي، أُدخل إلى غرفة خاصة في مؤخرة المطعم ذات أبواب جراحة حيث كانت إيزابيت تنتظر.

لم تعجب الإجراءات المسرحية التي تشبه قصص الجاسوسية هنتر ورآها سخيفة. كانت الساعة الرابعة ظهراً وكان المطعم خالياً. لم يكن هناك مَنْ يخفون حضورهم عنه. وماذا بعد، إن كان ثمة شيء يلفت الانتباه، فهو سيارة سوني اللامبورغيني في موقف السيارات.

بدأت الشكوك تساور هنتر. كانت إيزابيت قد مضت بعيداً بمحاكاة ستيف جوبز، ببلوزة العنق السوداء التي ترتديها دوماً، صوتها العميق، وشراب الكرنب الأخضر الذي ترتشفه طوال اليوم، لكن دون أن يبدو أنها تملك فهماً حقيقياً لما يميز الأنواع المختلفة من التحاليل الدموية. كما فشلت ثيرانوس في الاستجابة لطلبين رئيسيين له: السماح له برؤية المختبر وأن تجري اختبار فيتامين D بشكل حي أمام فريقه على جهازها. اقتضت خطة هنتر

أن تجري ثيرانوس هذا الاختبار على عينات دموية له ولد د. ج، ومن ثم يعيدان إجراء الاختبار في مشفى ستانفورد في ذلك المساء وبعد ذلك تأتي مقارنة النتائج. حتى إنه رتب وجود اختصاصي في علم الأمراض في المشفى ليكتب أمر التحليل ويسحب منه العينة الدموية. لكن إليزابيت ادعت أنهم أعطوها وقتاً قصيراً جداً لتلبي طلبهم على الرغم من أنه قدم الطلب منذ اسبوعين.

كان ثمة شيء آخر أزعج هنتر: موقف سوني، الذي تصرف باستعلاء وعجرفة معاً. فحين طرح فريق وولغرينز استدعاء قسم المعلوماتية الخاص بهم للمشاركة في تحضيرات المشروع التجريبي، استبعد سوني الفكرة تماماً بقوله «خبراء المعلوماتية مثل المحامين، تجنبهم قدر الإمكان.» بدت مقارنة كهذه لهنتر كوصفة لتحضير المشاكل.

لكن لم يبدو أن د. ج يشاركه الشكوك. بدا مسحوراً بهالة إليزابيت ومستمتعاً بمشهد وادي السيليكون. الذي ذكر هنتر بمجموعة سافرت عبر البلاد لتحضر حفلة لفريقه المفضل.

حين عادوا إلى مكتب ثيرانوس في الصباح التالي، انضم إليهم وايد ميكيلون، مدير القسم المالي في وولغرينز. فاوض ميكيلون بخصوص عقد المشروع التجريبي مباشرة مع إليزابيت. بدا أيضاً معجباً كبيراً بها. بعد انقضاء منتصف النهار أثناء عقد ذلك الاجتماع، قامت إليزابيت باستعراض كبير بمنح ميكيلون علماً أمريكياً قالت إنه طار فوق ساحة معركة في أفغانستان. وقد كُتب عليه إهداء إلى وولغرينز.

ظن هنتر أن الأمر برمته غريب. جلبته وولغرينز إلى هنا ليتحقق من تكنولوجيا ثيرانوس، لكن لم يُسَمَح له بفعل هذا. الشيء الوحيد الذي كان لديهم ليعرضوه لزوارهم هو علم موقع. كما لم يُبَدِّد ج أو ميكيلون ممانعة للأمر. فيما يتعلق بهما، سارت الزيارة بسلاسة.

بعد ذلك بشهر، في أيلول ٢٠١٠، التقت مجموعة من المديرين التنفيذيين في وولغرينز إليزابيت وسوني في غرفة اجتماعات في مقر ديرفيلد الخاص بسلسلة المتاجر. كان المزاج احتفالياً. طافت بالونات حمراء تحمل شعار وولغرينز فوق طاولة حفلت بها لذ وطاب. كان د. ج وميكيلون يكشفان عن «المشروع بيتا»، الاسم الشيفرة لمشروع ثيرانوس التجريبي، أمام المدراء التنفيذيين الكبار في وولغرينز.

وأمام لوحة شرائح بعنوان «اختراق عالم المخابر» معروضة على شاشة كبيرة، وقف أحد مديري وولغرينز التنفيذيين بينما يستمعون إلى أغنية «Imagine / تخيل». فلاحفال بالتحالف، ابتكر فريق (الابتكارات) فكرة اعتماد كلمات أغنية جون لينون واستخدامها كنشيد للشراكة. وحين انتهى عرض الكارايوكي الغريب، شجعت إليزابيت وسوني مديري وولغرينز التنفيذيين على إجراء تحاليل دموية. جلبا معها أجهزة سوداء وبيضاء إلى الاجتماع. اصطف مديرو وولغرينز التنفيذيون كي يخزوا أصابعهم خلف كيرميت كروفورد، رئيس سلسلة الصيدليات، وكولين واتس، رئيس فريق الابتكارات.



لم يشارك هنتر في الاجتماع ، وهو الذي يعمل الآن في وولغرينز بدوام كامل كمستشار في مقرّ فريق الابتكارات. لكن حين سمع أن العديد من مدراء وولغرينز التنفيذيين أجروا تحاليل دموية، رأى أن هذه كانت فرصة جيدة ليطلع أخيراً على أداء التكنولوجيا الخاصة بثيرانوس. قال في سره إنه سيتابع مع إлизаبيت نتائج التحاليل في المرة المقبلة التي سوف يتحدث معها. في تقرير أعده بعد زيارة بالو ألتو، حذر هنتر من أن ثيرانوس قد تكون «تبالغ في بيع أو تبالغ في الحديث عن... المرحلة التي وصلت إليها الأجهزة/ الخراطيش علمياً.» كما أوصى أن تدخل وولغرينز شخصاً في ثيرانوس أثناء إطلاق المشروع التجريبي وطوّع للمهمة إحدى زميلاته في شركة كولابوريت، سيدة بريطانية صغيرة القدر تدعى جون سمارت أنهت لتوها عقداً في إدارة مخابر ستانفورد. لكن ثيرانوس رفضت الفكرة.

سأل هنتر عن نتائج التحاليل الدموية بعد ذلك بأيام قليلة في الاجتماع عبر الفيديو الأسبوعي الذي استخدمته الشركتان كنموذج رئيسي للتواصل. أجابت إлизаبيت أن بإمكان ثيرانوس منح النتائج إلى طبيب فقط. شارك د. ج في المؤتمر باتصال من كونشو هوكن، وذكر الجميع أنه كان طبيباً أنهى مرانته، فلماذا لم تتفضل ثيرانوس وترسل النتائج إليه؟ اتفقوا على أن سوني سيتابع الأمر معه بشكل منفصل.

مرّ شهر ولم تصل النتائج بعد.

بدأ صبر هنتر ينفذ. وخلال اجتماع ذلك الأسبوع، ناقش الجانبان تغييراً مفاجئاً أجرته ثيرانوس في استراتيجيتها التنظيمية. وأعلنت بداية أنها ستعفي نفسها من تقديم تحاليلها الدموية تحت تعديلات تحسين المخابر السريرية (CLIA)، القانون الفدرالي العائد لعام ١٩٨٨ الذي نظم شؤون المخابر. وقد تضمنت التحاليل ذات الاستثناء في CLIA عادة إجراءات مخبرية بسيطة سمحت بها إدارة الغذاء والدواء (FDA) للاستعمال ضمن المختبر.

الآن، كانت ثيرانوس تغير نغمتها وتقول إن التحاليل التي ستقدمها في متاجر وولغرينز هي «تحاليل مُطَوَّرَة في المختبر». وشكّل هذا اختلافاً كبيراً: تقع التحاليل المطوّرة في المختبر في منطقة رمادية بين FDA وناظم صحي فدرالي آخر، مراكز خدمات الرعاية الطبية والمساعدة الطبية. فقد أشرفت CMS، وهو الاختصار الذي تعرّف به الوكالة الأخيرة، على المخابر السريرية العاملة تحت CLIA، بينما نظمت FDA أمور التجهيزات التشخيصية التي اشترتها المخابر واستخدمتها في تحاليلها. لكن لم ينظم أحد بدقة التحاليل التي ابتكرتها المخابر بطرائقها الخاصة. أجرى إлизаبيت وسوني محاورة عنيفة مع هنتر حول أهمية هذا التغيير. أصرا على أن جميع الشركات المخبرية الكبيرة تستخدم في الغالب تحاليل مطوّرة ضمن المختبر. الأمر الذي علم هنتر أنه غير صحيح.

بالنسبة إلى هنتر، زاد التغيير من أهمية التحقق من دقة تحاليل ثيرانوس. اقترح إجراء دراسة على خمسين مريضاً يقارنون فيها نتائج ثيرانوس مع نتائج مشفى ستانفورد. كان قد عمل مع

ستانفورد وعرف أناساً هناك؛ وسيكون أمراً سهلاً تدبره. وعلى شاشة الكمبيوتر، لاحظ هنتر تغيراً مفاجئاً في لغة جسد إлизаبيت. أصبحت دفاعية ومتحفظة بشكل ملحوظ.

وقالت، «لا، لا أظن أننا نرغب في فعل هذا الآن»، وقد غيّرت الموضوع مباشرة إلى بنود أخرى على أجندة الاجتماع.

حين أقفلوا الخط. أخذ هنتر رينات جانباً وأخبره أن ثمة شيئاً ما ليس على ما يرام. وإشارات الخطر قد تراكمت. أولاً، منعتة إлизаبيت من دخول المختبر. ثم رفضت اقتراحه بادخال شخص معهم في بالو آلتو. والآن ترفض إجراء دراسة مقارنة بسيطة. والأهم من ذلك كله، سحبت ثيرانوس الدم من رئيس سلسلة صيدليات وولغرينز، أحد أهم مدراء الشركة الكبار، وفشلت في منحه نتيجة تحليل!

استمع رينات ونظرة ألم تعلو وجهه.

قال، «لا نستطيع ألا أن نتابع الأمر، لا نستطيع المخاطرة بأن تعقد CVS صفقة معهم في ستة أشهر ثم ينتهي الأمر بكونه حقيقة.»

كانت CVS منافسة وولغرينز الأولى، وكان مقرها رود آيلند وتمتلك عائدات أكبر من نظيرتها بقيمة الثلث، طبعت هذه المنافسة بصبغتها عملياً كل ما فعلته سلسلة المتاجر الدوائية. كانت نظرة قاصرة للعالم من الصعب على شخص من الخارج مثل هنتر والذي لم يكن رجل شركة وولغرينز أن يفهمها. لعبت ثيرانوس

بذكاء على محور القلق هذا. بالنتيجة، عانت وولغرينز من حالة حادة من الخوف من أن تفوتها تلك الصفقة.

ناشد هنتر رينات أن يسمح له على الأقل بإلقاء نظرة على القارئ الأسود والأبيض الذي تركته ثيرانوس معهم بعد حفلة انطلاق المشروع بيتا. تاق لتمزيق خطوط أشرطة الأمان عن علبة الجهاز وفتحها. أرسلت ثيرانوس إليهم بضعة معدات تحليل أيضاً، لكن كانت لتحاليل دموية مغمورة مثل لوح لـ «القابلية للإصابة بالزكام» لم يقدمها أي مختبر آخر عرفه. بالتالي استحالت مقارنة نتائجه مع أي شيء. يا لها من صدفة، كما قال هنتر ملاحظاً. علاوة على ذلك، كانت مدة صلاحية المعدات قد انتهت.

رفض رينات. بالإضافة إلى توقيعه على عقود سرية، وُجّه تحذير صارم إليهم بألا يعبثوا بالقارئ. وتضمن العقد الذي وقعته الشركتان أن وولغرينز توافق على «عدم تفكيك الأجهزة أو سوى ذلك من تغيير تصميمها أو أي من مكوناتها».

وفي محاولته السيطرة على إحباطه، قدم هنتر طلباً أخيراً. لطالما أثارت ثيرانوس مسألتين على أنهما دليلٌ مصداقية التكنولوجيا الخاصة بها. كانت الأولى العمل التجريبي السريري الذي أجرته مع الشركات الصيدلانية. فقد أقرت الوثائق التي قدمتها إلى وولغرينز أن نظام ثيرانوس «ثبتت مصداقيته بشكل شامل على مدى السنوات السبع من قِبَل أكبر خمس عشرة شركة صيدلانية». كانت الثانية مراجعة للتكنولوجيا الخاصة بها من المفترض أن د. ج. طلبها من كلية الطب في جامعة جون هوبكنز.

أجرى هنتر مكالمات مع شركات صيدلانية ولم يتمكن من التحدث مع مَنْ يؤكد ما ادّعته ثيرانوس، رغم من أن هذا لا يعتبر دليلاً على أي شيء. طلب من رينات الآن أن يُطلعه على مراجعة جامعة جون هوبكنز. وبعد شيء من التردد، سلمه رينات وثيقة من صفحتين.

حين انتهى هنتر من قراءتها، كاد يضحك. كانت رسالة تعود إلى ٢٧ نيسان من عام ٢٠١٠، تلخص اجتماعاً عقدته إيزابيت وسوني مع د. ج وخمسة ممثلين من الجامعة في حرم جامعة هوبكنز في بالتيمور. وأقرت الوثيقة أنها عرضاً على فريق هوبكنز «البيانات المسجلة عن أداء التحاليل» وأن هوبكنز اعتبرت التكنولوجيا «جديدة ومنطقية». لكنها أيضاً أوضحت أن الجامعة لم تجر أية أبحاث مصادقة مستقلة بنفسها. وفي حقيقة الأمر، تضمنت الرسالة براءة ذمة في أسفل الصفحة الثانية: «لا تدل المواد المقدمة هنا بأي شكل من الأشكال على تبني كلية الطب في جون هوبكنز لأي منتج أو خدمة.»

أخبر هنتر رينات أن الرسالة لا معنى لها. بالحكم على تعابير البلجيكي، شعر بأنه بدأ يقتنع معه. بدت ثقة رينات مهتزة. علم هنتر أن دان دويل، المدير التنفيذي المسؤول عن الشؤون المالية لفريق الابتكارات، يشاطره بعض شكوكه. وإذا تمكن من تغيير رأي رينات ليوافق على وجهة نظره، فقد يتمكن ثلاثتهم من إقناع د. ج ووايد ميكيلون برؤية النور والحوّل دون وقوع كارثة محتملة.

لم تكن وولغرينز الشريك الكبير من حقل التجارة بالتجزئة الوحيد الذي غارلته ثيرانوس. فخلال هذه الفترة، بدأ موظفو ثيرانوس بملاحظة زيارات إلى مكتب جادة هيلفيو من رجل مسنّ ذي مظهر جدّي يرتدي نظارات بلا حواف وبدلة وربطة عنق. كان ستيف بيرد، الرئيس التنفيذي لـ سيفواي Safeway .

كان بيرد مدير الدفة في سيفواي، واحدة من أكبر سلاسل السوبرماركت في البلاد لسبع عشرة سنة. وخلال مسيرته، أوصل تركيزه الملتزم على جميع الجوانب الرئيسية في مجال البقالة، الذي جلب له الاستحسان في وول ستريت خلال عقده الأول كرئيس تنفيذي، إلى اهتمام شديد في مجال الرعاية الصحية.

بدأ اهتمامه بالأمر بعد إدراكه أن تكاليف سيفواي الطبية المتصاعدة ستهدد بإفلاس الشركة في يوم ما إن لم يقيم بكبحها. كان لديه برامج صحية وقائية ورعاية مبتكرة ورائدة لموظفيه وأصبح مدافعاً عن التأمين الصحي العالمي، ما جعله واحداً من أندر المدراء التنفيذيين الجمهوريين الذين تبنوا العديد من مبادئ الرعاية الصحية في عهد الرئيس أوباما. ومثل د. ج، كان جاداً بخصوص صحته. وكان يتمرن على آلة مشي في الخامسة صباحاً كل يوم ورفع الأوزان في المساءات بعد العشاء.

تلبيةً لدعوة بيرد، جاءت إليزابيت في أحد الأيام إلى مقر سلسلة السوبرماركت في بليزانتون، في الجهة الأخرى من خليج سان فرانسيسكو، لتُجري عرضاً تقديمياً. وبينما استمع الرئيس

التنفيذي ومجموعة من أهم مدرائه التنفيذيين بحماس، وصفت كيف قادها رهاها من الإبر لتطوير تكنولوجيا رائدة لم تجعل من التحاليل الدموية الأنسب وحسب، بل الأسرع والأرخص. وكانت قد أحضرت معها واحداً من أجهزتها البيضاء والسوداء لتشرح آلية عملها.

كان للعرض التقديمي أثر كبير على لاري ريندا، نائبة رئيس سيفواي التنفيذي. كان زوج ريندا يصارع مرض سرطان الرئة. وكان عليه فحص دمه بشكل متكرر بحيث يتمكن الأطباء من تعديل نظامه الدوائي. وكانت كل عملية سحب دم بمثابة التعذيب لأنها تتلف أورده. سيقوم نظام ثيرانوس بوخز الإصبع وسحب الدم منه هدية من الله له، كما فكرت.

ريندا، التي بدأت في سيفواي منذ السادسة عشرة كمعبئة أكياس بدوام جزئي شقت طريقها صعوداً في سلم الشركة لتصبح واحدة من أكثر مدراء بيرد التنفيذيين جدارة بالثقة، استطاعت رؤية مدى تأثير رئيسها في العمل أيضاً، فقد اقترن عرض ثيرانوس بشكل مثالي مع فلسفته الصحية وقدم طريقة لتحسين عائدات سلسلة السوبرماركت التي تمر في فترة كساد وهوامش ربح رقيقة كالشفرة.

بعد وقت قصير، وقعت سيفواي أيضاً صفقة مع ثيرانوس. وبحسب الاتفاق، أقرضت الشركة الناشئة ٣٠ مليون دولار أمريكي وتعهدت بإجراء تجديد هائل في متاجرها بحيث تفسح

مساحة لعيادات جديدة أنيقة حيث يقوم الزبائن بإجراء تحليل دم باستخدام أجهزة ثيرانوس.

كانت فرحة بيرد لا تحدها حدود بالشراكة الجديدة. ورأى أن إيزابيت وصلت العبقرية المبكرة فعاملها باحترام نادر. كان يكره مغادرة مكتبه إلا إذا كان هناك أمر ضروري جداً، لكنه فعل شيئاً استثنائياً لأجلها، بقيادة سيارته عبر الخليج بشكل متكرر إلى بالو آلتو. في إحدى المناسبات، وصل يحمل زهرة أوركيد بيضاء ضخمة. وفي مناسبة أخرى، أحضر لها نموذجاً لطيارة خاصة. وتوقع، أن التالية، ستكون حقيقية. علم بيرد بمباحثات ثيرانوس الموازية مع وولغرينز. أخبرته إيزابيت أن شركته ستكون الوكيل الحصري لتحليل دم ثيرانوس في مجال محلات السوبرماركت، بينما ستمنح وولغرينز الوكالة الحصرية في مجال المتاجر الدوائية. لم تكن أي من الشركتين سعيدة بهذا الإجراء، لكن رأى كلاهما بنفس الدرجة أنه من الأفضل لهم ألا تفوتهم فرصة هائلة كهذه في عالم الأعمال.

وفي شيكاغو، باءت بالفشل كل محاولات هنتر لدفع رينات للتعامل مع شكوكه بجديّة في أواسط كانون الأول ٢٠١٠ حين أعلم رينات زملاءه أنه سيغادر في نهاية العام. فقد تلقى عرضاً للعمل كرئيس تنفيذي لشركة في نيو جيرسي تصنع مؤشرات الحرارة للشركات الصيدلانية. كانت فرصة مهنية لا تفوّت.

عينت وولغرينز بديلاً من داخل الشركة، مديرة تنفيذية تدعى



تريش ليبينسكي وتمتلك بعض المعرفة بعالم المخابر، عملت قبل مجيئها إلى وولغرينز في كلية اختصاصيي علم الأمراض الأمريكيين، المؤسسة الطبية التي تمثل علماء المخابر. لم يضيع هنتر وقتاً ليخبرها ما شعر به إزاء مشروع ثيرانوس. قال لها، «عليّ أن أوقف هذا لأنه ذات يوم سيتلقى شخص ما ضربة موجعة بسببه.»

أيضاً تحدث بشكوكه مباشرة مع د. ج، لكن لم يكن ثمة نفع يذكر من ذلك. كان د. ج مدافعاً متحمساً عن ثيرانوس. بل اعتقد أن وولغرينز تمشي ببطء شديد. وبعد أن سمع بنموذج الطائرة التي منحها ستيف بيرد لإليزابيت، تدمر بمرارة إلى تريش بضرورة أن تُبدي وولغرينز لإليزابيت مزيداً من الحب. ولدهشة هنتر، توقف حتى عن سؤال إليزابيت وسوني عن نتائج التحاليل في حفلة الإقلاع بالشراكة. كان استعداداه للسماح لثيرانوس بالتملص من إصدار هذه النتائج شديد الوضوح.

وجد د. ج في وايد ميكيلون حليفاً قوياً. ميكيلون المتأنق الحاذق الذي يهوى البدلات غالية الثمن والنظارات مبتكرة التصميم، كان وايد اجتماعياً ومحبوباً في وولغرينز. لكن، بدأ كثير من زملائه بالتساؤل عن صوابية حكمه بعد قصة نشرت في شيكاغو تريبيون تكشف عن إلقاء القبض عليه لقيادة السيارة تحت تأثير الكحول وحدث الأمر للمرة الثانية خلال فترة لا تتجاوز السنة بكثير. ولم يكن يسمح له بأن يكون خلف مقود السائق إطلاقاً: كانت رخصة قيادة السيارة الخاصة به لا تزال معلقة بسبب الاعتقال. ولتزداد الأمور سوءاً، رفض أخذ فحص

نسبة الكحول عن طريق النفس كما فشل في اختبارات الصحو في مكان المخالفة. ونتيجة الحادثة نال لقباً جديداً في أروقة مقرات وولغرينز: ميكيلوب<sup>(١)</sup>.

لم توح قيادة ويد لسيارته تحت تأثير الكحول وتهليل د. ج الأعمى لثيرانوس بالثقة أن مشروع بيتا كان في أيد أمينة. لكن ذلك كان خارج اختصاص هنتر، الذي ركز على ما يستطيع السيطرة عليه، أي الاستمرار في تقديم أسئلة صعبة في لقاء الفيديو الأسبوعي إلى أن أخبرته تريش في يوم من بدايات ٢٠١١ أن إليزابيت وسوني لم يعودا راغبين بحضوره الاجتماعات أو مشاركته في الاتصالات بين الشركتين. لقد شعرا بأنه كان يخلق الكثير من التوتر وذلك ما يعرقل إنجاز العمل، كما قالت. لم يكن لدى وولغرينز خيار سوى الانصياع وإلا ستغادر ثيرانوس، كما أضافت.

حاول هنتر إقناعها برفض الطلب. لماذا تدفع وولغرينز لشركته ٢٥٠٠٠ دولار شهرياً لرعاية مصالحها العليا إذا كانت ستبقيه بعيداً وتصعب عليه عمله؟ لم يكن ذلك منطقياً. تجاهلت الشركة اعتراضاته بتهذيب وسارت الأمور بحسب رغبة إليزابيت وسوني. تابع هنتر العمل مع فريق الابتكارات ومنح المشورة حين يُطلب منه ذلك، لكن عزله عن الاجتماعات والاتصالات التالية همّش من دوره وحدّ من تأثيره.

(١) نوع من البيرة الأميركية عالية الكحول. (م)

في هذه الأثناء، مضت وولغرينز قدماً في المشروع. وكجزء من الاستعدادات التجريبية، انضم هنتر إلى فريق الابتكارات في رحلة ميدانية إلى مستودع ما في ميدان صناعي بعد حرم ديرفيلد بأميال قليلة. وفي داخله، بنت الشركة نموذجاً ماثلاً بكل المواصفات لأحد من متاجرها. كان يمثل مختبر تحليل دم، برفوف صممت خصيصاً لتلاءم مع أبعاد قارئات ثيرانوس البيضاء والسوداء.

حين شاهد المتجرّ- النموذج ومخابره الصغيرة أدرك هنتر مدى جدية الأمر. وقريباً، سيأتي مرضى حقيقيون لتسحب منهم عينات دموية وتحلّل في واحدة من هذه، ففكر بشيء من عدم الارتياح.

(٨)

## المختبر المصغّر • ميني لاب

مع دعم وولغرينز وسيفواي كشركاء في عالم تجارة التجزئة، واجهت إليزابيث فجأة مشكلة من صنع يديها: فقد أخبرت الشركتين أن بإمكان التكنولوجيا الخاصة بها تأدية مئات التحاليل على عينات دموية صغيرة. لكن الحقيقة أن جهاز إديسون يستطيع إجراء التحاليل المناعية، نوع من التحاليل يستخدم مضادات أجسام لقياس المادة في الدم فحسب. ومن بين التحاليل المناعية بعض التحاليل المخبرية التي تُطلب عادة مثل تحاليل لقياس فيتامين D أو لكشف سرطان البروستات. لكن كثيراً من التحاليل الروتينية الأخرى، التي تتراوح بين تحليل الكولسترول وسكر الدم، تتطلب تقنيات مخبرية مختلفة كلياً.

احتاجت إليزابيث جهازاً جديداً، جهازاً يستطيع تأدية أكثر من نسق واحد من التحاليل. في تشرين الثاني ٢٠١٠، وظّفت مهندساً شاباً يدعى كِنْتْ فرانكوفيتش وجعلته مسؤولاً عن تصميم هذا الجهاز. كان «كِنْتْ» قد حصل لتوه على شهادة ماجستير في الهندسة الميكانيكية من ستانفورد. وقبل ذلك، اشتغل

لستين لدى مختبر وكالة ناسا للدفع النفاث في باسادينا حيث ساعد في بناء كيوريوسيتي، الذي يطوف حول المريخ. جُنْد كُنْتُ بدوره غريغ باني، صديقاً التقاه في ناسا يعمل على سبيس اكس، شركة الصواريخ المتمركزة في لوس أنجلوس التابعة لـ إيلون ماسك. بطوله الذي يبلغ خمس أقدام ووزن الـ ٢٦٠ باونداً، أوحى بنية غريغ بلاعب هجوم في دوري كرة القدم الأميركية، لكن اخفى جسده ذكاء حاداً وملكة ملاحظة قوية.

على مدى أشهر عدة، أصبح كُنْتُ وغريغ الموظفان المفضلين لدى إيزابيت. ولطالما جلست خلال الحلقات المحفزة للذهن التي عقدها وقدمت اقتراحات حول الأنظمة الروبوتية التي ينبغي أن يفكروا باستخدامها. قدمت إليهما بطاقات ائتمانية خاصة بالشركة وسمحت لهما بشراء ما يحتاجان من معدات ومؤن.

(عمدتُ) إيزابيت الآلة التي انتدبتها لإنتاجها وهي «المختبر المصغّر. miniLab» كما اقترح اسمها، كان الجانب الأساسي الذي اهتمت به هو الحجم: كانت لا تزال تحتفظ برؤيا أنها ستضعها في يوم من الأيام في بيوت الناس فأرادت شيئاً يمكن أن يتسع له مكتب أو رفّ. شكّل ذلك تحديات هندسية لأنه، لإجراء جميع التحاليل التي أرادتها، ينبغي أن يحتوي المختبر المصغّر على مكونات أخرى أكثر بكثير من إديسون. بالإضافة إلى أنبوب المضاعفة الضوئية في إديسون، سيحتاج الجهاز الجديد إلى حشر ثلاث أدوات مخبرية أخرى في مساحة صغيرة: مقياس الطيف الضوئي، وعدّاد الكريات، والمضخم المثبّت للحرارة.

لم يكن أي من هذه الاختراعات جديداً. فقد طُوِّر مقياس الطيف الضوئي التجاري الأول في عام ١٩٤١ على يد الكيميائي الأمريكي أرنولد بيكمان، مؤسس شركة صناعة التجهيزات المخبرية بيكمان كولتر. يعمل المقياس ببث أشعة ضوء ملون عبر العينة الدموية وقياس كمّ الضوء الذي امتصّته. ويُستدَلّ على تركيز جزيئة في الدم من مستوى امتصاص الضوء. تستخدم مقاييس الطيف الضوئي لقياس مواد مثل الكولسترول، الغلوكوز، والهيموغلوبين. اخترعَ عداد الكريات، وهو طريقة لعد الخلايا الدموية، في القرن التاسع عشر. ويستخدم لتشخيص فقر الدم والسرطانات الدموية، من بين أمراض أخرى.

استخدمت المخابر حول العالم هذه الأدوات لعقود. أي أن ثيرانوس لم تكن رائدة بأية معنى من المعاني في اختبار الدم. لكن، ستكون قيمة المختبر المصغّر في تصغير تكنولوجيا المختبر المتوافر. وفي حين أن ذلك قد لا يرقى إلى مجال العلم المحطّم للتقاليد، إلا أنه كان منطقياً في سياق رؤيا إليزابيت في أخذ اختبارات الدم من المخابر المركزية ونقله إلى متاجر الأدوية، والسوبرماركت، وفي النهاية، إلى بيوت الناس.

بالتأكيد، توجد في الأسواق أجهزة تحليل دم محمولة. ومنها جهاز يشبه جهاز الصراف الآلي يدعى بيكولو إكسبريس، مجهز لإجراء واحد وثلاثين تحليلاً دمويّاً مختلفاً ويصدر النتائج في وقت قصير قد لا يتجاوز اثني عشرة دقيقة. ويتطلب الأمر ثلاث أو أربع قطرات دموية لمجموعة من ستة تحاليل مطلوبة معروفة.

لكن، لم يتمكن البيكولو ولا أية أجهزة تحليل محمولة موفرة أخرى من القيام بالتحاليل الكاملة من المجموعة التي تقدمها المختبرات. وفي ذهن إليزابيت، تلك هي الميزة التسويقية للمختبر المصغر.

أمضى غريغ الكثير من الوقت يدرس الأدوات التجارية التي صنعها صانعو التجهيزات التشخيصية ليعيد تفكيكها هندسياً ويجعلها أصغر. طلب مقياس طيف ضوئي من شركة تدعى أوشن أوبتيكس وفكّكه ليفهم آلية عمله. وتحول الأمر إلى مشروع ممتع، لكن جعله يشكك في منهج عملهم.

بدلاً من صنع أدوات جديدة من الصفر لتناسب الأبعاد التعسفية التي وضعتها إليزابيت، شعر غريغ أنهم سينجحون أكثر فيما لو استعانوا بمكونات متوفرة في الأسواق مما يمكنهم الاجتهاد لتصغيرها وتركيبها معاً بغية اختبار الآلية العامة لعمل النظام. وما إن يصبح لديهم نموذج يعمل، يمكنهم بعد ذلك أن ينشغلوا بتقليص حجمه. كان التأكيد على أهمية حجم النظام أولاً ثم كيفية عمله أشبه بوضع العربة أمام الحصان. إلا أن إليزابيت لم تغير رأيها.

كان غريغ في مرحلة الانفصال عن الفتاة التي أحبها في لوس أنجلوس، ويأتي إلى المكتب أيام السبت ليشغل باله عن الأمر. استطاع أن يرى أن إليزابيت قدّرت ذلك بالفعل. رأت في مجيئه علامة ولاء وتفانٍ. أخبرت غريغ أنها أرادت أن ترى «كِنْتُ» يأتي في أيام العطلة أيضاً؛ أزعجها أن صديقه لم يكن يأتي. بدا الحفاظ

على الحياة العملية في حالة توازنٍ مفهوماً غريباً بالنسبة إليها. لقد كانت على رأس عملها طوال الوقت.

مثل معظم الناس، سُحر غريغ بصوت إيزابيت العميق حين التقاها لأول مرة. لكنه لم يلبث أن شك في أنه مصطنع. وفي إحدى الأماسي، حين أنهموا اجتماعاً في مكتبها بعد انضمامه إلى الشركة، خرج صوتها أشبه بصوت طبيعي لامرأة شابة. أخبرته حين نهضت من كرسيها، «سعيدة حقاً بوجودك»، وكانت نبرتها أكثر حدة بعدة أوكتافات من المعتاد. ولحماستها، بدا أنها نسيت لحظياً أن تشغل الباريتون. حين فكر غريغ بالأمر، وجد أن ثمة منطقاً في سلوكها: كان وادي السيليكون عالم رجال بشكل طاغ. فجميع الرأسماليين المغامرين ذكور ولم يستطع التفكير في أية امرأة أسست شركة ناشئة. وفي مرحلة ما، لا بد أنها قررت أنه من الضروري إثارة انتباه الناس وإصغائهم إليها بجدية.

بعد حادثة الصوت بأسابيع قليلة، لاحظ غريغ شيئاً آخر يشي بأن ثيرانوس لم تكن مكان عمل اعتيادياً. أنشأ صداقة مع غاري فرنزل. على الرغم من أن غاري بدا فوضوياً - بلغ وزنه ثلاثمئة باوند ويمشي في المكتب بسر اويل جينز فضفاضة، وتي شيرت كبير جداً، وأحذية مريحة للغاية لكن قبيحة - إلا أن غريغ وجده واحداً من أذكى الأشخاص في الشركة. عانى غاري من حالة سيئة من انقطاع النفس أثناء النوم، وأكثر من مرة أثناء الاجتماعات شاهده غريغ يغط في غفوة ليستيقظ فجأة ويدحض فكرة غبية طرحها أحدهم ويقترح بدلاً عنها فكرة مذهلة.



و ذات يوم، بينما يتمشيان معاً خارج المكتب، خفض غاري صوته وبنغمة متأمرة أخبر غريغ شيئاً أجفل الشاب: إлизаيت وسوني في علاقة عاطفية. شعر غريغ بالصدمة. كان يعتقد أنه من غير الملائم للرئيس التنفيذي في شركة ومديره التنفيذي الرقم اثنين أن يناما معاً، لكن ما أزعجه أكثر واقع إخفائهما للأمر. كانت هذه معلومة هامة شعر بأنه يجب إيصالها إلى الموظفين الجدد. بالنسبة إلى غريغ، يسلط كشف السر هذا ضوءاً جديداً على كل شيء عن ثيرانوس: إن لم تكن إлизаيت صريحة حول هذا الأمر، فما الأشياء الأخرى التي يمكن أن تكذب بخصوصها أيضاً؟

اكتسبت المحسوبيات ومحابة الأقارب في ثيرانوس بعداً جديداً في ربيع ٢٠١١ حين وظفت إлизаيت أخاها الأصغر، كريستيان، كمدير مساعد في إدارة الإنتاج. تخرج كريستيان هولمز منذ سنتين فقط من الجامعة، ولم يتمتع بمؤهلات واضحة ليعمل في شركة تختص بتشخيص الدم، لكن لم يكن هذا الأمر ذا أهمية بالنسبة لإлизаيت. ما كان أكثر أهمية أن أخاها شخصٌ يمكنها الوثوق به.

كان كريستيان شاباً وسيماً بعينين تشبه درجة ازرقاقهما العميقة عيني أخته، لكن كانت هذه الصفة الوحيدة المشتركة بينهما. لم يكن لدى كريستيان شيئاً من طموح أخته واندفاعها؛ فهو رجل عادي أحب متابعة الرياضة، وملاحقة الفتيات، والاحتفال مع الأصدقاء.. بعد تخرجه من جامعة ديوك عام ٢٠٠٩، عمل كمحلل في شركة في العاصمة واشنطن تعنى بتقديم المشورة للشركات حول أفضل التدابير التي يجب أن تتخذها.

حين وصل كريستيان إلى الشركة بادئ الأمر، لم يكن لديه الكثير مما يقوم به، فأمضى جزءاً من يومه بقراءة الأخبار الرياضية. أخفى ذلك بنسخ ولصق مقالات من موقع ESPN الرياضي إلى رسائل إلكترونية فارغة بحيث يبدو من البعيد منهمكاً في مراسلات متعلقة بالعمل. ولم يلبث كريستيان أن وظف أربعة من زملائه في أخوية ديوك<sup>(١)</sup>: جيف بليكان، نيك مينشل، دان إيلدن، وساني هادزياميتوفيتش. ثم انضم إليهم لاحقاً صديق خامس من جامعة ديوك، ماكس فوسك. واستأجروا معاً منزلاً قرب النادي الريفي في بالو آلتو وأصبحوا معروفين في ثيرانوس باسم «عصابة النادي». ومثل كريستيان، لم يتمتع أي من فتیان ديوك بأية خبرة أو تدريب في مجال التحليل الدموي أو الأجهزة الطبية، لكن صداقتهم مع أخ إليزابيت رفعتهم فوق معظم موظفي ثيرانوس في تراتبية الشركة.

بحلول ذلك الوقت، كان غريغ قد أقنع العديد من أصدقائه بالانضمام إلى ثيرانوس. كان اثنان منها أصدقاء من أيام ما قبل التخرج في جورجيا تك، جوردان كار وتيد باسكو. كان الثالث صديقاً وطد علاقته به في باسادينا أثناء عمله مع ناسا اسمه تري هاوارد. وصادف أن تري درس في إحدى كليات ديوك قبل عصابة النادي بسنوات قليلة.

عُيِّنَ جوردان، وتري، وتيد في مجموعة إدارة الانتاج مع كريستيان وأصدقائه، لكن لم يُسمح لهم بالوصول بشكل متساوٍ

(١) هي Duke University / جامعة ديوك، في مدينة دورهام، كارولاينا الشمالية.

إلى المعلومات الحساسة. وكان العديد من الاجتماعات السرية التي عقدتها إليزابيث وسوني لوضع خطط استراتيجية بشأن شراكاتها مع وولغرينز وسيفواي خارج صلاحياتهم، بينما دعي إليها كريستيان وزملاؤه في الأخوية.

وطدت عصبة النادي علاقتها بسوني وإليزابيث بالعمل لأيام طويلة. لطالما تشكك سوني بالتزام الموظفين بالشركة - كان عدد ساعات العمل التي يمضيها الشخص في المكتب، سواء عمل /ت شيئاً منتجاً أم لا، هو معياره المطلق للالتزام. وأحياناً، كان يجلس في غرفة الاجتماعات الزجاجية الكبيرة ويحدق خارجاً في صفوف المقصورات محاولاً معرفة من يتراخى بالعمل.

لم يترك لهم العمل الطويل، الذي امتدّ حتى ساعات متأخرة من الليل، الوقت للتمارين، فمرر كريستيان وأصدقائه التمارين خلال النهار. وللتخلص من عين سوني الساهرة، كانوا يتسللون خارج المبنى في أوقات مختلفة باستخدام مخارج تتغير بين حين وآخر. كما حرصوا على عدم العودة في الوقت نفسه أو دفعة واحدة. أما تيد باسكو، الذي ترك عمله في وول ستريت ليحرب حظه في وادي السيليكون دون أن يلزم بأية مهام واضحة خلال الأشهر القليلة الأولى في ثيرانوس، فكان يتسلّى بضبط توقيت خروجهم ودخولهم.

انضم عدة أعضاء من عصبة الأخوية إلى غريغ واثنين من زملائه في قسم الهندسة للغذاء على الشرفة الكبيرة المطلة على

الموقف في أحد الأيام. وتحول حديثهم عن معدلات الذكاء المنخفضة لبعض أهم لاعبي كرة القدم في العالم إلى جدال حول المسألة، هل تفضل أن تكون ذكياً وفقيراً، أم غنياً وغنياً؟ اختار المهندسون الثلاثة الذكاء والفقر، بينما صوتت عصابة النادي دون ذكر أسماء لصالح الغباء والغنى. صعد غريغ بمدى وضوح الخط الفاصل بين المجموعتين. كانوا جميعاً بين أواسط وأواخر العشرينات من أعمارهم الذين حصلوا تعليمًا جيداً. لكن قيمهم بالغة الاختلاف.

كان كريستيان وأصدقائه جاهزين دوماً لفعل ما ترغب به إليزابيث وسوني. بدت حماسهم لكسب الرضا واضحة حين انتشر نبأ وفاة ستيف جوبز في مساء ٥ تشرين الأول، ٢٠١١. أرادت إليزابيث وسوني تكريم جوبز بنصب علم منكس لأبل على أرض بناء جادة هيلفيو. في الصباح التالي، تطوع جيف بليكمان للمهمة، وكان شاباً طويلاً أحمر الشعر من لاعبي البيسبول في الجامعة. لم يتمكن من إيجاد أي علم مناسب لأبل مطروح للبيع، فطلب صنع واحد خصيصاً من الفينيل. ورسم على العلم شعار أبل الشهير بالأبيض على خلفية سوداء. أمضى المتجر الذي طلب منه أداء المهمة بعض الوقت لتنفيذها. ولم يعد بليكمان مع العلم حتى وقت متأخر من ذلك اليوم. في هذه الأثناء، كان العمل قد تجمد في الشركة فبددت إليزابيث وسوني الحزينان الوقت بالتمشي في أرجاء المكتب مشغولين بإيجاد علم لـ أبل.

كان غريغ مدركاً حجم انبهار إليزابيث بجوبز. فلطالما أشارت

إليه باسم «ستيف» كما لو كانا صديقين حميمين. في إحدى المرات، أخبرته أن وثائقياً يتبنى نظرية مؤامرة حول أحداث ٩/١١ لن يكون متوفراً على آيتونز ما لم يؤمن ستيف أن ثمة شيئاً في الأمر. وجد غريغ الفكرة سخيفة. كان واثقاً تماماً من أن جوبز لم يتحقق شخصياً من جميع الأفلام للاستئجار أو البيع على آيتونز. بدأ أن لإليزابيت هذه الصورة المبالغ بها له ككائن بصير عليم بكل شيء.

بعد وفاة جوبز بشهر أو شهرين، بدأ بعض زملاء غريغ في قسم الهندسة بملاحظة أن إليزابيت تستعير بعض السلوكيات والتقنيات الإدارية الموصوفة في كتاب وولتر آيزاكسون للسيرة الذاتية لمؤسس آبل الراحل. قرؤوا جميعاً الكتاب أيضاً واستطاعوا الإشارة إلى الفصل الذي استمدت منه التصرف استناداً إلى المرحلة التي كانت تقلدها من مسيرة جوبز المهنية. حتى إن إليزابيت أعطت المختبر المصغّر اسماً شيفرة مستوحى من جوبز: ال-4S. في إشارة إلى آيفون 4S، الذي كشفت عنه آبل مصادفةً في اليوم الذي سبق وفاة جوبز.

انتهى شهر العسل لغريغ في ثيرانوس حين تقدمت أخته للعمل في الشركة. بعدما أجرى معها المقابلة كلٌّ من إليزابيت وسوني في نيسان ٢٠١١، تلقت عرضاً للانضمام إلى فريق إدارة الانتاج في الشهر التالي لكن قررت رفضه والبقاء مع شركتها التي كانت تعمل فيها، وهي شركة المحاسبة PwC. وفي اليوم التالي، وكان يوم سبت، كان غريغ يعمل في مكتبه. وكانت إليزابيت هناك أيضاً لكنها لم تولِ حضوره الاهتمام، الأمر الذي وجده غريباً

لأنها كانت تعيره انتباهاً عادة، خاصة في أيام عطلة نهاية الأسبوع. وفي الأسبوع التالي، توقفت عن دعوة غريغ إلى جلسات التفكير العميق مع كِنْتُ. خطر له أنها ربما اعتبرت قرار أخته إهانة شخصية وأنه الآن يدفع ثمن ذلك.

بعد ذلك بوقت قصير، سرت قشعريرة في علاقة كِنْتُ بإليزابيت. فموجب كل النوايا والغايات، كان كِنْتُ المهندس المعماري الرئيسي في المختبر المصغر. المهندس الموهوب الذي يحب بناء الأشياء، كان أيضاً يعمل على مشروع جانبي في أوقات فراغه: أضواء للدراجة الهوائية تضيء العجلات والطريق، لتمنح رؤية أفضل وأماناً أكثر لراكبها في الليل. طرح الفكرة على شركة كيكستارتر ولدهشته، تمكن من جمع ٢١٥٠٠٠ دولار أمريكي في خمسة وأربعين يوماً. كان سابع أكبر مبلغ يُجمَع ضمن منصة التمويل الجماعي في ذلك العام. فما كان هواية أصبح فجأة عملاً قابلاً للتطبيق.

أخبر كِنْتُ إليزابيت عن نجاحه في حملة كيكستارتر، ظاناً أنها لن تمنع. لكنه أخطأ في الحسابات بشكل كبير: غضبت وسوني كثيراً. نظرا إلى الأمر على أنه تضارب مصالح هائل وطلباً منه أن ينقل شهادة براءة اختراعه الأضواء الخلفية إلى ثيرانوس. خولت الأوراق التي وقعها كِنْتُ حين انضم إلى الشركة ثيرانوس بالحصول على أية ملكية فكرية أنتجها أثناء عمله فيها، كما أخبراه. اختلف كِنْتُ معها. كان قد عمل على مشروعه الصغير خلال وقت فراغه وشعر أنه لم يحم بأي خطأ. كما أنه لم يتمكن من فهم

كيف يمكن أن يشكل نوع من أضواء دراجة هوائية تهديداً على صانع تجهيزات تحليل دموي. لم تترك إлизаبيت وسوني الأمر يمر مرور الكرام. وحاولا، اجتماعاً اثر اجتماع، دفعه إلى تغيير براءة اختراعه. أحكما الضغط عليه بإحضار مستشار ثيرانوس الكبير الجديد إلى بعض الاجتماعات، وهو ديفيد دويل.

حين رأى المواجهة تتكشف، اقتنع غريغ أن الأمر ليس بخصوص براءة الاختراع لكن بخصوص معاقبة كِنت على عدم إخلاصه المزعوم. توقعت إлизаبيت من موظفيها منح كل شيء لثيرانوس، على الأخص الأشخاص من أمثال كِنت ممن ائتمتهم على مسؤوليات كبيرة. لم يقتصر الأمر على عدم منح كِنت كل ما لديه، بل على تكريسه جزءاً من وقته وطاقته لمشروع هندسي آخر. فسر الأمر عدم مجيئه في أيام عطلة نهاية الأسبوع كما أرادت منه أن يفعل. وبحسب رأيها، فإن كِنت قد خانها. في النهاية، تم التوصل إلى مساومة هشة: سيأخذ كنت إجازة بلا راتب ليمنح مشروع أضواء الدراجة الهوائية فرصة، وحين ينتهي من العمل على مشروعه المدلل، سيكون ثمة حديث حول إمكانية عودته، وتحت أية شروط.

وضع رحيل كِنت إлизаبيت في مزاج عكر. وتطلّعت الآن إلى غريغ وآخرين ليعوضوا العمل الضائع. شعر غريغ أيضاً بالحاح متزايد في سلوك إлизаبيت وسوني. بدا أنهما يضغطان بشدة على فريق الهندسة لإنهاء العمل قبل مهلة نهائية من نوع ما، دون أن يُعلما الفريق عن موعد انتهاء المهلة. لا بد أنهما وعدا شخصاً ما بشيء ما، كما اعتقد.

مع صبر إليزابيت الذي أخذ ينفذ مع تسارع وتيرة تطور المختبر المصغر، تحمل غريغ وطأة إحباطها. فحين اجتمع الفريق الهندسي لإطلاع الإدارة على وضع عملهم كما يفعلون أسبوعياً، افتتحت الاجتماع بالتحديق فيه بهدوء دون أن يرف لها جفن حتى كسر الجليد بقول مهذب، «مرحباً إليزابيت، كيف حالك اليوم؟» بدأ بالاحتفاظ بملاحظات تفصيلية حول ما نوقش في الاجتماع وارتأى أنه يستطيع الإشارة إليها في الاجتماع التالي ليبقي الأهواء خارج الأمر.

في عدة مرات، نزلت إليزابيت إلى مشغل المهندسين وطافت حول غريغ أثناء عمله. حياها بتهذيب، ثم استأنف عمله بصمت. كان نوعاً غريباً من ممارسة السلطة وكان مصراً على عدم السماح بتشتيته.

في إحدى أوقات الظهيرة، استدعته إليزابيت إلى مكتبها وأخبرته أنها تشعر بوجود تهكم ينبعث منه. بعد صمت طويل تفكّر خلاله في صوابية نظرتها، قرر غريغ الاحتفاظ بخيبة أمله المتنامية لنفسه وأخبرها بكذبة: كان منزعجاً بسبب رفض سوني لعدة متقدمين للوظيفة ظن أنهم مؤهلين وأمل أن توظفهم الشركة.

لا بد أن إليزابيت صدقته لأنها استرخت بشكل ملحوظ. وقالت، «عليك أن تعلمنا بهذه الأمور.»

في إحدى أمسيات أيام الأسبوع في كانون الأول ٢٠١١، استأجرت ثيرانوس العديد من الحافلات لنقل موظفيها، الذين



زاد عددهم الآن عن مئة، إلى مخمرة توماس فوغارتي في وودسايد. كان مكان إлизаبيت المفضل لعقد مناسبات الشركة. أُقيمَ بناء المخمرة الرئيسي ومنشأته المجاورة المعدة للمناسبات فوق دعائم خشبية على جانب التل وأتاح رؤية مشاهد بانورامية لكروم العنب المنتشرة في الأرض الممتدة والوادي الذي يليها.

كانت المناسبة حفلة عيد الميلاد السنوية التي تقيمها الشركة. وأثناء ارتشاف الموظفين للمشروبات من بار مفتوح داخل بناء المخمرة الرئيسي قبل أن يجلسوا جميعاً للعشاء، ألقت إлизаبيت خطاباً.

أعلنت، وهي تمسح الحضور ونظرة جدية كالموت تعلق وجهها، «المختبر المصغّر هو أهم ما بنته البشرية على الإطلاق. إن كنتم لا تؤمنون بذلك، فعليكم المغادرة الآن، على كل شخص أن يعمل بأقصى ما أمكنَ البشرَ من كدّ لتحقيق ذلك.»

نقر تري، الصديق الذي التقاه غريغ حين كان يعيش في باسادينا وجنّده في ثيرانوس، على قدم غريغ. نظر أحدهما إلى الآخر نظرة العارف. أكد قولُ إлизаبيت تحليلهم النفسي لشخصية رئيسهم: كانت ترى في نفسها شخصية تاريخية عالمية. ماري كوري العصر الحديث.

بعد ذلك بستة أسابيع، عادوا إلى مخمرة فوغارتي، هذه المرة للاحتفال بالتحالف مع سيفواي. وفي وقوفها على منصة دار المناسبات المفتوح على الهواء الطلق، وكما خاطب الجنرال باتون

جنوده قبل إنزال الحلفاء، خطبت إليزابيت بموظفيها لخمسة وأربعين دقيقة والضباب يلف المكان. المشهد الكاسح أمامهم كافٍ، كما قالت، لأن ثيرانوس كانت على وشك أن تصبح الشركة المسيطرة في وادي السيليكون. وقبل أن تختم قالت متبجّحة، «لا أخشى شيئاً»، مضيفة بعد وقفة وجيزة، «إلا الإبر.»

عند هذه النقطة، أصبح غريغ مخذولاً كلياً وقرر أن يبقى لشهرين آخرين فقط حتى تستحق خياراته بالأسهم في ذكرى توظيفه السنوية. ذهب مؤخراً إلى معرض أعمال في مدرسته الأم، جورجيا تيك، ووجد نفسه غير قادر على إقناع الطلاب الذين توقفوا أمام حجرة ثيرانوس بالانضمام إلى الشركة. بدلاً من ذلك، ركزت نصائحه على أهمية أن يكون لكم حياة مهنية في وادي السيليكون.

بدا أن جزءاً من المشكلة كمن في عجز إليزابيت وسوني، أو عدم رغبتهم، عن التمييز بين نموذج أولي ومنتج نهائي. كان المختبر المصغر الذي ساعد غريغ في بنائه نموذجاً أولياً، لا أكثر. وكان يجب اختباره بدقة وتركيز، الأمر الذي يتطلب الوقت. ففي كثير من الأحيان، كان على معظم الشركات أن تمر بثلاث دورات من إنتاج النماذج الأولية قبل أن تطرح منتجاً في السوق. لكن كان سوني يسجل طلبيات لمكونات بناء مئة مختبر مصغر، استناداً إلى نموذج أولي بدئي، غير مجرّب. كان الأمر أشبه بأن تبني بوينغ طائرة، ودون إجراء اختبار طيران، تطلب المسافرين جواً أن «هلموا إلى الطائرة.»

كانت إحدى الصعوبات التي يجب حلها عبر التجارب المركزة متعلقة بدرجة الحرارة. حين تحشر هذا العدد من الأدوات في مساحة مغلقة، صغيرة، فانك تحدث تغيرات غير متوقعة في درجة الحرارة يمكن أن تتداخل مع الكيمياء وتطيح بأداء النظام بأكمله. وبدا أن سوني يعتقد أنك لو حشرت جميع الأجزاء في صندوق ببساطة وشغلته، فسيعمل. وليت الأمر كان بهذه السهولة.

في إحدى مراحل العمل، استدعى غريغ ومهندساً أكبر سنّاً يدعى توم بروميت إلى قاعة الاجتماعات الزجاجة الكبيرة وشكك في مدى حماستهما. لطالما افتخر غريغ بأنه لم يفقد أعصابه أبداً، لكن هذه المرة فعل. انحنى مهدداً فوق طاولة الاجتماع. وانحنى هيكله الضخم الرياضي فوق سوني.

وزجر، «اللعنة، إننا نرهب أنفسنا بلا كلل.»

تراجع سوني واعتذر.

كان سوني مستبداً. فقد فصل الناس من وظائفهم مراراً مما أدى إلى نشوء روتين صغير في المستودع في الطابق السفلي. كان جون فانزيو، مدير سلسلة المؤن الدمث، يعمل هناك وأصبح المستودع المكان الموثوق الذي يأتي إليه الموظفون للتنفيس عن غضبهم أو الثرثرة. فكل بضعة أيام، كان يأتي إدغار باز، رئيس فريق ثيرانوس الأمني، مع نظرة عابثة على وجهه، وشارة مخفية في يده. ولدى رؤيته، يجتمع جون والفريق اللوجستي بحماس، وقد خمنوا بما حدث. يقترب باز، يخرج الشارة ببطء من عقدها ويكشف

عن الوجه في مقدمتها، مثيراً لهائماً من المفاجأة. سيكون ذلك آخر ضحية لسوني.

وطد جون صداقة مع غريغ، وجوردان، وتري، وتيد. ومعاً، شكل الخمسة جزيرة صغيرة من النقاء في الشركة. كان جون ربما مدير سلسلة المؤن الاستراتيجية الوحيد في منطقة الخليج الذي عمل على مبعدة أقدام فقط من الباب الجرار البارد لرصيف التحميل، لكنه أحب الأمر لأنه أبعدته عن تدقيق سوني وتركيزه المهووس على عدد الساعات التي يعمل بها الناس.

لسوء الحظ، كان العمل في المستودع هو ما أتى بنهاية جون آخر الأمر. في أحد صباحات شباط ٢٠١٢، وصل أحد الأشخاص المستلمين الذين عملوا هناك معه إلى العمل بسيارة أكيورا براقية جديدة. أراها لجون بفخر، وهنأه الأخير عليها. لكن، في الصباح التالي، كان على السيارة انبعاج كبير. لقد صدمها أحد ما في موقف السيارات الخاص بالمكتب. وجد جون المذنب بواسطة التحري عن أثر اصطدام في جميع السيارات الأخرى في الموقف. كان هذا المذنب أحد الاستشاريين الهنود الذين جلبهم سوني للمساعدة في تطوير البرنامج.

واجه جون مالك السيارة حين خرج ليدخن مع أصدقائه. أنكر الأمر على الرغم من أن جون استخدم شريط قياس لاصق ليقارن قياس حجم الانبعاج في الأكيورا مع السحجة على سيارته، وهي حيلة تعلمها لدى مشاهدته رجال الشرطة وهم يقومون بها.

نصح جون زميله في المستودع برفع شكوى بالحادثة إلى الشرطة والسماح لهم برؤية الدليل. هنا توتر الموقف. صعد استشاريو البرامج كي يشكوا الأمر إلى سوني، الذي نزل وهو يستشيط غضباً لدرجة أن يديه كانتا ترتجفان بشكل ملحوظ.

صرخ سوني في وجه جون، «حقاً، تريد أن تكون شرطياً؟»  
كان صوته يقطر سخرية، «اذهب وكن شرطياً إذا!»

من ثم التفت إلى أحد رجال الأمن الذي كان وقفاً في مكان قريب وأمره وهو يشير إلى جون، «أخرجه من هنا.» بعد مشاهدة إدغار باز يكشف بمرح عن هويات الموظفين الذين طردهم سوني على مدى العام الماضي، كان دور جون نفسه قد حان ليتلقى الضربة.

لم يرَضْ غريغ عن طرد صديقه جون وقوّى عزمه على مغادرة الشركة. بعد ذلك بشهر، أحرق مهندس شاب يعمل معه سهواً بعض لوائح المختبر المصغّر الإلكترونيّة. استدعى سوني غريغ وتوم بروميت إلى مكتبه وأمر بغضب أن يخبراه من كان الملام. رفضا، عالين تماماً أن سوني سيطرّد الشاب إذا أعطيا سوني اسمه.

حين حدث هذا، كانت خيارات الأسهم الخاصة بغريغ قد استحققت. لتوها. في وقت لاحق من ذلك اليوم، عاد إلى مكتب سوني وسلمه رسالة استقالته. قبلها سوني بهدوء لكن، ما إن غادر غريغ، استدعى تري، وجوردان، وتيد واحداً تلو الآخر ليعرف نواياهم. أكد كل هؤلاء على أن قرار غريغ لم يؤثر عليهم وأنهم

ملتزمون بالعمل لدى ثيرانوس على المدى الطويل، وقد أدركوا أن هذا ما أراد سوني سماعه.

عمل غريغ ليوم سبت أخير تخلل فترة إشعار المغادرة. كان سوني ممتناً ودعاه لاجتماع عقده إيزابيت يوم الاثنين التالي في نيوارك، بلدة صغيرة يفصل خليج سان فرانسيسكو بينها وبين بالو آلتو. كانت ثيرانوس قد استأجرت لتوها منشأة تصنيعية هائلة هناك لإنتاج المختبر المصغر بكميات ضخمة. كانت إيزابيت تكشف أمام الموظفين عن المكان الفارغ الشبيه بالكهف. وقعت عينها على غريغ بين الحضور بينما تتحدث فركزت نظرتها عليه.

قالت، «إن كان أحد ما هنا يعتقد أنه لا يعمل على أفضل شيء بنته الإنسانية يوماً أو إن كنت ساخراً، فعليك المغادرة.» مكررة مواضيع خطبتها في حفلة عيد الميلاد. ثم، فيما استمرت بالنظر مباشرة إلى غريغ، خصت تري، وجوردان، وتيد بمديح خاص. كان ما يقارب ١٥٠ موظفاً مجتمعاً في المكان وكان بإمكانها أن تنادي أيّاً منهم، لكنها اختارت أن تثني على الأشخاص الثلاثة الذين علمت أنهم أصدقاؤه. كان التوبيخ العلني الأخير.

في الأشهر التي تلت رحيل غريغ، استمر الباب الدوار في ثيرانوس بالتأرجح بشكل صاخب. شملت إحدى الحوادث الأكثر سورالية مهندس برامج ضخّم الجسم يدعى ديل بارنويل، أوبيغ ديل، كما أسماه الناس، كان ربان طائرة هيلوكبتر بحرياً سابقاً. كان سوني يتحدث في أمر عدم عمله ما يكفي من الساعات. مضى في

الأمر بعيداً إلى درجة أنه راجع فيها صور كاميرات المراقبة لرصد حركات بيغ ديل في الدخول والخروج وواجهه بالأمر ضمن اجتماع في مكتبه، مدّعياً أن الأشرطة أظهرت أنه عمل لثماني ساعات فقط في اليوم.» كما قال سوني، وأردف «سوف أصلحك»، كما لو كان ديل لعبة مكسورة.

لكن لم يرِدْ بيغ ديل أن يصلحه أحد. وبعد الاجتماع بوقت قصير، أرسل إشعاراً باستقالته في رسالة إلكترونية إلى مساعد إيزابيت. لم يتلقَ ردّاً وعمل بشكل ملتزم خلال الأسبوعين التاليين من فترة إشعاره. ثم، في الرابعة ظهراً من أحد أيام الجمعة، التقط بيغ ديل حاجياته ومشى باتجاه مخرج البناء. وعلى الفور جاء كل من إيزابيت وسوني راكضين على السلام خلفه. و «سوف لن يتمكن من المغادرة قبل التوقيع على اتفاق كتمان»، كما قالوا.

رفض بيغ ديل ذلك، فقد وقع على اتفاق سرية حين توظيفه، وأيضاً، كان لديهم أسبوعان لجدولة مقابلة خروج معه. الآن أصبح حراً ليذهب حيث يشاء وأراد ذلك بكل عزم. فخرج من موقف السيارات بسيارته الصفراء تويوتا FJ Cruiser، أرسل سوني رجل أمن للحاق به ليحاول إيقافه. تجاهل بيغ ديل الحارس وانطلق.

استدعى سوني الشرطة، بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة، وصلت سيارة شرطة بهدوء إلى البناء وأضواؤها مطفأة. أخبر سوني المنفعل بشكل كبير الضابط أن موظفاً غادر وبحوزته ملكية للشركة. حين سأله الضابط ماذا أخذ، تفوه سوني بكلمات متلعثمة في لكنته الإنكليزية، «سرق ملكية للشركة في ذهنه.»

(٩)

## لعبة الصحة

كانت الأعمال في سيفواي في عسر متنام. فقد أعلنت سلسلة محلات السوبرماركت لتوها انخفاضاً في الأرباح بنسبة ٦ بالمئة للأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ٢٠١١، بأداء مخيب للآمال جهد ستيف بيرد، الرئيس التنفيذي لأمد طويل، في شرحه إلى دزينة محللين استجابوا لدعوة الشركة للمساهمة في مناقشة مداخليل الشركة الربعية.

كان أحدهم، إيد كيللي من المصرف السويسري كريديت سويس، يضغط على بيرد بلطف لاستخدام إعادة شراء الأسهم للغطية على النتائج السيئة. وبتقليل عدد الحصص المستحقة، فإن إعادة بيع الأسهم بشكل مفتعل قد ترفع مداخليل الشركة للسهم الواحد - وهو الرقم الرئيسي الذي ركز عليه المستثمرون - حتى لو هبطت مداخليله الحقيقية. كانت حيلة قديمة لا تمرّ على محلي وول ستريت الحاذقين ذوي الخبرة بالأعيب الشركات.

أجاب بيرد غاضباً بأنه غير موافق على هذا الكلام. لقد كان واثقاً بأن حظوظ سيفواي ستسير إلى الأفضل، الأمر الذي جعل



شراء أسهمها الخاصة استثماراً ذكياً. وليبرر تفاؤله، أخبرهم بثلاث مبادرات تتبعتها الشركة. استخفّ المستمعون الذين يصعب إرضائهم بأول مبادرتين، وانتصبت آذان المحللين حين وصل إلى الثالثة.

قال بلغة مشفرة، «إننا نتأمل في شيء هام... هاه- سأدعوه لعبة صحة.»

كانت المرة الأولى التي يذكر فيها بيرد الأمر علانية. لم يستفص في الأمر، لكن الرسالة التي وصلت للمحللين مفادها أن لدى سلسلة المتاجر المتعثرة التي يبلغ عمرها سبعة وتسعين عاماً خطة سرية ستدفع أعمالها المتهاوية إلى الأمام في بداية جديدة. وداخل سيفواي، كان الاسم الشيفرة لهذه الخطة السرية «مشروع تي-ريكس». أشار الاسم إلى شراكة سيفواي مع ثيرانوس، والتي أصبح عمرها الآن- شباط ٢٠١٢- عامين منذ بدء عملها.

عقد بيرد آمالاً عالية على المشروع. وأمر بإعادة تشكيل أكثر من نصف متاجر سيفواي التي يبلغ عددها ألف وسبعمئة لإفساح المجال لعيادات من الطراز الرفيع مع سجاد فاخر، وأثاث خشبي تقليدي، ومناضد بسطوح غرانيئية، وشاشات تلفاز مسطحة. وبناء على تعليمات ثيرانوس، سيُشار إليها باسم المراكز الصحية وكان يجب أن تبدو «أفضل من منتجع». على الرغم من أن سيفواي أخذت على عاتقها تكاليف التجديد والتي بلغت ٣٥٠ مليون دولار أمريكي بالكامل، إلا أن بيرد توقع أنها

سترد تكاليفها وأكثر ما إن تبدأ العيادات الجديدة بإجراء التحاليل الدموية الجديدة التي ابتكرتها الشركة الناشئة.

بعد عدة أسابيع من الاجتماع الخاص بالمداخيل، أخذ بيرد وفريقه التنفيذي مجموعة محللين في جولة إلى أحد متاجر سيفواي يبعد أميالاً قليلة عن منزله في وادي سان رومان ذي المناظر الخلابة شرق أوكلاند. رأى المحللون مركز الرعاية الصحية الجديد في المتجر، لكن بقي بيرد على تملّصه من نوع الخدمة التي سوف يقدمها. حتى مدير المتجر لم يعلم بالأمر. أصرت ثيرانوس على السرية التامة حتى موعد الإطلاق.

حدث أكثر من تأجيل منذ اتفقت الشركتان للمرة الأولى على العمل معاً. ففي إحدى المرات، قالت إليزابيت لـ بيرد إن الزلزال الذي ضرب شرق اليابان في آذار ٢٠١١ قد عطل قدرة ثيرانوس على إنتاج الخراطيش لأجهزتها. وجد بعض المدراء التنفيذيين في سيفواي العذر صعب التصديق، لكن بيرد قبله كما هو. كانت تلمع عيناه كلما رأى الشابة التي تخلت عن دراستها في ستانفورد والتكنولوجيا الثورية الخاصة بها، والتي تلاءمت تماماً مع شغفه في الرعاية الصحية الوقائية.

أصبحت العلاقة بين إليزابيت وبيرد مباشرة، كما كانت تستجيب إليه فقط. رُكِّبَتْ غرفة طوارئ في مقرات بليزانتون حيث التقت مجموعة صغيرة من المدراء التنفيذيين الذين يحتفظون بسر المشروع «تي- ريكس» مرة في أسبوع لمناقشة تطوراتهِ. حضر بيرد

كلّ الاجتماعات، إما شخصياً أو عبر الهاتف حين يكون مسافراً. وكلما طرأت أسئلة عن أمور كان يجب إحالتها إلى ثيرانوس، فإنه يجيب بما أصبح لازمة معتادة: «سأتحدث إلى إيزابيت بالأمر.» فوجئت لاري ريندا ومدراء تنفيذيون آخرون منخرطون في المشروع بمدى حرية العمل التي منحها بيرد للمرأة الشابة، ريندا، المديرة التنفيذية التي بدأت في سيفواي كمعبئة أكياس مراهقة منذ عام ١٩٧٤ وصعدت سلم المراتب في الشركة حتى أصبحت واحدة من أبرز مساعديه. كان يمنح عادة مهلاً نهائية صارمة لنوابه ولشركاء الأعمال. لكنه سمح لإيزابيت أن تفوّت مهلة نهائية تلو أخرى. وعلم بعض نواب بيرد أن لديه ولدين. بدؤوا يتساءلون فيما لو رأى في إيزابيت الابنة التي لم يرزق بها. ولكن مهما كان الأمر، فإنه طوعٌ بذنها.

أخيراً، بعد كل الماطلات، وقد بدأت الشراكة بالإقلاع في الأشهر الأولى من ٢٠١٢: سار مشروع بيتا قبل إطلاقه بشكله الكامل، اتفقت الشركتان على أن ثيرانوس ستتكفل بالتحاليل الدموية في عيادة موظفين صحية افتحتها سيفواي ضمن حرم الشركة في بليزانتون. وكانت العيادة جزءاً من استراتيجية بيرد لكبح نفقات الرعاية الصحية لليد العاملة في السوبرماركت بتشجيع العاملين على زيادة الاعتناء بصحتهم. فقدمت العيادة الفحوصات المجانية. الذي سيؤهل الموظفين الذين أحرزوا نتائج جيدة في هذه الفحوص للحصول على حسومات في أقساط تأمين خططهم الصحية. ونظراً لموقعها الملائم بالقرب من الصالة

الرياضية في حرم سيفواي، زُوِّدَت العيادة بطبيب وثلاث ممرضات ممرضات وكان لها خمس غرف للفحص. كما كان هناك أيضاً مختبر صغير. وكُتِبَ على لافتة جديدة في ردهة الاستقبال، «تجرى التحاليل من قَبْلَ ثيرانوس».

كانت عيادة الموظفين جزءاً من حقبة المهام الموكلة إلى ريندا. فمن بين مسؤوليات أخرى، أشرفت على الصحة في سيفواي، الفرع الذي أنشأه بيرد ليسوق منافع الفوائد الصحية في مجال البيع بالتجزئة لدى الشركات الأخرى. خسر زوج ريندا معركته مع سرطان الرئة بعد قدوم إليزابيت لأول مرة إلى بليزانتون منذ سنتين، لكنها أملت أن توفر تحاليل ثيرانوس عديمة الألم بالعينة التي تسحب من وخزة الإصبع العذاب الذي يحمله وخز الإبر المتكرر في الأشهر الأخيرة من حياة المرضى.

كانت ريندا قد وظفت لتوها أول مدير طبي رئيس في سيفواي. كان اسمه كينت برادلي القادم لتوه من الجيش الأميركي، حيث خدم لأكثر من سبعة عشر عاماً بعد دراسته في مدرسة ويست بوينت الطبية والقوات المسلحة في بيتسدا، ماريلاند. كانت مهمة برادلي العسكرية الأخيرة إدارة الجناح الأوروبي في تري-كير، برنامج التأمين الصحي لرجال الخدمة على رأس عملهم والمتقاعدين. من بين مهام أخرى، كلفت ريندا طبيب الجيش السابق ذي النبرة اللطيفة بالإشراف على عيادة الحرم.

كان برادلي قد عمل مع كثير من التقنيين المرموقين في الجيش،

بالتالي كان متحمساً لرؤية نظام ثيرانوس وهو قيد العمل. لكنه فوجئ بحقيقة أن ثيرانوس لم تكن تخطط لوضع أي من أجهزتها في عيادة بليزانتون. وبدلاً من ذلك، عينت اختصاصيين اثنين لسحب الدم، لترسل العينات المجموعة عبر خليج سان فرانسيسكو إلى بالو آلتو لكي يُجرى تحليلها. لاحظ أيضاً أن الاختصاصيين كانوا يسحبان الدم من كل موظف مرتين، مرة بمبضع يلصق بالسبابة ومرة بالطريقة التقليدية بإبرة تحت جلدية تدخل في الذراع. وتساءل، ما الحاجة إلى البزل الوريدي - وهو المصطلح الطبي لسحب الدم بالإبرة - إن كانت تكنولوجيا ثيرانوس مكتملة التطور وجاهزة للاستخدام مع الزبائن.

تصاعدت وتيرة شكوك برادلي بسبب طول المدة التي تطلبها الحصول على النتائج. كان يظن أن النتائج من المفترض أن تكون شبه فورية، لكن تعيّن على بعض موظفي سيفواي الانتظار لوقت امتدّ أسبوعين للحصول على نتائج تحاليلهم. كما لم يُجرَ كل تحليل بواسطة ثيرانوس نفسها. على الرغم من أن الشركة الناشئة لم تذكر شيئاً بخصوص اللجوء إلى مصادر خارجية لأجل التحاليل، بل اكتشف برادلي أنها ترسل بعض التحاليل إلى مختبر مرجعي كبير في سولت ليك سيتي يدعى آروب.

أما ما أطلق جرس الإنذار لدى برادلي، فكان رجوع بعض الموظفين الأصحاء إليه وقد أقلقتهم نتائج فحوصات غير طبيعية. ومن باب الاحتياط، أرسلهم لتعاد تحاليلهم في مركز كويست أو لابكوروب. وفي كل مرة، عادت التحاليل طبيعية، مما أوحى بأن

نتائج ثيرانوس كانت خاطئة. ثم في أحد الأيام، تلقى أحد المدراء التنفيذيين الكبار في سيفواي نتيجة تحليل PSA الخاص به. يرمز المصطلح إلى «مستضد خاص للبروستات»، وهو بروتين تنتجه خلايا في غدة البروستات. وكلما زاد تركيز البروتين في دم الرجل، كلما زاد احتمال إصابته بسرطان البروستات. كانت نتيجة تحليل مدير سيفواي التنفيذي عالية جداً، وتشير إلى أن إصابته بسرطان البروستات شبه مؤكدة. لكن شكك برادلي بالأمر. فأرسل زميله القلق ليعيد التحليل في مختبر آخر، كما فعل مع الموظفين الآخرين، وبالإلحاح، جاءت النتائج طبيعية.

أعدّ برادلي تحليلاً تفصيلياً للتناقضات. كانت بعض الاختلافات بين قيم ثيرانوس وقيم مختبرات أخرى كبيرة بشكل مزعج. حين وافقت قيم ثيرانوس قيم المختبرات الأخرى، كانت التحاليل لتلك القيم هي التي أجرتها شركة أروب.

أطلع برادلي ريندا وبراد وولفسين على قلقه، وكان الأخير رئيس القسم الصحي في سيفواي. وبما أن إيمان ريندا بالأمر سبق أن تزعزع بسبب الماطلات على مدى السنتين الماضيتين، فقد شجعته على التحدث مع بيرد حول الموضوع، فتحدث معه برادلي. لكن ما كان من بيرد إلا أن صرف برادلي بتهذيب، مؤكداً لطبيب الجيش السابق أن تكنولوجيا ثيرانوس قد تم التدقيق بأمرها وكانت سليمة.

كانت العينات الدموية من موظفي سيفواي في بليزانتون

تُرسل إلى بناء من طابق واحد بواجهة حجرية في إيست ميدو سيركل في بالو آلتو. أعدت ثيرانوس مختبرها المبتدئ هناك مؤقتاً في ربيع عام ٢٠١٢ بينما نقلت بقية عملياتها المتنامية من جادة هيلفيو إلى بناء قريب أكبر حجماً شغلته شركة فيسبوك سابقاً.

قبل ذلك بأشهر قليلة، حصل المختبر على شهادة تؤكد أنه متوافق مع معايير CLIA، القانون الفدرالي الذي حكم المختبرات السريرية، لكن لم يكن الحصول على شهادات كهذه سهلاً. على الرغم من أن أكثر المتقيدين بمعايير CLIA على الإطلاق كانت مراكز خدمات الرعاية والمساعدة الطبية، إلا أن الوكالة الفدرالية أحالت معظم عمليات التفتيش المخبرية الروتينية إلى الولايات. ففي كاليفورنيا، كان المسؤول عن الأمر دائرة الولاية للصحة قسم خدمات المخابر الميدانية، والتي كشف التدقيق عن النقص الكبير في تمويلها ونضالها لإتمام واجبات الإشراف المنوطة بها.

لو سُمح لستيف بيرد بالدخول إلى مختبر إيست ميدو سيركل، وهو شبكة غرف تقع في مركز البناء المنخفض، للاحظ أنه لم يحتوِ على أية أجهزة ثيرانوس مسجلة. ذلك لأن المختبر المصغر كان قيد التطوير ولا تزال أمامه أشواط هائلة يقطعها قبل أن يصبح جاهزاً لإجراء التحاليل للمرضى. كان ما احتواه المختبر أكثر من دزينة أجهزة تجارية لتحليل الدم وسوائل الجسم صنعتها شركات مثل مخابر آبوت ومقرها شيكاغو، وسيمنز الألمانية، ودياسورين الإيطالية. وكان يدير المختبر اختصاصي أمراض غريب الأطوار اسمه أرنولد غيلب، المدعو باسم آرني، وظّف في المختبر حفنة

من علماء المخابر السريريين، يسمون اختصاراً CLSs - أو تقنيين مخبريين مرخص لهم التعامل مع العينات البشرية من قبل الولاية. ورغم استخدامه الأدوات التجارية فقط في أعماله، كان لا يزال ثمة الكثير من الأمور التي سارت، ويمكن أن تسير، بشكل خاطئ.

تمثلت المشكلة الرئيسية في افتقار المختبر للشخصيات الخبيرة. فأحد علماء المخابر السريريين، وهو شاب يدعى كوزال ليم، كان أخرق ومدرّباً بشكل ضعيف لدرجة اقتنعت ديانا دوبوي، وهي إحدى نظرائه، أنه كان يخاطر بدقة نتائج التحاليل. كانت دوبوي من هيوستن وتدرّبت في MD أندرسون، مركز السرطان في المدينة المعروف عالمياً. وأمضت معظم السنوات السبع منذ أن أصبحت عالمة مخابر سريرية كاختصاصية نقل دم، الأمر الذي منحها معرفة مكثفة بقوانين CLIA. وقد التزمت بالقواعد بشكل كبير ولم تتردد بكتابة تقارير عن الخروقات حين شهدتها.

بالنسبة إلى دوبوي، كانت أخطاء ليم غير مبررة. ومنها تجاهل تعليمات المصنّع حول كيفية التعامل مع المواد الكاشفة؛ ووضع المواد الكاشفة التي انتهت مدة صلاحيتها مع المحتفظة بصلاحياتها في البراد في البراد ذاته؛ وإجراء تحاليل عينات للمرضى على تجهيزات مخبرية لم تُعاين من قبل؛ وإجراء اختبارات ضبط الجودة على محلات بشكل غير سليم؛ وأداء مهام لم يتدرّب على تأديتها؛ والاحتفاظ بزجاجة صبغة رايت، وهي مزيج من أصبغة تستخدم لخلايا دموية مختلفة. واجهت دوبوي، ذات النزعة النارية، ليم في عدة مناسبات، وأخبرته في إحدى المرات أنها ستتحول إلى



مفتشة مخبرية تبحث التقنيين المخبريين السيئين من أمثاله. وحين ثبتَ عجزُه عن الارتقاء إلى معاييرها، بدأت توثق ممارساته السيئة ضمن رسائل إلكترونية دورية ترسلها إلى غيلب وإلى سوني، مرفقة بالصور غالباً لتثبت قولها.

كان لدى دوبوي أيضاً مخاوف حول كفاءة اختصاصيي سحب الدم اللذين وظفتُهما ثيرانوس في مركز بليزانتون. عادة ما يدور الدم في ممخضة قبل أن يحلّل لفصل البلازما عن الخلايا الدموية للمريض. لم يدرّب الفصّادان على استخدام الممخضات التي سُلمت إليهما ولم يعرفا الزمن والسرعة المطلوبين لتدوير العينات الدموية للمرضى. وحين كانت العينات تصل إلى بالو آلتو، غالباً ما كانت عينات البلازما ملوثة بمواد جسيمية. كما اكتشفت أيضاً انتهاء صلاحية الكثير من أنابيب سحب الدم التي استخدمتها ثيرانوس، ما يجعل مضاد التخثر فيها غير فعال ويعرّض نوعية العينات للخطر.

بعد تقديم إحدى شكاويها بوقت قصير، أرسلت دوبوي إلى ديلاوير لتتدرب على محلل سيمنز جديد اشترته ثيرانوس. بعد عودتها من رحلتها بأسبوع، لاحظت أنه لا يوجد أي مكان لها في المختبر. استدعاها سوني إلى غرفة اجتماعات، وبدا واضحاً أنه كان بانتظارها. وبنبرة تهديدية، أخبرها أنه أجرى جولة في المختبر في غيابها ولم يجد تبريراً لأي من شكاويها. ثم أثار واقعة أنها سمحت لصديقها بدخول المبنى لمساعدتها في حمل أمتعتها في اليوم الذي سافرت فيه بالطائرة إلى ديلاوير. كان خرقاً هاماً لسياسة الشركة

الأمينة وقرر طردها بسببه، كما قال. بعد تركها لتستوعب الأمر قليلاً، نادى غيلب وسأله إن كان يقدر دوبوي كعضو في المختبر وأراد الاحتفاظ بها. قال غيلب إنه يفعل، عندها عاد سوني أدراجه بحقد. وبقيت دوبوي موظفة في النهاية.

عادت إلى مكتبها وهي ترتجف مع دوار في رأسها. بعدها بقليل، نقرها موظف من قسم المعلومات على كتفها وطلب منها أن تخرج إلى الرواق معه. أراد أن يعيد تأسيس اتصال هاتفها الخليوي الخاص بالشركة واحتاج إلى بضعة معلومات منها. قبل أن يغير رأيه، أمر سوني بفصل هاتفها وبريدها الإلكتروني وحظر دخولها إلى شبكة الشركة.

كان محكوماً على شخص صريح مثل دوبوي بألا يطيل المكوث في ثيرانوس. بعد ذلك بثلاثة أسابيع، في صباح يوم جمعة، رجع سوني إلى بناء إيست ميدو سيركل وطردها مجدداً، هذه المرة إلى الأبد. وقد رافقها أمن الشركة حتى وصولها إلى خارج المبنى دون أن تمنح الفرصة لجمع حاجياتها لشخصية. كان سبب فصلها أنها لفتت الانتباه إلى أن أحد بائعي المختبر الرئيسيين جمد طلبات شرائه بسبب فواتير غير مدفوعة.

كانت دوبوي في أشد الانزعاج جراء الأسلوب الذي عوملت به، فأرسلت رسالة إلكترونية إلى سوني في عطلة نهاية الأسبوع تلك تصر فيها على السماح لها باسترجاع ممتلكاتها الشخصية، التي احتوت بالإضافة إلى كتب مخبرية حقيبة مساحيق تجميل تضم

عدساتها اللاصقة وشهادة عالم مخبري سريري في كاليفورنيا. كما شملت الرسالة الإلكترونية التي أرسلت نسخة منها إلى إليزابيث أيضاً اتهاماً لاذعاً لأسلوب سوني في الإدارة والحالة المختبر:

حذرنى أكثر من خمسة أشخاص أنك مدفع يمكن أن ينطلق في أي لحظة وأن كل شيء يعتمد على مزاجك بالنسبة لما «كذا هكذا» يمكن أن يدفعك إلى الانفجار. أخبروني أيضاً أنه في أية لحظة يتعامل معك شخص ما فستكون عاقبة هذا التعامل ليست محمودة بالنسبة لذلك الشخص.

مختبر CLIA في خطر مع إدارة كوزال ومع عدم وجود رقابة عليه أو على آرنى. لديك مدير مختبر متوسط الكفاءة يعتبر CLS لسبب غير معروف. أضمن وبثقة أن كوزال بالتأكيد سيرتكب خطأ هائلاً في يوم ما في المختبر سيؤثر سلباً على نتائج تحاليل المرضى. في الواقع أعتقد أنه فعل ذلك مسبقاً في عدة مناسبات لكنه وضع اللوم على المواد الكاشفة. كما قلت تماماً كل ما يمسه يتحول إلى كارثة!

أمل فقط «كذا هكذا» أن أقودك إلى إدراك أنك خلقت بيئة عمل يخفي الناس فيها عنك الأشياء بداعي الخوف. لا يمكنك إدارة شركة عبر الخوف والتهديد... سينجح الأمر لفترة محدودة فقط قبل أن ينهار.

وافق سوني على أن يلتقيها أحد ما أمام مبنى إيست ميدو سيركل ليعيد حاجياتها لكن حذرهما أن محامي الشركة سيتواصلون معها. على مدى الأيام العديدة التالية، تلقت دوبوي سلسلة من الرسائل الإلكترونية صارمة اللهجة من ديفيد دويل، مستشار ثيرانوس الرئيسي، مطالبة إياها بتوقيع تعهد تصريح بأن تعيد إلى ثيرانوس أو «تتلف للأبد» أية مواد ما زالت بحوزتها من فترة توظيفها في الشركة وأن تلتزم بتعهداتها إزاء السرية.

رفضت دوبوي في البداية واستأجرت خدمات محام من أوكلاند لتهدد الشركة بدعوى قضائية بسبب إنهاء الخدمة المسيء، لكن نصحتها محاميها بالتراجع وتوقيع الوثيقة مع اعتماد ثيرانوس لمحامي نافذ من ويلسون سونسيني. لقد كانت مواجهة شركة حقوق رائدة في وادي السيليكون معركة خاسرة، كما أخبرها. فاتبعت نصيحته بتردد.

لم تكن لسيفواي بالطبع معرفة بشيء من هذا. واستمرت بالسماح لثيرانوس بمعالجة تحاليلها الدموية في عيادة بليزانتون خلال عام ٢٠١٢ وإلى ٢٠١٣. بدأت أيضاً بتوظيف مختصين في سحب الدم ضمن المراكز الصحية التي أقامتها في العشرات من متاجرها شمالي كاليفورنيا. لكن مع مرور الأشهر، استمرت ثيرانوس بإرجاء موعد الإطلاق.

سئل بيرد عن وضع «لعبة الصحة» الغامضة الخاصة بسيفواي في الاجتماع الأول ربع السنوي عبر الهاتف بخصوص المدخول في

أواخر نيسان ٢٠١٢. أجاب بأنه لم يكن «جاهزاً لإعلان الحدث» بعدُ لكن حين ستكشف عنه الشركة، سيكون له «أثر ملموس» على نتائجها المالية. وفي الاجتماع عبر الهاتف بخصوص المدخول في تموز، قال «من الأرجح أنه سيتحقق في الربع الرابع». لكن، جاء الربع الرابع وانقضى دون إطلاق الحدث.

في هذه المرحلة، تصاعد غضب بعض مدراء سيفواي التنفيذيين. إذ حُجبت عنهم مكافآتهم بسبب فشل الشركة في تحقيق أهدافها المالية، التي لعبت دوراً فيها المداخيل والأرباح الإضافية المتوقعة نتيجة الشراكة مع ثيرانوس. كُلفَ مدير تنفيذي في القسم المالي في سيفواي، اسمه مات أوريل، باستنباط توقعات الدخل للمراكز الصحية. وتوقع مدخولاً إضافياً قدره ٢٥٠ مليون دولار سنوياً، انطلاقاً من افتراض لا مهادنة فيه بأن كلاً منها سيجذب ما معدله خمسين مريضاً في اليوم. لم يفشل تجسّد هذا الدخل فقط، بل إن سيفواي أنفقت ١٠٠ مليون دولار إضافة إلى ذلك لمجرد بناء تلك المراكز.

مع بقاء المراكز الصحية في حالة جمود، وقد شغلت عقارات قيمة داخل المتاجر كان يمكن استثمارها في مجالات أكثر نفعاً. وبعد أن ضاقت ذرعاً بالانتظار، رتبت ريندا وبراهلي معاً أفكاراً عدة حول كيفية استخدام المساحة. كانت إحداها توظيف أخصائيين في التغذية ضمن المراكز حيث يقدمون نصائح متعلقة بالنظام الغذائي. وكانت هناك أفكار أخرى في تحويلها إلى عيادات طبية مجهزة بالكامل يديرها ممرضون. أيضاً كان بعضها حول تقديم

خدمات التطبيب عن بعد. حشدا القوى لإقناع بيرد بالسماح لهما بتنفيذ هذه الخطط لكن، بعد مناقشة الأمر مع إيزابيت، رفض الأمر. لم ترغب بالتخلي عن المكان، كما قال.

في الكواليس، بدأ مجلس إدارة سيفواي يفقد صبره. بعد عشرين سنة في العمل، كان من الواضح أن بيرد قد فقد الثقة ببول ستريت. كان عقده الأول كرئيس تنفيذي نجاحاً هائلاً للشركة ترافق بارتفاع هائل في سعر أسهم سيفواي. لكن في السنوات الأخيرة، جعله شغفه للصحة والعافية يضع البوصلة إلى ما بقي في جوهر الشركة: العمل التجاري المفتقر للألق في بيع أغراض البقالة. كان الاستثمار الضخم في المراكز الصحية والمطالعات التي لا تنتهي لحصد نتائج هذا الاستثمار القشة التي قصمت ظهر البعير.

بعد إغلاق سوق البورصة بقليل في ٢ كانون الثاني، ٢٠١٣، أطلقت سيفواي بياناً صحفياً تعلن فيه عن استقالة بيرد في أيار المقبل بعد اجتماع حاملي أسهم الشركة السنوي. قُدِّمَ النبأ على أنه قرار طوعي، لكن شكت ريندا ومدراء تنفيذيون آخرون أن المجلس طلب منه التنحي. وحتى في طريق خروجه، بقي بيرد متحمساً حول آفاق الشراكة مع ثيرانوس والتي لم تزل طيّ الكتمان. من بين قائمة إنجازاته كرئيس تنفيذي، اقتبس البيان الصحفي منه قوله أن سيفواي قريباً «ستطلق مبادرة صحية يمكنها أن تغيّر الشركة.»

بعد رحيل بيرد، ضاعت قناة التواصل مع إيزابيت. كان على أي شخص من سيفواي أراد التواصل مع ثيرانوس التعامل مع سوني أو عصابة الأخوية. تصرف سوني على أنه منزعج كلما سأله مدراء سيفواي التنفيذيين عن الوضع الراهن، كما لو كان وقته أثمن بكثير من أن يضيعه وأنه ليست لديهم فكرة عما تطلبه إنتاج اختراع بهذا الحجم. كان تعجرفه مغيظاً. مع ذلك ظلت سيفواي مترددة إزاء فك الشراكة. ماذا لو غيرت تكنولوجيا ثيرانوس اللعبة فعلاً؟ قد تمضي سيفواي العقد القادم نادمة على تفويتها الفرصة. كان الخوف من أن يفوتها الأمر عاملاً فاصلاً قوياً.

بالنسبة إلى بيرد، كان من الواضح أنه لم يكن جاهزاً للتقاعد، فبعد مغادرته لسلسلة محلات السوبرماركت بثلاثة أشهر فقط، أسس شركة استشارات تقدم النصح للمؤسسات حول كيفية تقليص نفقاتها الصحية، أطلق عليها اسم Burd Health. وفي دوره الجديد كمؤسس لشركة صحية ناشئة جديدة، حاول إعادة التواصل مع إيزابيت. لكنها لم ترد على اتصالاته.

(١٠)

## «من هو المقدم شوميكر؟»

أصغى المقدم ديفيد شوميكر بتهذيب إلى الشابة الواثقة الجالسة على رأس طاولة الاجتماعات تشرح كيف أرادت شركتها العمل، عندما لم يعد يستطيع تمالك نفسه أكثر من ذلك بعد مرور خمس عشرة دقيقة.

وقال مقاطعاً، «لن تطير بنيتك التنظيمية.»

نظرت إليزابيت بغضب إلى الضابط ذي النظارات وهو يعدد بعصبية الجندي القوانين المختلفة التي اعتقد أنها تتناقض والمقاربة التي تناولتها. لم يكن هذا ما أرادت سماعه. لقد دُعي شوميكر والوفد العسكري الصغير الذي قاده إلى بالو آلتو في صباح هذا اليوم من تشرين الثاني ٢٠١١ ليبارك خطط ثيرانوس بنشر أجهزتها في مسرح الحرب الأفغانية، وليس ليقدم اعتراضات حول استراتيجيتها التنظيمية.

نشأت فكرة استخدام أجهزة ثيرانوس في ساحة المعركة في آب الماضي حين التقت إليزابيت جيمس ماتيس، رئيس القوات المركزية للولايات المتحدة الأمريكية، في نادي مارينز ميموريال



في سان فرانسيسكو. لاقت خطبة إليزابيث المرتجلة آذاناً صاغية لدى الجنرال حامل النجوم الأربعة. تحدثت حول كيف ستساعد طريقتها الجديدة في تحليل الدم من مجرد عينة دموية مسحوبة من وخزة إصبع في تشخيص ومعالجة الجنود الجرحى بشكل أسرع وربما تنقذ الأرواح. كان جيم «الكلب المجنون» ماتيس شديد الغيرة على حياة جنوده، مما جعله أحد أكثر القادة المحبوبين على المستوى الشعبي في الجيش الأمريكي. كما كان الجنرال الشرس منفتحاً بخصوص ملاحقة أية تكنولوجيا قد تحافظ على سلامة رجاله وهم يقاتلون طالبان في الحرب الطويلة، المليئة بالفضائع في أفغانستان. وبعد لقائه إليزابيث، طلب من رؤوسه في القيادة المركزية الأميركية في الشرق الأوسط تجهيز اختبار ميداني لجهاز ثيرانوس.

وبمقتضى القوانين العسكرية، يتعين على طلبات كهذه أن تمر عبر القسم الطبي في الجيش في فورت ديتريك في ماريلاند، حيث تخط عادة على طاولة مكتب المقدم شوميكر. كنائب مدير لقسم أنشطة الضبط والتوافق، كان عمل شوميكر الحرص على التزام الجيش بكل القوانين والأنظمة حين يتعلق الأمر بالأجهزة الطبية.

لم يكن شوميكر النوع التقليدي من البيروقراطيين العسكريين العاديين. كان حاصلاً على شهادة دكتوراه في علم الأحياء الدقيقة وأمضى سنوات يجري أبحاثاً طبية على اللقاحات لالتهاب السحايا وبكتيريا داء التلريات، وهي بكتيريا خطيرة توجد في الأرانب ذات الذيل القطني واستخدمت كسلاح من قبل الولايات المتحدة

والاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة. كان أيضاً أول ضابط في الجيش يُتمّ زمالة لمدة عام في إدارة الغذاء والدواء، ما جعله الخبير المقيم في الجيش في أمور قوانين إدارة الغذاء والدواء.

مع ابتسامته اللطيفة ولكنته الجنوبية التي تحمل لهجة أهالي أوهايو، كان لشوميكسر أسلوب مؤثر مميز، مع ذلك يمكنه أن يكون مباشراً مع الناس متى أراد ذلك. كانت استراتيجية ثيرانوس، التي ارتأت تخطي إدارة الغذاء والدواء بكاملها، غير ناجحة، كما حذر إليزابيت، خاصة إذا أرادت نشر أجهزتها في أصقاع البلاد بحلول الربيع القادم، كما أكدت له. لن تتيح الوكالة لها فعل ذلك دون المرور بعملية مراجعة، كما أخبرها.

عارضت إليزابيت بقوة، مقتبسة من نصيحة منحها محامو ثيرانوس لها. كانت دفاعية جداً وعنيدة بحيث أدرك شوميكسر بسرعة أن إطالة الجدال ستكون مضيعة للوقت. من الواضح أنها لم ترد أن تسمع شيئاً يعارض وجهة نظرها. وبينما ينظر إلى الجالسين على الطاولة، لاحظ أنها لم تستدع خبيراً بالشؤون التنظيمية إلى الاجتماع. شك أن الشركة لم توظف واحداً في الأساس. وإذا كان محقاً في ذلك، فستكون طريقة مفرطة السذاجة في العمل، إذ أن موضوع الرعاية الصحية أكثر الصناعات المحكومة بقوانين تنظيمية في البلاد ولسبب جيد: أن حيوات المرضى تكون على المحك.

أخبر شوميكسر إليزابيت أنها ستحتاج شيئاً مكتوباً من إدارة

الغذاء والدواء يدعم موقفها إذا أرادت أن يمنح الضوء الأخضر لاستخدام أجهزتها على شخصيات من الجيش. أبدى وجهها تعابير امتعاض عميقة. استأنفت تقديمها لكن أشاحت بوجهها عن شوميكر لبقية اليوم.

خلال أعوامه الثمانية عشر في الجيش، التقى شوميكر كثيراً من الناس الذين بدا أنهم يعتقدون أن الجيش معفى من القوانين المدنية وأنه حر بإجراء البحث الطبي كما أراد. ببساطة لم يكن الأمر كذلك، لا يعني هذا أن الأمر لم يحدث في الماضي، فقد جرب البتاغون غاز الخردل على الجنود الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية والعامل البرتغالي على السجناء في الستينيات. لكن أيام التجارب الطبية غير المراقبة والحرّة التي يجريها الجيش قد انتهت منذ زمن بعيد.

وخلال الحرب الصربية في التسعينيات، على سبيل المثال، حرص البتاغون على الحصول على موافقة إدارة الغذاء والدواء قبل تقديم لقاحات تجريبية ضد التهاب الدماغ الذي يحمله القمل للجنود المنتشرين في البلقان. ومنح اللقاح فقط للجنود الذين قبلوا أخذه. وعلى النحو نفسه، عمل الجيش على مقربة من الوكالة لصنع لقاح تجريبي ضد سم الوشيكية المنتشر بين الجنود المتواجدين في العراق سنة ٢٠٠٣. في ذلك الوقت، كانت المخاوف عالية إزاء تكديس صدام حسين للعامل الحيوي القاتل، ولم يكن اللقاح قد حظي بالموافقة، والذي طُوّر من قبل الباحثين في فورت ديتريك، من قبل إدارة الغذاء والدواء.

في كلتا الحالتين، استشار الجيش مجلس مراجعة مؤسسي، يسمى اختصاراً IRB- وهو لجنة في الجيش تراقب البحث الطبي للحرص على سيره بسلامة وأخلاقية. فإن اعتبرت IRB أن دراسة ما سوف لن تشكل خطراً هاماً، فستسمح إدارة الغذاء والدواء عادة بالمضي بالأمر، بشرط أن يقام البحث ضمن بروتوكول صارم تراجعته اللجنة وتوافق عليه.

وما ينطبق على اللقاحات ينطبق أيضاً على الأجهزة الطبية. وفي حال أرادت ثيرانوس أن تجرب أجهزتها لتحليل الدم على الجنود في أفغانستان، فإن عليها المضي ضمن بروتوكول دراسة موافق عليها من قبل IRB، وكان شوميكر متأكداً من ذلك. لكن بما أن إليزابيت كانت عنيدة للغاية والجهاز قد شكك به من قبل سينتكوم، قرر أن يستدعي جيرمايا كيلى، محامي للجيش عمل سابقاً مع إدارة الغذاء والدواء. حدد اجتماعاً آخر مع إليزابيت بحيث يستطيع كيلى أن يسمع منها مباشرة ويقدم رأياً ثانياً. وافقوا على الاجتماع في الساعة ٣:٣٠ ظهراً. في ٩ كانون الأول، ٢٠١١، في مكاتب واشنطن العاصمة شركة زكرمان سبيدر الحقوقية التي تمثل ثيرانوس.

جاءت إليزابيت إلى الاجتماع وحدها مع وثيقة من صفحة واحدة تلخص المقاربة التنظيمية ذاتها التي قدمتها على مسامع شوميكر منذ أسابيع قليلة خلت في بالو ألتو، وقد اضطر لأن يعترف لها: كان بناء الوثيقة التي نظمتها إليزابيت مبدعاً. لدرجة يمكن اعتبارها مراوغة.

أوضحت الوثيقة أن أجهزة ثيرانوس كانت وحدات معالجة عينات تعمل عن بعد، أما العمل الحقيقي في تحليل الدم فسيحدث في مختبر الشركة في بالو آلتو، حيث ستحلل الحواسيب البيانات التي تبثها لها الأجهزة وسيراجع شخص مؤهل من المختبر النتائج ويفسرها. وفي هذه الحالة يجب ترخيص مختبر بالو آلتو فقط. أما الأجهزة نفسها فكانت أقرب إلى آلات فاكس «غبية» ومعفاة من الإشراف التنظيمي.

ثمة أمر آخر كان من الصعب على شوميكر تجاوزه: أصرت ثيرانوس على أن التحاليل الدموية التي تجريها أجهزتها هي تحاليل طُورَتْ في المختبر وبالتالي هي خارج نطاق سلطة إدارة الغذاء والدواء.

وارتأت ثيرانوس أن شهادة CLIA لمختبر بالو آلتو كانت كافية لنشر واستخدام أجهزتها في كل مكان. تلك نظرية ذكية، لكن لم يقتنع بها شوميكر. كما لم يقتنع بها كيلى بدوره. فأجهزة ثيرانوس أكثر من مجرد آلات فاكس غبية. كانت أجهزة تحاليل دموية، وكسائر أجهزة التحليل في السوق، يجب في النهاية أن تخضع للمراجعة ثم الموافقة عليها من قِبل إدارة الغذاء والدواء. حتى ذلك الوقت، على ثيرانوس استشارة مجلس مراجعة مؤسسي وأن تأتي بروتوكول دراسة يمكن أن تركز الوكالة إليه. كانت مسألة تتطلب وقتاً يتراوح بين ستة وتسعة أشهر.

استمرت إليزابيت بالاعتراض على الرغم من حضور محامي

الجيش. لم تكن لغة جسدها عدائية كما كانت في بالو آلتو وكانت أكثر قبولاً للانخراط في نقاش، لكنهم بقوا في طريق مسدود. ما كان غريباً هو عدم حضور أي شخص من زكرمان سييدر معها في الغرفة. توقع شوميكر منها أن تحضر بمرافقة العديد من الشركاء في المؤسسة، لكن ها هي بمفردها. استمرت باستخدام نصيحة الشركة القانونية كحجة، إلا أن أحداً من الشركة لم يكن حاضراً ليؤكد الأمر.

انتهى الاجتماع بتكرار شوميكر لأهمية رؤيته لشيء مكتوب من إدارة الغذاء والدواء يدعم موقف ثيرانوس التنظيمي قبل أن يوافق على إجراء أية تجربة في أفغانستان. وافقت إليزابيث على إحضار رسالة كهذه. وتصرفت وكأن الأمر مسألة شكلية. شك شوميكر بالأمر، لكن على الأقل كانت الأمور الآن واضحة: كانت الكرة في ملعب ثيرانوس.

لم يسمع شوميكر أي شيء آخر عن الأمر حتى ربيع عام ٢٠١٢، حين بدأ بتلقي الاستفسارات من سيتكوم مجدداً. لم يتمالك نفسه من الشعور بالانزعاج. فثيرانوس لم تفشل في تأمين الرسالة التي طلبها فحسب، بل صمتت تماماً منذ أن سافر مع كيلى إلى واشنطن للقاء إليزابيث في كانون الأول.

وبموافقة مديره، قرر التواصل مع إدارة الغذاء والدواء بنفسه. في صباح ١٤ حزيران، ٢٠١٢، أرسل رسالة إلكترونية إلى سالي هوجفات، رئيسة قسم أجهزة الأحياء الدقيقة في الوكالة. عمل

الاثنان معاً خلال فترة زمالة شوميكر في إدارة الغذاء والدواء في عام ٢٠٠٣ وصادف أن التقيا منذ وقت قريب في مؤتمر الأسبوع الماضي. وصف شوميكر لهوجفات وضع ثيرانوس، وواصفاً مقاربة الشركة التنظيمية بـ«الجديدة تماماً»، طلب توجيهات من الوكالة حول الأمر. وعلى الرغم من أن رسالته الإلكترونية لم ترمِ إلى أن تكون أكثر من طلب غير رسمي للمشورة، فقد أطلقت سلسلة من الأحداث كانت لتجعله يفكر مرتين قبل أن يرسلها لو توقع ما سيحدث.

أحالت هوجفات تساؤلانه إلى خمسة من زملائها، بمن فيهم ألبرتو غوتيريز، مدير مكتب إدارة الغذاء والدواء للتشخيص المرضي والصحة الإشعاعية. صادف أن غوتيريز، الحاصل على شهادة دكتوراه في الكيمياء من برينستون، قد أمضى قسماً لا يستهان به من مهنته التي امتدت إلى عشرين سنة في الوكالة وهو يفكر بموضوع التحاليل المطوّرة في المختبر.

لطالما اعتبرت إدارة الغذاء والدواء أمر تنظيم LDTs، الاختصار الذي تعرف به التحاليل المطوّرة في المختبر، ضمن دائرة صلاحياتها. لكن، عملياً، لم تقم الوكالة بترتيب الموضوع، فعندما عُدّل قانون الغذاء والدواء والمواد التجميلية الفدرالي ليوّسع صلاحيات الوكالة من الأدوية إلى الأجهزة الطبية في عام ١٩٧٦، لم تكن فكرة الـ LDT شائعة. بل كانت تطورها مخابر محلية بين حين وآخر عندما تطرأ حالة طبية تستدعي ذلك.

تغير الأمر في التسعينيات عندما بدأت المخابر بابتكار تحاليل أكثر تعقيداً للاستخدام الشعبي، بما فيها التحاليل الجينية. وبحسب تقدير إدارة الغذاء والدواء نفسها، منذ ذلك الوقت سُوِّقَت أعداد هائلة من التحاليل الخاطئة وعديمة المصداقية التي لا يمكن الاعتماد عليها لحالات تتفاوت من السعال المتزايد وداء لايم إلى أنواع مختلفة من السرطانات، ما نتج عنه أذيّات للمرضى لم يُبلَّغ عنها. كان هناك إجماع متزايد في الوكالة على أنه من واجبها البدء بتطهير هذا الجزء من عمل المخابر، وكان أكبر مناصر لوجهة النظر هذه غوتيريز. وحين رأى رسالة هوجفات الإلكترونية التي حوّلتها إليه من شوميكر، هز غوتيريز رأسه غير مصدّق. كانت المقاربة الموصوفة هي بالضبط النوع من الخلل التنظيمي الذي يجري التداول بشأنه في إدارة الغذاء والدواء والذي أراد وضع حدّ له.

لم تعنِ وجهة نظر غوتيريز القائلة بوجوب إشراف إدارة الغذاء والدواء، وليست مراكز خدمات الرعاية الطبية والمساعدة الطبية (CMS)، على تنظيم LDTs بأنه لم يتفق مع زملائه في CMS. بل على العكس من ذلك، فقد ربطتهم علاقة عمل جيدة وغالباً ما كانوا يتواصلون عبر خطوط الوكالة لمحاولة ردم الهوة التنظيمية التي أنتجتها قوانين مضى عليها الزمن. أرسل غوتيريز الرسالة الإلكترونية مباشرة إلى جوديث يوست وبينني كيلر، وهما عضوان في قسم الإشراف على المخابر في CMS، مضيفاً ملاحظة في أعلى الرسالة:



ماذا عن هذا!!!! هل ستعتبر CMS هذا أنه LDT؟ يصعب عليّ أن أرى أننا سنلجأ إلى خيار التقدير المتعقل في هذه الحالة.

## ألبرتو

بعد أخذ ورد بين غوتيريز، ويوست، وكيلر توصل الجميع إلى الاستنتاج ذاته: لم يتوافق نموذج ثيرانوس مع التعليقات الفدرالية. وقرر يوست وكيلر أنه من الحكمة إرسال شخص إلى بالو آلتو ليرى تماماً ما تنوي عليه هذه الشركة التي لم يسمع بها أحد منهما من قبل ويصحح مفاهيمها الخاطئة.

كلّف بالمهمة غاري ياماموتو، مفتش ميداني مخضرم في مكتب CMS الإقليمي في سان فرانسيسكو، وبعد ذلك شهرين، في ١٣ آب، ٢٠١٢، وصل ياماموتو دون خبر مسبق إلى مكاتب ثيرانوس في بالو آلتو. في ذلك الوقت، كانت الشركة قد أتمت انتقالها إلى مبنى فيسبوك القديم على جادة ١٦٠١ ساوث كاليفورنيا، الذي يبعد مسافة أقلّ من ميل عن المقر السابق في جادة هيلفيو.

أدخلت إليزابيت وسوني ياماموتو إلى غرفة اجتماعات. وحين شرح أن وكالته تلقت شكوى بخصوص ثيرانوس وأنه كان هناك ليحقق بالأمر، فوجئ بمعرفتهم من أرسلها ومن أين جاءت. من الواضح أن أحداً ما أبلغهم عن رسالة شوميكر الإلكترونية إلى إدارة الغذاء والدواء. لم تكن إليزابيت راضية بالأمر، وهو شعور بدا واضحاً من عبوس وجهها. تظاهرت وسوني أنها لا يعلمان

ما الذي تحدث عنه شوميكر في رسالته. نعم، التقت إليزابيث مع ضابط الجيش، لكن لم تخبره إطلاقاً أن ثيرانوس أرادت نشر أجهزتها لتحليل الدم بعيداً وعلى مساحة واسعة تحت غطاء شهادة CLIA واحدة.

فسألها ياماموتو، لم إذاً طلبت ثيرانوس الحصول على شهادة CLIA؟ أجاب سوني أن الشركة أرادت معرفة كيف تعمل المخابر وما الطريقة الأفضل لفعل ذلك بدلاً من أن تعمل وفق ما ترى. وجد ياماموتو الجواب مراوغاً وغير منطقي. وطلب رؤية مختبرهم.

لم يتمكنوا من منعه من دخول المختبر كما فعلوا مع كيفن هنتر. كان هذا ممثل وكالة تنظيمية فيدرالية، وليس مستشاراً مخبرياً خاصاً يمكنهم معاملته بازدراء. فأخذه سوني مكرهاً إلى غرفة في الطابق الثاني من المبنى الجديد. فبعد طرد دوبوي، نقلت ثيرانوس المختبر من موقعه المؤقت في إيست ميدو سيركل.

ما وجده ياماموتو في الغرفة لم يعجبه لكن لم يشر مخاوف كبيرة أيضاً: كانت مساحة صغيرة مع بضعة أشخاص يرتدون مريلة المختبر البيضاء وعدداً قليلاً متناثر من الآلات التشخيصية التجارية التي مكثت دون حراك. بدا كأى مختبر آخر. لا دليل على أية تكنولوجيا تحليل دم مميزة أو جديدة. حين أشار إلى هذه المسألة، قال سوني إن أجهزة ثيرانوس ما زالت قيد التطوير ولم يكن لدى الشركة خطة لنشرها دون تصريح من إدارة الغذاء

والدواء - مناقضاً تماماً ما قالت إيزابيت لشوميكير ليس في مناسبة واحدة بل في مناسبتين. لم يكن ياماموتو واثقاً ما الذي سيصدق. لماذا يخلق ضابط في الجيش كل ذلك؟

لم يكن ثمة خروقات واضحة يمكن أن يشير إليها بخصوص الطريقة التي تعمل بها ثيرانوس حالياً، فألقى محاضرة طويلة على سوني حول قوانين المختبر. وحرص على تأكيد أن السيناريو الذي وصفه شوميكير في رسالته الإلكترونية إلى سالي هوجفات - محلات دموية تجريبية تعمل عن بعد من قاعدة أم حاصلة على شهادة CLIA - كان مسألة مرفوضة تماماً. وإن أرادت ثيرانوس في النهاية نشر أجهزتها في أماكن أخرى، ستحتاج تلك الأماكن شهادة CLIA أيضاً. إما أن يحصل ذلك، أو ستحتاج الأجهزة ذاتها إلى موافقة إدارة الغذاء والدواء، وهو الأفضل.

لم تكن إيزابيت تلك المرأة التي ستجلس ساكنة وتتقبل بالأمر حين تشعر بهجوم على شركتها. ففي رسالة إلكترونية لاذعة إلى الجنرال ماتيس، هاجمت الشخص الذي تجرأ ووضع العراقيل في طريقها. كتبت أن شوميكير أوصل «معلومات خاطئة بشكل صارخ» إلى إدارة الغذاء والدواء و CMS حول ثيرانوس. وتابعت بكتابة مقاطع تعبر عن ازدرائها للمقدّم ونسبت إليه مجموعة من الأقوال غير الدقيقة التي زعمت أنه قدمها للوكالتين «جمعت بمساعدة مستشارنا». ختمت رسالتها الإلكترونية بطلب:

ستتخذ إجراءات سريعة لتصحيح هذه المقولات المضلّة.

سأقدر مساعدتكم عالياً في تصحيح هذه المعلومات مع الوكالات التنظيمية - أخبر المقدّم شوميكر إدارة الغذاء والدواء أنه يعطيهم «نبذة» عما «تعتزم ثيرانوس فعله» وقدم للوكالة معلومات غير صحيحة تجعل الأمر يبدو وكأن الشركة تخرق القانون. وحيث أن هذه المعلومات جاءت من داخل وزارة الدفاع، فسيكون تصحيح المعلومات بصورة رسمية أكثر قيمة من قبل الأشخاص المناسبين في وزارة الدفاع. شكراً لأفكاركم وكما دائماً لوقتكم.

مع تحياتي

إليزابيت.

بعد ذلك بساعات قليلة، حين قرأ رسالة إليزابيت الإلكترونية، غضب ماتيس. وأحال الرسالة إلى الكولونيل إيرن إدغار، مسؤول قسم الجراحة لدى القيادة المركزية الأميركية والمعاون الخاص الذي عينه ليكون مسؤولاً عن إنجاز اختبار ثيرانوس الميداني، وحمّلت الرسالة ملاحظة عبرت عن غضبه:

إيرن: من هو المقدّم شوميكر وماذا يحدث هنا؟... حاولت اختبار هذا الجهاز ميدانياً بأسرع وقت ممكن، بشكل قانوني وأخلاقي، ويجب أن أعلم هل حدثت هذه الزيارة كما ذكر أدناه وكيف نتجاوز هذه العقبة... المهم، أريد حقيقة مثبتة لدقة الأقول أدناه. إن كان علي أن أرى المقدّم شوميكر والمقدّم مان بحيث يوضحان كيف أشجع على حصول أمر غير أخلاقي وغير قانوني

لذلك أرجوك حدد موعداً للقائهما بي في تامبا حين أعود إلى الولايات «كذا هكذا» (سيتم تأخيري في مسرح الأحداث حتى تاريخ يتجاوز تاريخ عودتي الأصلي). شكراً. م.

وضعت زيارة مفتش CMS المفاجئة إليزابيت في درب حرب. وفي مكالمات هاتفية مع الكولونيل إدغار، هددت بمقاضاة شوميكرو. نقل إدغار تهديدها إلى زميله في فورت ديتريك، ومع أخبار التفتيش. أيضاً حوّل إلى شوميكرو رسالة إليزابيت الإلكترونية إلى ماتيس مع ردّ ماتيس عليها.

حين قرأ خط الرسائل الإلكترونية، شحب لون شوميكرو. كان ماتيس واحداً من أكثر الأشخاص نفوذاً ومهابة في الجيش. أخبر الجنرال الفظ جنوداً بحريين متمركزين في العراق في حادثة شهيرة، أن «كونوا مهذبين، كونوا محترفين، لكن لتكن لديكم خطة بقتل كل شخص تلتقونه.» لم يكن هذا الرجل الذي ترغب بألا تكون على وفاق معه إن كنت ضابطاً أدنى منه رتبة في الجيش.

كما شعر شوميكرو بالأسف ومن أعماقه لأن تصرفاته قادت إلى تفتيش الشركة. كان يعرف تماماً كم يمكن أن تكون زيارات كهذه غير سارة: كانت مهمته السابقة في معهد البحث الطبي للأمراض المعدية في الجيش، حين كان مدير الوقاية الحيوية، وهو القسم المسؤول عن تأمين سلامة عملاء التهديد الحيوي المستخدمين في بحوث الجيش، قتل بروس آيفنز نفسه قبل ذلك بأسبوعين في تموز ٢٠١٨. أدى الانتحار إلى كشف أن آيفنز، وهو باحث في

المعهد، كان من المرجح أنه منفذ هجومات الجمرة الخبيثة في عام ٢٠٠١ وإلى كمّ ضخّم من التفتيش من قبل جهات مختلفة تتبع الوكالات الحكومية التي تعالج المأزق، والتي تابعت الأمر دون كلل لستتين. وكان شوميكر آخر من يستلم التقرير من كل من هذه الجهات.

مع تشجيع الكولونيل إدغار، حاول تهدئة الوضع بإرسال رسالة إلكترونية إلى المسؤولين في CMS يقرّ فيها بأنه لم يقصد أبداً التلميح إلى أن ثيرانوس وضعت مسبقاً الاستراتيجية التنظيمية التي وصفها، لكن فقط أنها كانت تفكر بها. كما عبّر عن استغرابه أن الوكالة أخبرت ثيرانوس أنه كان من طلب التفتيش. أتى الجواب بمفاجأة أكبر: لم تخبر CMS ثيرانوس بشيء كهذا؛ كان لدى الشركة نسخة مسبقاً من مراسلاته مع إدارة الغذاء والدواء حين وصل المفتش.

حين واجه الكولونيل إدغار بالمعلومة، اعترف إدغار بإذعان أنه وسالي هوجفات كانا قد شاركا إليزابيت الرسالة فيما وصفه بأنه إشراف. اعتذر ودعا شوميكر للقدوم إلى مقر سيتكوم في تامبا، فلوريدا، في الأسبوع القادم ليراجع مع ماتيس الأمور التنظيمية. توتر شوميكر لفكرة لقاء الجنرال وجهاً لوجه، لكن قبل الدعوة. تواصل مع ألبرتو غوتيريز ليرى إن كان يستطيع الانضمام إليه في الرحلة، معتبراً أن رأيه سيكون ذا وزن أكبر إذا دعمه شخص ذو موقع رفيع في إدارة الغذاء والدواء. على الرغم من إطلاعه على الأمر قبل وقت قصير من الموعد، وافق غوتيريز على القدوم.

في تمام الساعة ٣:٠٠ ظهراً. في ٢٣ آب، ٢٠١٢، رافق الكولونيل إدغار الرجلين إلى مكتب ماتيس في قاعدة ماكديل للقوى الجوية في تامبا. كان الجنرال ذو الواحد والستين عاماً شخصاً مهيباً على أرض الواقع: مفتول العضلات، عريض المنكبين، بدوائر سوداء حول عينيه أعطته مظهر رجل لم يحظ بالنوم لفترة كافية. كان مكتبه مزيناً بتذكارات حياة مهنية طويلة في الجيش. بين الأعلام، واللوحات المنقوشة، والعملات، استقرت عينا شوميكر لفترة وجيزة على مجموعة مذهلة من السيوف معروضة في خزانة خشبية. وحين جلسوا في غرفة اجتماعات ذات حواف خشبية توضع في أحد أطراف المكتب، دخل ماتيس مباشرة بالموضوع: «أيها السادة، كنت أحاول تعميم هذا الجهاز منذ سنة خلت، ما الذي حدث؟»

راجع شوميكر كل شيء بدعم من غوتيريز وشعر بالثقة من وقوفه على أرض صلبة. تحدث أولاً، مقدماً لمحة عامة عن الأمور التي يثيرها استخدام تكنولوجيا ثيرانوس في مسرح الأحداث. ومن هذه النقطة استلم غوتيريز الحديث وأخبر الجنرال أن زميله في الجيش كان محقاً في تفسيره للقانون: كان جهاز ثيرانوس خاضعاً لقوانين إدارة الغذاء والدواء. وبما أن الوكالة لم تراجع الجهاز وتوافق على استخدامه تجارياً بعد، فإنه يمكن فقط اختباره على أهداف بشرية تحت شروط صارمة يضعها مجلس مراجعة مؤسساتي. كان أحد هذه الشروط أن يعلن الخاضع للفحص موافقته - وهو أمر كان من الصعب جداً الحصول عليه في منطقة حرب.

لم يشأ ماتيس الاستسلام. أراد أن يعرف إن كان ثمة طريقة للمضي إلى الأمام. وكما قال لإليزابيت في رسالة إلكترونية قبل بضعة أشهر، كان مقتنعاً أن اختراعها «سيغير اللعبة» لمصلحة رجاله. اقترح غوتيريز وشوميكر حلاً: «تجربة موضوعية محدودة» تستخدم بقايا عينات دموية غير معروفة الهوية من رجاله. سيحرر ذلك من الحاجة إلى تحصيل موافقة معلنة وكان النوع الوحيد من الدراسة الذي يمكن تهيئته بالسرعة التي يريد فيها ماتيس البدء بالأمر. اتفقوا على متابعة هذا النهج. بعدما دخلوا بخمس عشرة دقيقة، صافح شوميكر وغوتيريز ماتيس وخرجوا. شعر شوميكر بارتياح هائل. بالمجمل، كان ماتيس فظاً لكن منطقياً وتم التوصل إلى تسوية يمكن العمل بموجبها.

لم ترق التجربة المحدودة التي تمت الموافقة عليها إلى التجربة الميدانية الحية الأكثر طموحاً كما كانت في ذهن ماتيس. ولن تستخدم تحاليل ثيرانوس الدموية للتوصل إلى العلاج المناسب للجنود الجرحى. وستُستخدم فقط على العينات المتبقية بعد الواقعة لمعرفة مدى مطابقة نتائج اختباراتهما لطرائق الجيش النظامية. لكن كان هناك شيء ما. ففي وقت مبكر من حياته المهنية، أمضى شوميكر خمس سنوات يشرف على تطوير التحاليل التشخيصية لعوامل التهديد الحيوية وكان مستعداً لبذل الغالي والرخيص مقابل إمكانية الوصول إلى العينات المسجلة مغفلة الاسم لأعضاء الخدمة في مسرح الأحداث. إذ يمكن للمعلومات التي تولدها تحاليل كهذه أن تكون مفيدة جداً في دعم الطلبات إلى إدارة الغذاء والدواء.



لكن، على مدى الشهور التالية، فشلت ثيرانوس بشكل لا يمكن تفسيره بالاستفادة من الفرصة التي مُنحت لها. وحين تقاعد الجنرال ماتيس من الجيش في آذار ٢٠١٣، لم تبدأ الدراسة التي استخدمت العينات الدموية المتبقية مجهولة الهوية. كما لم تبدأ الدراسة حين تسلّم الكولونيل إدغار مهمة جديدة كرئيس لمعهد الجيش للبحث الطبي للأمراض المعدية بعد ذلك بأشهر قليلة. بدا وكأن ثيرانوس لم تتمكن من ترتيب أمورها.

في تموز ٢٠١٣، تقاعد المقدم شوميكر من الجيش. وفي حفل وداعه، قدم له زملاؤه في فورت ديتريك «شهادة نجاة» لامتلاكه شجاعة الوقوف في وجه ماتيس شخصياً والخروج من المواجهة حياً. كما منحوه تي-شيرت كُتب على وجهه الأمامي السؤال التالي، «ماذا تفعل بعد نجاتك من لقاء وجيز مع ضابط ب-٤ نجوم؟» يمكن إيجاد الجواب على ظهره: «تقاعد وأبحر إلى حيث الغروب».

(١١)

## إشعال فويتز

رن جرس باب العقار رقم ١٢٣٨ كولدووتر كانيون درايف في بيفرلي هيلز في الساعة ١٥:١٠ صباحاً يوم السبت، ٢٩ تشرين الأول، ٢٠١١. كانت الفيلا ذات الطابق الواحد والبوابة والمحجوبة بأشجار النخيل ملكاً لريتشارد ولورين فويتز. اشتراها الثنائي منذ عامين ليعيشا قرب ولديهما، اللذين انتقلا من العاصمة واشنطن، إلى لوس أنجلوس بعد التخرج من جامعة جورجيتاون.

حين فتح ريتشارد فويتز الباب، حاول ساعي بريد أن يقدم له مجموعة أوراق قانونية.

قال الرجل «أتيت لتوصيل دعوى قضائية تخص فويتز للتكنولو جيا.»

أخبره فويتز أنه لا يستطيع أن يقبل استلام الأوراق لأن الشركة، على الرغم من أنها حملت اسمه، لم تعد له. باعها منذ أكثر من عشرة أعوام. وأوضح بأنها أصبحت الآن جزءاً من شركة دوائية كندية اسمها فاليانت فارماسوتيكالز. أجرى الرجل مكالمة أعاد فيها ما قاله فويتز. وكان الجواب، الذي صرخ به

أحدهم على النهاية الأخرى للخط، أنه كان في العنوان الصحيح وعليه فقط تسليم الأوراق. لكن تابع فويتز رفض استلامها. بعد أن فقد صبره، رمى رجل البريد الأوراق عند قدميه وغادر. أخذ فويتز هاتفه والتقط صورة للكومة المتناثرة على الممر. عرف تماماً عمّ كان الأمر. وكمدّعى عليه أيضاً في الدعوى القضائية، سُلم مجموعة مشابهة من الأوراق منذ يومين. بعد التفكير بالأمر ملياً لدقيقة، انحنى والتقط الأوراق المبعثرة. قرر أنه لا يريد أن يراها الجيران.

كانت الدعوى القضائية قد رُفعت من قبل ثيرانوس في محكمة سان فرانسيسكو الفيدرالية. ادّعت فيها أنه تأمر مع جو وجون فويتز، ابنه من زواجه الأول، لسرقة معلومات سرية من براءة اختراع من الشركة واستخدامها لتقديم براءة اختراع منافسة خاصة به، كما ادّعت الشركة، بأن جون قد قام بالسرقة بالنيابة عن والده بينما كان موظفاً في مكتب المحاماة الخاص ببراءات الاختراع الذي أوكلته ثيرانوس سابقاً، ماكديرموت ويل & إيميري.

أظهر رأس الصفحة الأولى من الشكوى أن ثيرانوس استأجرت خدمات المحامي الشهير ديفيد بويز ليمثلها. لكن، على الرغم من شهرة بويز، تلغثم شخص من شركته في ذكر بحثهم وسمى شركة فويتز الخاطئة. كانت فويتز فارما، شركة ريتشارد وجو الجديدة -وليس فويتز للتكنولوجيا- هي التي نسبت إليها براءة الاختراع المعنية. رفض فويتز استلام الأوراق لأنه أراد لبويز أن يدفع ثمن خطئه.

أغضبت القضية فويتز وابنيه، لكن بدايةً لم يقلقا بسببها أكثر مما يجب. كانوا واثقين من معرفتهم بطلان ادعاءاتها. كانت المرة الأولى والأخيرة التي يذكر فيها فويتز اسم شركة إليزابيت هولمز الناشئة مع جون في رسالة إلكترونية إلى ابنه في تموز ٢٠٠٦ مع رابط لطلب براءة اختراع لثيرانوس لمحها في بيانات مكتب براءات الاختراع العام. وفي الرسالة الإلكترونية، التي أرسلت بعد تقديم فويتز لبراءة اختراعه الشرطية بأكثر من شهرين، سأل إن كان جون قد عرف من خلال عمله في مكتب ماكديرموت بطلب ثيرانوس. أجاب جون أن ماكديرموت شركة كبيرة وأنه ليست لديه فكرة عن الأمر. بالكاد يتذكر جون المراسلة. بعد ذلك بست سنوات، لم يذكر شيئاً عنها أبداً. فيما يخصه، كانت في هذه الدعوى القضائية المرة الأولى التي يسمع فيها بكلمة «ثيرانوس».

لم يكن لدى جون أي سبب ليتمنى الضرر لـإليزابيت أو لعائلتها؛ ففي أوائل العشرينيات من عمره، كتب له كريس هولمز رسالة توصية ساعدت على قبوله في كلية الحقوق التابعة للجامعة الكاثوليكية. وفيما بعد، عرفت زوجة جون الأولى نويل هولمز من خلال لورين فويتز ونشأ بينهما نوع من المودة. حتى إن نويل زارتها حين وُلد ابن جون الأول وقدمت هدية للطفل.

وبالإضافة إلى أن ريتشارد وجون فويتز لم يكونا على علاقة طيبة. إذ رأى جون في والده المتسلط المصاب بجنون العظمة وحاول الحفاظ على حد أدنى من التعامل معه. في عام ٢٠٠٤، تخلى عنه كزبون لشركة ماكديرموت لأنه كان صعب المراس

وبطئياً في دفع مستحققاته. وقد أظهرت فكرة أن جون يمكنه أن يخاطر بحياته المهنية ليسرق معلومات لصالح والده سوء فهم جوهرى لعلاقتها الباردة.

لكن كان غضب إيزابيت من ريتشارد فويتز مفهوماً. نضج طلب براءة الاختراع الذي قدمه في نيسان ٢٠٠٦ إلى مكتب براءات الاختراع في الولايات المتحدة ورُخص تحت رقم ٧،٨٢٤،٦١٢ في تشرين الثاني ٢٠١٠ ووقف الآن في وجه رؤياها بأن تضع جهاز ثيرانوس في بيوت الناس. إن تحققت هذه الرؤيا يوماً ما، فسيكون عليها ترخيص آلية الرمز التسلسلي الذي ابتكره فويتز لتنذر الأطباء بنتائج تحاليل دم المرضى غير الطبيعية. استفزها فويتز بتلك الواقعة في اليوم الذي صدرت فيه براءة اختراعه بإرسال فويتز فارما بيان صحفي إلى عنوان البريد الإلكتروني الذي وضعت الشركة على موقعها للتساؤلات العامة [info@theranos.com](mailto:info@theranos.com)، وقررت إيزابيت أن تسحل جاراها القديم بتوظيف واحد من أكثر المحامين مهابة في البلاد لينال منه.

سبقت أسطورة ديفيد بويز وجوده. برز اسمه ليصبح ذا أهمية وطنية في التسعينيات حين وظفته وزارة العدل لمعالجة قضيتها المتعلقة بقانون مكافحة الاحتكار مع مايكروسوفت. وفي طريقه إلى نصر باهر في المحكمة، عرض بويز بيل غيتس بشراسة إلى أخذ إفادة مصورة على الفيديو استغرقت عشرين ساعة وكانت مدمرة لدفاع عملاق البرمجيات. وتابع بتمثيله آل غور أمام المحكمة العليا خلال النضال لأجل الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠، بعد

ترسيخ اسمه كمحام مشهور. وفي وقت أقرب، قاد بنجاح الحملة لردّ الاقتراح ٨، وهو الحظر الذي فرضته كاليفورنيا على زواج المثليين.

كان بويز حقوقياً بارعاً يمكنه أن يكون عديم الرحمة حين يشعر بأن الوضع يتطلب ذلك. وفي حالة توضيح أخلاقيته الشرسة غير المهادنة في العمل، صعد خلافاً في عمل تجاري بين زبون وصاحب شركة إقراض في بلم بيتش إلى قضية ابتزاز فيدرالية اتهم فيها الرجل وثلاثة من رعاة حديقته بالتآمر، الاحتيال، الابتزاز، و- أخيراً وليس آخراً- انتهاك قانون مكافحة الاحتكار. وبعد أن ألغى قاض في ميامي القضية، استأنف بويز الحكم إلى محكمة الولايات المتحدة للاستئناف للدائرة الحادية عشرة في أتلانتا. ولم يسقط القضية إلا بعد أن فشل ذلك الاستئناف.

اكتسبت شركة بويز للمحاماة، بويز، شيلر وفليكسنر، سمعة في الأساليب العدائية. لم يتطلب الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يدرك آل فويتز السبب. ففي الأسابيع التي سبقت رفع ثيرانوس للدعوى، لاحظ الثلاثة جميعاً أنهم كانوا تحت المراقبة. لاحظ ريتشارد فويتز سيارة تتبعه حين قاد سيارته إلى مطار فان نويز ليستقل طائرة إلى لاس فيغاس. أما جو، الذي عاش في ميامي، فقد حذره جاره، وهو شرطي متقاعد تصرف وكأنه قائد عين نفسه في كتلته السكنية، أن شخصاً كان يراقب منزله. رصد جون وزوجته رجلاً يلتقط صوراً لمنزلهما في جورجتاون. تأكد آل فويتز الآن أن هؤلاء كانوا عملاء تحرّ خاصين وظفهم بويز.

استمرت المراقبة بعد تقديم الدعوى وأثارت أعصاب لورين، زوجة فويتز. ورُكنت سيارات بشكل متكرر في الشارع المقابل لمنزلهم في بيفرلي هيلز، مع سائق يجلس داخلها بلا حراك. وفي أحد الأيام، لاحظت لورين شخصاً خلف المقود كان امرأة شقراء واقتنعت أنها نويل، صديقتها القديمة. اعتقد فويتز أن ذلك غير مرجح لكن أمسك آلة تصوير وعدسة هاتف والتقط صورة للسيارة من داخل المنزل، وهي تويوتا كامري رمادية. ثم خرج ليواجه السائق. وحالما اقترب من السيارة، انطلقت مسرعة. وحين ألقى نظرة أكثر تمعناً إلى الصورة لاحقاً، لم يستطع تمييز وجه المرأة بما يكفي ليستبعد احتمال أنها نويل. أغضب ذلك لورين أكثر فأكثر. كانت متأكدة أن آل هولمز عازمون على التسبب بإفلاسهم وعلى امتلاك منزلهم. وأصبحت تتصرف بشكل هستيري تقريباً.

لم يكن استخدام بويز لعملاء التحري الخاصين أسلوباً تهديدياً فقط، بل كان ناتجاً عن رهاب شك فردي شكّل رؤية إليزابيت وسوني إلى العالم. تركز هذا الرهاب حول نقطة أن اللاعبين الأكثر بروزاً في عالم المخابر، كويست دياغنوستيكس ولابوراتوري كوربوريشن أوف أميريك، لن يتوقفوا عند شيء لتحطيم ثيرانوس والتكنولوجيا الخاصة بها. وحين تم التواصل مع بويز في البداية كي يمثل ثيرانوس من قبل لاري إليسون ومستثمر آخر، كان ذلك القلق البارز هو ما تم إعلامه به. بكلمات أخرى، لم تقتصر مهمة بويز على مقاضاة فويتز، بل التحري فيما إذا كان متحالفاً مع كويست ولابكورب. لكن الحقيقة أن ثيرانوس لم تكن في حسابان

أي من هاتين الشركتين في تلك المرحلة وأنه، على الرغم من حياة فويتز الحافلة والملاى بالمؤامرات، إلا أنه لم يكن له صلات مع الشركتين بأي شكل من الأشكال.

بعد تقديم ثيرانوس دعواها القضائية بشهرين، أرسلت شركة المحاماة التي عينها جون فويتز لتدافع عنه، وهي كيكرو وفان نيست، وثائق عديدة إلى بويز مضت بقوة في دحض اتهامات ثيرانوس. كانت إحداها تصريحاً من بريان ماكولي، مدير سجلات ماكديرموت، يقر فيه أن بحثاً مكثفاً في أنظمة سجلات الشركة للإدارة والرسائل الإلكترونية أثبت أنه لم يكن لجون ولا لسكرتيته وصول إلى ملفات ثيرانوس على الإطلاق. وقد أرفق بالتصريحات مستندات قانونية تبين جميع الخطوات التي اتخذها ماكولي ليصل إلى استنتاجه. لكن في جواب وصل بعد خمسة أيام، صرف بويز النظر عن الوثائق باعتبارها «تخدم الذات» و«ليست.. شديدة الإقناع».

حاول ريتشارد فويتز أن يستأنف مباشرة مع مجلس ثيرانوس بإرسال عدة رسائل إلى أعضائها. في إحداها، ضمّن صورة لإليزابيت كطفلة ليثبت أن العائلتين كانتا في يوم من الأيام على علاقة ودية وعرفت إحداها الأخرى لزمن طويل. وفي أخرى، ضمّن مجلداً مليئاً بالنسخ من جميع الرسائل الإلكترونية التي تبادلها ومحاميه الذي كان معنياً ببراءة الاختراع حتى طلب براءة الاختراع في نيسان ٢٠٠٦ ليظهر أن براءة الاختراع ظهرت من عمله الخاص. كما عرض اللقاء مع أعضاء المجلس. أتى الجواب



الوحيد الذي حصل عليه من بويز، الذي كتب قائلاً إن ثيرانوس «احتارت» في أمر اعتقاده أن بإمكان رسائله الإلكترونية إثبات أي شيء.

على الرغم من عدم امتلاكه أدنى دليل يثبت قيام جون فويتز بها ادّعته ثيرانوس، وُجدت أشياء من ماضي جون خطط بويز لاستخدامها بغية زرع الشكوك في أذهان القاضي ولجنة المحلفين.

في عام ٢٠٠٩، بعد تخرج جون من كلية الحقوق بقليل، قام بدور الساعي بين والده وزميل صديق عمل في شركة محاماة تدعى سكاكن، آربس، سليت، ميغر وفلوم. أعطى الزميل الصديق جون رزمة من وثائق فواتير سكاكن ليسلمها إلى والده. في ذلك الوقت، كان ريتشارد فويتز في معركة قضائية مع زبون سكاكن، صانع المعدات الثقيلة تيريكس كوربوريشن، التي قاضته بتهمة التشهير لإخباره لجنة مجلس شيوخ أنها باعت قاذفات صواريخ سكود إلى العراق. على الرغم من مرور عشرين عاماً على الحادثة، ومن تسوية دعوى التشهير دون أن تجد المحكمة أي دليل على أن جون ارتكب أي خطأ، عزم بويز على استخدامها ليوحي أن لديه تاريخاً من تسريب المعلومات المسروقة إلى والده.

كان ثمة شيء آخر عزم بويز على استغلاله حدث في وقت قريب وكان غالباً أكثر تسبباً للأذى: أجبرت ماكديرموت جون على الاستقالة في عام ٢٠٠٩ حين اصطدم مع مصالح الشركة في مسألة ليست ذات صلة. كان سبب الخلاف إصرار جون على

أن تسحب الشركة اعتمادها على وثيقة مزورة في قضية أمام لجنة التجارة الدولية التي مثلت ماكديرموت فيها شركة صينية مملوكة من الحكومة ضد مكتب حكومة الولايات المتحدة لتحري الاستيراد غير العادل. وافقت قيادة ماكديرموت على سحب الوثيقة، لكن أضعفت الحركة دفاع الزبون الصيني بشدة وأغضبت شركاء الشركة الكبار. وبالتالي طلبت الشركة من جون المغادرة، ومقتبساً لائحة من حوادث أخرى قال إنها كشفت نمطاً من سلوك لا يليق بشريك. كان أحد الأسباب المذكورة شكوى قدمها زبون ضد جون. في ذلك الوقت، رفضت الشركة إعلام جون بهوية الزبون وحقيقة الأمر الذي دارت حوله الشكوى، لكن اكتشف الآن أنها لا بدّ الشكوى التي قدمتها إليزابيت في أيلول ٢٠٠٨ إلى تشاك وورك حول براءة اختراع والده.

اعتُبرت استراتيجية بويز برسمه صورة سيئة عن جون فويتز كبوة في حزيران ٢٠١٢ حين رفض القاضي الذي أشرف على القضية جميع التهم ضد جون على أساس أن قانون كاليفورنيا لسنة واحدة والمعني بالحد من التجاوزات القانونية قد انتهت صلاحيته. التفّ بويز وقاضي ماكديرموت في محكمة الولاية في واشنطن العاصمة، لكن صرفت تلك القضية بسرعة حين حكمت المحكمة بأن ادعاءات ثيرانوس ضد جون والشركة كانت تخمينية بالكامل. «لمجرد أن المحامين في الشركة كان يمكنهم الوصول إلى (وثائق ثيرانوس) لا يعني أن الشركة لم تحافظ على السرية،» كما كتب القاضي.

لكن بويز لم يكف عن المتابعة: خلال رفض الادعاءات ضد جون، سمح القاضي في قضية كاليفورنيا بمرور العديد من الادعاءات ضد ريتشارد وجوفويتز وبمتابعة القضية كي تتطور إلى محاكمة. وقد لا يكون جون مدعى عليه الآن، لكن لم يزل باستطاعة بويز استخدام الرواية ذاتها عن التواطؤ بين الأب والابن ليجادل في قضيته ضد ريتشارد وجو.

وباستمرار القضية حتى بداية الخريف، تحول انزعاج جون البدئي من القضية إلى غضب عارم ضد إليزابيث. إذ أسس بعد مغادرته ماكديرموت مكتبه الخاص، إلا أن قضية ثيرانوس وادعاءاتها أفقدته العديد من الزبائن. أضف إلى أن مجلس المحامين الخصم أثار تلك القضايا بهدف تعميمها على اثنتين منها. في الوقت الذي عزله فيه محامو بويز شيلر في ربيع ٢٠١٣، بات غضب جون أقوى وأكثر شدة من أي مصدر آخر للتوتر: تم تشخيص إصابة زوجته، أماندا، بـ فاسا بريفيا (vasa previa)، وهو إحدى مضاعفات الحمل حيث تتعرض فيه أوعية الجنين الدموية لخطر التمزق. فعاشت جحيم القلق مع زوجها حتى وصل عمر الجنين إلى أربعة وثلاثين أسبوعاً وأصبح بإمكان الأطباء توليد الأم ووضعها في وحدة العناية المشددة لحديثات الإنجاب.

حتى في أفضل الأوقات، كان جون نزقاً، غالباً ما تورط خلال فترة نضجه في شجارات مع الأولاد الآخرين. وأثناء استجوابه أحد شركاء بويز في ذلك اليوم، تحول إلى عدائي ومشاكس، فاستخدم ألفاظاً بذيئة وفقد السيطرة على أعصابه. بعد انتهائه من

أخذ الإفادة الذي استغرق ست ساعات ونصف، أطلق تهديداً جَيراً لصالح بويتز. فحين سألته أحد محامي والده إن كانت القضية قد آذت سمعته، وفي حال كان الأمر كذلك، هل أثر ذلك على تصرفاته أثناء أخذ الإفادة، أجاب:

بالتأكيد، أنا أكثر من منزعج من هؤلاء الناس. سأسعى لتحقيق انتقامي وأقاضي أبناء الزانية حين ينتهي الأمر، وتستطيع أن تكون متأكداً أنني لن أسمح لإليزابيث هولمز بامتلاك شركة حقيرة ثانية طوال حياتها. سأقوم بما أستطيع لأقدم براءات الاختراع و(أضاجعها...!) حتى تموت، بالتأكيد.

ومع تصاعد غضب جون فويتز، ازداد قلق أبيه وأخيه حول حجم تكاليف الدعوى القضائية. فقد استأجرا خدمات شركة المحاماة في لوس أنجلوس كيندل بريل وكليغر لتمثيلهما بكلفة بلغت ١٥٠٠٠٠ دولار أمريكي شهرياً. أرادت لورا بريل، وهي الشريكة التي استلمت قضيتهما، التقدم باقتراح مناهضة الدعوى القضائية الاستراتيجية في وجه المشاركة العامة SLAPPs لمحاولة إسقاط دعوى ثيرانوس على أنها تافهة وطائشة، الأمر الذي كان سيكلف ٥٠٠٠٠٠ دولاراً إضافية مع ضمانة ضعيفة لنجاحها. لذلك قررا الانتقال إلى شركة أصغر وأقل كلفة في شمال كاليفورنيا تدعى باني وايشيموتو واستأجرا خدمات الأستاذ في مدرسة الحقوق في جامعة جورج واشنطن ستيفن سالتزبرغ، الذي قدم خدمات قانونية إلى فويتز في الماضي، ليشرف على عمله.

بالمقابل، علموا أنهم يواجهون واحداً من أكثر المحامين تكلفة في العالم. أخذ بويز أتعاباً من زبائنه تبلغ ألف دولار في الساعة وكان معروفاً بأنه يجني أكثر من ١٠ ملايين دولار سنوياً. لكن ما لم يعلموا به، أنه في هذه الحالة قبل بأسهم بدلاً من أتعابه الاعتيادية. منحت إيزابيت لشركته ٣٠٠٠٠٠٠ سهماً من ثيرانوس بسعر ١٥ دولار للسهم الواحد، الذي حدّد سعر خدمات بويز برقم ٤,٥ مليون دولار أمريكي.

لم تكن المرة الأولى التي توصل فيها بويز إلى تلقي أتعابه بطريقة بديلة مع زبون بئله أسهماً كدفعات. فخلال فترة جائحة الدوت-كوم، قبل أسهماً ليمثل WebMD، الموقع الذي يؤمن معلومات طبية إلى المستهلكين. امتلك بويز ترلّف الرأسمالي المغامر تجاه القضايا ورأى بأنه سيجني الكثير من المال لصالح شركته في حال كانت الدفعات على شكل أسهم. لكن الأمر كان يعني أيضاً أن لديه مصلحة مالية مستثمرة في ثيرانوس جعلته أكثر من مدافع قانوني. ساعد الأمر على تفسير سبب حضور بويز، أوائل ٢٠١٣، كافة اجتماعات مجلس إدارة الشركة.

على الرغم من وجود اسم إيزابيت على جميع براءات الاختراع في ثيرانوس، كان ريتشارد فويتز بالغ التشكيك في أن طالبة تخلت عن دراستها الجامعية دون أي تدريب طبي أو علمي يمكن أن تكون قد شاركت بالاختراع حقيقة. والمرجّح أكثر من أي شيء آخر، كما اعتقد، أن موظفين آخرين حاملين شهادات عليا هم من أنجز العمل الذي حظي ببراءة الاختراع.

فيما تحضّر الطرفان للمحاكمة، لاحظ فويتز اسماً ظهر كمخترع مشارك في العديد من شهادات إليزابيت: إيان غيرونز. وبقليل من البحث، علم بضعة حقائق رئيسية عن الرجل. كان غيرونز بريطانياً حاصلاً على شهادة دكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كامبريدج ونسب له الفضل كمخترع لما يقارب خمسين براءة اختراع في الولايات المتحدة، من ضمنها تسع عشرة ظهرت خلال عمله في شركة تدعى بايوتراك لابوراتوريز في الثمانينيات والتسعينيات.

افترض فويتز أن غيرونز كان عالماً حقيقياً وكمعظم العلماء، كان شخصاً نزيهاً. فإن تمكن من دفعه إلى الاعتراف تحت القسم بأن شيئاً من طلب براءة اختراع إليزابيت السابق لم يقتبس أو يستوحي من براءة اختراعه، ما سيشكل ضربة كبيرة لقضية ثيرانوس. كما لاحظ وجو أن بعض براءات اختراع بايوتراك العائدة لغيرونز تشبه براءات اختراع ثيرانوس، مما يفتح باب اتهام الشركة أنها عمدت إلى (تدوير) شيء من عمله الماضي بشكل غير ملائم. وأضاف اسم غيرونز إلى قائمة الشهود الذين أرادوا أخذ إفادتهم. لكن حدث بعدها شيء غريب: على مدى الأسابيع الخمسة التالية، استمر محامو بويز شيلر بتجاهل طلبهم إضافةً أخذ إفادة غيرونز. وعلى نحو متشكك، طلب آل فويتز من محاميهم العمل بشكل حثيث لحلّ المسألة.

## إيان غيرونز

كان إيان غيرونز أول عالم ذي خبرة توظفه إليزابيث بعد إطلاق ثيرانوس. جاء بتوصية من مرشدها في ستانفورد، تشانينغ روبرتسون. التقى إيان وروبرتسون في بايوتراك في الثمانينيات، حيث ابتكرا وحصلا على براءة اختراع آلية جديدة لتمديد ومزج العينات السائلة.

من ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٠، قاد إيان غيرونز أشغال الكيمياء في ثيرانوس إلى جانب غاري فرينزل. كان إيان، الذي انضم إلى الشركة الناشئة أولاً، رئيساً لغاري في البداية. لكن سرعان ما قلبت إليزابيث دوريهما بسبب تمتع غاري بمهارات تواصل أفضل، مما جعله مديراً ألطف. يقف كلاهما على طرفي نقيض - إيان، الإنكليزي المحافظ بحس فكاهته الظريف، وغاري، ممتطي الروديو السابق الثرثار الذي تحدث بلكنة أهل تكساس. لكن علاقة طيبة نشأت بينهما على أساس احترام كل منهما للآخر كعالمين ربما ينتقد أحدهما الآخر بشدة في الاجتماعات.

وبالضبط، كان ينطبق على إيان وصف العالم المهووس

بالدراسة. فقد أطلق لحية وارتدى نظارات ورفع سرواله عالياً فوق خصره. وكان بإمكانه قضاء ساعات يحلل البيانات ويحصل على ملاحظات وافرة موثقاً كل شيء فعله أثناء العمل. امتدت هذه الخصلة الوسواسية إلى أوقات فراغه: كان قارئاً شرهاً يحتفظ بقائمة لكل الكتب التي قرأها. ومن بينها، «البحث عن الزمن المفقود»<sup>(١)</sup> لمارسيل بروست في سبعة أجزاء، التي أعاد قراءتها أكثر من مرة.

التقى إيان وزوجته روشيل في أوائل السبعينيات في بيركلي. كان قد جاء من إنكلترا الزمالة ما بعد الدكتوراه في قسم علم الأحياء الجزيئي، حيث كانت روشيل تنجز بحث التخرج. لم يرزقا بأولاد، لكن إيان شغف بكتبتيهما كُلو ولوسي، وب ليفيا، وهي قطعة أطلق عليها اسم زوجة الإمبراطور الروماني أوغسطس.

إلى جانب القراءة، امتدت هوايات إيان الأخرى إلى الأوبرا- كان وروشيل يرتادان دار الأوبرا التذكارية للحرب في سان فرانسيسكو وسافرا بالطائرة في الصيف إلى نيومكسيكو ليحضرا عروضاً في الهواء الطلق لأوبرا سانتا في Santa Fe عند الغسق- وكذلك التصوير. وليرفقه عن نفسه، أحب تعديل الصور. أظهرته واحدة من كثير من الصور التي عاجلها فبدا كعالم مجنون يلبس القفازات ويلبس ربطة العنق بينما يخلط جرعات زرقاء وأرجوانية. وفي أخرى، وقد أقحم نفسه في مقدمة صورة للعائلة المالكة البريطانية.



كعالم كيمياء حيوية، كان إيان مختصاً في التحاليل المناعية، الأمر الذي كان السبب الرئيسي في تركيز ثيرانوس منذ بداياتها على ذلك النسق من التحاليل. كان منجذباً بشدة إلى علم تحليل الدم وأحب تدريسه. في سنوات الشركة الأولى، كان يقدم أحياناً محاضرات مصغرة ليعلم باقي الموظفين أساسيات علم الكيمياء الحيوية. كما أقام عروضاً تقديمية حول كيفية إنتاج تحاليل دموية متنوعة سُجِّلَتْ وخُزِّنَتْ في خوادم الشركة.

كان أحد مصادر التوتر المتكرر بين إيان ومهندسي ثيرانوس إصراره على أن التحاليل الدموية التي صممها مع الكيميائيين الآخرين يجب أن تعمل في أجهزة ثيرانوس بالدقة ذاتها التي كانت تعمل بها على طاولات المختبر. وخرجت المعلومات التي جمعها أن الأمر نادراً ما كان كذلك، مما سبب له إحباطاً لا يستهان به. حدثت مواجهة بينه وبين طوني نوجنت حول هذه المسألة خلال تطوير أجهزة إديسون. وبقدر ما كانت معايير إيان للدقة مثيرة للإعجاب، بقدر ما شعر طوني بأن كل ما كان يفعله هو الشكوى وأنه لم يقدم أية حلول.

كان لـ إيان أيضاً اعتراض على إدارة إليزابيت، خاصة الطريقة التي فصلت فيها المجموعات واحدها عن الأخرى وعدم تشجيعها لها على التواصل. والسبب الذي جعلها وسوني تنتهج هذا الأسلوب في العمل أن ثيرانوس كانت «في مرحلة يمكن أن تتعرض فيها للسرقة»، لكن لم يكن الأمر منطقياً بالنسبة لـ إيان. ففي شركة التشخيص الأخرى حيث اشتغل سابقاً، كان

ثمة عمل متقاطع للفرق دوماً مع ممثلين عن أقسام الكيمياء، والهندسة، والتصنيع، وضبط الجودة، والتنظيم تعمل معاً لتحقيق هدف مشترك. بهذه الطريقة يتسنى للجميع مشاركة المعرفة ذاتها، وتذليل العقبات، وإنجاز العمل قبل المهل النهائية.

كما كانت علاقة إيزابيت المتراخية مع الصدق نقطة جدال أخرى. سمعها إيان تنطق بأكاذيب صريحة أكثر من مرة ثم، بعد خمس سنوات من العمل معها، لم يعد يثق بشيء تقوله، خاصة حين تتحدث إلى موظفين أو جهات خارجية عن جهوزية التكنولوجيا الخاصة بالشركة.

طفح إيان بالإحباط في خريف عام ٢٠١٠ حين اشتد تودّد ثيرانوس لـ وولغرينز. واشتكى لصديقه القديم تشانينغ روبرتسون. اعتقد إيان أن روبرتسون سيبقي محادثتهما طي الكتمان، لكنه أبلغ إيزابيت بكل ما قاله إيان. كانت روشيل في سريرها حين وصل إيان إلى منزلها في بورتولا فالي متأخراً ليلة الجمعة تلك. أخبر زوجته أن روبرتسون خان ثقته وأن إيزابيت طردته من العمل.

لكنهما فوجئا باتصال سوني في الصباح التالي. فمن دون علم إيان، توسط العديد من زملائه في الساعات ما بين الليل والصباح لإقناع إيزابيت بإعادة النظر في قرارها. عرض سوني على إيان وظيفته مجدداً، وإن كانت دون المسؤوليات السابقة ذاتها. كان إيان، حين طردته إيزابيت، رئيس مجموعة الكيمياء المسؤولة عن ابتكار تحاليل دموية جديدة أكثر من التحاليل المناعية التي

طوروها لأجل جهاز إديسون. وسُمِّحَ له بالعودة كمستشار تقني للمجموعة، لكن منحت قيادتها لبول باتيل، عالم الكيمياء الحيوية الذي التحق بالشركة منذ شهرين بناء على توصية إيان.

كان إيان رجلاً معتدّاً بنفسه وتقبَّل تخفيض مرتبته بصعوبة. تضاعفت الإهانة التي شعر بها بعد ذلك بثمانية عشر شهراً، حين انتقلت الشركة إلى مبنى فيسبوك القديم وفقد المكتب المخصص له ضمن المقر في جادة هيلفيو. بالتأكيد، لم يكن الوحيد الذي نال منه التهميش حينها: نُحِّي غاري فرنزل وطوني نوجنت أيضاً فيما وظفت إليزابيت وسوني ورقياً موظفين جدد تفوق رتبهم العلماء المذكورين. كان الأمر وكأنه تنحية للحرس القديم - الأشخاص الذين أوصلوا إليزابيت إلى ما هي عليه الآن.

قبل الانتقال ببضعة أشهر، لاحظ طوني ملصقاً إعلانياً لفيلم «امرأة مغرمة» في مكتب إيان وبدأ بالحديث. استند الفيلم الذي ظهرَ عام ١٩٦٩ إلى رواية د. هـ. لورانس التي تحمل الاسم ذاته عن العلاقات بين أختين ورجلين في مدينة إنكليزية معروفة بالتنقيب عن الفحم في فترة قريبة من الحرب العالمية الأولى. ذكر إيان أنه كان يقوم بجولة في أنحاء إيرلندا حين ظهور الفيلم، وصادف أنه في تلك الأثناء كان طوني طفلاً يترعرع هناك. قاد ذلك إلى معلومات طريفة أخرى. علم طوني أن والد إيان أُسِرَ في شمال إفريقيا إبان الحرب العالمية الثانية. بعد أن احتُجز أولاً في مخيم باو في إيطاليا، ورُحِّلَ عبر أوروبا إلى معسكر آخر في بولندا، حيث تم تحريرهِ في نهاية الحرب.

عادت المحادثة أخيراً إلى هذا المكان والزمان وإلى ثيرانوس. طوني، مثل إيان، لم يعد محبباً لإليزابيت واستُثني من تطوير المختبر المصغّر، طرح فكرة أن الشركة ربما ليست إلا مجرد حامل لعلاقة إليزابيت وسوني العاطفية وأن أيّ عمل ينجزونه ليس ذا أهمية.

أوماً إيان. وقال، «إنه folie à deux».

لم يعرف طوني الفرنسية أبداً، فغادر لبحث عن معنى الجملة في القاموس. صعبه كم كان التعريف ملائماً: «حضور أفكار واهمة متطابقة أو متشابهة في شخصين يرتبط أحدهما بالآخر».

بعد الانتقال إلى مبنى فيسبوك القديم، ازدادت كآبة إيان. أقصَى إلى مكتب يغصّ بالموظفين وظهره مسند إلى الحائط. وقد رمز هذا إلى انعدام الأهمية التي آل إليها.

في أحد الأيام، صادفه المهندس توم بروميت في (سوق السمك)، وهو مطعم للوجبات البحرية في إيل كامينو ريل حيث كان بصدد لقاء صديق. وأثناء وقوفهما في الدور بانتظار الحصول على طاولة، سأل إيان إن كان بإمكانه الانضمام إليه وصديقه. كان إيان وتوم كلاهما في أواسط الستينيات من العمر وتربطهما علاقة طيبة. كانت المرة الأولى التي يتفاعلا بها بعد انضمام توم للعمل في ثيرانوس عام ٢٠١٠ بوقت قصير. أبدى انزعاجه من إهمال سوني ومدراء آخرين لرأيه أثناء نقاش حول نوع المهندس الذي يجب توظيفه لمساعدته، خرج توم من الاجتماع غاضباً وهو يفكر بالاستقالة. جاء إيان راكضاً وأكد له أن رأيه مهم - وهي بادرة قدرها توم كثيراً.

على مدى الستين القادمتين، لاحظ توم كآبة إيان المتنامية. وبينما جلسا للغداء في (سوق السمك)، تساءل توم إن كان إيان قد تبعه إلى هناك. فقد كان معظم الموظفين يتناولون الطعام الذي تقدمه لهم إليزابيث وسوني ولم يعتادوا مغادرة المكتب خلال النهار. وفوق ذلك، لم يكن المطعم قريباً من المكتب وإيان دخل بعده بدقيقة أو دقيقتين فقط. رجّح توم أن إيان تمنى أن يجده بمفرده. بدا تواقاً لأن يجد شخصاً يتحدث إليه. لكن كان توم هناك ليُعيد التواصل مع صديقه، وهو مندوب مبيعات لصانع رقائق ياباني. حاولوا ضم إيان إلى الحديث، لكنه بقي هادئاً بعد مجاملات ودية في البداية. لاحقاً، حين أعاد تمثيل المشهد في ذهنه، أدرك توم أنه تجاهل صرخة زميله طالباً المساعدة.

صادف توم إيان للمرة الأخيرة في أوائل عام ٢٠١٣ في كافيتريا المكتب. في ذلك الوقت، بدا مكتئباً. حاول توم رفع معنوياته، مذكراً إياه أنه يجني مبلغاً محترماً وأنه ليس عليه أخذ مأزقه في العمل بهذه الجدية. كان مجرد عمل، في النهاية. لكن اكتفى إيان بالتحديق في صحنه، بحزن عميق.

لم يكن تخفيض مرتبة إيان الشيء الوحيد الذي جعله يتأكل من الداخل. على الرغم من أنه أصبح الآن مجرد مستشار داخلي، يتابع العمل قرب الشخص الذي احتل وظيفته، بول باتيل. كان بول يكن احتراماً هائلاً لإيان كعالم. حين كان في عامه الأخير من الجامعة في إنكلترا، قرأ عن العمل الرائد في التحاليل المناعية الذي أنجزه إيان في الثمانينيات في شركة تدعى سيفا.

بعد ترقّيته، استمر بول بمعاملة إيان كندّ وباستشارته حول كل شيء. لكن اختلفا حول نقطة رئيسية هامة: ابتعد بول عن الصراع وكان أكثر من إيان قابليّةً للمساومة مع المهندسين الذين يصنّعون المختبر المصغّر. رفض إيان التنازل قيد أنملة وكان يغضب حين يطلب منه تخفيض معاييرهِ. أمضى بول ليال عديدة على الهاتف يتحدث معه محاولاً تهدّئته. وخلال هذه النقاشات، طلب إيان من بول أن يدافع عن قناعاته وألا يفقد للحظة بوصلة اهتمامه بالمريض.

كان إيان يقول، «بول، على الأمر أن يتم بالطريقة الصحيحة.»

عين سوني رجلاً يدعى سامارثا أنيكال، الحاصل على شهادة دكتوراه في الهندسة الكيميائية لكن دون خبرة صناعية، مسؤولاً عن دمج الأجزاء المختلفة من المختبر المصغّر. نظر بعض زملاء سام إليه كرجل يجيب دوماً بـ نعم وينفذ رغبة سوني. وخلال ٢٠١٢، كان لإيان وبول العديد من اللقاءات المشحونة مع سام. انفجر إيان في إحداها عندما أخبرهما سام أن مقياس الطيف الضوئي في المختبر المصغّر لم يصل بعد للمعايير الخاصة التي يعتبرها إيان غير قابلة للتفاوض. وافق سام عليها سابقاً لكنه قال الآن إنه يحتاج إلى المزيد من الوقت. حين عاد إيان إلى مكتبه، كان في حالة من الذهول.

في عطّل نهايات الأسبوع، غالباً ما كان إيان وروشيل يذهبان للتنزه في التلال المنحدرة المحيطة بـ بورتولا فالي مع كلو ولوسي،

كليهما الإسكيمو الأمريكيين. وفي أحد هذه المشاور، أخبر إيان روشيل أن لا شيء موقفاً في ثيرانوس، لكنه لم يدخل في التفاصيل. لقد حالت اتفاقات السرية الصارمة التي وقع عليها بينه وبينهم مناقشة أي شيء محدد عن الشركة، حتى مع زوجته. لدرجة أنه رثى المنحى الذي اتخذته حياته المهنية. شعر بأنه قطعة أثاث هرمة ركنت في المستودع. فإليزابيث وسوني كفّا عن الاستماع إليه منذ وقت طويل.

في الأشهر الأولى من عام ٢٠١٣، توقف إيان عن الذهاب إلى المكتب في معظم الأيام واشتغل في المنزل بدلاً من ذلك. شُخصت إصابته بسرطان القولون منذ ست سنوات وخسر بعض الوقت في العمل بعد خضوعه للجراحة والعلاج الكيميائي. وافترض الزملاء أن السرطان قد عاد. لكن لم يحدث ذلك. كانت حالته مستقرة وصحته جيدة. كانت المشكلة في صحته العقلية: لقد عاش اكتئاباً سريراً عميقاً غير مشخص.

في نيسان، أعلمت ثيرانوس إيان أن المحكمة استدعته ليشهد في قضية فويتز. جعل احتمال أخذ إفادته منه شخصاً متوتراً. ناقش مع روشيل الدعوى القضائية عدة مرات. كانت روشيل قد عملت في مرحلة ما كمحامية مختصة ببراءات الاختراع، فطلب منها إيان مراجعة ملف براءة اختراع ثيرانوس على أمل أن تعطيه بعض النصيح. وأثناء قيامها بذلك، لاحظت أن اسم إليزابيث موجود على جميع براءات اختراع الشركة، غالباً في الصف الأول في لائحة المخترعين. وحين أخبرها إيان أن مساهمة إليزابيث العلمية

كانت تافهة، حذرته روشيل أنه يمكن لبراءات الاختراع أن تُبطل إذا كُشف ذلك يوماً. ولم يسهم ذلك إلا في زيادة توتره.

لم يعلم إيان إن كان ثمة أساس لادعاءات إيزابيت بالسرقة حين قرأ براءة اختراع فويتز وطلبات براءة اختراع ثيرانوس جنباً إلى جنب. لكنه علم شيئاً بالتأكيد: لا يريد التورط في القضية. غير أن القلق اعتراه من أن بقاءه في وظيفته يعتمد على ذلك وبدأ يسرف في الشرب مساءً. أخبر روشيل أنه يشك في إمكانيته متابعة برنامج عمله المعتاد في ثيرانوس. كانت فكرة عودته إلى المكتب تسبب له الغثيان، كما قال. قالت روشيل إن عليه تقديم استقالته، فعمله سبب تعاسته. لكن لم تبدُ الاستقالة خياراً مناسباً له. ففي عمر السابعة والستين، لا يعتقد أن بإمكانه إيجاد عمل جديد. كما تعلّق أيضاً بفكرة أنه لا يزال بإمكانه مساعدة الشركة على حل مشكلاتها.

في ١٥ أيار، تواصل إيان مع مساعد إيزابيت لتحديد موعد معها، آملاً التوصل إلى نوع ما من ترتيب توظيفي بديل. لكن حين اتصل المساعد لتأكيد اجتماع اليوم التالي، اعترى إيان التوتر. أخبر روشيل أنه قلق من استغلال إيزابيت للاجتماع لتقوم بطرده. وفي ذلك اليوم بالضبط، تلقى اتصالاً من محامي ثيرانوس ديفيد دويل. بعد محاولة استمرت أسابيع من محامي بويز شيلر لتحديد موعد لأخذ إفادة إيان، نفذ صبر محامي فويتز وأرسلوا إليه رسالة مفادها أن عليه الحضور إلى مكاتبهم في كامبل، كاليفورنيا، في التاسعة صباحاً من يوم ١٧ أيار.



كان هذا سبب اتصال دويل. مع بقاء أقل من يومين على الموعد المحدد للقاء، حثَّ المحامي إيانَ على التحجج بوضعه الصحي للتملص من الإدلاء بإفادته وأرسل إليه رسالة إلكترونية تتضمن ملاحظة طبية يطلب فيها من طبيب إيان أن يتبناها ويوقع عليها. أحال إيان الرسالة إلى عنوان بريده الإلكتروني الشخصي ومن هناك، إلى بريد زوجته، طالباً منها طباعتها. بدا أن قلقه وصل إلى نقطة محومة جديدة.

علمت روشيل منذ فترة أن إيان لم يكن بخير، لكن مخاوف أخرى أثقلت كاهلها: كانت في حداد على والدتها، التي توفيت مؤخراً تاركة وراءها مسائل عقارية معقدة يجب حلها. كما افتتحت لتوها مكتب محاماة مع شريك. بالإضافة إلى أن شيئاً في داخلها كره أنها لم تنل الدعم الزوجي الذي احتاجته خلال تلك الفترة من حياتها. لكن حالة إيان المعذبة جعلتها تدرك كم بلغت حالته العقلية من الكآبة. فدفعته للموافقة على تلقي المساعدة وحددت موعداً مع طبيبه العام في الصباح التالي.

حين استيقظت روشيل في حوالي الساعة والنصف من صباح يوم ١٦ أيار، رأت الضوء في الحمام وبابه مغلق. افترضت أن إيان يحضر نفسه لزيارة الطبيب. لكن حين لم يخرج لفترة ولم يجب نداءاتها، دفعت باب الحمام لتفتحه، وجدت زوجها مشيَّ الظهر على كرسي مغمى عليه وبالكاد يستطيع التنفس. فاتصلت بالرقم ٩١١ مذعورة.

أمضى إيان الأيام الثمانية التالية متصلاً بمنفسه في مشفى ستانفورد. كان قد تناول من الأسيتامينوفين، المكون الفعال في مضادات الألم مثل تايلينول، ما يكفي لقتل حصان. وبتفاعله مع النيذ الذي شربه، أ تلف العقار كبده. أعلنت وفاته في ٢٣ أيار. وكيميائي خبير، عرفَ إيان تماماً ما كان يفعله. وجدت روشيل لاحقاً وصية موقّعة من قبله تفيد بأن بول باتيل وزميلاً آخر شهدا عليها قبل ذلك بأسابيع قليلة.

أنهك الأسى روشيل لكنها وجدت في نفسها القوة للاتصال بمكتب إيزابيت وترك رسالة لها مع مساعدتها تعلمها ب وفاة إيان. لم تعاود إيزابيت الاتصال بها. بدلاً من ذلك، لاحقاً في ذلك اليوم، تلقت روشيل رسالة إلكترونية من محامي ثيرانوس يطلب فيها أن تعيد بسرعة حاسوب وهاتف إيان المحمول الخاصين بالشركة وأية معلومات أخرى سرية يمكن أن تكون بحوزته.

داخل ثيرانوس، جرى التعامل مع موت إيان بالطريقة الباردة نفسها والأقرب إلى تويّ الأعمال. حتى إن معظم الموظفين لم يُعلموا بوفاته. أخبرت إيزابيت مجموعة صغيرة من مخضرمي الشركة فقط بالأمر في رسالة إلكترونية موجزة ذكرت فيها بشكل غائم شيئاً عن إقامة حفل تأبيني له. لم تتابع الأمر ولم تقم أي حفل تأبيني. تُركَ زملاء إيان لفترة طويلة يخمنون ما قد حدث، زملاء مثل أنجالي لاغاري، وهو كيميائي عمل مع إيان عن قرب لثماني سنوات في ثيرانوس ولستين قبل ذلك في شركة تقانة حيوية أخرى.

انزعج طوني نوجنت من عدم القيام بأية خطوة لإكرام ذكرى زميله الراحل. لم يكن مقرباً من إيان. بل في الواقع، كانا يتشاجران كالقطط والكلاب في بعض الأحيان خلال تطوير جهاز إديسون. لكن أزعجه جحودهم تجاه شخص كرس ما يقارب العقد من حياته للشركة. بدا الأمر وكأن العمل في ثيرانوس مجردهم جميعاً من إنسانيتهم بالتدريج. ومصمماً على إظهار أنه لا يزال إنساناً يحمل التعاطف تجاه أخيه الإنسان، قام طوني بتحميل قائمة ببراءات اختراع إيان من بيانات مكتب براءات الاختراع على الإنترنت، نسخها وألصقها في رسالة إلكترونية. ضمّن الرسالة صورة لإيان تعلق القائمة وأرسل الرسالة الإلكترونية إلى أكثر من عشرين زميلاً يتذكرونهم عملوا مع إيان، مسجلاً موقفاً بإرسال نسخة إلى إليزابيت. لم يكن بالأمر الكبير، لكنه على الأقل سيمنح الناس شيئاً يذكرون الراحل به، كما اعتقد طوني.

(١٣)

Chiat\Day تشيات/داي<sup>(١)</sup>

«أنت القائدة» نقرة. نقرة. نقرة. «قوية، ذات نفوذ.» نقرة.  
نقرة. «فكري برسالتك.» نقرة. نقرة. نقرة. نقرة.

كان مصور البورتريه الشهير مارتن شولر يمس بتوجيهاته بنعومة لإليزابيت بلكنته الألمانية الثقيلة ليستفز منها درجات من المشاعر أثناء التقاط صورتها. كانت قد ارتدت بلوزة عنق سوداء رقيقة وصباغ شفاه أحمر، وكان شعرها ممشطاً إلى الخلف ومسرحاً في كعكة تراخت فغطت أذنيها. وثمة مصباحان عموديان على جهتي الكرسي التي جلست عليها يُنيران وجهها الضيق بشكل باهت ويخلقان ضوء أبيض في بؤبؤيها، الميزة التي تُعدّ العلامة الفارقة لمصور شولر.

كان توظيف شولر فكرةً باتريك أونيل، المدير الإبداعي لوكالة الإعلانات ت. ب. دبليو آي/ تشيات/ داي، مكتب لوس

(١) Chiat / Day هو القسم الأمريكي لوكالة إعلانات TBWA Worldwide. أنشئت في عام ١٩٩٥ بدمج TBWA و Chiat / Day تدير الوكالة مكاتب في لوس أنجلوس ومدينة نيويورك وناشفيل ومكسيكو سيتي. (ويكيبيديا).

أنجلس. كانت تشيات / داي تعمل على مشروع تسويق سري لصالح ثيرانوس. تدرّجت المهمة من خلق هويّة علامة تجارية إلى تأسيس موقع إلكتروني وتطبيق يعمل على الهواتف الذكية لصالح الشركة قبل الإطلاق التجاري لخدماتها في اختبارات الدم ضمن متاجر وولغرينز وسيفواي.

اختارت إليزابيت تشيات / داي لأنها الوكالة التي مثلت آبل لسنوات عديدة، مبتكرة إعلان كمبيوترها الماكينتوش الأيقوني عام ١٩٨٤ ولاحقاً حملة «فكر بشكل مختلف» في أواخر التسعينيات. حتّى إنها حاولت أن تقنع لي كلو، العبقرى المبدع الذي يقف وراء تلك الإعلانات، بأن يخرج من تقاعده ويعمل لديها. فوجهها كلو بتهذيب إلى الوكالة، حيث اتّصلت مباشرة بباتريك.

شاب فائق الوسامة بشعر أشقر، وعينين زرقاوين، وجسد منحوت لشخص التزم بالتمارين الرياضية بصرامة، فُتنَ باتريك بإليزابيت من النظرة الأولى. لم يكن انجذابه ذا طبيعة رومانسيّة، فقد كان مثلياً. بالأحرى، شدّته جاذبيتها ودافعها الفردي لأن تُحدث أثراً في الكون. عمل لصالح تشيات / داي لخمس عشرة سنة، مبتكراً الإعلانات لصالح زبائن يمثلون شركات ضخمة مثل فيزا وأيكيا. كان العمل مثيراً للاهتمام، لكنّه لم يلهمه كما فعلت إليزابيت منذ قدومها إلى مقرّ الوكالة المعدّل في بلايا ديل ري ووصفها رسالة ثيرانوس بأنها تهدف إلى منح الناس فرصة في عناية صحيّة بلا ألم، وبكلفة منخفضة. في عالم الإعلانات، ليس من الرائج أن تعمل على شيء امتلك إمكانية فعلية في جعل العالم

مكاناً أفضل. لم يُفاجأ باتريك أو ينفر من إصرار ثيرانوس على السرية التامة، فقد تصرّفت آبل بطريقة مماثلة. تفهّم حاجة شركات التكنولوجيا لحماية ملكيّتها الفكرية القيّمة. في كل الأحوال، على الشركة أن تخرج قريباً من «أسلوب التسلل»، كما أسمته إليزابيت، وهنا جاء دورُه: تجسّد عمله في جعل الإطلاق التجاري قويّ الأثر إلى أعلى درجة ممكنة.

كانت إعادة تصميم موقع ثيرانوس جزءاً كبيراً من ذلك. فصور شولر ستُعَرّض فيه، وليست صور إليزابيت فقط. أمضى المصوّر معظم فترة التصوير التي استغرقت يومين داخل استوديو في كولفر سيتي يلتقط الصور لعارضات وعارضين يتخذون وضعية المرضى. كان هؤلاء من كلا الجنسين ومن أعمار وإثنيات مختلفة: أطفال تحت سن الخامسة، أطفال تتراوح أعمارهم بين الخمسة والعشرة أعوام، عارضات وعارضين شباب، أشخاص من أعمار متوسطة، وكبار في السن. كان بعضهم أبيض، بعضهم الآخر أسود، وكان آخرون من الإسبان أو الآسيويين. وتمثلت الرسالة في أن ثيرانوس ستساعد الجميع.

أمضت إليزابيت وباتريك ساعات في انتقاء صور المرضى من جلسة التصوير تلك. فقد أرادت إليزابيت أن تعبّر الوجوه التي ستُعَرّض على الموقع عن التعاطف. تحدّثت بشكل مؤثر عن الحزن الذي يعتري الناس حين يكتشفون إصابة أحد الأحبة بمرض وأن الوقت تأخر لفعل شيء. وذلك ما ستغيّره اختبارات

الدم غير المؤلمة التي تقدّمها ثيرانوس من خلال اكتشاف الإصابة بالمرض قبل أن يتحوّل إلى حكم موت مبرّم، كما قالت.

كان باتريك ومجموعة من زملائه في تشيات / داي يطIRON مرة كلّ أسبوع إلى بالو آلتو لجلسة تفكير خلاق مع إيزابيت، وسوني، وأخيها كريستيان خلال خريف عام ٢٠١٢ ثم لتتواصل الرحلات خلال شتاء وربيع عام ٢٠١٣ - الفترة التي كان فيها إيان غيرونز يوغل في الاكتئاب وستيف بيرد يمضي أشهره الأخيرة كرئيس تنفيذي في سيفواي. أدرجت إيزابيت موعد الاجتماعات في أيام الأربعاء بعد أن علمت بأن اجتماعات آبل الإبداعية مع الوكالة عُقدت دوماً في ذلك اليوم من الأسبوع. ودون مواربة أبلغت باتريك إعجابها برسالة العلامة التجارية لآبل وأرادت أن تضاهيها.

داخل تشيات / داي، عُرِفَت مهمّة ثيرانوس باسم «المشروع ستانفورد». انضم إلى باتريك في رحلاته الأسبوعية إلى بالو آلتو كاريسا بيانشي، رئيسة مكتب الوكالة في لوس أنجلوس، ولورين كيتش، الرئيسة الاستراتيجية في الوكالة، وستان فيوريتو، المشرف على المسألة، ومايك ياغي، كاتب الإعلانات. ومنذ البدايات، قرر فريق تشيات / داي أن أفضل تمثيل بصري لاختراع ثيرانوس كان القارورة المصغرة التي ابتكرتها لجمع الدم من رؤوس الأصابع. أسمتها إيزابيت «النانوتينر/ الحاوية فائقة الصّغر». كانت ملائمة لأنها كانت صغيرة للغاية. بطول ٢٩، ١ سنتيمتراً، أقصر من عملة عشرة سنتات واقفة. أراد باتريك أن يأخذ صوراً لها ليوصل

مقياسها المدرّج إلى الأطباء والمرضى. لكن اعترى إليزابيت وسوني قلق كبير حول تسريب أخبار عنها قبل الإطلاق فيما لو أتيح لأحد من الخارج أن يراها. فاتّفقوا على أن تشيات / داي ستوظف مصوّرها الداخلي لأخذ صور لها في استديو التصوير الصغير الذي امتلكته الوكالة والقائم في مستودعها في بلايا ديل ري.

في اليوم المحدد، طار دان إيلدين من أصدقاء كريستيان في جامعة ديوك، إلى لوس أنجلوس. مع حقيبة مصممة بناء على طلب الزّبون تحتوي اثنتي عشرة قطعة من النانوتينر. وكان تفتيشها أثناء وجود حقيبتها في المطار أمراً غير مقبول؛ فبقيت في عهده طوال الرحلة. وحين وصل إلى المقرّ، لم يسمح دان للقوارير الصغيرة أن تبتعد عن نظره.

لم يُتَح لأحد في الوكالة بلمس القوارير باستثناء باتريك الذي أمسك إحداها بشكل سريع وأثار صغر حجمها دهشته.

مال الدم الحقيقي إلى التحول إلى اللون الأرجواني بعد فترة مع تعرضه للهواء، فملؤوا إحدى النانوتينرات بدم مزيف من عدة التنكر الخاصة بالهالوين والتقطوا لها صوراً مع خلفيّة بيضاء. أنشأ بعدها باتريك فيديو صور يظهر فيه الأنبوب متوازناً على قمة إصبع. كما توقع، كان المشهد أسراً. جرّب مايك ياغي العديد من الشعارات التي تنسجم مع الصورة، وأخيراً استقر على جملتين نالتا إعجاب إليزابيت: «قطرة صغيرة تغيّر كلّ شيء» و«الاختبار في المختبر، معاد اختراعه». أتلّفوا الصورة وحولوها



إلى إعلان ساخر ذي صفحة كاملة من وول ستريت جورنال. كان ذلك يعرف في لغة الإعلانات بـ«الهدف الذي يتم تحقيقه بارتداد الكرة». أحبته إيزابيت وطلبت دزينة إضافية من نسخته. لم تقل غايتها من ذلك، لكن شعر ستان فيوريو بأنها كانت تستخدمها كأدوات مساعدة أثناء اجتماعاتها مع مجلس الإدارة.

عمل باتريك أيضاً مع إيزابيت على شعار جديد للشركة. آمنت إيزابيت بزهرة الحياة، نموذج هندسي من الدوائر المتداخلة ضمن دائرة كبيرة اعتبرها الوثنيون في الماضي التعبير البصري عن الحياة التي تجري في عروق جميع الكائنات الواعية. تبنته لاحقاً حركة العصر الجديد في السبعينيات على أنه «الهندسة المقدسة» التي وهبت التنوير لأولئك الذين أمضوا بعض الوقت في دراستها.

وهكذا أصبحت الدائرة الفكرة الرئيسية لعلامة ثيرانوس التجارية. لُوّن الفراغ داخل حرف «O» في كلمة «ثيرانوس Theranos» بالأخضر لإبرازها، وأُطِّرت صور المرضى والنانوتينر بدوائر تلتجئ إلى رأس إصبع. ابتكر باتريك أيضاً طقماً من الحروف المطبعية الجديدة للموقع ومواد دعاية مشتقة من هيلفيتيكا بحيث تكون النقاط فوق حروف «I» و«J» والنقاط في أواخر الجمل مدوّرة بدلاً من أن تكون مربّعة. وبدأت إيزابيت راضية عن النتائج.

وبينما بقي باتريك مسلوب اللب بإيزابيت. كان ستان فيوريو أكثر حذراً. أما ستان، الاجتماعى المخضرم في صناعة

الإعلانات ذو الشعر الأشقر والوجه المنمّش، فاعتقد بوجود شيء غريب في سوني. لقد استخدم الكثير من لغة الهندسة الإلكترونية الاصطلاحية في اجتماعاتهم الأسبوعية لم يكن ثمة داع لها خلال نقاشهم التسويقي. وحين حاول ستان دفعه لشرح الآلية التي توصل من خلالها إلى ما بدا أهدافاً تسويقية حادة بشكل كبير، أعطى سوني أجوبة مبهمّة ومتفاخرة. فالشركات تقوم عادة ببحوث لتحديد حجم الجمهور الذي تسوّق له ومن ثمّ تحسب نسبة الجمهور الذي يؤمل بشكل واقعي أن يتحول إلى مستهلك لمنتجها. لكن مفاهيم أساسية كهذه بدت غائبة عن سوني. حاول ستان التحري عنه عبر الإنترنت فلم يجد شيئاً. ففكر أنه من الغريب أن شخصاً ما مثل سوني - صاحب المشروع التكنولوجي الذي باع شركة في ذروة موجة الدوت كوم وكسب أموالاً طائلة إثر ذلك - لم يترك له أي أثر على الشبكة العنكبوتية. وتساءل إن كان سوني قد استعان بخدمات شخص ليقوم بمسح جميع المعلومات عنه.

كما كان من الغرابة بمكان أن تقوم شركة ناشئة مغمورة باستئجار خدمات شركة إعلان عملاقة مثل تشيات/ داي برؤسائها وموظفيها، إذ كانت الوكالات الكبيرة مكلفة. وكانت تشيات/ داي تتقاضى من ثيرانوس مقدم ألعاب بلغ ستة ملايين دولار أمريكي في السنة. أين كانت هذه الشركة الناشئة التي لم يسمع بها أحد قبل أن تحصل على المال اللازم لدفع مستحقات كهذه؟ صرّحت إيزابيت في مناسبات عدّة أن الجيش استخدم

تكنولوجيا تلك الشركة في أرض المعركة في أفغانستان وبأنها أنقذت حيوات الجنود. وتساءل ستان إن كانت ثيرانوس ممولة من قبل البتاغون.

سيساعد ذلك في شرح مستوى السرية. فبحسب توجيهات سوني، يجب أن تكون أية مواد تقدمها ثيرانوس لتشيّات / داي مرقمة، مدوّنة في سجل، ومحفوظة في غرفة مغلقة يمكن أن يدخلها فقط أفراد الفريق المعيّن للعمل على الحساب. ويجب أن تنفذ أية طباعة على طباعة مخصصة لهذا الغرض داخل الغرفة. ولا يمكن رمي المواد التي يجب التخلص منها ببساطة، بل يجب تمزيقها أولاً. ويجب تخزين ملفات الكمبيوتر على مخدّم منفصل ويمكن مشاركتها فقط مع أعضاء الفريق بواسطة شبكة (إنترنت) إلكترونية داخلية ولا يمكنهم تحت أي ظرف مشاركة معلومات حول ثيرانوس مع أي شخص من مكتب تشيّات / داي في لوس أنجلوس أو عبر شبكة الوكالة الأوسع ممن لم يوقعوا على اتفاق السرية.

بالإضافة إلى مايك ياغي، عمل تحت إمرة ستان موظفان آخران بدوام كامل على حساب ثيرانوس، كيت وولف ومايك بيديتو. كانت كيت مسؤولة عن تأسيس الموقع الإلكتروني، بينما كان مايك مسؤولاً عن ابتكار بروتوكولات توزّع ضمن المتاجر، ولافات، وأداة مبيعات تفاعلية للآيباد خططت ثيرانوس لتوجيهها إلى الأطباء.

وعلى مرّ الشهور، تصاعد القلق لدى كيت ومايك عن زبونهم الغريب والمتطلب. كان كلاهما من الساحل الشرقي ويتمتعان بأخلاقيات جادة تعتمد المنطق في العمل. ترعرعت كيت في لينكولن ماساتشوستس، وكانت في الثامنة والعشرين من عمرها، وتلعب الهوكي على الجليد في جامعة بوسطن. منحتها نشأتها الطيبة، نشأة المدن الصغيرة، بوصلة أخلاقية قوية. كما حظيت بمعرفة طفيفة في الطب: فوالدها وشريكها طبيبان. أما مايك، فقد كان إيطالياً أمريكياً من فيلادلفيا في الثانية والثلاثين من عمره، تميّز بنزوع إلى السخرية ومارس رياضة الجري في الملعب والهواء الطلق عبر البلاد في الجامعة والمدرسة الثانوية. لا يهذر المرء أو يتسامح مع من ينال من مسقط رأسه.

أرادت إليزابيث للموقع ولجميع مواد التسويق أن تمثل مواقف جريئة واثقة. منها قدرة ثيرانوس على إجراء «أكثر من ٨٠٠ اختبار» من قطرة دم واحدة. ومنها أن التكنولوجيا الخاصة بها كانت أكثر دقة من فحوص المختبر التقليدية. أرادت أيضاً القول إن نتائج اختبارات ثيرانوس تجهز في أقل من ثلاثين دقيقة وأن اختباراتهما «موافق عليها من قبل إدارة الغذاء والدواء» و«مُتبّنة من قبل مراكز طبية رئيسية» مثل مايو كلينيك، و UCSF لوغوز.

حين تحرّرت عن أساس الادعاء بدقة ثيرانوس المتفوّقة، علمت كيت أنها كانت مقدّرة استقرائياً من دراسة أوجزت أن ٩٣ بالمئة من أخطاء المختبرات تعود إلى أخطاء بشرية. جادلت ثيرانوس أنه استناداً إلى كون عمليات التحليل هي بالكامل مؤتمتة

داخل جهازها، فذلك أساس كاف للقول إنها أكثر دقة من المخابر الأخرى. فكرت كيت بأن تلك كانت قفزة كبيرة في المنطق وقالت ذلك. في النهاية، هناك قوانين تتصدى للتضليل الإعلامي.

شاركها مايك الشعور ذاته. ولخص في رسالة إلكترونية أرسلها إلى كيت عددٌ فيها العناصر التي تحتاج إلى مراجعة، «تجعلنا الأتمة أكثر دقة» وكتب جملاً اعتراضيةً بجانب ذلك، «يبدو ذلك تسقط مديح مبالغ فيه» لم يسبق لمايك العمل من قبل في حملة تسويقية لمنتج في المجال الطبي وأراد أن يعمل بمنتهى الحذر. في العادة، تُقام حملات العناية الطبية، كتلك المتعلقة بالشركات الدوائية، من قِبل قسم خاص خارج نيويورك يُدعى TBWA\Health. تساءل لم لم يقيم هذا القسم بهذه المهمة أو لم لم يُستشر على الأقل.

ذكرت إليزابيث وجود تقرير من عدة مئات من الصفحات يدعم استحقاقات ثيرانوس العلمية. طلب كل من كيت ومايك رؤيته لعدة مرّات، لكن أحجمت ثيرانوس عن تقديمه. بدلاً من ذلك، أرسلت لهم الشركة ملفاً يحتاج كلمة سر لفتحه يحتوي ما قالت إنهم الخبراء الذين عملوا على التقرير. ذكر في الملف أن مدرسة الطب في جامعة جون هوبكينز اجتهدت في اختبار تكنولوجيا ثيرانوس ووجدتها «جديدة ومنطقية» وقادرة على إجراء «طائفة واسعة من الاختبارات والتحليل الخاصة» و«بدقة».

في كل الأحوال، لم تأت تلك الاقتباسات من تقرير طويل. بل أتت من ملخص اجتماع إليزابيث وسوني مع خمسة إداريين

من جامعة هوبكنز في نيسان عام ٢٠١٠ المؤلف من صفحتين فقط. وكما فعلت مع وولغرينز، استخدمت ثيرانوس مجدداً ذلك الاجتماع لتدعي أنه قد جرى تقييم نظامها بشكل مستقل. لكن ذلك ببساطة لم يكن صحيحاً. إذ طلب مدير قسم السمّية السريرية في مشفى جون هوبكنز وواحد من ثلاثة علماء في الجامعة حضروا اجتماع عام ٢٠١٠، ويدعى بيل كلارك، من إليزابيت أن تأتي إلى مختبره بواحد من أجهزتها ليجري اختبارات عليه ويقارن أدائه بالأجهزة التي يستخدمها عادة. أشارت إلى أنها ستفعل لكن لم تتابع الأمر. ولم يعلم كيت ومايك بالأمر، لكن أثار شكوكهما رفض ثيرانوس تقديم التقرير الكامل.

للحصول على أفكار حول كيفية تسويق هذا المنتج للأطباء، اقترحت تشيات/ داي إجراء مقابلات جماعية مكثفة مع بضعة أطباء. وافقت ثيرانوس على الفكرة لكن أرادت المحافظة على السرية، فأدرجت كيت اسمي شريكها وأبيها للمشاركة في المقابلات.

كانت تريسي، شريكة كيت، رئيسة المقيمين في مشفى مقاطعة لوس أنجلوس العام، حيث كانت تكمل إقامتها في الطب الداخلي وطب الأطفال. وخلال المقابلة معها، التي أُجريت عبر الهاتف، سألت تريسي بضعة أسئلة لم يتمكن من الإجابة عنها أي من محدّثيها من ثيرانوس. أخبرت كيت في تلك الليلة أنها تشك في امتلاك الشركة لأية تكنولوجيا جديدة فعلياً. تساءلت خاصة حول إمكانية الحصول على كمية دم من إصبع كافية لإجراء اختبارات دقيقة. جعل تشكيك تريسي كيت تفكر أكثر في الأمر.

كان الأشخاص الرئيسيون الذين تواصلت معهم كيت ومايك في ثيرانوس هم كريستيان هولمز وأخواه في أخوية جامعة ديوك، دان إدلن وجيف بليكمان. دعاهم مايك «ثيرابروز». تحدّث وكيت معهم على الهاتف وتبادلّت بينهم مراسلات إلكترونية بشكل متكرر في المرحلة التمهيدية لإطلاق الموقع الإلكتروني. أرادت ثيرانوس في البداية أن تبدأ بالعمل الحي في الأول من نيسان عام ٢٠١٣، لكن أرجأت التاريخ لعدة مرات. ثم حُدد موعد إطلاق جديد في أيلول، لكن مع اقتراب الموعد النهائي وضغط كيت ومايك على ثيرابروز لتقديم إثباتات تدعم الادعاءات التي كان على إليزابيت القيام بها، اتضح لهما أن بعض هذه الادعاءات كان مبالغاً به. على سبيل المثال، اكتشفا أن ثيرانوس لم تستطع الحصول على نتائج في فترة تقلّ عن ثلاثين دقيقة. لطّفت كيت هذه المعلومة لتقول بأن المعلومات تصبح جاهزة خلال «٤ ساعات أو أقل»، الأمر الذي بدوره لم تكن متأكدة منه. بدأ كل من كيت ومايك بالشك فيما إن كان بإمكان ثيرانوس إنجاز كافة اختبارات الدم من خلال عينة صغيرة مسحوبة من طرف إصبع وبأنها استخدمت سحبات وريدية تقليدية لبعض الاختبارات. اقترحا إضافة تصريح براءة ذمة إلى الموقع لتوضيح ذلك، لكن أتاهاهم الجواب من كريستيان وجيف أن إليزابيت لم ترد تصريح براءة ذمة.

تصاعد القلق لدى مايك إزاء المسؤولية القانونية لتشيات/ داي. عاد وقرأ عقد الوكالة مع ثيرانوس. ووجد بأنه يعوّض تشيات/ داي تجاه أية ادعاءات حول المواد المُسَوَّق لها والتي

وقع الزبون موافقاً عليها. أرسل رسالة إلكترونية إلى محام يدعى جو سينا من مكتب محاماة خارج الوكالة، وتدعى الوكالة ديفيد وغيلبيرت، سأل إن كان على تشيات / داي إلزام ثيرانوس باستخدام لغة محددة في موافقاتها الخطية. جاء الرد من سينا أنه لم يكن ذلك ضرورياً لكن حثّه على متابعة تلك الموافقات الخطية أولاً بأول.

في هذه الأثناء، تشاحت كيت مع كريستيان وجيف حول جملة أرادت إليزابيت إضافتها إلى الموقع تقول، «أرسلوا عينات إلينا.» سألتهم كيت عن نوع النظام اللوجستي لدى الشركة لنقل العينات الدموية من عيادات الأطباء إلى مخبر الشركة وكانت النتيجة أنه لم يكن لديهم أي شيء من ذلك. إذ سيرسل الأطباء «المشركون» بالخدمة رسالة إلكترونية تلقائية إلى بريد جيف الإلكتروني فقط. ما يحدث بعد ذلك علمه عند الله. وكما رأت كيت، لم يزعج أحد من ثيرانوس نفسه بالتفكير في ذلك.

تحولت الساعات الثمانية والأربعون قبل إطلاق الموقع الإلكتروني إلى تحبّط مجنون. أصيب مايك ياغي بنوبة ذعر وعاد إلى المنزل، ياغي الذي اجتهد لشهور لكتابة وإعادة كتابة النصوص حتى ترضى عنها إليزابيت وخضع لضغط كبير. ترك المكتب فجأة وبطريقة لم يعلم زملاؤه معها إن كان سيعود أبداً.

ثم، في ليلة الإطلاق، أبلغت ثيرانوس الجميع أنها تريد عقد اجتماع طارئ. اجتمع في غرفة المجلس في المستودع كل من كيت،



ومايك، وباتريك، ولورين كيتش، وكاتبة إعلانات تدعى كريستينا ألتبيتر غطّت مكان ياغي. (وسمّيت الغرفة بغرفة المجلس ذات الألواح لأن الطاولة فيها مصنوعة من ألواح التزلج) واستمعوا فيما أعلنت إيزابيت أن الفريق القانوني لثيرانوس طالب بتغيير في النصوص في اللحظة الأخيرة. انزعجت كيت ومايك. فقد طالبا بمراجعة قانونية لشهور. فلم يحدث ذلك الآن؟

استمر الاجتماع لأكثر من ثلاث ساعات حتى العاشرة والنصف ليلاً. راجعوا الموقع الإلكتروني سطرًا سطرًا، فيما أملت إيزابيت كل تعديل ينبغي إجراؤه. غفى باتريك مؤقتاً في لحظة ما. لكن بقيت كيت ومايك متيقظين ما يكفي ليلاحظا كيف تراجعت اللغة بشكل منهجي. أصبحت جملة «مرحباً بكم في ثورة الاختبارات المخبرية» «مرحباً بكم في ثيرانوس». وأصبحت جملة «نتائج أسرع. إجابات أسرع» «نتائج سريعة، إجابات سريعة». وأصبحت «كل ما تحتاجه هو قطرة صغيرة» «كل ما تحتاجه هو قطرات صغيرة».

أشارت جملة دعائية إلى جانب صورة طفل أشقر أزرق العيني، تقول «وداعاً أيتها الإبرة الكبيرة السيئة» إلى عينات مسحوبة من طرف الإصبع فقط. أصبحت هذه الجملة الآن «بدلاً من إبرة ضخمة»، كانت تشير فيما مضى فقط إلى سحب دم بوخزة إصبع. فإنه تُقرأ الآن، «بدلاً من إبرة ضخمة، يمكننا الاعتماد على وخزة إصبع صغير للحصول على عيّنة بالغة الصغر من سحبة وريد واحدة.» لم يفت كيت ومايك أن هذه التعديلات كانت موازية لتصريح براءة الذمة الذي اقترحاه سابقاً.

في جزء من الموقع بعنوان «مختبرنا»، ذكر عنوان عريض في الصفحة تحت صورة مكبرة لنانوتينر أن «في ثيرانوس، نستطيع أن نجري جميع فحوص مختبرنا على عينة تبلغ جزءاً من ألف من حجم عينة الدم المطلوبة عادة». في النسخة الجديدة للعنوان العريض غابت جملة «جميع». كان أسفل الصفحة الادعاء الذي قاومته كيت ومايك منذ شهور. تحت (ترويسة) «دقة لا منافس لها»، ذُكرَت الإحصائية القائلة إن ٩٣ بالمئة من أخطاء المختبر تعود إلى أخطاء بشرية ليُستدلَّ منها أن «لا مختبر آخر أكثر دقة من ثيرانوس». تم التراجع عن ذلك أيضاً بالتأكيد.

جاءت المراجعات في اللحظة الأخيرة فقط لتعزز شكوك كيت ومايك. أرادت إليزابيت لكل تلك الادعاءات الكاسحة أن تكون صحيحة، لكن لمجرّد أنك تريد لشيء أن يكون حقيقياً، فإن رغبتك لن تجعله كذلك، كما فكر مايك. وبدأ وكيث بالتساؤل إن كان لدى ثيرانوس أية تكنولوجيا أصلاً. هل وُجدَ ذلك الذي يتباهون به على أرض الواقع، ذلك «الصندوق الأسود»، وهو الاسم الذي أطلقه العاملون في تشيات/ داي على جهاز ثيرانوس؟

شاركوا ستان شكوكهم المتصاعدة، هو الذي بات تفاعله مع سوني أكثر اضطراباً. فبين الفينة والأخرى، كان على ستان أن يلاحق سوني لتحصيل المال. استمر سوني بطلب تبرير الفواتير التي قدمتها الوكالة عبر ستان. الذي بدوره أمضى ساعات يراجع هذه الفواتير مع سوني بنداً إثر بند. كان سوني يسمعه عبر مكبر صوت الهاتف ويزرع مكتبه جيئةً وذهاباً. وحين يطلب ستان من

سوني الاقتراب من الهاتف بحيث يستطيع سماعه بشكل أفضل،  
كان الأخير يستشيط غضباً.

في كل الأحوال لم يكن جميع من في تشيات / داي منزعجاً  
من ثيرانوس. بقيت كاريسا وباتريك، الإداريان في مكتب لوس  
أنجلس، مذهولين من إليزابيت. اعتبر باتريك أن لي كلو أيقونة  
لسحر عمله التسويقي مع آبل. وكان واضحاً إيمانه بإمكانية أن  
تصبح ثيرانوس النقطة التي سترك فيها أثراً وإرثاً. أبلغته كيت  
بمخاوفها في عدة مناسبات، لكنه لم يأخذها جدّياً على اعتبار  
أنها جزء من طبيعة كيت. كان لديها ميل طبيعي للمبالغة، كما  
فكر باتريك. وتمثلت وجهة نظره أن عليها ومايك التوقف عن  
التشكيك في كل شيء والالتزام بأداء المطلوب منهما. ومن خلال  
خبرة باتريك، كانت جميع الشركات التكنولوجية الناشئة فوضوية  
ومغلقة بالسرية. ولم يرَ في ذلك أي شيء غير طبيعي أو مقلق.

(١٤)

## البدء بالعمل الحي

كان آلان بييم جالساً في مكتبه يراجع تقارير المختبر حين مدّت إليزابيت رأسها من الباب وطلبت منه أن يتبعها. أرادت أن تريه شيئاً. خرجا من المختبر إلى منطقة مكاتب مكشوفة حيث اجتمع موظفون آخرون. إثر إشارتها، وخز تقنيّ إصبع متطوع، ووضع فيها أنبوبة بلاستيكية شفافة تشبه صاروخاً مصغراً بحيث نَزَّ الدم داخلها. كان ذلك جهاز جمع العينات الخاص بثيرانوس. جمع رأسه الدم ونقله إلى محرّكين صغيرين في قاعدة الصاروخ. لم يكن المحركان محرّكين حقاً: بل كانا نانوتينرين. ولتكمّل النقل، عليك أن تدفع بالنانوتينر إلى بطن الصاروخ البلاستيكي كأنك تغمده. تخلق الحركة فراغاً يسحب الدم إلى داخلهما.

أو على الأقل كانت تلك هي الفكرة. لكن في هذه اللحظة، لم تحدث الأمور كما ينبغي. حين دفع التقني الأنبوبين الصغيرين داخل الجهاز، حدثت فرقة صاخبة وتناثر الدم في كل مكان. لقد انفجر أحد النانوتينرين.

بدا أن إليزابيت لم تهتز لها شعرة. وقالت بهدوء، «حسن،

لنحرب ذلك ثانية.» لم يكن آلان متأكداً ماذا يمكن له أن يستنتج من المشهد. كان يعمل في ثيرانوس لأسابيع عديدة فقط وكان لا يزال يحاول التكيف. علم أن النانوتينر كان جزءاً من جهاز اختبار الدم المسجل للشركة، لكن لم يرَ واحداً أثناء التطبيق قبل الآن. أمل أن يكون ذلك مجرد خطأ صغير لا ينذر بمشاكل أكبر.

كان الطريق المتوي للاختصاصي في علم الأمراض الهزيل إلى وادي السيليكون قد بدأ من جنوب أفريقيا، حيث نشأ. وبعد التخصص باللغة الإنكليزية في جامعة ويتواترراند في جوهانسبرغ («ويتس» كما يسميها أبناء جنوب إفريقيا)، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحضر صفوف الطب التحضيرية بجامعة كولومبيا في نيويورك. أشار عليه بذلك والداه اليهوديان المحافظان، اللذان اعتبرا أن قلة من المهن هي المناسبة لابنهم: الحقوق، والأعمال، والطب.

بقي آلان في نيويورك ليدرس الطب، فالتحق بكلية ماونت سيناي للطب شمال شرق مانهاتن، لكنه أدرك بسرعة أن بعض جوانب العمل كطبيب لم تلائم طباعه. فبعد نفوره من ساعات العمل المجنونة ومظهر ورائحة أجنحة المشافي، انجذب إلى اختصاص المخابر الرزين، الذي قاده إلى دراسات ما بعد شهادة الدكتوراه في علم الفيروسات وإلى إقامة في قسم علم الأمراض السريرية في برمنغهام ومشفى النساء في بوسطن.

في صيف عام ٢٠١٢، كان آلان يدير مختبر مشفى أطفال

في بيتسبرغ عندما لاحظ إعلاناً عن وظيفة على موقع لينكدإن تناغمت بشكل ممتاز مع افتتانه الناشئ بوادي السيليكون: مدير مختبر في شركة تقانة حيوية في بالو آلتو. كان قد أنهى لتوه قراءة سيرة ستيف جوبز الذاتية التي كتبها وولتر آيزاكسون. وعزز الكتاب، الذي وجدده مذهلاً، رغبته في الخروج من خليج سان فرانسيسكو.

بعد أن تقدّم للوظيفة، طُلبَ من آلان أن يذهب بالطائرة إلى مقابلة عمل حُددت في السادسة من مساء يوم جمعة. بدا التوقيت غريباً لكنه التزم برضى. التقى سوني أولاً ومن ثم إليزابيت، التي بدت صادقة جداً في تصميمها على تغيير مجال الرعاية الصحية. ككثير ممن التقوها للمرة الأولى، سُحِرَ آلان بصوتها العميق. كان كشيء لم يسمعه من قبل مطلقاً.

على الرغم من تلقّيه عرض عمل بعد ذلك بأيام قليلة، لم يتمكن آلان من العمل لدى ثيرانوس مباشرة. فقبل كل شيء كان عليه أن يتقدم للحصول على ترخيص لممارسة الطب في كاليفورنيا، استغرق الإجراء ثمانية أشهر، مؤجّلاً بذلك بداية عمله رسمياً حتى نيسان ٢٠١٣. في ذلك الحين، كان قد مرّ على استقالة المدير الذي سبقه سنة، ويدعى آرنولد غيلب. في تلك الفترة البينية، حضر من وقت لآخر ووقع على تقارير المختبر مدير نصف متقاعد يدعى سبنسر هيراكي. لم يبدُ ذلك إشكالياً جداً بالنسبة إلى آلان حيث قام مختبر ثيرانوس بقليل من الاختبارات في الأسبوع على عينات من عيادة موظفي سيفواي.

ما بدا مقلقاً أكثر كان الروح المعنوية في المختبر حين تولّى إدارته. كان أعضاؤه مكتئبين للغاية. فخلال أسبوع آلان الأول، طرد سوني بإجراء وجيز واحداً من CLS. ساق رجال الأمن المسكين كالضفدع أمام الجميع. تكوّن لدى آلان انطباع خاص بأنها ليست المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك. لا عجب إذاً في انخفاض الروح المعنوية للناس، كما اعتقد.

قُسِمَ المختبر الذي ورثه آلان إلى قسمين: غرفة في الطابق الثاني من المبنى اكتظت بمعدّات تشخيصية تجارية، وغرفة أخرى تحتها كانت تُجرى فيها الأبحاث. كانت الغرفة العلوية هي الجزء المرخص من CLIA من المختبر، وهو الجزء الذي كان آلان مسؤولاً عنه. رأى سوني وإليزابيت في أدواته التقليدية ديناصورات سيُعلن عن انقراضها قريباً من قِبَل تكنولوجيا ثيرانوس الثورية، فأسموها «الحديقة الجوراسية». وأسموا غرفة الطابق الأول «النورماندي» في إشارة إلى أيام إنزال النورماندي خلال الحرب العالمية الثانية. وكانت أجهزة ثيرانوس المسجّلة التي احتوتها ستطلق المختبر كالعاصفة، كقوى الحلفاء الذين أمطروا شواطئ النورماندي بالنيران ليحرروا أوروبا من قبضة النازية.

بحماسة وإثارة، تظاهر آلان بدايةً بالشجاعة. لكن أثارت التساؤلات في ذهنه محادثة مع بول باتيل بعد عرض عمل النانوتينر الفاشل حول مدى تقدّم تكنولوجيا ثيرانوس في الواقع. كان باتيل اختصاصي الكيمياء الحيوية الذي قاد تطوير اختبارات الدم لجهاز ثيرانوس الجديد، الذي عرفه آلان فقط من خلال

اسمه المشفّر - «4S». سَرَّب باتيل معلومة أن فريقه كان لا يزال في خضم تطوير نماذج التحليل على صفائح المختبر فوق مكاتب العمل. فوجئ آلان بذلك، فقد افترض أن نماذج التحليل طُوِّرت تَوّاً إلى 4S. وحين سأل لمْ يَنْتِه إنجاز ذلك، أجاب باتيل أن علبة ثيرانوس الجديدة لم تكن ناجحة.

بحلول صيف عام ٢٠١٣، حين اندفعت تشيات / داي لتهيّ موقع ثيرانوس لإطلاق الشركة أمام التعامل التجاري، كان الـ 4S، المعروف أيضاً بالمختبر المصغّر، قيد التطوير لأكثر من عامين ونصف. لكن بقي العمل على تطوير الجهاز مستمراً. وكانت لائحة المشاكل التي تنبغي معالجتها فيه طويلة.

ومن أكبر المشكلات قاطبة ثقافة الشركة غير الفعّالة التي كان يجري تطويره في ظلّها. حيث اعتبرت إلزاييت وسوني أي شخص يبدي قلقاً أو اعتراضاً على أنه متشائم ومعارض. وقد هُمّش أو طرد الموظفون الذين استمروا بالعمل بهذه العقلية، بينما ارتقى المتملقون. كان سام أنيكال واحداً منهم، وهو المدير المسؤول عن دمج المكونات المختلفة في المختبر المصغّر والذي اختلف مع إيان غيونز. والآخر هو تشينمي بانغاركر، مهندس حيوي يحمل شهادة دكتوراه في الهندسة الكيميائية من جامعة كاليفورنيا، سانتا باربرا. وأيضاً سوراج ساكسينا، وهو متخصص بالكيمياء السريرية ويحمل شهادة دكتوراه في الكيمياء الحيوية وفي الفيزياء



الحوية من A&M بتكساس. نظرياً، كان للثلاثة شهادات أكاديمية ممتازة، لكن اشترك ثلاثتهم بخصلتين: خبرة متواضعة جداً في المجال الصناعي، حيث انضموا للشركة بعد وقت قصير من إنهاء دراساتهم، وأيضاً كان لديهم عادة إبلاغ إليزابيث وسوني بما يودّان سماعه، إمّا بدافع الخوف أو بدافع الرغبة بالتقدّم، أو كليهما.

بالنسبة لعشرات الهنود الذين وظّفهم ثيرانوس، تجاوز الخوف من الطرد الخوف من خسارة الراتب. كانت الفيزا الخاصة بمعظمهم من نوع H-1B واعتمدوا على استمرار وظيفتهم في الشركة ليتمكنوا من البقاء في البلاد. فمع ربّ عمل استبدادي مثل سوني يقبض على مصائرهم بيديه، أصبح الأمر أشبه بوثيقة عبوديّة. في الواقع، كان لسوني عقليّة السيد والعبد الشائعة بين أفراد الجيل الأقدم من رجال الأعمال الهنود. كان الموظفون تابعيه. توقع منهم أن يكونوا تحت تصرّفه في أية ساعة نهاراً وليلاً وفي عطل نهايات الأسبوع. فكان يتحقق من كاميرات المراقبة كل صباح ليرى متى دخل الموظفون ومتى خرجوا. وكلّ مساءً، في حوالي السابعة والنصف، كان يجري زيارة سريعة إلى قسم الهندسة ليتحقق إن كان الناس على مكاتبهم يعملون.

مع الوقت، تضاعف خوف بعض الموظفين منه وطوروا وسائل للتعامل معه، بدا لهم أنهم يتعاملون مع رجل - طفل غريب الأطوار بذكاء محدود ومدى انتباه أكثر محدودية. اكتشف مهندس ميكانيك شاب عمل في المختبر المصغّر، ويدعى أرناف خان، طريقة مضمونة الفعالية ليتخلّص من تسلّط سوني: أجب على

رسائله الإلكترونية برّد يتجاوز الخمسمئة كلمة. وعادةً ما منحه ذلك عدة أسابيع من السلام لأن سوني ببساطة لم يمتلك الصبر لقراءة الرسائل الطويلة. تمثّلت خطة أخرى بعقد اجتماع نصف شهري لفريقه ودعوة سوني للحضور. ربما يحضر الاجتماعات الأولى، لكنه قد يفقد الاهتمام مع الوقت وينسى الحضور.

بينما استوعبت إيزابيت المفاهيم الهندسية بسرعة، كان سوني مشوّش التركيز خلال النقاشات الهندسية. ولإخفاء ذلك، تمسك بمصطلح «المؤثر الطّرفيّ»، والذي يشير إلى المخالب في نهاية ذراع الرجل الآلي. إلا أن سوني لم يسمعها كـ «المؤثر الطرفي»، بل سمعها كـ «المآثر الطافية»<sup>(١)</sup>. وعلى امتداد الاجتماع، ظلّ يشير إلى المآثر الطافية الخيالية. في اجتماعهم التالي مع سوني بعد ذلك بأسبوعين، قدّم فريق أرناف عرض باوربوينت بعنوان «الحديث في المآثر الطافية». حين عرض أرناف الجملة على الشاشة بواسطة جهاز الإسقاط، اختلس أعضاء فريقه الخمسة نظرة مأكرة أحدهم إلى الآخر، متوتّرين من فكرة أن يكشف سوني الحيلة. لكن لم يرف له جفن واستمر الاجتماع بلا أية مشاحنات. بعد أن غادر القاعة، انفجروا ضاحكين.

أيضاً دفع أرناف وفريقه سوني إلى استخدام المصطلح الهندسي المبهّم «التجزّع». والذي يشير عادة إلى ظاهرة تنتج شقوقاً دقيقة على سطح المادة، لكن أرناف وزملاؤه استخدموا المصطلح بشكل

(١) تمّ تحويل المفارقة اللفظية بالإنكليزية إلى مفارقة لفظية عربية ببعض التصرف، للضرورة، من قبل المترجم. (م)

حر وخارج السياق ليروا فيما إذا كان سوني سيكررها، وقد فعل. لم تكن معرفة سوني بالكيمياء أفضل. ظن أن الرمز الكيميائي للبتاسيوم هو P (بينما هو K؛ و P هو رمز الفوسفور - الخطأ الذي لن يرتكبه معظم طلاب المدرسة الثانوية).

في كل الأحوال، لا يمكن إلقاء اللوم على سوني في جميع الإخفاقات التي برزت خلال تطوير المختبر المصغّر. إذ كان سبب بعضها طلبات إлизаيت غير المنطقية. على سبيل المثال، أصرت على أن تبقى خرطوشة المختبر المصغّر بالحجم ذاته لكن أصرت على إضافة عينات تحليل إليها. لم يفهم أرناف لماذا لم يكن من المقبول زيادة حجم الخرطوشة إلى ستيمتر ونيف مع أن المستهلك لن يراه في كل الأحوال. وبعد لقاءها بالمقدّم دايفيد شوميكر، تخلت إлизаيت عن خطتها بوضع جهاز ثيرانوس في متاجر وولغرينز وتشغيلها قربها لتفادي المشاكل مع إدارة الغذاء والدواء. بدلاً من ذلك، ستؤخذ عينات الدم المسحوبة من المرضى إلى مختبر ثيرانوس في بالو ألتو لتختبرها. لكن بقيت رهينة فكرة أن المختبر المصغّر هو جهاز للمستهلك، مثل الآيفون أو الآيباد، وأن على مكوناته أن تبدو صغيرة وجميلة. واستمرت في تغذية الطموح لوضع الجهاز في بيوت الناس يوماً ما، كما وعدت مستثمريها الأوائل.

ظهرت مشكلة أخرى من إصرار إлизаيت على أن يكون المختبر المصغّر قادراً على إجراء الأنساق الرئيسية الأربعة لاختبارات الدم: تحاليل المناعة، تحاليل الكيمياء العامة، تحاليل أمراض الدم، والتحاليل التي اعتمدت على تضخيم الشيفرة الوراثية DNA.

والمقاربة الوحيدة المعروفة التي تتيح دمج كل التحاليل السابقة في آلة يتسع لها سطح مكتب هي استخدام ماصّات يتحكم بها روبوت. لكن هذه المقاربة انطوت على مشكلة تكمن في ذاتها: فمع الوقت، تنخفض دقة الماصّات. وحين تكون الماصة جديدة، قد يتطلب إسقاط خمسة ميكروليترات دم من المحرّك الذي يشغل مضخة الماصة التفافه إلى درجة معيّنة. لكن بعد ثلاثة أشهر، ربما يمكن الالتفاف من سحب ٤, ٤ ميكروليترات من الدم فقط - اختلاف كبير كفيلاً بالتخلص من العينة بكاملها. بينما قوِّض تراجع عمل الماصّات جميع تحاليل الدم المعتمدة على نظام الماصّات، ولُفِظَت الظاهرة تحديداً في المختبر المصغّر. كان يجب إعادة معايرة ماصّاتها كل شهرين أو ثلاثة، وتجعل عملية إعادة المعايرة الجهازَ خارج الخدمة لخمسّة أيام.

تجادل كايل لوغان مع سام أنيكال مراراً حول هذه النقطة، وكان لوغان مهندساً كيميائياً شاباً انضم إلى ثيرانوس مباشرة بعد تخرّجه من ستانفورد ونيله جائزة أكاديمية هناك أُطلق عليها اسم تشاينغ روبرتسون. اعتقد أن على الشركة الانتقال إلى نظام أكثر موثوقية لا يتضمّن الماصّات، كمثّل الذي تستخدمه أباكسيس في محلّها من نوع بيكولو إكسبريس. سيكون جواب سام أن بيكولو يستطيع أن ينفذ فقط نسقاً واحداً من اختبارات الدم، وهو نماذج تحليل الكيمياء العامة. (على عكس نماذج التحليل المناعية، التي تقيس مادة في الدم باستخدام مضادّات أجسام ترتبط بالمادة، تعتمد نماذج تحليل الكيمياء العامة على مبادئ كيميائية أخرى

مثل امتصاص الضوء أو تغيرات الإشارات الكهربائية.) لقد أرادت إليزابيث جهازاً أكثر تنوعاً، هذا ما كان عليه أن يذكر كايلاً به.

وبالمقارنة مع أجهزة تحليل الدم الناجحة تجارياً، كانت نقطة الضعف الأخرى الصارخة في المختبر المصغّر هي إمكانية إجرائه لتحليل عينة دم واحدة فقط في كل مرة. لقد كانت أجهزة التحليل التجارية ضخمة لسبب: صُمِّمت لتجري اختبارات على مئات العينات في الوقت ذاته. وفي اللغة الصناعية، عُرِفَ ذلك بامتلاك «إمكانية تخريج عالية». وإذا جذبت مراكز ثيرانوس الصحية الكثير من المرضى، فإن إمكانية التخريج المنخفضة للمختبر المصغّر سينتج عنها طول في أوقات الانتظار وستحوّل وعد الشركة بنتائج تحليل سريعة إلى نكتة.

في محاولة لعلاج هذه المشكلة، اقترح أحدهم فكرة تكديس ستة مخابر مصغّرة بعضها فوق بعض وربطها جميعاً بـ«سيتوميتر واحد لتقليل حجم وكلفة المنتج النهائي». سميت هذه الآلة «الفرانكشتاينية بـ«الشفرات الست»» وهو مصطلح مستعار من عالم صناعة الحواسيب، حيث من الشائع تكديس الخوادم بعضها فوق الآخر لتوفير الطاقة والمساحة. وفي أشكال التكديس النموذجية هذه، يُشار إلى كل خادم باسم «شفرة».

لكن لم يتأنَّ أحد ليفكر بالمضاعفات التي ستحدث للجهاز نتيجة عامل متغيّر رئيسي واحد: درجة الحرارة. إذ تولّد كل

شفرة في المختبر المصغّر حرارة، فترتفع حرارة الجو. وحين تقوم الشفرات الستة بمعالجة العينات الدموية في الوقت ذاته، سترتفع درجة الحرارة في الشفرات العليا إلى درجة ستؤثر معها في عينات التحليل. لم يصدّق خريج جامعة جديد في الثانية والعشرين من عمره، ويدعى كايل، أن شيئاً بديهاً كهذا تم السّهو عنه.

بالإضافة إلى مشكلات الخرطوش، والماصّة، ودرجات الحرارة، يمكن تقليص شيء من عناصر الفوضى التقنية الأخرى التي ابتلي بها المختبر المصغّر لدرجة يمكن أنه واقعياً لا يزال في مرحلة مبكرة من النموذج الأصلي. لم تكن فترة ثلاث سنوات بوقت طويل لتصميم وإتمام جهاز طبي معقّد. تراوحت هذه المشكلات من نزول أذرع الروبوتات في الأماكن الخاطئة، فتسبب انكسار الماصّات، إلى سوء تموضع مقياس الطيف الضوئي. وفي مرحلة ما، انفجر جهاز الطرد المركزي الدّوار للدم في المختبر المصغّر. كان يمكن إصلاح كل تلك المشاكل، لكنّها احتاجت الوقت. وهناك سنوات عدّة لا تزال تفصل الشركة عن إنتاج جهاز قابل للاستخدام مع المرضى.

في كل الأحوال، لم تملك إليزابيث سنوات عدّة كما رأت. فقبل اثني عشر شهراً، في الخامس من حزيران ٢٠١٢، وقّعت عقداً مع وولغرينز ألزم ثيرانوس بإطلاق خدماتها لتحليل الدم في بعض صيدليّات سلسلة متاجرّها في الأول من شباط ٢٠١٣، مقابل مئة مليون دولار أمريكي كـ«رسم اختراع» وأربعين مليون دولار أخرى كقرض.

تجاوزت ثيرانوس المهلة النهائية تلك- وأي تأجيل إضافي سيكون من وجهة نظر وولغرين ثلاث سنوات من التأخير. ومع تقاعد ستيف بيرد، كانت الشراكة مع سيفواي تنهار شيئاً فشيئاً، وحتى لو انتظرت مزيداً من الوقت، فإن إлизаبيت كانت تخاطر بخسارة وولغرينز أيضاً. فصممت على إطلاق الجهاز في متاجر وولغرينز بحلول أيلول، مهما تكن الظروف.

حيث لم يكن المختبر المصغر في وضع يسمح بإطلاقه، قررت إлизаبيت وسوني نفّض الغبار عن جهاز إديسون في الساحة والانطلاق مستعينين بالجهاز الأقدم. ذلك، أيضاً، ما أدى إلى قرار مصيري آخر- قرار الخداع.

في حزيران، جاء دانييل يونغ لمقابلة آلان بيم في الحديقة الجوراسية يرافقه مرؤوس له يدعى زينوي غونغ، بالكاد تمكنا من جرّه إلى عقد اللقاء، وكان يونغ صاحب دماغ ذكي يحمل شهادة الدكتوراه من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ليرأس فريق ثيرانوس في الرياضيات الحيوية. خلال السنوات الخمس التي عمل فيها في ثيرانوس، ترقّى دانييل في المناصب حتى أصبح المدير التنفيذي الثالث الفعلي. كسب احترام إлизаبيت وسوني، وغالباً ما استمعاً لمشورته لحل المشكلات التقنية الشائكة.

خلال سنواته القليلة الأولى في ثيرانوس، بدا دانييل النموذج لرجل العائلة، يخرج من المكتب كل مساء في السادسة ليتناول العشاء مع زوجته وأولاده. دفعت هذه العادة بعض زملائه إلى

استراق ضحكات سخرية مكبوتة من وراء ظهره. لكن بعد ترقيته إلى نائب رئيس، أصبح دانييل شخصاً مختلفاً. عمل لساعات أطول وبقي في مكتبه لوقت متأخر. كان يشمل بشدة في حفلات الشركة، وهذا ما بدا صادمًا بسبب هدوئه وغموضه في العمل. وتناولت شائعات هامسة أمر مغازلته لإحدى الزميلات.

أخبر دانييل آلان أنه وغونغ، الذي ينادى باسم سام، ذهباً لتفحص ADVIA ١٨٠٠، أحد أجهزة التحليل التجارية في الشركة. كان ADVIA جهازاً ثقيل يزن ١٣٢٠ باونداً بحجم طابعتين مكتبيتين مجتمعتين وقد صنعتها سيمنز للرعاية الصحية، وهي شركة فرعية ألمانية لتجميع المنتجات الطبية.

على مدى الأسابيع القليلة الماضية، لاحظ آلان أن ستان يمضي ساعات يفتح الآلة ويصور أجزاءها الداخلية بكاميرا جهازه الآيفون. كان يتفحصها ليحاول تكييفها مع عينات الدم الصغيرة المسحوبة من وخزة إصبع، كما أدرك آلان. بدا ذلك تأكيداً لما أخبره به بول باتيل: الـ 4S لا يمكن أن تعمل وإلا لم اللجوء إلى إجراءات يائسة كهذه؟ علم آلان أنه يمكن لجهاز إديسون العمل على عينات التحليل للأمراض المناعية وحسب، لذا بدا من المنطقي أن يختار دانييل و سام أجهزة ADVIA، المتخصصة بنماذج تحليل الكيمياء العامة.

كانت إحدى لوائح تحاليل الدم المطلوبة تعرّف عادة من قِبَل الأطباء باسم النسق «كيم ١٨»، والتي تدرّجت من تحاليل



لقياس الإلكتروليتات مثل الصوديوم، والبوتاسيوم، والكلورايد للتحاليل المستخدمة لمراقبة وظائف الكلى والكبد لدى المرضى، كانت جميعها نماذج تحليل كيمياء عامة. وكان من غير المجدي إطلاق المنتج في متاجر وولغرينز مع قائمة تحاليل دموية لا تحتوي هذه التحاليل. وقد بلغت نسبة طلبها الثلاثين من قبل الأطباء.

لكن كانت أجهزة ADVIA مصممة لمعالجة كميات من الدم أكبر من تلك التي تحصل عليها بوخز إصبع. ففكر دانييل وسام بسلسلة من الخطوات لتعديل محلل سيمنز بحيث يستطيع العمل مع عينات أصغر. كان التعديل الرئيسي المطلوب استخدام معالج سائل آلي كبير يسمى تيكان ليمدد عينات الدم الصغيرة المتجمعة في النانوتينرات بمحلول ملحي. وتعديل آخر لنقل الدم الممدد إلى كؤوس مصممة لهذه الغاية يبلغ حجمها نصف المستخدمة عادة في جهاز ADVIA.

حلّ مجمل هاتين الخطوتين مشكلة تدعى «الحجم الميت». كالكثير من أجهزة التحليل التجارية، احتوى جهاز ADVIA على مسبار يُنزل على العينة الدموية ويشفطها. وعلى الرغم من أنه يشفط معظم العينة، كان القليل من السائل غير المستخدم يبقى دوماً في القاع. وبتصغير حجم الكأس أصبح قاعدة المسبار أقرب إلى رأسه كما أن تمديد الدم زاد من كمية السائل المراد استخدامه.

كان لـ آلان تحفّظات حول نقطة التمديد. فجهاز تحليل سيمنز يمدد بدوره العينات الدموية عندما يقوم بتحليله. أما القاعدة

التي أتى بها دانييل وسام فكانت تمديد العينة الدموية بشكل مضاعف، مرة قبل دخولها الآلة وثانية حين تصبح في داخلها. ويعلم أي مدير مختبر كفوء أنك كلما تلاعبت بالعينة الدموية، كلما ازداد هامش الخطأ.

كما أن هذا التمديد المضاعف خفّض من تركيز المواد المراد تحليلها في العينات الدموية إلى درجات أقل من مدى معيار المواد المراد تحليلها الذي تنص عليه إدارة الدواء والغذاء والمعتمد في جهاز ADVIA. بمعنى آخر، سيؤدي ذلك إلى استخدام الآلة بطريقة لا يوافق عليها المصنّع ولا المشرّع. وللحصول على النتيجة الأخيرة للمريض، كان ينبغي مضاعفة النتيجة الممددة وفق النسبة ذاتها التي مُدِّدَت العينة الدموية بها، دون التأكّد من أن النتيجة الممددة تتمتع بالمصادقية أساساً. كان سام ودانييل على الرغم من ذلك فخورين بما حققاه. وفي الصميم، كان كل منهما مهندساً شكّلت رعاية المريض بالنسبة له مفهوماً مجرداً. ولو كان لعملهما غير المتقن نتائج معاكسة، فلن يكون الأمر مسؤوليتهما الشخصية. كان اسم آلان على المحك، وليس اسمهما، وكانت مسؤولية شهادة CLIA.

حين انتهى عملهما، أتى إلى مكتب آلان محام من ثيرانوس يدعى جيم فوكس واقترح أن تحصل الشركة على براءة اختراع لعملها. بدا ذلك لـ آلان فكرة سخيفة. ففي رأيه، لا يرتقي العبث بجهاز مصنّع آخر إلى اختراع شيء جديد، خاصة إن لم يعمل بنفس الجودة بعد ذلك.

وصلت أنباء تفكيك آلات سيمنز إلى آذان تيد باسكو، الذي خلف جون فانزيو كمدير مشتريات وضمن ذلك ورث عنه دوره كمتلقٍ أول للثروات في الشركة. تأكد تيد مباشرة مما سمعه في طاحونة الشائعات حين تلقى التعليمات من إليزابيت وسوني ليشتري ستة أجهزة ADVIA جديدة. فافض سيمنز على حسم ضخم، لكن ظلت تكلفة الطلبية بحدود المئة ألف دولار.

حيث اقترب التاسع من أيلول ٢٠١٣، الموعد الذي حددته إليزابيت للإطلاق، ازدادت مخاوف آلان حول جهوزية ثيرانوس. أظهرت اثنتان من نماذج التحليل على جهاز تحليل سيمنز المعدل المشكلة ذاتها في المختبر: الصوديوم والبوتاسيوم. شك آلان في أن يكون سبب الأخيرة ظاهرة تدعى «انحلال الدم»، التي تحدث حين تنفجر كريات الدم الحمراء وتطلق المزيد من البوتاسيوم في العينة. وكان انحلال الدم نتيجة جانبية معروفة لمجموعة الوخز من الإصبع. فاستحلاب الدم من الإصبع يضغط على كريات الدم الحمراء وقد يتسبب بتمزيقها.

لاحظ آلان ورقة تحمل رقماً ملصقة إلى نافذة مكتب إليزابيت. كانت تلك مفكرة العدّ التنازلي للإطلاق. أوقعته رؤيتها في نوبة ذعر. إذ ذهب لرؤيتها قبل أيام قليلة من موعد الإطلاق وطلب إليها تأجيل مواعده. لم تكن إليزابيت حينها بثقتها المعهودة. كان صوتها متهدجاً وارتجف جسدها أيضاً بشكل ظاهر فيما حاولت أن تطمئنه بأن كل شيء سيكون على ما يرام. إن كان هناك من ضرورة، يمكنهم العودة إلى سحب الدم الاعتيادي من الوريد،

كما أخبرته. منح ذلك شيئاً من الراحة لـ آلان، لكن عادت مخاوفه حالما غادر مكتبها.

أُصيب أنجالي لاغاري بالخوف حين عادت من عطلتها في الهند التي امتدت إلى ثلاثة أسابيع أواخر شهر آب، وكانت أنجالي الكيمائية التي عملت مع إيان غيونز لعشر سنوات في ثيرانوس وشركة كيمياء حيوية أخرى.

ترأست أنجالي مجموعة نماذج التحليل المناعية. حاول فريقها لسنوات تطوير تحاليل الدم على جهاز ثيرانوس القديم، إديسون. جاء الكثير من إحباطها من أن درجة خطأ بعض الاختبارات في الأجهزة البيضاء والسوداء لم تزل عالية. كان كل من إليزابيث وسوني قد وعداها على امتداد السنة أن كل شيء سيكون على ما يرام ما إن تقدّم الشركة الجيل الجديد من جهازها، الـ ٤٠. لكن بدا أن ذلك اليوم لن يأتي. ولا بأس من ذلك طالما بقيت ثيرانوس مؤسسة أبحاث وتطوير، الأمر الذي كانت عليه حين غادرت أنجالي إلى الهند منذ أسابيع ثلاثة خلت. لكن فجأة، يتحدث الجميع الآن عن «الظهور على الملأ» مع رسائل في بريدها الإلكتروني تشير إلى إطلاق تجاري وشيك.

إطلاق؟ بماذا؟ تساءلت أنجالي في دعر متصاعد.

علمت أنه في غيابها، سُمح لموظفين ليسوا من الشخصيات التي فوّضتها CLIA بدخول المختبر. لم تعلم لماذا، لكنها علمت أن التعليمات قضت بأن يخفي المختبر كل ما كان يفعله عن ممثلي سيمنز حين يأتون لصيانة آلات المصنّع الألماني.

أجريت تغييرات أيضاً بطريقة أصبحت معها العينات تعالج بجهاز إديسون. تحت أوامر سوني، أصبحت الآن تمدد مسبقاً بمعالج سائل تيكان قبل أن تصل إلى الجهاز. هدفت تلك الخطوة إلى حل مشكلة أن جهاز إديسون كان بإمكانه إجراء ثلاثة تحاليل في الحد الأقصى على عينة دم من وخزة إصبع واحدة. نجم عن تمديد الدم المسبق حجم أكبر لإجراء مزيد من التحاليل. لكن إن كان الجهاز يحمل مسبقاً درجة خطأ عالية تحت الظروف الطبيعية، فقد بدا أن خطوة تمديد إضافية ستجعل الأمور أكثر سوءاً على الأغلب. كان لدى أنجالي أيضاً مخاوف تجاه النانوتينرات. سيجف الدم في الأنابيب الصغيرة ولن تتمكن وزملاؤها غالباً من استخراج المزيد منه.

حاولت أن تجري حديثاً منطقياً مع إليزابيت ودانييل يونغ بإرسال معلومات جهاز إديسون في رسالة إلكترونية من دراسة ثيرانوس الأخيرة مع شركة صيدلانية - سيلجين - تعود إلى عام ٢٠١٠. في تلك الدراسة، استخدمت ثيرانوس جهاز إديسون لتعقب المؤثرات الالتهابية في دم مرضى يعانون من الربو. أظهرت المعلومات درجة خطأ عالية بشكل غير مقبول، مفضية إلى إنهاء سيلجين تعاونها مع الشركة. وذكرتهما أنجالي بأن شيئاً لم يتغير منذ تلك الدراسة الفاشلة.

لم تأخذ إليزابيت ودانييل رسالتها الإلكترونية بعين الاعتبار. وبعد ثماني سنوات في الشركة، شعرت أنجالي أنها على مفترق طرق أخلاقي. أن تستمر بالعمل على معالجة مواطن الخلل في

المنتج حين تكون في مرحلة البحث والتطوير وتحلل الدم الذي تطوع بتقديمه موظفون وأفراد من أسرهم كان شيئاً، والعمل الحي لتحليل العينات من متاجر وولغرينز الذي يعني تعريض العامة إلى ما هو أساساً تجربة بحثية ضخمة غير مخصص لها شيء آخر. لم يكن ذلك أمراً تستطيع التعايش معه. فقررت الاستقالة.

حين سمعت إيزابيت الخبر، طلبت من أنجالي أن تحضر إلى مكتبها. أرادت أن تعلم لم أرادت المغادرة وإن كان من الممكن إقناعها بالبقاء. كررت أنجالي مخاوفها: كانت درجة الخطأ في جهاز إديسون لا تزال عالية جداً وثمة مشاكل في النانوتينرات. وسألتها، لم لا ينتظرون حتى يصبح الـ 4S جاهزاً؟ لم الاستعجال بالإطلاق الآن؟

أجابت إيزابيت «لأنني حين أعد الزبون بشيء، فإنني ألتزم به.»

لم يكن ذلك الجواب منطقياً بالنسبة لأنجالي. كانت وولغرينز مجرد شريك أعمال. أما زبائن ثيرانوس المطلقين فهم المرضى الذين سيأتون إلى متاجر وولغرينز ويطلبون تحاليلهم الدموية معتقدين أنه يمكنهم الاعتماد على هذه التحاليل لاتخاذ قرارات طبية. أولئك هم الزبائن الذين على إيزابيت أن تقلق إزاءهم. في الوقت الذي عادت فيه أنجالي إلى مكتبها، كان خبر استقالتها قد انتشر وجاء زملاؤها ليوذعوها. قدّمت اشعاراً بمغادرتها قبل أسبوع، وتنوي العمل حتى نهاية هذا الأسبوع، لكن سوني لم يعجبه المشهد الذي

خلقه وداع علنيّ كهذا، فأرسل إليها مونا راما مورثي، رئيسة قسم الموارد البشرية، لتخبرها أن عليها المغادرة حالاً.

في طريقها للخروج، طبعت أنجالي الرسالة الإلكترونية التي أرسلتها إلى إليزابيت ودانييل. أنبأها حدسها أن الأمور لن تنتهي بشكل جيد وأنها احتاجت ما تحمي به نفسها، شيئاً يظهر أنها اعترضت على قرار الإطلاق. وإعادة توجيه الرسالة الإلكترونية إلى حسابها الخاص في ياهو ستكون أسهل، لكنها عرفت أن سوني يراقب نشاط الرسائل الإلكترونية للموظفين عن كثب. لذا خبأت الورقة المطبوعة في حقيبتها وانسلت خارجة. لم تكن أنجالي الوحيدة التي انتابتها الشكوك، فقد استقالت أيضاً نائبتها في مجموعة النماذج التحليلية المناعية تينا نويس، والتي عملت في ثيرانوس لأكثر من سبع سنوات.

أغاضت الاستقالات سوني وإليزابيت. في اليوم التالي، استدعيا طاقم العمل في اجتماع تطلب حضور الجميع في الكافيتيريا. وضعت نسخة من كتاب الخيميائي رواية باولو كويلو الشهيرة على كل كرسي، تتحدث الرواية عن فتى راع أندلسي كتب له الأقدار الانطلاق في رحلة إلى مصر. أخبرت إليزابيت الموظفين المجتمعين، مع غضبها الواضح، أنها كانت تؤسس لديانة. وإن كان بينهم من لا يؤمن، فعليه الرحيل. صاغ سوني الأمر بفظاظة أكبر: على أي شخص لا يكرّس نفسه تماماً ولا يقدم الولاء المطلق فعليه أن «ينقلع».

(١٥)

## أحادي القرن

كرهت رسم الفنان. فقد ضخّم رأسها وأضفى عليها ابتسامة بلهاء في عينيّ ظبية، جعلت مظهرها يشي بمظهر امرأة شقراء مبتذلة. وسوى ذلك، لم يكن هناك الكثير مما يزعجها في المقال الذي احتلّ معظم صفحة جريدة وول ستريت جورنال الأولى وأصاب جميع النقاط المطلوبة. شبّه المقال الطريقة التقليدية لسحب الدم بالإبرة بـ «مَصّ الدّم»، أو كما عبّر عن الموضوع الكاتب بطريقة أكثر أناقة، «طَبّ برام ستوكر»<sup>(١)</sup>. بالمقابل، وُصِفَت عمليات ثيرانوس على أنها تتطلب «كميات مجهرية من الدم فقط» وعلى أنها «أسرع، وأقل كلفة، وأكثر دقة من الطرق التقليدية». واعتُبرت الشابة النابغة التي هجرت دراستها الجامعية في ستانفورد والتي كانت وراء الاختراع الثوري على أنها «خليفة ستيف جوبز أو بيل غيتس» وكان من أطلق عليها هذا اللقب وظهر اقتباسه في آخر المقال هو الشخصية المرموقة وزير الخارجية

(١) برام ستوكر: روائي وكاتب قصيرة قصة أيرلندي، نال شهرته بسبب روايته دراكولا. التي تم تناولها تمثيلاً وإنتاجاً وطباعة.



السابق جورج شولتز، الرجل الذي ينسب إليه كثيرون الفضل في كسب الحرب الباردة.

صممت إليزابيث هيكل المقال، الذي نُشر في طبعة الجريدة ليوم السبت، السابع من أيلول ٢٠١٣، ليتزامن مع الإطلاق التجاري لخدمات ثيرانوس في تحليل الدم. وقد حُدّد موعد نشر بيان صحفي صباح يوم الاثنين يعلن فيه عن افتتاح أول مركز صحي لثيرانوس ضمن متاجر وولغرينز في بالو ألتو يكون بداية لمرحلة تالية من توسّع الشراكة على مستوى الأمة. بالنسبة لشركة ناشئة غير معروفة حتى الآن، كان الحصول على تغطية إعلامية ومديح في إحدى أبرز صحف البلاد وأكثرها تقدّيراً ضرباً موفّقاً هائلة. وما مكّن من تحقيق ذلك كان علاقة إليزابيث الوطيدة بشولتز - بدأت معرفتها به منذ سنتين وحرصت على تطوير هذه العلاقة بشكل إيجابي.

كان رجل الدولة السابق، بالإضافة إلى صياغته لسياسة ريغان الخارجية، قد خدم كوزير للعمل ووزير ماليّة في حكومة الرئيس نيكسون، وانضمّ إلى مجلس إدارة ثيرانوس في تموز ٢٠١١ وأصبح من أكبر الضيوف الكبار الأبطال بالنسبة لإليزابيث. وهو الرجل المتميز في مؤسسة هوفر، خزان الفكر القائمة في حرم جامعة ستانفورد، وهو الشخصية المحترمة والنافذة في الدوائر الجمهورية على الرغم من تقدّم في السن (بلغ الثانية والتسعين من عمره)، والذي جعله صديقاً لصفحة الافتتاحية في وول ستريت جورنال الشهيرة المحافظة، والتي ساهم فيها بكتابة مقالات الرأي.

وفي زيارته إلى مركز الجريدة في ميدتاون مانهاتن لمناقشة تغير المناخ مع طاقم تحرير الافتتاحية عام ٢٠١٢، أشار شولتز بشكل عابر إلى امرأة أسّست شركة ناشئة ومنعزلة تعتمد السريّة في وادي السيليكون وهي تشعر بالتأكد أنها ستحقق ثورة في عالم الطب بالتكنولوجيا التي تعتمد عليها. بعد أن أثير اهتمامه، عرض محرر صفحة الافتتاحية في نيويورك جورنال لوقت طويل، ويدعى بول غيغوت، أن يرسل واحداً من كتّابه لمقابلة المرأة الغامضة والطفلة المعجزة حين تشعر أنها جاهزة للخروج عن صمتها كي تقدّم اختراعها للعالم. بعد ذلك بعام، أنبأهم شولتز أن إليزابيت أصبحت جاهزة فعمد بول إلى تكليف جوزيف راغو بالمهمة، وكان جوزيف عضواً في هيئة افتتاحية الجورنال ممن كتبوا مطوّلاً عن الرعاية الصحية. أدرجت المقالة التي كُتبت في زاوية مقابلة نهاية الأسبوع، وهي زاوية ثابتة ضمن صفحات الرأي في الجورنال ليوم السبت.

اختارت إليزابيت مكاناً آمناً لحفلة انطلاقها. لم يُقصد بمقابلة نهاية الأسبوع، التي دارت بين موظفي غيغوت، أن تكون تحقيقاً صحفياً متعمّقا في تحرياته ومكاشفاته، بل كانت كما أوحى به اسمها: مقابلة بلهجة ودّية عادية وغير صدامية. علاوة على ذلك، كان لرسالتها بإحداث اختراق في صناعة قديمة وغير فعّالة أن تلتزم بأسلوب الصفحة الافتتاحية للجورنال بتأييدها لقطاع الأعمال، وروح النفور من المألوف. كما لم يكن لدى راغو أدنى سبب كي يشكك بأن ما تخبره به إليزابيت لم يكن حقيقياً،

وهو الحاصل على جائزة بوليتزر للصحافة عن افتتاحياته القوية التي حلل فيها نظام الرعاية الصحية في عهد أوباما. وخلال زيارته لبالو آلتو، عرضت عليه المختبر المصغر والشفرات الست المتجاورة وتطوَّع أن تجرَّب عليه الجهاز، ليحصل على ما بدا أنها نتائج تحليل مخبري دقيقة عبر بريده الإلكتروني حتى قبل أن يغادر المبنى. ما لم يعلمه هو أن إليزابيث خطَّطت لاستخدام الإطلاق في وولغرينز ومقالته المرافقة المتضمَّنة لادِّعاءاتها المضلَّلة لتكون التأييد العلني الذي احتاجته لبدء حملة جمع تمويل جديدة، حملة ستدفع بـ ثيرانوس إلى مقدِّمة مسرح وادي السيليكون.

كان مايك بارسانت في عطلة في بحيرة تاهو حين تلقى اتِّصالاً من دونالد أ. لوكاس، ابن الرأسمالي المغامر الأسطوري دونالد ل. لوكاس. ارتاد مايك ودُّون جامعة سانتا كلارا سويّةً في أوائل الثمانينيات وبقيا على علاقة ودّية منذ ذلك الحين. كان مايك المسؤول المالي الرئيسي المتقاعد في منشأة لتجارة الأغذية البحرية والدواجن في منطقة الخليج والتي عملت فيها عائلته لأكثر من ستة عقود قبل أن تبيعها في العام الفائت.

اتصل دون ليلقي إلى مايك بفكرة استثمار: ثيرانوس. فوجئ مايك بذلك. كان آخر ما سمعه عن الشركة الناشئة يعود لسبع سنوات حين حضر مع دُون عرضاً تقديميّاً لإليزابيث مدّته عشرون دقيقة في شارع ساند هيل قدّمت فيه جهازها الصغير لتحليل الدم. تذكّر مايك إليزابيث جيّداً: بدت كعالمّة شابة تعوزها الأناقة في تلك الفترة، إذ ارتدت نظارات بسُмок قنينة الكوكاكولا

ودون مساحيق، وتحدثت بعصبيّة إلى جمهور من الرجال يكبرونها بضعف عمرها لمّرتين أو ثلاثة. في ذلك الوقت، كان دُون يُدير RWI Ventures، وهي شركة أنشأها في أواسط التسعينيات بعدما أمضى عشرة أعوام يتعلّم مبادئ المغامرة برأس المال في الأعمال لدى والده. بينما كان مايك مستثمراً في آر دبليو آي. أثارت فضوله تلك الشّابة الغريبة لكن الذكيّة كما هو يظهر، سأل دُون لماذا لا تغامر الشركة بالاستثمار معها كما كان والده يفعل. أجاب دُون أنه عارض الأمر بعد دراسة دقيقة له. كانت إيزابيت فوضوية، وتفتقر إلى التركيز، ولم يستطع والده السيطرة عليها على الرغم من أنه ترأس مجلس إدارة شركتها، ولم يعجب دُون بها أو وثق بها، ذكر مايك صديقه بالحادثة وسأله، «ماذا تغيّر يا دُون؟»

شرح دون بحماس كيف قطعت ثيرانوس شوطاً طويلاً منذ ذلك الحين. كانت الشركة على وشك إطلاق اختراعها لجهاز يحلل عينات تسحب من وخزة الإصبع في واحدة من أضخم السلاسل التجاريّة في البلاد. لم يكن هذا كل شيء، بل إن البحريّة الأمريكيّة أيضاً باتت تستخدم أجهزة ثيرانوس.

وسأل مايك، «هل تعرف أن هذه الأجهزة موجودة في مؤخرة سيارات الهومفي (الهامر) العسكرية في العراق؟»

لم يكن مايك متأكداً مما سمعه. وقال ذاهلاً «ماذا؟»

«نعم، رأيته بعد أن عادت مكّدسة في مقر ثيرانوس الرئيسي.»

كان دُون قد أطلق شركة جديدة في عام ٢٠٠٩ تدعى مجموعة

Lucas Ve. وكتقدير لعلاقتها طويلة الأمد بأبيه العجوز، الذي أربكته بدايةً إصابته بداء ألزهايمر، منحته إيزابيت الفرصة ليستثمر في شركتها مع خصم في الثمن الذي ينبغي على المستثمرين الآخرين أن يدفعوه في حملة جمع التمويل الضخمة القادمة. وفي عزمه على اقتناص ما وجدته فرصة ممتازة، بدأت مجموعة لوكاس بجمع المال لتمويل مشروعات جديدين، كما قال دُونْ ل مايك. كان أحدهما تمويل مغامر تقليدي سيستثمر في عدة شركات، من ضمنها ثيرانوس. أما الثاني فهو مكرّس لثيرانوس ذاتها. هل أراد مايك الانضمام؟ إن فعل، لم يكن لديه الكثير من الوقت. وكانت الصفقة ستنتهي في أيلول.

بعد ذلك بأسابيع قليلة، في ظهيرة التاسع من أيلول عام ٢٠١٣، تلقى مايك رسالة إلكترونية من دُونْ تحت عنوان «ثيرانوس - عاجل» تضمنت تفاصيل أكثر. أُرسِلت الرسالة الإلكترونية إلى أشخاص استثمروا سابقاً في مشاريع دُونْ مثل مايك، وتضمّنت روابط لمقالة وول ستريت جورنال وللبيان الصحفي الذي أطلقته ثيرانوس في ذلك الصباح. وقالت الرسالة، «تدعو» مجموعة Lucas Venture للاستثمار بمبالغ تصل إلى ١٥ مليون دولار أمريكي في ثيرانوس. وقدّر عرض الحسم الذي منحته إيزابيت للشركة قيمة ثيرانوس بستة مليارات دولار أمريكي.

أخذ مايك نفساً عميقاً. كان ذلك تقديراً هائلاً. لم يستطع كبح انزعاجه من دُونْ. فحين استبعد صديقُه اقتراحه بالاستثمار

في الشركة جانباً منذ سبع سنوات، كانت قيمة ثيرانوس التقديرية أربعين مليون دولار أمريكي، كما تذكر بأسف.

من المسلّم به، أن الشركة بدت كخيار أكثر جدارة بالثقة الآن. ذكر دون في رسالته الإلكترونية أن ثيرانوس «وقّعت عقوداً وشراكات مع متاجر ضخمة للبيع بالتجزئة وصيديات بالإضافة إلى شركات صيدلانية متنوعة، ومنظمات للرعاية الصحية، ووكالات تأمين، ومشافٍ، وعيادات ووكالات حكومية متنوعة.» ذكر أيضاً أن للشركة «سيولة مالية تصاعدية منذ عام ٢٠٠٦».

جمع مايك وعشرة من أفراد أسرته أموالهم في شركة محدودة المسؤولية بحيث يتمكنون من الاستثمار في هذه الأنواع من صفقات المغامرة. بعد التشاور فيما بينهم، قرر مايك أن يبدأ الاستثمار وأرسل ٧٩٠٠٠٠ دولار إلى دُون. فعل مثل العشرات من المستثمرين في مجموعة لوكاس، المعروفين في هذا الحقل كـ«شركاء محدودين»، حرروا الشيكات بقيم مختلفة. وتراوحوا بين روبرت كولمان، المؤسس المشارك في مصرف روبرتسون ستيفنز وشركاه الاستثماري البائد في سان فرانسيسكو، إلى المعالج النفسي المتقاعد في بالو آلتو.

بحلول خريف عام ٢٠١٣، كانت الأموال تنهمر على نظام الوادي الإيكولوجي باطّراد مغلّجٍ للتوازن بحيث ابتكر اصطلاح جديد لوصف سلالة الشركات الناشئة التي فرّختها. في مقال نُشر في موقع لأخبار التكنولوجيا يدعى تيككرانش في الثاني

من تشرين الثاني، ٢٠١٣، كتبت إحدى المستثمرات، اسمها إيلين لي، عن تكاثر الشركات الناشئة التي تقدّر قيمتها بمليار دولار أو أكثر. وأطلقت على تلك الشركات اسم «أحادية القرن». بغض النظر عن لقبهم هذا، لم يكن أحاديو قرن التكنولوجيا أولئك خرافة: ففوق حسابات لي، كان هناك تسعة وثلاثون منهم - الرقم الذي سيتجاوز المئة بسرعة.

بدلاً من الاندفاع إلى سوق البورصة كسابقيهم في الـ دوت-كوم أو آخر التسعينيات، تمكن وحيدو القرن من كسب مبالغ هائلة بشكل سري وتفادوا بذلك التمحيص الدقيق الذي يترافق مع الظهور العلني.

كانت أوبر، تطبيق الهواتف الذكية لطلب سيارات الأجرة الذي شارك في ابتكاره المهندس الشرس ترافيس كالانك، هي طفل الإعلانات المدلل من بين أحاديي القرن. فقبل لقاء إليزابيت مع الجورنال بأسابيع قليلة، أضافت أوبر إلى قيمتها السابقة التي بلغت ٣,٥ مليار دولار مبلغاً وقدره ٣٦١ مليون دولار. كانت هناك أيضاً شركة سبوتيفاي، خدمة البث الموسيقي التي رفعت في تشرين الثاني ٢٠١٣ قيمة أسهمها ٢٥٠ مليون دولار ليقدر إجمالي قيمة الشركة بأربعة مليارات دولار.

سيستمر تقييم تلك الشركات بالارتفاع خلال السنوات القليلة اللاحقة، لكن حتى الآن فإن ثيرانوس تتجاوزهم بمسافة نوعية. والفجوة آخذة بالاتساع.

لفت مقال الجورنال انتباه مستثمرين محترفين مخضرمين هما كريستوفر جيمس وبرايان غروسمان، اللذين أدارا محفظة وقائية مقرّها سان فرانسيسكو تدعى Partner Fund Management. بأصول بلغت ٤ مليارات دولار، كان لبارتنر فاند سجلّ ناجح، حيث زاد معدّل عائداتها السنوية بنسبة عشرة بالمئة تقريباً منذ أسسها جيمس عام ٢٠٠٤. ويمكن أن يعزى جزء من النجاح إلى ملف الرعاية الصحية الكبير فيها، والذي أشرف عليه غروسمان.

بعد أن تواصل معها، دعت إليزابيت جيمس وغروسمان لعقد لقاء في ١٥ كانون الأول، ٢٠١٣. حين وصلا إلى مقرّ ثيرانوس، وهو هيكل بلون البيج مبني على جانب تلّ يبعد عن حرم ستانفورد الجامعي رمية حجر، أول ما لاحظته كل منهما كان الحراسة الأمنية المشدّدة. وقف العديد من الحراس في المدخل وكان عليهما توقيع اتفاق التزام بالسرية كي يُسمَح لهما بدخول المبنى. وما إن أصبحا في الداخل، حتى رافقهما الحراس في كل مكان، ولو إلى الحمام. كما كان دخول بعض أقسام المبنى مستحيلاً دون بطاقات تعمل كمفاتيح إلكترونية تعذّرت عليهما حيازتها.

لطالما وعت إليزابيت وسوني أهمية المسألة الأمنية، لكن بلغ رهاب الشكّ لديهما ذروة جديدة مع الإطلاق في متاجر وولغرينز. فقد أقنعا نفسيهما بأن كويست ولابكورب تعتبران ثيرانوس تهديداً خطيراً لاحتكارهما الهائئ وبأنهما ستحاولان سحق منافستهما الجديدة بأية وسيلة ممكنة. كما كانت هناك أيضاً مسألة الوعد الذي قطعه جون فويتز في إفادته بأن «يضاجع» إليزابيت



حتى تموت. وقد أخذت ذلك الوعد بجديّة بالغة. وبعد تقاعد جيمس ماتيس من البحرية في ذلك العام، انضم إلى مجلس إدارة ثيرانوس ووظفت إليزابيت جيم ريفيرا بناء على نصيحته، وهو رئيس الفريق الأمني الخاص بالبتاغون المسؤول عنه. كان ريفيرا رجلاً أشيب أشرف على حماية ماتيس خلال رحلاته المتكررة إلى العراق وأفغانستان، ويحمل معه بشكل دائم مسدساً في قراب مخبأً تحت سترته أو حول كاحله ويقود فريقاً من ستة حراس ارتدوا ألبسة سوداء مع سماعات في آذانهم.

خلفت الإجراءات الأمنية المشددة بعض الانطباعات لدى جيمس وغروسمان. وأعادتا إلى ذهنيهما مدى السرية التي فرضتها شركة كوكاكولا لتحمي تركيبة مشروبها السريّة وأوحت إليهما أن ثيرانوس تمتلك ابتكاراً فكرياً قيماً جداً يستحق الحماية. ورسمت ذلك الانطباع العروض التقديمية التي أجرتها إليزابيت وسوني.

خلال ذلك الاجتماع الأول، أطلعت إليزابيت وسوني ضيفيهما على أن اختراع ثيرانوس المسجل في تكنولوجيا الدم المسحوب من وخزة إصبع يستطيع إجراء تحاليل دموية تغطي ١٠٠٠ من أصل ١٣٠٠ رمزٍ للتحاليل تستخدمها المخابر لتقتطع من الـ Medicare وحسابات الناس لدى شركات التأمين الصحي، بحسب دعوى رفعتها شركة Partner Fund لاحقاً ضد الشركة. (تتضمن الكثير من التحاليل الدموية العديد من رموز الفواتير، وبالتالي يكون الرقم الحقيقي للتحاليل الممثلة بتلك الآلاف من الرموز حفنة قليلة من المئات.)

في اجتماع ثان تلا الأول بثلاثة أسابيع، قدّما لهما عرض شرائح على برنامج باوربوينت يتضمن رسوماً بيانية متفرقة يُفترض أنها تقارن معلومات الاختبار من أجهزة تحليل ثيرانوس المسجّلة بمعلومات من آلات مخابر تقليدية. أظهر كل رسم بياني نقاط المعلومات متجمّعة حول الخط المستقيم الذي ارتفع بشكل مائل من محور «س» الأفقي. أشار ذلك إلى أن نتائج تحليل أجهزة ثيرانوس كانت تقريباً مرتبطة بشكل كامل بنتائج الآلات التقليدية. بمعنى آخر، كانت التكنولوجيا الخاصة بها دقيقة كطرق الاختبار التقليدية. كانت النقطة الوحيدة هنا أن الكثير من المعلومات في المخططات لم تأت من المختبر المصغّر ولا من جهاز إديسون. بل من أجهزة تحليل دموي تجارية أخرى اشترتها ثيرانوس، بما فيها مُنتج صناعي لشركة تقع شمال بالو آلتو وعلى بعد ساعة منها وتدعى بايو-ريد (Bio-Red).

قال سوني لـ جيمس وغروسمان أيضاً إن ثيرانوس طورت حوالي ثلاثمئة تحليل دم مختلف، تراوحت بين التحاليل المطلوبة عادة لقياس نسبة الغلوكوز، والإلكترونيات، ووظائف الكلية إلى التحاليل الأكثر نوعيّة لكشف السرطان. وتفاخر بقدرة ثيرانوس على إنجاز ٩٨ بالمئة من تلك التحاليل على عينات دموية صغيرة تؤخذ من وخزة إصبع وبأنها خلال ستة أشهر ستمكن من تغطية كافة التحاليل بتلك الطريقة. شكّلت التحاليل الثلاثمئة تلك ٩٩ إلى ٩٩,٩ بالمئة من جميع التحاليل المطلوبة من المخابر، وكما قال قدّمت ثيرانوس طلباً إلى إدارة الغذاء والدواء FDA عن كل واحدة من تلك التحاليل للحصول على الموافقة.

أما أجراً ادّعاء قدّمه سوني وإليزابيث فكان قدرة نظام ثيرانوس على إجراء سبعين تحليل دم مختلفاً في الوقت ذاته على عينة وحيدة مسحوبة من وخزة إصبع وأنها ستتمكن قريباً من إجراء المزيد. مثلت القدرة على إجراء هذا الكم من التحاليل على نقطة أو نقطتين من الدم فقط شيئاً أشبه بالكأس المقدسة في مجال علم الموائع الدقيقة. فقد سعى آلاف الباحثين حول العالم في الجامعات وحقل الصناعة لتحقيق هذا الهدف لأكثر من عقدين، منذ أظهر العالم السويسري أندرياس مانز أن تقنيات التصنيع الدقيق التي طوّرتها صناعة الرقاقات الحاسوبية يمكن أن تُستخدم في صنع قنوات صغيرة تحرك أحجاماً صغيرة من السوائل.

لكن بقي هذا الهدف بعيد المنال لعدة أسباب أساسية. أولها أن الأنساق المختلفة من التحاليل الدموية تحتاج إلى طرائق مختلفة بشكل كبير. فما إن تجري تحليلاً مناعياً على عيّتك الدموية فائقة الصّغر، حتى ينفد ما يكفي من الدم الذي تحتاجه تقنيات المختبر المختلفة التي يتطلبها عادةً تحليل كيميائي عام أو متعلّق بأمراض الدم. كما أن هناك سبباً آخر، ففي حين تستطيع رقاقات الموائع الدقيقة معالجة الأحجام بالغة الصّغر، لم يستطع أحد أن يكتشف بعد كيف يمكن تجنّب فقدان جزء من العينة خلال نقلها إلى الرقاقة. لم تكن خسارة جزء من عينة الدم شيئاً يذكر في حال كانت الكمية كبيرة، لكنّها مثلت مشكلة كبيرة حين تكون العينة صغيرة. وحين تسمع كيف تتحدث إليزابيث وسوني بالأمر، ستعتقد أن ثيرانوس حلّت هذه الصعوبات - التحديات وغيرها، الذي سحرّ فرع أبحاث الهندسة الحيوية برمّته.

ومما ساعد على كسب جيمس وغروسمان، إلى جانب إنجازات ثيرانوس العلمية المفترضة، كان مجلس إدارتها. فبالإضافة إلى شولتز وماتيس، ضمّ الآن وزير الخارجية السابق هنري كيسنجر، ووزير الدفاع السابق ويليام بيرى، ورئيس لجنة الخدمات الحربية لمجلس الشيوخ سام نان، والأدميرال البحري السابق غاري روغهيدي. فقد تمتّع هؤلاء بسمعة أصيلة وعظيمة أضفت على ثيرانوس طابعاً شرعياً. وكانت الصفة المشتركة بين هؤلاء جميعاً أنهم كانوا، مثل شولتز، زملاء في مؤسسة هوفر. وبعد مصادقتها لشولتز، طوّرت إليزابيت علاقتها بكل منهم وقدمت لهم مقاعد في مجلس إدارة شركتها مقابل منح داعمة.

كما أضفى حضور أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الشيوخ وضباط الجيش السابقين هؤلاء في مجلس الإدارة أيضاً مصداقية على تأكيد إليزابيت وسوني استخدام أجهزة ثيرانوس في الجيش الأمريكي. اعتقد جيمس وغروسمان أن اختراع ثيرانوس ذا العينة المسحوبة من وخزة إصبع في متاجر وولغرينز وسيفواي سيكون بالغ النجاح مع المستهلكين وسيكسب حصة كبيرة من سوق تحاليل الدم في البلاد. وسيضيف العقد مع وزارة الدفاع الأمريكية مصدر دخل كبير أيضاً.

دعم هذه الفكرة جدول توقعات مالية أرسله سوني إلى المدراء التنفيذيين في المحافظة الوقائية. وتوقع الجدول أرباحاً إجمالية تبلغ ١٦٥ مليون دولار تضاف إلى عائدات تبلغ ٢٦١ مليون دولار في عام ٢٠١٤ وأرباحاً إجمالية تبلغ ١,٠٨ مليار إلى عائدات تبلغ

٦٨, ١ مليار دولار في عام ٢٠١٥. وما لم يعرفاه أن سوني قد لَفَّق هذه الأرقام. لم يكن في ثيرانوس مسؤول مالي حقيقي منذ أن طردت إлизаبيت هنري موسلي عام ٢٠١٦. وأقرب ما كان في الشركة إلى مسؤول مالي حقيقي هي مراقبة نفقات للشركة تدعى دانيز يام. وبعد ستة أسابيع من إرسال سوني لتقرير التّصوّر المالي إلى بارتنر فاند، أرسلت يام تقاريرَ مختلفة تماماً إلى شركة استشاريّة تدعى آرانكا بهدف تقدير قيمة خيارات الدعم للموظفين. توقعت يام ربحاً وقدره ٣٥ مليون دولار عام ٢٠١٤ و ١٠٠ مليون دولار عام ٢٠١٥ (١٣٠ مليون دولار و ٩٨٠ مليون دولار أقل من القيم التي قدّمها سوني إلى شركة بارتنر فاند بالترتيب). حتّى إن فجوة العائدات كانت أكبر: توقعت عائدات تبلغ ٥٠ مليون دولار عام ٢٠١٤ و ١٣٤ مليون دولار عام ٢٠١٥ (٢١١ مليون دولار و ١,٥٥ مليار دولار أقل من التّصور الذي تم تقديمه إلى شركة بارتنر فاند). وكما اتضح، حتّى أرقام يام كانت مفرطة في تفاؤلها.

لم تكن لدى جيمس وغروسمان بالطبع أية وسيلة لمعرفة أن تصوّرات ثيرانوس الداخلية كانت أقل بخمسة إلى اثني عشر ضعفاً من الأرقام التي عُرِضت عليهما. فلم يخطر ببالهما أن شيئاً معاكساً يمكن أن يحدث في شركة مجلس إدارتها بهذا المستوى المحترم كما في ثيرانوس. ناهيك عن وجود مستشار خاص في الشركة هو دايفيد بويز الذي حضر كلّ اجتماعاتها. بالإضافة إلى أحد ألمع محامي الولايات المتحدة الذين يتابعون الوضع، فما الخطأ الذي كان يمكن أن يقع؟

في الرابع من شباط عام ٢٠١٤، اشترت شركة بارتنر فاند ٥٦٥٥٢٩٤ سهماً في ثيرانوس بمبلغ ١٧ دولاراً للسهم الواحد- أكثر مما دفعت شركة مجموعة لوكاس المغامرة بدولارين للسهم الواحد سابقاً. جلبَ الاستثمار إلى صندوق ثيرانوس ٩٦ مليون دولار إضافية وزاد قيمتها إلى درجة مذهلة بلغت ٩ مليار دولار. وذلك يعني أن صافي ثروة إليزابيت، التي امتلكت أكثر من نصف الشركة بقليل، بلغ تقريباً ٥ مليار دولار.

(١٦)

## الحفيد

واقفاً وسط حشد من زملائه الجدد في كافيتريا مبنى فيسبوك القديم، استمع شولتز إلى الخطاب العاطفي الذي أدلت به إليزابيت. تحدّثت عن عمّها الذي توفي قبل أوانه بالسرطان وكيف كان يمكن لتحليل دموي مبكر من ثيرانوس أن يمنع ذلك. كان هذا ما عملت على تحقيقه بلا كلل طوال السنوات العشر الماضية، كما قالت بعيون دامعة، وصوتٍ أسر: عالمٌ لا يضطر فيه أحد لتوديع عزيز باكراً. وجد تيلر الرسالة ملهمة بعمق. كان قد بدأ العمل في ثيرانوس منذ أقل من أسبوع، بعد تخرجه من ستانفورد في الربيع الماضي وتمضيته فصل الصيف متجولاً في أنحاء أوروبا. كان ثمة الكثير من الأمور التي ينبغي على المرء أن يستوعبها في يومين، ولم تكن أقلّ هذه الأمور الأخبار التي جمعت إليزابيت كلّ الموظفين في اجتماعهم هذا لتعلنها: ستبدأ الشركة نشاطها بالتكنولوجيا التي طورتها ضمن متاجر وولغرينز.

التقى تيلر بإليزابيت للمرة الأولى في أواخر عام ٢٠١١ حين زار منزل جده جورج قرب حرم ستانفورد. كان طالباً مبتدئاً آنذاك،

يختص في الهندسة الميكانيكية. وقد لقيَ تطلُّعُ أليزابيت إلى تحاليل دموية فوريّة خالية من الألم تجرّى على عينات دموية مسحوبة من أطراف الأصابع استجابةً لديه. وبعد دخوله ثيرانوس في ذلك الصيف، غير اختصاصه إلى علم الأحياء وقَدّم طلب توظيف بدوام كامل في الشركة.

كان يومه الأول حافلاً بالدراما، حيث استقالت امرأة تدعى أنجالي كانت رئيسة فريق التحاليل المناعية واجتمعت مجموعة من الموظفين في موقف السيارات ليودّعوها. سرت شائعة مفادها أن خلافاً كبيراً وقع بين أنجالي وإليزابيت. من ثم، بعد ثلاثة أيام، تم إعلام تيلر بأن مجموعة هندسة البروتين التي عُيِّنَ فيها أساساً سوف تُحلّ وينقل الجميع لمساعدة فريق التحاليل المناعية الذي تنقصه الأيدي العاملة. كان كل ذلك مشوشاً ومربكاً نوعاً ما، لكن خطاب إليزابيت المؤثّر جعل شكوكه الناشئة تتبخّر. غادر الاجتماع مفعماً بالحياة ومتحفّزاً للعمل بكل نشاط.

بعد شهر من التحاقه بالوظيفة، التقى تيلر موظفة تدعى إيريكّا تشونغ. كانت إيريكّا، مثل تيلر، خريجة جامعية موظفة حديثاً ممن اقتصوا بعلم الأحياء، لكن كان ذلك كل ما يملكان من قواسم مشتركة. بشعره الأشقر المغبر وجدّه الشهير، كان تيلر نتاج المؤسسة، بينما جاءت إيريكّا من أسرة مختلطة الأعراق من الطبقة الوسطى. هاجر والدها من هونغ كونغ إلى الولايات المتحدة الأمريكية وارتقى سلّم الوظائف من مسؤول عن الطرود



إلى مدير هندسي في شركة UPS. وكانت قد أمضت فترات طويلة من شبابها وهي تتابع دراستها في المنزل.

على الرغم من خلفيات ماضيها المتنوعة للغاية، أصبح تير وإيريك صديقين بسرعة. تطلّب عملهما في فريق التحاليل المناعية المساعدة في إجراء التجارب للتحقق من دقة التحاليل الدموية على جهاز ثيرانوس المسمى إديسون قبل استخدامه في المختبر على المرضى. عُرفت عملية التحقق هذه باسم «التحقق من الفاعلية». أتت العينات الدموية لهذه التجارب من موظفين وأحياناً من أصدقاء وأفراد أسر موظفين. لتشجيع الموظفين على منح الدم، دفعت ثيرانوس لهم ١٠ دولارات للأنبوب الواحد. هذا يعني أنه يمكنك أن تجني ما يصل إلى خمسين دولاراً في جلسة واحدة للتبرع بالدم. وقد تنافس تيلر وإيريك حول من كان يمكنه أن يجني ٦٠٠ دولار أولاً- وهي عتبة كان ينبغي على الشركة أن ترسل عند تجاوزها تقريراً بالدفع كمكافأة إلى مصلحة الضرائب. في إحدى أعطال نهاية الأسبوع، وكانت ثيرانوس تبحث عن المزيد من المتطوعين، جند تيلر شركاء سكنه الأربعة ليقدموا معه الدم. استخدموا مجموع غنائمهم - ٢٥٠ دولاراً- لشراء البيرة والبرغر وأقاموا حفلة في تلك الليلة في المنزل الآيل للسقوط الذي استأجروه في على بُعد عدة كتل سكنية.

كانت رؤية قلب جهاز إديسون أول ما ثبتت حماسة تيلر للعمل في ثيرانوس. فخلال فترة تدريبه الصيف الماضي، لم يُسمح له بالاقتراب من الجهاز، وكانت توقعاته كبيرة حين أرته عاباً

صينية تدعى رانْ هُوَ إحدى تلك الآلات بعد إزالة أغطيتها السوداء والبيضاء. ووقفت بجانب تيلر المشرفة عليه أرونا آير. كانت أرونا فضولية مثله تماماً: ففي عملها السابق كرئيسة لمجموعة هندسة البروتين، لم يسبق لها رؤية جهاز إديسون أيضاً. وحين قدمت رانْ العرض السريع، لم يعرف تيلر وأرونا بماذا يفكران. بدا وكأن الجهاز لم يحتوِ إلا على ماصّة مثبتة إلى ذراع روبوتية تتحرّك على جسر رافعة إلى الأمام والخلف. تخيل كلاهما نوعاً من نظام موائع دقيقة متطور. لكن بدا هذا الشيء كجهاز يمكن لطالب إعدادية أن يصنعه في كراج منزله.

سألت أرونا، محاولة الحفاظ على ذهنية منفتحة، «ران، هل تظنين أن هذا الجهاز ظريف؟»

أجابت ران، بنبرة أوحى أنها لا تظن ذلك، «سأدعكما تقرران بنفسيكما.»

حين أعيد الغطاء، أظهر جهاز إديسون واجهة لبرنامج على شاشة تعمل باللمس، لكن حتى ذلك كان مخيباً للآمال. كان عليك أن تنقر رموز الشاشة بقوة حتى تعمل. تداول تيلر وأعضاء آخرون نكتة مفادها أن ستيف جوبز كان سيتقلب في قبره لو رأى واحداً منها. شعر تيلر بموجة من خيبة الأمل تغمره لكنه أبعدّها بأن قال في سره أن الـ 4S، الجيل التالي من الجهاز الذي سمع أنه قيد الإنتاج، كان على الأغلب أكثر تعقيداً.

وسرعان ما برزت أمور أخرى كان من شأنها أن تقلق تيلر.

فقد تضمنت إحدى أنواع التجارب التي كُلفَ وإيريكاً بإجرائها إعادة اختبار العينات الدموية على جهاز إديسون مراراً وتكراراً لقياس مدى اختلاف نتائجها. كانت النتائج ستُستخدم لاحتساب درجة التباين لكل اختبار تحليل دم على جهاز إديسون، أو ما يسمى CV. يعتبر التحليل عادة دقيقاً إن لم يتجاوز مُعامل اختلافه العشرة بالمئة. وما أثار الرعب لدى تيلر، كان صرف النظر عن نتائج المعلومات التي لم تصل درجة التباين المنخفض بالشكل المطلوب، وكانت الاختبارات تعاد حتى الوصول إلى الرقم المطلوب. بدا الأمر وكأنك ترمي العملة في الهواء لعدد من المرات يكفي معه الحصول على النقش لعشرة مرات متتالية ومن ثم تعلن أن العملة دوماً تعود إلى النقش. حتى ضمن نتائج المعلومات «الجيدة»، لاحظ تيلر وإيريكاً أن بعض القيم اعتبرت ناشزة فحُذفت، حين سألت إيريكاً الخبراء الأعلى رتبة في المجموعة كيف عرّفوا النشاز، لم يتمكن أحد من إعطائها إجابة صريحة. قد تكون إيريكاً وتيلر شائين وقليلي الخبرة، لكن علم كلاهما أن المعلومات المعتمدة على الانتقائية لم تكن محبذة في منطق العلم. ولم يكونا الوحيدين اللذين راودتهما شكوك حول هذه الممارسات. فأرونا، التي أُعجِبَ بها تيلر واحترمها، لم توافق هي الأخرى على هذا الأسلوب، وكذلك فعل مايكل همبرت، وهو خبير ألماني مرح ارتبط بصداقة طيبة مع تيلر.

تضمنت واحدة من تجارب التوثق من الصلاحية التي شارك بها تيلر اختباراً لكشف السفلس. فبعض الاختبارات

تقيس تركيز المادة في الدم، مثل الكوليسترول، لتحديد نسبتها. بينما تعطي اختبارات أخرى، مثل اختبار السفلس، جواباً بـ نعم أو لا حول إصابة المريض بمرض معين أو عدم إصابته. وتقاس دقة هذا النوع من الاختبارات بمدى حساسيتها - مقياس كم مرة تحدد إصابة شخص بالمرض على أنها إيجابية. وعلى مدى عدة أيام، اختبر تيلر والعديد من زملائه ٢٤٧ عينة دموية على أجهزة إديسون، أظهرت ٦٦ منها إصابة إيجابية بالمرض. خلال الجولة الأولى، أعطت الأجهزة نتيجة صحيحة لـ ٦٥ بالمئة فقط من العينات إيجابية الإصابة. وخلال الجولة الثانية، أصابت الأجهزة في ٨٠ بالمئة من تلك الحالات. على الرغم من ذلك، في تقريرها للتحقق من التوثق من المصادقية، ذكرت ثيرانوس أن حساسية اختبار كشف السفلس كانت ٩٥ بالمئة.

ظنت إيريكّا وتيلر أن ثيرانوس تتبع التضييل أيضاً بخصوص تحاليل أخرى بجهاز إديسون، مثل تحليل قياس نسبة فيتامين D حين يجري تحليل العينة الدموية في جهاز تحليل صنعتها الشركة الإيطالية دياسورين، قد يعطي نتيجة فيتامين D بتركيز ٢٠ نانوغرام في الملييلتر، وهي نسبة تعتبر مناسبة لمريض بصحة جيدة. لكن عندما حللت إيريكّا العينة بجهاز إديسون، كانت النتيجة ١٠ إلى ١٢ نانوغرام في الملييلتر - وهي قيمة تظهر نقصاً في فيتامين D على الرغم من ذلك اعتمدَ تحليل ذلك الفيتامين في جهاز إديسون في المخابر السريرية على عينات حية للمرضى، كذلك الأمر بالنسبة لتحليلين في جهاز إديسون أحدهما لهرمون الغدة الدرقية والآخر لقياس PSA، مؤشر سرطان البروستات.

في تشرين الثاني ٢٠١٣، نُقِلَت إيريكّا من مجموعة التحاليل المناعية إلى المختبر السريري وعُينت في النورماندي، وهي الغرفة في الطابق السفلي التي تحتوي أجهزة إديسون الخاصة بالمخابر. خلال عطلة عيد الشكر، ورَدَ طلب تحليل لمريض من متجر وولجرين في بالو آلتو لاختبار فيتامين D. وكما دُرِّبَتْ، أجرت إيريكّا اختبار ضبط الجودة على أجهزة إديسون قبل اختبار عينة المريض.

تعتبر اختبارات ضبط الجودة خط دفاع أساسي ضد النتائج غير الدقيقة وهي من صميم الطريقة التي تعمل وفقها المخابر. تتضمن هذه الاختبارات تحليل عينة محفوظة لبلازما دموية ذات تركيز معروف مسبقاً للعنصر المراد معرفة تركيزه والتحقق من مدى مطابقة نتيجة تحليل المختبر لهذه القيمة المعروفة. وإذا زادت النتيجة أو نقصت بمقدارٍ عامليّ انحراف معياريين عن القيمة المعروفة. يعتبر حينها اختبار ضبط الجودة فاشلاً.

فشل أول اختبار ضبط جودة أجرته إيريكّا، فأجرت اختباراً ثانياً. وفشل ذلك أيضاً. لم تكن إيريكّا متأكدة مما يجب عليها فعله. كان المسؤولون الأعلى منها في المختبر في عطلة، فأرسلت رسالة إلكترونية إلى خط المساعدة الطارئة لدى الشركة. ردّ كلّ من سام أنيكل، وسوراج ساكسينا، ودانييل يونغ على رسالتها باقتراح مختلف، لكن لم ينجح أي من اقتراحاتهم. بعد فترة، قدمت موظفة اسمها أوين دو من قسم البحث والتطوير واطّلت على قراءات ضبط الجودة.

ضمن البروتوكول الذي أنشأه سوني ودانييل، لم تكن الطريقة التي تستنبط فيها ثيرانوس نتيجة من أجهزة إديسون تقليدية على أقل تعبير. أولاً، مُدِّدَت عينات وخزعة الإصبع الصغيرة بمعالج سائل تيكان وقُسمَت إلى ثلاثة أقسام. ثم اختُبرت الأقسام الثلاثة في ثلاثة أجهزة إديسون مختلفة. كان كل جهاز مزوداً برأسين ماصّين أنزلا إلى الدم الممدد، ليخرجا بقيمتين اثنتين. بالمجمل خرجت الأجهزة الثلاثة إذاً بسّ قِيَم. وتُستنبط النتيجة النهائية بالحصول على المعدل الوسطي لتلك القيم الست.

باتباعها هذا البروتوكول، اختبرت إيريكّا عيّتين لضبط الجودة على هذه الأجهزة، لتحصل على ستّ قِيَم في كل جولة والذي بلغ مجموعه اثنا عشرة قيمة. حذفت دُوتّين من هذه القيم دون أن تزعج نفسها بتقديم شرح منطقي إلى إيريكّا، معلنة أنّهما ناشرتان. ثم اختبرت عينة المريضة وأرسلت النتيجة.

لم تكن هذه هي الطريقة التي تعالج بها الفشل المتكرر في اختبارات ضبط الجودة. عادة ما يؤدي فشلان متتاليان من هذا النوع إلى إخراج الجهاز عن العمل وإعادة معايرته. أضف إلى أنه لم يكن مصرحاً لـ دُوتّ أصلاً دخول المختبر السريري. على عكس إيريكّا، لم تملك رخصة CLS ولم يكن لديها الحق بمعالجة عينات المرضى. وقد تركت الحادثة إيريكّا في حالة من الاضطراب.

بعد ذلك بأقل من أسبوع، كان آلان بيَم يتحدث بعصبية في الحديقة الجوراسية، المختبر في الطابق العلوي، مع مفتشة من

قسم خدمة المختبرات الميدانية من فرع كاليفورنيا للصحة العامة. كان عمر شهادة CLIA لمخابر ثيرانوس سنتين تقريباً وحين وقت تجديدها، الأمر الذي تطلب اجتياز المختبر للتفتيش. فوّضت وكالة الرعاية الصحية الفيدرالية مفتشين حكوميين لإجراء هذا النوع من التفتيش الروتيني.

أعلن سوني أنه يُحظر دخول وخروج أي موظف إلى ومن النورماندي خلال التفتيش. حُجبت السلام التي تقود إلى الغرفة في الطابق السفلي بأبواب يمكن فتحها فقط ببطاقة مفتاح آلي. فسر آلان وأعضاء آخرون في المختبر الإجراء على أنه علامة واضحة على عدم رغبة سوني تحرّي التفتيش لما وراء الأبواب. أمضت المفتشة ساعات عديدة في أقسام الطابق العلوي من المختبر ووجدت مشاكل صغيرة نسبياً تعهد آلان بإصلاحها على وجه السرعة. ثم غادرت وقد نسيّت أنها لم تفتش قسم المختبر الذي احتوى على أجهزة الشركة المسجّلة. لم يعرف آلان إن كان يجب أن يشعر بالراحة أم بالغضب. فقد ساعد لتوّه بخداع مشرّع؟ لم زجّوه في موقف كهذا؟

في الأيام التي تلت التفتيش، أوعز سوني بإجراء تغيير من سحب الدم الوريدي العادي إلى سحب من وخزة إصبع لعشرات من التحاليل الدموية التي كانت ثيرانوس تقدمها في متاجر وولغرينز، وليس فقط الأربعة التي تجريها على أجهزة إديسون. هذا يعني أن النظام الذي ابتدعه دانييل يونغ وسام غونغ من

أجهزة سيمنز ADVIA سيستخدم الآن على المرضى العاديين. لم يمض وقت طويل قبل أن تبدأ المشاكل بالظهور.

قررت إيزابيت وسوني جعل فينيكس السوق الرئيسية لإطلاق منتجهم، تشدهم سمعة أريزونا في دعم الأعمال التجارية وعدد المرضى الضخم ممن لا تأمين صحياً لديهم، وقد ظناً أن هؤلاء المرضى سينجذبون بشكل خاص إلى الأسعار المنخفضة التي تقدمها ثيرانوس. والآن، بالإضافة إلى مركزها للرعاية الصحية في بالو آلتو، افتتحت الشركة لتوها مركزين آخرين ضمن متاجر وولغرينز في منطقة فينيكس، مع التخطيط لافتتاح عشرات المراكز لاحقاً. كما عازمت إيزابيت على افتتاح مختبر ثان في فينيكس، لكن حتى الآن فإن العينات الدموية المسحوبة من وخزة الإصبع في أريزونا تُشحن بواسطة بريد فيديكس إلى بالو آلتو لإجراء الاختبارات عليها. كان التدبير بعيداً عن المثالية: تُشحن النانوتينرات داخل المبرّدات، لكن حرارة هذه المبرّدات كانت ترتفع أثناء نقلها تحت الشمس لساعات على طريق المطار الإسفلتية. وذلك ما تسبب في تخثر الدم في الأنابيب الصغيرة.

كما كان الوضع قبل الإطلاق حيث كانوا لا يزالون يختبرون عينات مسحوبة من الموظفين، واجه آلان أيضاً مشاكل مع نتائج البوتاسيوم. كان الدم في النانوتينرات زهرياً غالباً، وهي علامة على انحلال الدم، وكانت نتائج تحليل البوتاسيوم التي أنتجتها العينات الدموية الممدّدة دائماً عالية للغاية. وبعضها يرتفع إلى درجة أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تكون صحيحة هي حين



يكون المريض ميتاً. استفحلت المشكلة لدرجة أن آلان قرر عدم إرسال نتيجة تحليل بوتاسيوم إلى المريض إذا تجاوزت عتبة معينة. والتمس من إليزابيث سحب تحليل البوتاسيوم من قائمة تحاليل ثيرانوس. وبدلاً من ذلك، أرسلت إلى دانييل يونغ طلباً لمحاولة تصليح التحليل.

في أوائل عام ٢٠١٤، نُقِلَ شولتز من مجموعة التحاليل المناعية إلى فريق الإنتاج، الذي عمل في الطابق السفلي في النورماندي. أعاده ذلك للعمل قريباً من إيريك وزملاء آخرين من المختبر السريري ممن عالجوا عينات المرضى على أجهزة إديسون وأجهزة أدفيا التي أنتجتها سيمنز وجرى تعديلها. لم يكن ثمة حواجز فيزيائية بين المجموعتين، لذا استطاع تيلر سماع الرثرة بين الرفاق في المختبر. علم تيلر من إيريك وآخرين أن أجهزة إديسون أخفقت مراراً في اختبارات ضبط الجودة وبأن سوني كان يضغط على العاملين في المختبر لتجاهل الفشل واختبار عينات المرضى على الأجهزة في كل الأحوال.

حين قلبَ الأمر في ذهنه بشأن ما سوف يفعل، تلقى اتصالاً من جده. قال جورج إنه سيقوم حفلاً بمناسبة عيد ميلاد إليزابيث الثلاثين وأراد من ابنه أن يحضر ويعزف لها. كان تيلر يعزف على الغيتار منذ المرحلة الثانوية ويجب أن يؤلف أغانيه الخاصة. وخلال أسفاره في الصيف الماضي، عزف في الحانات وفي زوايا الشوارع في أرجاء أيرلندا. حاول تيلر التملص من الأمر بالتحجج بالعمل: امتدّت مناوبته في فريق الإنتاج من ٣ ظهراً حتى ١ صباحاً،

فترة تتداخل مع الحفلة المسائية. لكن جورج أصرّ. أعدّ سلفاً ترتيب جلوس المدعوين وأجلس حفيده بين تشانينغ روبرتسون وإليزابيث على طاولة العشاء. كان متأكداً من أن إليزابيث لن تمنع إذا تغيب تيلر عن العمل للاحتفال بعيد ميلادها. كما قال الجد، فقد أرادت حضوره.

بعد ذلك بأيام قليلة، وجد تيلر نفسه يختلط مع ضيوف آخرين في غرفة المعيشة في منزل جورج، المنزل ذي الألواح الخشبية الزرقاء الفاتحة الجاثم على تلة محاذية لحرم جامعة ستانفورد. قامت زوجة جورج الثانية، شارلوت، بدور المضيفة في الحفلات. وقدم والد إليزابيث بالطائرة لحضور المناسبة، كما حضر أخوها الأصغر، كريستيان. كذلك تشانينغ روبرتسون وعضو مجلس إدارة ثيرانوس بيل بيرى، الذي خدم كوزير دفاع في إدارة كلينتون.

تحت إلحاح من جده، عزف تيلر أغنية ألفها بسرعة. حاول ألا ينكمش حين غنى كلماتها المبتذلة، التي استعارت من شعار ثيرانوس «قطرة صغيرة واحدة تغير كل شيء». ولرعبه، كان عليه أن يعزفها مجدداً بعد ذلك بقليل بسبب وصول هنري كيسنجر متأخراً، والذي اتفق الجميع على ضرورة إسماعه الأغنية أيضاً. حين انتهى تيلر من الغناء، قرأ كيسينجر، الذي كان في أوائل التسعين من عمره مثل جورج شولتز، قصيدة فكاهية ألفها بمناسبة عيد ميلاد الصبيّة. اتخذ المشهد نفحة سوربالية: كانوا جميعاً جالسين في دائرة وسط غرفة معيشة شولتز وجلست إليزابيث في الوسط، مستمتعة بالاهتمام. بدا الأمر وكأنها الملكة والجميع حاشيتها،

يقبلون خاتمها. وعلى الرغم من غرابة الأمسية، إلا أنها منحت تيلر إحساساً بأنه على وفاق مع إليزابيث إلى الدرجة التي يمكنه معها أن يحدثها بصراحة عن مخاوفه، فأرسل لها رسالة إلكترونية بعد الحفلة بفترة قصيرة، يطلب لقاءً معها.

دعته إليزابيث إلى مكتبها. كان اجتماعهما مقتضباً، لكن تسنى له الوقت لطرح بعض المشكلات التي أزعجته. كانت إحداها ما تقوله ثيرانوس حول دقة التحاليل الدموية التي تجريها: ادّعت الشركة أنه يشوب نتائجها درجة تباينٍ تقل عن عشرة بالمئة، لكن تجاوزت أرقام درجة التباين هذا الرقم بكثير في العديد من تقارير التحقق من توثيق المصادقية، كما أخبرها. تصرفت إليزابيث وكأنها فوجئت بذلك وقالت إنها لم تعتقد أن ثيرانوس قدمت ادّعاء كهذا. اقترحت أن يراجعا الموقع سوياً وفتحته من جهازها الآي ماك الضخم. أعلن قسم من الموقع بعنوان «التكنولوجيا الخاصة بنا» بشكل واضح عن درجة تباين لا تتجاوز العشرة بالمئة مع شعار دائري جذاب باللونين الأخضر والأبيض، لكن أبدت إليزابيث ملاحظة أن الأحرف الصغيرة فوق الأولى ذكرت أن هذا الادعاء غطى تحاليل فيتامين D التي تجريها ثيرانوس فقط.

وافقها تيلر على هذه النقطة وأفضى بما في ذهنه عن ضرورة التحقق من معطيات تقارير التوثق من المصادقية بما يتعلق بتحليل فيتامين D. ثم طرح واقع أن حسابات CV الخاصة به غالباً لم تطابق تلك التي وجدها في تقارير التحقق من توثيق المصادقية. فوفق حساباته، كانت النسب في التقارير أخفض مما

يجب أن تكونه. وبمعنى آخر، بالغت ثيرانوس في وصف تحاليلها الدموية بأنها دقيقة.

قالت إيزابيت، «لا يبدو هذا صحيحاً.» واقترحت أن يتحدث مع دانييل يونغ. سيتمكن دانييل من شرح الآلية التي تحلل فيها ثيرانوس معلوماتها ويحدد أي التباس. وعلى مدى الأسابيع التالية، التقى تيلر دانييل يونغ مرتين. قد يكون الحديث مع دانييل محبطاً. كانت لديه جبهة طويلة شكلها انسحاب خط الشعر مما أوحى بامتلاكه لدماغ كبير قوي. لكن كان من المستحيل معرفة ما يجري داخل ذلك الدماغ. لم تفصح عيناه اللتان اختبأتا خلف نظارة بحواف رفيعة أي نوع من المشاعر.

خلال اجتماعهما الأول، شرح دانييل بهدوء لماذا كانت حسابات تيلر لدرجة التباين خاطئة: كان تيلر يأخذ في حسابه القيم الست، أو «النسخ»، التي ينتجها كل تحليل في جهاز إديسون بدلاً من استخدام معدل تلك القيم الست. فتكون النتيجة النهائية التي ترسلها ثيرانوس إلى المريض هي المعدّل، أي أن ذلك الرقم فقط يكون ذا علاقة بحسابات درجة التباين، كما قال.

لربما كان دانييل محققاً تقنياً، لكن تيلر وضع إصبعه على موقع ضعف مركزي في جهاز إديسون: كانت رؤوس ماصّاته غير دقيقة إلى درجة كارثية. وإنتاج ستة قياسات ضمن كل تحليل ومن ثم الحصول على المعدّل كان طريقة لتصحيح عدم الدقة هذا. ولو كانت الرؤوس موثوقة منذ البداية، لما كانت هناك حاجة إلى وسائل ملتفة كهذه.

انتقل الحديث إلى موضوع اختبار السفلس وما شعر تيلر حياله بأنه استجابة مبالغ فيها. ومرة أخرى، كان لدى دانييل جواب جاهز: حدث بعض الخلل في نتائج جهاز إديسون للسفلس في موضع ملتبس، كما شرح بهدوء. لم تدخل النتائج في ذلك الموضع ضمن حساب الاستجابة. بقي تيلر متشككاً. لم يبدُ أن هناك أي معيار محدد مسبقاً بخصوص الموضع الملتبس المزعوم هذا. كان من الممكن توسيعه بحسب الرغبة حتى تصل الحساسية إلى أي رقم أرادته الشركة. في حالة اختبار السفلس، كان هذا الموضع واسعاً إلى درجة زادت معها العينات التي اعتبرت ضمن الموضع الملتبس عن تلك التي اعتُبرت إيجابية بشكل صحيح. سأل تيلر دانييل إن كان يعتقد بأن تحليل ثيرانوس لكشف السفلس هو بالفعل الأكثر دقة في السوق، كما ادّعت الشركة. أجاب دانييل أن ثيرانوس لم تدّع قط بأن لديها التحاليل الأدق.

بعد أن عاد تيلر إلى مكتبه، بحث في محرّك غوغل عن المقالين الحديثين اللذين نُشرا في الصحافة عن ثيرانوس وأرسلهما برسالة إلكترونية إلى دانييل. كان أحدهما اللقاء مع إليزابيت الذي نُشر في وول ستريت جورنال، والذي أقرّ بأن «طرق ثيرانوس كانت أدقّ من الطرق التقليدية» وأسّمت تلك الدقة تطوّراً علمياً. وحين التقيا مجدداً بعد أيام قليلة، وافق دانييل على أن الطروحات في مقال الجورنال بالغت قليلاً لكن جادل بأنها من صنع الكاتب، ولم تقلها إليزابيت نفسها. وجد تيلر هذا الجدل أكثر محاباة من المطلوب. وبالطبع لم يتدع الكاتب هذه الادّعاءات من بنات

أفكاره؛ ولا بد أنه سمعها من إليزابيت. عبرت ابتسامة عابرة باهتة شفتيّ دانييل.

وقال، «حسن، تبالغ إليزابيت أحياناً في جلسات المقابلة».

كان ثمة شيء آخر يزعج تيلر - شيء عرفه لتوه من إيريك - وقرّر أن يطرحه أيضاً. يجب على جميع المخابر السريرية أن تتقدّم ثلاث مرّات في السنة للحصول على ما يسمّى بـ «اختبار الكفاءة»، وهو اختبار تأسس للبحث عن المختبرات التي لا تنتج تحاليل دقيقة. ترسل جهات معتبرة مثل كليّة اختصاصيي علم الأمراض الأمريكيين عينات من بلازما دموية محفوظة وتطلب من المختبرات إجراء العديد من التحاليل عليها لتقيس وجود مواد مختلفة.

خلال العامين الأولين من عملها، درجت ثيرانوس على إجراء تحاليل عينات اختبار الكفاءة على أجهزة تحليل تجارية. لكن بما أنها الآن تستخدم أجهزة إديسون لبعض تحاليل المرضى، أصاب الفضول آلان بيم وشركاه في إدارة المختبر لمعرفة كيف سيكون أداء الأجهزة في الاختبار. أمر بيم ومارك باندوري، شريكه الجديد في الإدارة، إريك وزملاء آخرين في المختبر بأن يقسموا عينات اختبار الكفاءة ويقوموا بتحليل إحداها على أجهزة إديسون والأخرى على أجهزة تحليل سيمنز ودياسورين في المختبر. اختلفت نتائج أجهزة إديسون بشكل كبير عن نتائج أجهزة سيمنز ودياسورين، خاصة في تحاليل فيتامين D.

حين علم سوني بتجربتهم الصغيرة، استشاط غضباً. لم يمه

كل شيء فقط، بل جعلهم يرسلون تقريراً بنتائج أجهزة سيمنز ودياسورين فقط. جرت ثروة كبيرة في المختبر حول وجوب أن تكون نتائج أجهزة إديسون هي ما سيرسل في التقرير. اطلع تيلر على قوانين CLIA وبدأ أنها تحظر ذلك: أقرت القوانين أن عينات اختبارات الكفاءة يجب أن تُحلَّل وتختبر «بنفس الطريقة» التي تحلل وتختبر فيها عينات المرضى «باستخدام طرائق المختبر المعتادة». اختبرت ثيرانوس عينات المرضى لفيتامين D، و PSA، وهرمونين للغدة الدرقية على أجهزة إديسون، وبالتالي كان ينبغي أن تُسجَّل في التقرير نتائج اختبار الكفاءة لهذه المواد المحلَّلة الأربع الناتجة عن أجهزة إديسون.

أخبر تيلر دانييل أنه لم يعرف كيف يعتبر ما قامت به ثيرانوس قانونياً. اعتمد جواب دانييل منطقاً ملتويًا. قال إن نتائج اختبار الكفاءة للمختبر تقيَّم عبر مقارنتها بنتائج نظرائها. الأمر الذي لم يكن ممكناً في حالة ثيرانوس لأن التكنولوجيا الخاصة بها فريدة وليس لها مجموعة نظراء. بالنتيجة، كانت الطريقة الوحيدة لإجراء مقارنة نظراء حقيقيين تتمثل باستخدام الطرائق التقليدية ذاتها التي تستخدمها المخابر الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، كانت قوانين اختبار الكفاءة بالغة التعقيد، كما جادل دانييل. كان بإمكان تيلر أن يركن إلى أن لا قوانين قد خُرقت. لكن تيلر لم يقتنع بالأمر.

في التاسعة صباحاً من يوم الاثنين، ٣١ آذار، ٢٠١٤، وصلت

الرسالة الإلكترونية التي انتظرها تيلر طوال عطلة نهاية الأسبوع إلى صندوق بريده في ياهو - أو بالأحرى إلى صندوق بريد كولين راميرز، وهو اسم مستعار ابتدعه ليبقى مجهول الهوية. كان مرسل الرسالة الإلكترونية ستيفاني شولمان، مديرة برنامج تقييم المخاطر السريرية في قسم ولاية نيويورك للصحة. حيث استجابت لسؤال أرسله تيلر الجمعة الماضية باسم شخصيته الجديدة المبتدعة.

تواصل تيلر مع قسم الصحة في نيويورك لأنه أشرف على أحد برامج اختبارات الكفاءة التي شاركت فيها ثيرانوس. كان لا يزال يرتاب في أن الطريقة التي أجرت بها الشركة اختبار الكفاءة لم تكن صحيحة وأراد رأياً خبيراً في ذلك. بعد تبادل بضعة رسائل إلكترونية مع شولمان، حصل تيلر على الجواب المبتغى. في استجابة لوصف قدمه لها حول ممارسات ثيرانوس، ردت عليه أن الشركة وصلت إلى «صيغة من الغش في اختبار الكفاءة» وكانت «تخرق متطلبات الولاية والمتطلبات الفيدرالية». وأعطت شولمان تيلر خيارين: يمكن أن يعطيها اسم المختبر الذي ارتكب الجرم، أو يمكن أن يرسل شكوى مجهولة الاسم إلى وحدة التحقيق في المخاطر. واختار الأخير.

ومتسلحاً بيقينه أنه على صواب في شكوكه حول اختبار الكفاءة، ذهب تيلر لرؤية جده. جلسا معاً في غرفة الطعام في منزل جورج الكبير، وحاول تيلر أن يشرح لوزير الخارجية السابق مفاهيم الدقة، والحساسية، وضبط الجودة، واختبار الكفاءة وأن يوضح له لماذا اعتبر مقارنة ثيرانوس لكل من المفاهيم السابقة



منقوصة. كما كشف له استخدام ثيرانوس لجهازها المسجّل في حفنة صغيرة من أكثر من مئتي تحليل دموي أعلنت عن إجرائها لها في موقعها. وأنه قبل التمكن من معالجة العينات على الجهاز، كان ينبغي تمديدها في جهاز ينتجه طرف ثالث يبلغ طوله ستة أقدام وعرضه قدمين ونصف يكلف عشرات آلاف الدولارات.

أخذ جورج الموضوع على نحو ساخر. وأدرك تيلر أنه لم يتمكن من كسبه، لكنه احتاج إلى أن يدرك جورج، جدّه وعضو في مجلس الإدارة، أنه لا يستطيع أن يكون جزءاً مما يجري بعد الآن. أخبره أنه قرر الاستقالة. طلب منه جورج أن يترّث قليلاً وأن يمنح إليزابيت فرصة أخرى لتعالج كل شيء. فحاول تيلر ترتيب لقاء آخر مع إليزابيت، لكن تصاعد شهرتها جعلها مشغولة جداً. طلبت منه أن يرسل إليها رسالة إلكترونية بما يريد بدلاً من اللقاء. فباشر وكتب رسالة طويلة لخصّت محادثاته مع دانييل يونغ وشرحاً لما اعتبر أغلب إجابات دانييل غير مقنعة. ضمّن رسالته حتّى قوائم ومعلومات التحقيق في توثيق المصادقية لشرح نقاطه المختلفة. وختم بالتالي

أعتذر إن بدت هذه الرسالة الإلكترونية هجومية بأي شكل، ليس ذلك مقصدي، فقط أشعر بمسؤولية تجاهك لأخبرك ما أرى بحيث نستطيع العمل على إيجاد حلول. تعني رؤية الشركة على المدى الطويل الكثير بالنسبة إليّ، وأخشى أن بعض ممارساتنا الحالية ستمنعنا من تحقيق أهدافنا الكبرى.

لم يحصل تيلر على رد لعدة أيام. حين وصل الرد أخيراً، لم يأت من إيزابيت. بل أتى من سوني. وكان صاعقاً. ففي دحضه النقاط كل على حدة تخطى في حجمه رسالة تيلر الأصلية، سخف سوني كل شيء من إدراكه للإحصائيات إلى معرفته بعلم المخابر. تلخّصت الرسالة الكلية بأن تيلر كان أصغر وأقل خبرة من أن يفهم ما تحدّث عنه. أما نبرة سوني على امتداد الرسالة فنقطت سماً، لكنه احتفظ بأكثر كلماته حدة للأسئلة التي طرحها تيلر حول اختبار الكفاءة:

ذاك التعليق والالتهام المتهور القائم على جهل مطبق حول نزاهة شركتنا، وريادتها وأعضاء فريقها الأساسيين أمرٌ مهينٌ جداً بالنسبة إليّ لدرجة لو خرج معها هذا التعليق أو هذا الالتهام، من شخص آخر، لدفع الثمن غالياً. السبب الوحيد الذي دفعني لعدم القيام به طوال هذه الفترة وأن أعالج هذا الموضوع شخصياً هو أنك حفيد السيد شولتز...

أمضيت حتى الآن وقتاً طويلاً جداً أتحرى فيه مسائل العمل الحرجة لأحقق في ما كنت موقناً منه - والرد الوحيد التي أريد أن أتلّقه منك كرد على رسالتي هذه والذي سأعيد إرسالها إلى آخرين بمن فيهم دانييل هنا، هو رسالة اعتذار.

قرر تيلر أن وقت استقالته قد حان. وأرسل إلى سوني رسالة إلكترونية بجملة واحدة هي إشعار الأسبوعين قبل الاستقالة، وعرض أن يغادر في وقت أبكر إن أراد سوني ذلك. بعد ذلك

بساعات قليلة، استدعته رئيسة قسم الموارد البشرية، مونا، إلى مكتبها، وأعلمته قرار الشركة بوجوب مغادرته اليوم. طلبت أن يوقع على أوراق جديدة يتعهد فيها بالسرية وأخبرته بأن الحرس سيرافقونه إلى خارج المبنى. لكن لم يكن أحد من الحراس متواجداً ليأتي ويرافقه، فخرج تيلر بنفسه.

لم يكن قد وصل إلى سيارته بعد حين رن هاتفه الخليوي. كان المتصل والدته وبدت مذعورة.

ناشدته، «توقف عن فعل أي شيء مما تعزم فعله!»

أخبرها تيلر أن الوقت قد فات. وأنه استقال لتوّه ووقع أوراق مغادرته.

«لم يكن ذلك ما عנית. أنهيت لتوي محادثة مع جدك. أخبرني أن إليزابيت اتصلت به وأخبرته أنك إن أصريت على المضي بانتقامك منها، فستخسر.»

شده تيلر. تهدده إليزابيت من خلال عائلته، باستخدامها جدّه لينقل الرسالة. شعر بالغضب يجيش داخله. وبعد أن أنهى مكالمته مع والدته، اتجه إلى مؤسسة هوفر.

أدخلته سكرتيرة جورج شولتز إلى مكتب جده في الزاوية في الطابق الثاني من مبنى هربرت هوفر التذكاري. اصطفت على الرفوف كتب تستحق أن تمضي عمراً بأكمله لتقرأها. كان تيلر لا يزال متوتراً من تهديد إليزابيت لكنه شرح لجورج بهدوء ما

حدث. أراه رسالته الإلكترونية إلى إليزابيث ورد سوني اللاذع. طلب جورج من سكرتيرته أن تسحب عنها نسخاً ورقية وأن تضعها في خزانة مكتبه.

ظن تيلر أنه قد يصل مبتغاه هذه المرة مع جده، لكن لم يكن متأكداً. إذ تصعب قراءة ذلك الرجل. فسنواته كعضو بارز من مستشاري الرئيس، ومواجهته تهديدات مثل الاتحاد السوفيتي في ذروة الحرب الباردة قد جعلت منه لغزاً. كان يمتص المعلومات وقلما يطررها. اتفقا على اللقاء مجدداً على العشاء ذلك المساء في منزل جده. حين افترقا، قال جورج لتيلر، «يحاولون إقناعي بأنك أحمق. لا يمكنهم إقناعي أنك أحمق، لكن بإمكانهم إقناعي أنك مخطئ وفي هذه الحالة أعتقد بالفعل أنك مخطئ.»

علمت إيريكاستقالة تيلر وتساءلت إن كان عليها فعل الأمر ذاته. لقد خرجت الأمور في المختبر عن السيطرة. فبالإضافة إلى اختبارات أجهزة إديسون الأربعة الأصلية، وافق فريق التحقيق في توثيق مصداقية التحاليل على السماح بتحليل التهاب الكبد على جهاز إديسون للاستخدام السريري. كان إعطاء المرضى نتائج فيتامين D غير دقيقة شيئاً، لكن أن تزيد المخاطر بشكل هائل بإجراء التحاليل لأمراض معدية شيء آخر.

وصل طلب مريض لإجراء تحليل التهاب الكبد C، ورفضت إيريكاستخدام التحليل على أجهزة إديسون. حين طلب منها مارك باندوري أن تتحدث معه حول الأمر، انهارت باكياً في

مكتبه. كانت إيريكما ومارك على علاقة طيبة ووثقت به إيريكما. فمنذ وصوله منذ أشهر قليلة خلت، حاول مارك القيام بما هو صحيح، حتى فيما يتعلق باختبار الكفاءة.

أخبرت إيريكما مارك أن المواد الكاشفة لمرض التهاب الكبد C منتهية الصلاحية، ولم تُعدّ معايرة جهاز إديسون منذ مدة، وببساطة لا تثق بالأجهزة. ابتكرا خطة لإجراء التحاليل لعينات المرضى على معدات متوفرة تجارياً لكشف التهاب الكبد تدعى أوراكويك HVC. نجحت الخطة لفترة، لكن فيما بعد نفدت كميتها من المختبر. حين حاولا تسجيل طلبية لدفعة جديدة، فقد سوني أعصابه وهدد بمنعها.

وفي ظهيرة ذلك اليوم تحديداً، في الوقت نفسه تقريباً الذي تلقى فيه تيلر الاتصال المذعور من والدته، استدعى سوني إيريكما إلى مكتبه. كان قد راجع رسائل تيلر الإلكترونية واستنتج أن إيريكما هي من أرسلت إليه نتائج اختبار الفعالية. بدأت محادثتهما بشكل ينحو إلى أن يكون ودّياً، لكن سوني وبّخها حين ذكرت أمر فشل اختبارات ضبط الجودة في المختبر. وكانت كلماته الوداعية، «عليك إخباري فيما لو أردت العمل هنا أم لا.»

حين انتهت مناوبتها، خرجت إيريكما لتلتقي تيلر. اقترح أن ترافقه إلى دعوة العشاء في منزل جده. وإذا رأى الجد أن حفيده لم يكن الموظف الوحيد الذي يملك أخباراً سيئة عن نهج ثيرانوس في العمل، فقد يقتنع. ووافقت إيريكما على أن الأمر يستحق المحاولة.

حين وصلاً، في كل الأحوال، بدا من الواضح لتيلر أن ولاء جده لـ ثيرانوس قد توثق في الساعات التي فصلت لقاءهما في المكتب عن لقاءهما الآن. وبينما كان طاقم الخدمة في منزل شولتز يقومون بواجب الضيافة، راجع تيلر وإيريكاشوكوكهما، لكن وحدها زوجة جورج، شارلوت، بدت مهتمة بما كانا يقولان. وطلبت إليهما بنبرة مصدومة إعادة سرد نقاط عدّة من قصّتهما.

بينما لم تهتز شعرة لجورج. لاحظ تيلر كم كان شغوفاً باليزابيت. بدت علاقته بها أقرب من علاقته بتيلر. علم تيلر أيضاً أن جده كان شغوفاً بالعلم. سيجعل التقدم العلمي العالم مكاناً أفضل وسينقذه من مخاطر كالأوبئة والتغير المناخي، كما أخبر حفيده مراراً. وبدا أن هذا الشغف منعه من التخلي عن وعود ثيرانوس.

قال جورج إن طبيباً مرموقاً في نيويورك أخبره أن الشركة ستحدث ثورة في عالم الجراحة وكان هذا الطبيب شخصاً اعتبره صديقه العزيز هنري كيسينجر أذكى رجل على وجه الأرض. ووفقاً لإليزابيت، كانت أجهزة ثيرانوس سلفاً قيد الاستخدام في طائرات هيلوكابتر MEDEVAC وغرف العمليات في المشافي، وبالتالي لا بد أن هذه الأجهزة تعمل على أكمل وجه.

حاول تيلر وإيريكاشوكوكه إخباره أن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً على اعتبار أن الأجهزة بالكاد ينجح استخدامها وراء جدران ثيرانوس. لكن بدا من الواضح أنهما فشلا في إقناعه. حتّهما جورج على اعتبار ثيرانوس من الماضي وعلى المضيّ في حياتيهما. كان لكل

منهما مستقبل باهر في انتظاره، كما قال. غادرا العشاء محبطين، دون خيار يذكر إلا اتباع نصيحته.

في الصباح التالي، استقالت إيريكاً أيضاً. كتبت رسالة استقالة قصيرة وقدمتها إلى مارك باندوري ليقدمها بدوره إلى إليزابيث وسوني. ذكرت في الرسالة أنها لا توافق على إجراء تحاليل لعينات المرضى على أجهزة إديسون وأنها لا تعتقد أنها تتفق مع الشركة «بنفس المعايير في النوعية ورعاية المرضى». بعد أن ألقى مارك نظرة عليها، أعاد الرسالة إلى إيريكاً ونصحها أن تغادر بهدوء دون إثارة المشاكل.

فكرت إيريكاً بالأمر لدقيقة وقررت أنه ربما كان على حق. طوت الرسالة ووضعتها في حقيبتها الخلفية. لكن بعد ذلك بدقائق فيما كانت مونا تتابع استقالة إيريكاً في مكتبها، سألتها إن كانت قد أخذت أي شيء من الشركة. ولتُظهر أنها لم تفعل، فتحت إيريكاً حقيبتها الخلفية وعرضت محتوياتها على مونا. لاحظت مونا الورقة في الداخل وصادرتها. أجبرت إيريكاً على التوقيع على اتفاق جديد بالسرية وحذرتها من كتابة أي شيء عن ثيرانوس على الفيسبوك، أو لينكدين، أو أية منصة أخرى.

وقالت لها، «لدينا أساليب لتتبع ذلك، سنعرف إذا نشرت أي شيء في أي مكان.»

(١٧)

## الشهرة

جلس ريتشارد وجو فويتز بحذر مقابل دايفيد بويز وأحد شركائه حول طاولة في بهو فندق سان خوسيه في فيرمونت. كان مساءً يوم من أيام الأحاد من أواسط آذار مع هدوء آلتَي البيانو المهيتين في الغرفة واللتين عادةً ما تملآن المكان بالموسيقا، مما أتاح للرجال الأربعة أن يتحدثوا دون رفع أصواتهم. بدا بويز مسترخياً وأنيقاً في سترته الفضفاضة ذات اللون الأزرق البحري وخذائه الرياضي الأسود المعروف به، وكان قد دعا لعقد الاجتماع لمناقشة موضوع الدعوى القضائية التي علق فيها آل فويتز ضد ثيرانوس للسنتين والنصف الأخيرتين.

على الرغم من تصميمهما في البداية على متابعة الدعوى حتى نهاياتها المريرة، إلا أن الوهن والسأم نالا من ريتشارد وجو. كانت المحاكمة قد بدأت قبل ذلك بيومين في المحكمة الفيدرالية الواقعة في آخر الشارع واتضح لهما بشكل كامل كم كانت ثيرانوس متفوقة عليهما بأسلحتها الدفاعية. وعلى الرغم من عدم رضاهما عن محاميها وعن التكاليف القضائية المتراكمة، ذهبا لتمثيل



نفسيهما قبل ذلك بعدة أشهر. ما بدا حينها قراراً منطقياً وظهر الآن كقرار أحق: لم يكن جو نداءً لأفضل محام في البلاد مع جيشه من الشركاء، فجو الذي كان محامياً مختصاً ببراءات الاختراع لم يخض دعوى قضائية من قبل.

كان موت إيان غيبونز ضربة قاسية أيضاً. بدا لفترة قصيرة أنه يمكن تعويض غيابه بالتواصل مع أرملته، روشيل، كشاهد. بعد أن تدبر ريتشارد أمر لقاءها، أخبرته روشيل أن إليزابيث حاولت تعنيف إيان حتى لا يشهد وأن إيان ظن بأنها غير صادقة. غير أن القاضي بعد اطلاعه على القضية رفض التماس آل فويتز لاستدعاء روشيل إلى منصة الشهادة.

لكن شهادة ريتشارد فويتز في المحكمة منذ يومين كانت الأكثر إيذاءً. فقد أطبق بويز عليه في سلسلة من أكاذيب جوفاء قوّضت مصداقيته، دون أن تثمر عن شيء في إثبات الادعاءات بارتكاب ثيرانوس للسرقة. كانت إحداها جدال فويتز في أنه لا يزال يمارس الطب ويعالج المرضى - وهو ادّعاء دحضته زوجته حين قدمت شهادتها. دون سبب قابل للفهم باستثناء الكبرياء، رفض فويتز أن يراجع عن أقواله حتى بعد أن واجهه بويز بشهادتها. وفي جداله الافتتاحي المتعثر، أقرّ فويتز أيضاً أن براءة اختراعه لم تكن لها أية علاقة بثيرانوس، الأمر الذي كان سخيلاً ظاهرياً مع الأخذ بعين الاعتبار أن طلب براءة الاختراع الذي قدمه ذكر الشركة بالاسم واقتبس عن موقعها الإلكتروني.

شاهد جو أداء والده الكارثي على المنصة بذعر متصاعد. كان والده في مرحلة سابقة مدير جلسات عمل مذهلاً لموهبته في الارتجال. ولم تخدمه ذاكرة ريتشارد ذي الأربعة وسبعين عاماً والتي بدأت تختله.

خشي جو من أن تكون شهادة أخيه جون المقبلة عائقاً آخر. عرف بويز طباع جون الحادة وبلا شك سيجد طريقة ليستفزه أمام هيئة المحلفين. وكان قد طرح مسبقاً واقعة تهديد جون لإليزابيث خلال اعتلائه منصة الشهادة.

حين ربط الأمور ببعضها في ذهنه، علم جو أنهم في ورطة. ومع هزيمة بدت احتمالاً واقعياً جداً في المحكمة، طاردته فكرة مريعة: ماذا لو لم يكتفوا بالخسارة، بل ألزمهم القاضي بتغطية نفقات ثيرانوس القانونية؟ ارتعد حين فكر بحجم المال الذي ينفقه خصمه على القضية. ساوره قلق من أن المبلغ يمكن أن يؤدي إلى إعلانه ووالده الإفلاس. لقد كلفهم الدفاع بطبيعة الحال أكثر من مليوني دولار حتى الآن.

حضر بويز اجتماعهم برفقة مايك أندرهيل، أحد محامي بويز شيلر الذين يتابعون الدعوى القضائية. كان أندرهيل رجلاً فارغ الطول يشبه رجال العصابات، وكسر الجليد بسؤاله ريتشارد فويتز إن كان حقاً قد ترعرع في مزرعة (كان الجواب نعم). قاد ذلك فويتز وبويز إلى الحديث عن تربية الماشية، الأمر الذي كان لبويز بعض الخبرة فيه بسبب المزرعة التي يملكها في وادي نابا.

حين وصل الحديث أخيراً إلى موضوع اللقاء، قال أندرهيل إنه من الأفضل للطرفين أن ينهيا القضية بالاتفاق. لكن في حال بقي آل فويتز مصرين على المضي في المحاكمة، فعليهم أن يعلموا أن أموراً ستُكشف يمكن أن تقضي على جون فويتز. لم يحدد أندرهيل ماهية هذه الأمور ولم يتحدث بنبرة تهديد. جعل الأمر يبدو وكأنه معجب بجون وسيؤلمه أن يراه يصاب بأذى. كانت ثمة مفارقة في تهديد أندرهيل بنشر غسيل جون القذر. كان الاثنان في مرحلة سابقة زملاء في ماكديرموت ويل وايميري وكانت لهما سكرتيرة مشتركة. غادر أندرهيل ماكديرموت بعد وقت قصير من تقديم جون نيابة عن السكرتيرة، شكوى تحرّش جنسي ضده إلى قسم الموارد البشرية في الشركة. (نفى أندرهيل هذه التهمة وقال إنه سعى إلى مغادرة ماكديرموت للانضمام إلى بويز شيلر قبل ذلك بفترة.)

أضاف احتمال ظهور معلومات جديدة مؤذية حول أخيه مصدر قلق جديد لجو إلى اللائحة الطويلة التي كانت بحوزته، لكن في الواقع جاء برفقة والده إلى الاجتماع جاهزين للاتفاق. لم يستهلك الوصول إلى صياغة اتفاق وقتاً طويلاً: سيسحب آل فويتز براءة اختراعهم مقابل سحب ثيرانوس لدعواها القضائية. لن يدفع أحد من الطرفين شيئاً للآخر؛ سيبقى كل فريق مسؤولاً عن تكاليفه القضائية. وصل الأمر إلى عقد اتفاقية استسلام كاملة من طرف آل فويتز. وربحت إليزابيت.

أصر بويز على كتابة مسودة الاتفاق حالاً في المكان ذاته. دوّن

البنود على ورقة ومررها لجو، الذي أجرى عليها تعديلات قليلة. ثم أخذها أندرهيل إلى الطابق العلوي كي ينسخها. وبينما كانوا ينتظرون عودة أندرهيل، اشتكى ريتشارد فويتز مجدداً من أن اتهام إليزابيث لهم بالسرقه كان باطلاً. وفي تمثيله لدور المنتصر الشهم، وافق بويتز على أن الفكرة قد تكون صحيحة لكن لديه زبون يتعين عليه الامتثال لإرادته.

سأل فويتز بويتز إن كان يمكنه أن يفعل شيئاً لجون. لقد تلطخت سمعه ابنه دون وجه حق، كما قال. سبق لأندرهيل أن طرح على جو فكرة أنه يمكن لشركة بويتز شيلر أن تشير إلى عمل جون في براءة الاختراع إذا وقع إخلاء مسؤولية يتعهد فيه بآلاً يقاضي إليزابيث أو الشركة. كرّر بويتز هذا العرض. كان عليه أن ينتظر لسته أشهر حتى تهدأ الأمور، لكن يمكنه بعد ذلك أن يبدأ بإصلاح الأمر لصالح جون. واقترح أن يكلموا جون على الهاتف لمناقشة الأمر.

اتصل فويتز برقم جون في واشنطن وتمرر الهاتف إلى بويتز. حين أصبح جون على الخط لم يبد أنه في مزاج للعب دور اللطيف. كان يتطلع إلى تقديم شهادته في المحكمة. وجد أن تلك كانت فرصته لإعادة الاعتبار إلى اسمه. والآن ستمنعه هذه الاتفاقية من فعل هذا. أخبر بويتز بغضب أنه لا يمكن أن يوقع إخلاء مسؤولية إطلاقاً ما لم تصدر ثيرانوس بياناً عاماً تبرئه فيه. رأى ريتشارد وجو أن المكالمه لم تكن تجري على ما يرام: أمسك بويتز الهاتف بعيداً عن أذنه بعدة إنشآت وجفل بينما يصرخ جون على الطرف

الآخر من الهاتف. بعد دقائق قليلة، أعاد بويز الهاتف إلى فويتز. وكان اتفاقهما الجانبى الصغير في عداد المنتهى.

لكن الاتفاقية الأساسية بقيت سارية المفعول. وحين رجع أندرهيل مع التسوية المطبوعة، قرأها ريتشارد وجو ووقعها عليها بعيد ذلك، بدا ريتشارد فويتز مهزوماً كلياً. لقد انهار وبكى عميل وكالة الاستخبارات الأمريكية السابق، المتغطرس والمشاكس.

في الصباح التالي، دوّن فويتز باختصار ملاحظة على ورقة من الفندق، وحين وصل إلى المحكمة، طلب من بويز أن يمررها إلى إليزابيت. جاء فيها:

إليزابيت العزيزة،

قد حلّت المسألة الآن. أتمنى لك النجاح الباهر ولذويك الصحة والسعادة. يمكننا جميعاً أن نكون على خطأ. هذه هي الحياة. وأرجو أن تضعي في الحسبان أنه في واقع الأمر لم يأت شيء في براءة الاختراع رقم ٦١٢ من أي مصدر من مصادرك. بل أتت من دماغى المحض.

مع أطيب الأمنيات،

ريتشارد فويتز

أما في واشنطن، فلم يكن جون فويتز راضياً عن الاتفاقية. كان غاضباً من الجميع، بمن فيهم أبيه وأخيه، للموافقة على صفقة منحت ثيرانوس كل شيء أرادته قبل أن تتاح له الفرصة

لرواية جانبه من القصة في المحكمة. وبكبرياء مجروح، أرسل جون رسالة إلكترونية إلى صحيفة شابة تدعى جوليا لوف كانت قد غطت القصة لصالح أخبار المحامي الأمريكي وأخبرها عن الاتفاق التبادلي الذي عرضه بويز الليلة الماضية، وجعل الأمر يبدو وكأنه حاول رشوته. كذلك أقسم على مقاضاة بويز وعلى إضافة والده وأخيه إلى الدعوى كمدعى عليهم. أرسل الرسالة الإلكترونية ذاتها مجدداً إلى أندرهيل وإلى ريتشارد وجو، معلماً إياهم أن أي شيء سيصله منهم سيأخذ طريقه إلى وسائل الإعلام.

رد أندرهيل بغضب بعد ذلك بساعات قليلة، دون أن يرسل نسخة من الرسالة الإلكترونية إلى الصحيفة لكن مع إرسال نسخة إلى رئيسه. نفى أية محاولة لرشوة جون وحذّره أن بويز شيلر ستحمّله المسؤولية إن استمر في ادّعاءات كهذه. في حال لم تكن الرسالة واضحة، أرسل بويز نفسه من جهازه الأيباد بعد دقائق قليلة: أولئك الذين سيفنيهم الإله، كانوا البادئين في إغضابه.

لَفَتَ نظر روجر بارلوف مقال جوليا لوف حول الاتفاق في يومية الدعاوى القضائية، الجريدة الاختصاصية لأخبار المحامي الأمريكي، وكان بارلوف المراسل القانوني في مجلة فورتن، الذي اشتغل سابقاً في سلك القانون كمحامٍ دفاع في الجنايات الجرمية بمانهاتن قبل أن يصبح صحفياً، وكان في بحث دائم عن قصص قانونية كي يكتب عنها.

صدمته هذه القضية بالذات كقضية غريبة، وبحسب خبرته،

فإن القضايا الغربية في العادة هي الأكثر إمتاعاً. كان بويتز، بانتقائه أهم القضايا، واحداً من أشهر محامي البلاد، فلماذا تولّى قضية براءة الاختراع المغمورة هذه بنفسه بدلاً من إسنادها إلى شريك أقل خبرة؟ ومن ثم كانت هناك حقيقة أن جون فويتز، وهو محام وابن أحد المدعى عليهم وأخٌ للثاني، كان يهدد جهة الادعاء وبويتز معاً لتلفيقهم اتهامات كاذبة.

من مكتبه في مبنى تايم و لايف في ميدتاون مانهاتن، التقط بارلوف الهاتف واتصل بداون شنايدر، ممثلة بويتز للعلاقات العامة لوقت طويل. كان توقيت اتصال بارلوف مثالياً من ناحية شنايدر. فقد تحدثت لتوها إلى بويتز المهتاج عن القضية وقررت أن عليها محاولة تأييده في الصحافة للحديث عن الموضوع. عرضت أن تحضر وتلخص الموضوع لكاتب مجلة فورتنشن شخصياً. لم تكن مكاتب بويتز شيلر في جادة ليكسينغتون المتفرعة عن الشارع الواحد والخمسين تبعد عنها أكثر من أربع كتلٍ أبينة من الجادة.

وبينما مشت شنايدر في ميدتاون، خطر لها أن انتصار بويتز في قضية فويتز كان قصة جيدة لكن الأفضل منها كانت ثيرانوس ومؤسستها الشابة اللامعة. لم تلتق بإليزابيث أبداً، لكنها سمعت بويتز يتكلم عنها بحماسة لسنوات عدّة. كانت هذه فرصة لجذب الاهتمام العام إلى (محميّة ديفيد) مع قرب جاهزية شركتها للتوسع في أرجاء البلاد. وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى مكاتب مجلة فورتنشن في جادة أميريكاس، غيرت شنايدر وجهتها.

استمع بارلوف بحماس. لم ير مقال وول ستريت جورنال منذ الخريف الماضي لذا لم يسمع بثيرانوس قط، لكن وفقاً لشنايدر، كان ذلك هو المغزى. كان الأمر يشبه الكتابة عن آبل أو غوغل في بدايات انطلاقتهما قبل أن يصبحا رمزاً من رموز وادي السيليكون ويدخلا الوعي الجمعي.

قالت، «اسمع يا روجر، هذه أعظم شركة لم تسمع بها يوماً، فكّر بها كغلاف قديم الطراز لمجلة فورتشن.»

بعد ذلك بأسابيع قليلة، سافر بارلوف بالطائرة إلى بالو آلتو ليلتقي إنيزابيت. على مدى أيام عديدة، امتدت مقابلاتهما ما مجموعه سبع ساعات. بعد تخطيه لصدمته في البداية نتيجة صوتها الرخيم، وجدها ذكية وملفتة للانتباه. حين تطرقا إلى مواضيع بعيدة عن تحليل الدم، وجدها متواضعة، وساذجة تقريباً. لكن حين ينتقل الحديث إلى ثيرانوس، تبدو فولاذية وحادة. كانت أيضاً شديدة التحكم فيما يتعلق بالمعلومات. لوّحت له بسبق صحفي: جمعت ثيرانوس أكثر من ٤٠٠ مليون دولار من مستثمرين في تقييم بلغ ٩ مليارات دولار، لتحوّل ثيرانوس إلى واحدة من أهم الشركات الناشئة في وادي السيليكون. وعرضت أمام بارلوف الميني لاب/ المختبر المصغّر (على الرغم من أنها لم تشر إليه بأي اسم). لكنها لم تسمح للمجلة بأخذ صور له ولم ترد استخدام بارلوف لاسم «جهاز» أو «آلة» لوصفه. وفضّلت كلمة محلّل.

بغض النظر عن تلك التصرفات الغريبة، بدا ما قالته



إليزابيث لـ بارلوف عن إنجازاتها مبدعاً بأصالة ومثيراً للإعجاب. وكما صرّحت إليزابيث وسوني لشركة بارتنر فاند، قالت له إن بإمكان محلّل ثيرانوس إجراء تحاليل دموية مختلفة يبلغ عددها السبعين تحليلاً من عينة دموية صغيرة مسحوبة من وخزة إصبع وقادته للاعتقاد بأن كلّ التحاليل التي تقدمها قائمة ثيرانوس والتي يفوق عددها المئتين تعتمد على عينات مسحوبة من وخزة إصبع تجربها تكنولوجيا الشركة المسجلة بموجب براءة اختراع. ونتيجة عدم امتلاكه الخبرة للتدقيق في ادّعاءاتها العلمية، أجرى بارلوف مقابلات مع الأعضاء البارزين في مجلس إدارة شركتها واتكل عليهم بشكل فعال كشهود شخصيين. تحدّث إلى شولتز، وبيري، وكيسينجر، ونان، وماتيس، وإلى مديريين جديدين: ريتشارد كوفاسيفيتش المدير التنفيذي السابق للمصرف العملاق ويلز فارغو، وقائد الأغلبية السابق في مجلس الشيوخ بيل فيرست. قبل اتجاهه إلى العمل في السياسة، وفيرست جراح زرع القلب والرئة. والجميع شهدوا لصالح إليزابيث بشكل رائع. وأسرف شولتز وماتيس في عواطفهما تجاهها على نحو خاص.

قال شولتز، «أينما نظرت مع هذه السيدة، ستجد حافزاً ناصعاً أبيض، أعني أنها بالفعل تحاول أن تجعل العالم مكاناً أفضل، وهذه هي طريقته في فعل ذلك.»

خرج ماتيس عن طريقته المعتادة ليمدح نزاهتها: «لديها واحدة من أكثر الأخلاقيات نضجاً وصقلاً - أخلاقيات شخصية، أخلاقيات إدارية، أخلاقيات في الأعمال، أخلاقيات طبية لم أسمع أحداً يوماً ينطق بها،» قال الجنرال المتقاعد بحماس.

لم يستخدم بارلوف هذه الاقتباسات في النهاية ضمن مقاله، لكن التبنّي الذي سمعه في المقابلات واحدة تلو الأخرى من تنويري مجلس إدارة ثيرانوس منحه الثقة بأن إليزابيت كانت شخصية عظيمة. كما أحب أن يفكر بنفسه كحكم جيد على الشخصية. في النهاية، تعامل مع الكثير من الأشخاص المزيفين عبر السنوات، بعمله في السجن أثناء دراسته للحقوق وإسهابه بالكتابة لاحقاً عن مخادعين مثل رائد الأعمال في مجال تنظيف السجاد باري مينكو والمحامي مارك دريسر، فقد ذهب كلاهما إلى السجن بسبب أُلعيهما المالية مع المستثمرين. بالتأكيد، كان لدى إليزابيت نزعة إلى السرية حين يصل الأمر إلى مناقشة بعض الأمور المحددة عن شركتها، لكنه وجدها في أغلب الجوانب صادقة ومخلصة. وحيث لم تعد الزاوية التي يرى منها الأمور متعلقة ببراءة الاختراع، لم يشعر بضرورة التواصل مع آل فويتز.

حين نشرت قصة الغلاف التي كتبها بارلوف في عدد ١٢ حزينان، ٢٠١٤ من مجلة فورتشن، حظيت إليزابيت بالشهرة الفورية. فقد لاحظ مقابلتها في جورنال كثيرون ونُشرت نبذة عنها في مجلة وايرد أيضاً، لكن لا شيء يضاهي غلاف مجلة للفت انتباه الناس. خاصة حين يقدم ذلك الغلاف امرأة شابة جذابة ترتدي بلوزة سوداء بعنق ضيق، وصباغ رموش غامق حول عينيها الزرقاوين الثاقبتين، وطلاء شفاه بلمون أحمر لامع إلى جانب العنوان الجذاب «هذه المديرية التنفيذية خرجت تبحث عن الدماء.»

كشفت القصة عن قيمة ثيرانوس للمرة الأولى وأيضاً عن واقع امتلاك إيزابيت لأكثر من نصف الشركة. كان هناك أيضاً المقارنة الشائعة اليوم مع ستيف جوبز وبييل غيتس. التي لم تأت هذه المرة من جورج شولتز، لكن من أستاذها الجامعي العجوز في ستانفورد تشانينغ روبرتسون. (لو قرأ بارلوف شهادة روبرتسون في محاكمة فويتز، لعلم بأن ثيرانوس تدفع له ٥٠٠٠٠٠٠ دولار سنوياً، لعمله كمستشار كما زعموا.) ضمّن بارلوف مقاله أيضاً مقطعاً حول فوبيا الإبر لدى إيزابيت - التفصيل الذي سيعاد مراراً وتكراراً في موجة التغطية اللاحقة التي أطلقتها قصته والذي أصبح مركزياً في أسطورتها.

حين رأى محررو مجلة فوربز مقال مجلة فورتشن، عينوا مباشرة صحفيين لتأكيد قيمة الشركة وحجم ملكية إيزابيت ونشروا موضوعاً عنها في عددهم التالي. تحت عنوان «مذهل بشكل دموي»، عرّفها المقال بـ «أول امرأة تحول نفسها بنفسها إلى مليارديرة.» بعد ذلك بشهرين، ظهرت في واحدة من أغلفة المجلة في عدد مجلة فوربز الأربعمئة السنوي حول أغنى الناس في أمريكا. تلا ذلك الكثير من المقالات المتملّقة في يو أس إي توداي، إنك، فاست كومباني، وغلانور، بالإضافة إلى فقرات أخبار المحطات التالية Fox، NPR، بزنس، CNN، CNBC، و CBS. مع انفجار التغطية الإعلامية وصلت دعوات لكثير من المؤتمرات وشلال من الأوسمة. أصبحت إيزابيت أصغر شخص يربح جائزة هوراشيو ألغر. كما اعتبرتها مجلة تايم واحدة من أكثر مئة

شخص تأثيراً في العالم. وعيّنها الرئيس أوباما سفيرة للولايات المتحدة عن ريادة الأعمال العالمية، ودعاها قسم الطب في هارفارد لتنضم إلى مجلس زملائه الفخري.

بقدر ما رحّبت بالاهتمام، لم تأت شهرة إليزابيت المفاجئة إلى صالحها كلياً. لبّى ظهورها جوع الجمهور لرؤية رائدة أعمال أنثى تشق عالم التكنولوجيا الذي يسيطر عليه الرجال. لقد حققت نساء مثل ماريسا ماير من ياهو وشيريل ساندبرغ من فيس بوك حصّة من الشهرة في وادي السيليكون، لكنهن لم ينشئن شركاتهن الخاصة من لا شيء. وبإليزابيت هولمز، أصبح لوائي السيليكون أول مؤسّسة مليارديرة أنثى لشركة تكنولوجية.

على الرغم من ذلك، كان ثمة شيء غير اعتيادي في تعامل إليزابيت مع الشهرة. تصرّفت بما هو أقرب إلى تصرفات نجمة سينمائية من تصرفات رائدة أعمال، في تنعمها بالتملق الشعبي الذي تلقتّه. أتى كل أسبوع بمقابلة إعلامية جديدة أو بظهور في مؤتمر. ظهر مؤسسو شركات آخرون معروفون في مقابلات وحضور إعلامي أيضاً لكن لم يصل أحد قريباً من درجة تواتر ظهورها. استسلمت صورة الشابة الانعزالية المتقشفة التي بهرت بارلوف إلى صورة واحدة من المشاهير المطلقين.

أيضاً وقعت إليزابيت بسرعة في زخارف الشهرة. ازداد عدد فريق ثيرانوس الأمني إلى عشرين شخصاً. أصبح لديها سائقان هما بمثابة حارسين شخصيين يقودان سيارتها الأودي A8. كان

اسمها الرمزي الذي تداولاه «النسر واحد». (وسوني «النسر اثنان») لم تحمل سيارتها الأودي لوحة أرقام- مِيل آخر لتقليد ستيف جوبز، الذي اعتاد استئجار سيارة مرسيدس جديدة كل ستة أشهر لتجنب وضع اللوحات. كان لإليزابيث أيضاً طباح شخصي حضر لها السلطات وعصائر الخضار الخضراء المصنوعة من الخيار، والبقدونس، والكرنب، والسبانخ، والخس، والكرفس. وحين كان عليها أن تسافر بالطائرة إلى مكان ما، كانت تستقل طائرة غولفستريم الخاصة.

كان بعض ما جعل شخصية إليزابيث آسرة هي رسالتها التي تبث الدفء في القلب حول استخدام تحاليل الدم الملائمة من ثيرانوس لكشف الأمراض باكراً بحيث، كما صاغت هي الأمر في مقابلة تلو الأخرى، لن يضطر أحد إلى توديع أحبائه باكراً. في أيلول ٢٠١٤، بعد قصة مجلة فورشن التي احتلت الغلاف بثلاثة أشهر، جعلت تلك الرسالة أكثر تأثيراً خلال خطاب في مؤتمر تيد ميد في سان فرانسيسكو بإضفاء بعد شخصي عليه: لأول مرة، تروي علناً قصة عمها الذي توفي متأثراً بمرض السرطان- القصة ذاتها التي وجدها تيلر شولتز ملهمة للغاية حين بدأ العمل في ثيرانوس.

صحيح أن عم إليزابيث، رون ديتز، توفي منذ ثمانية عشر شهراً بسرطان الجلد الذي انتقل وانتشر إلى دماغه. لكن كان ما حجبه عن العامة أنها لم تكن يوماً قريبة منه. بالنسبة لأفراد العائلة الذين علموا حقيقة علاقتهم، بدأ استخدام موته للترويج

لشركتها زائفاً واستغلالياً. بالطبع، لم يعلم ذلك أي من الحضور في قصر سان فرانسيسكو للفنون الجميلة. ووجد معظم من حضر من المشاهدين الألف أداءها مذهلاً.

متّسحة بالسواد، مشّت بوقار في أرجاء المسرح وهي تتحدّث، كواعظ يقدم عظة. بطريقة مثيرة مذهلة مسرحياً، سحبت من جيب سترتها نانوتينر وأمسكت به لتظهر مدى صغر كمية الدم المطلوبة للقيام بتحليل ثيرانوس. أسمت الخوف من الإبر «واحدًا من المخاوف الأساسية لدى البشر، متربّعاً على قمة تضم أيضاً الخوف من العناكب والخوف من المرتفعات»، ثم سردت قصصاً أخرى مؤثرة. كانت إحداها عن طفلة صغيرة غرزت بإبرة مراراً من قبّل ممرضة مشفى لم تستطع إيجاد وريدها. وكانت أخرى عن مرضى سرطان هبطت معنوياتهم بسبب الدم الذي اضطروا لتقديمه كجزء من علاجهم.

جلس بين المشاهدين في وسط القاعة تقريباً باتريك أونيل، الذي استدعته إليزابيت من TBWA\ Chiat\Day وعينته كمسؤول لقسم الإبداع. أصبح باتريك مفيداً في شحذ صورة إليزابيت ورفع اسمها. وساعد في تحضيراتها للمؤتمر وقبل ذلك عمل مع مصور مجلة فورتشن في جلسة تصوير غلاف المجلة. بالنسبة إلى باتريك، كان تحويل إليزابيت إلى وجه ثيرانوس أمراً منطقياً للغاية. وتلك هي الأداة الأقوى في تسويق الشركة. كانت قصتها بالغة الأثر. أراد الجميع تصديقها، بمن فيهم الفتيات الصغيرات الكثيرات اللاتي أرسلن لها الرسائل العادية والإلكترونية. لم يكن مسألة

تنطوي على تهكم من جانبه: كان باتريك أحد أكبر المؤمنين بها. لم تكن لديه فكرة عن الإشكالات التي تحدث في المختبر ولم يدّع فهم علم التحليل الدموي. بالنسبة إليه، كانت القصة الخيالية حقيقة واقعة.

قبل أن يصبح موظفاً بدوام كامل، كانت إيزابيت قد علّقت اقتباسات ملهمة يحيط كلاً منها إطار في أرجاء مبنى فيسبوك. كان أحدها لمايكل جوردان: «لم أوفق في أكثر من ٩٠٠٠ هدف في حياتي المهنية. خسرت حوالي ٣٠٠ مباراة. وفي ٢٦ مرة، وثق الناس بي لأحرز نقاط الربح وأخفقت. فشلت المرة بعد المرة بعد الأخرى في حياتي. لهذا أنجح.» منها أيضاً قول آخر لثيودور روزفلت: «الجائزة الأعظم بلا منازع التي تمنحها الحياة هي فرصة الاجتهاد في عمل يستحق أن يُنجز.»

اقترح باتريك دمج تلك الأقوال في مكان العمل برسمها بالأسود على حيطان المبنى البيضاء. أعجبت إيزابيت بالفكرة. أعجبت أيضاً باقتباس جديد اقترحه. وكان لـ يودا من فيلم حرب النجوم: «افعل أو لا تفعل، ليس ثمة شيء اسمه أحاول.» أمرت بكتابة هذا القول في مدخل المبنى بحروف كبيرة ضخمة.

لتتلاءم مع رتبها المتضخمة، التي وصلت الآن إلى أكثر من خمسمئة موظف، خططت ثيرانوس للانتقال إلى موقع جديد استأجرته من ستانفورد يبعد عن موقعها الحالي بضعة أبنية على شارع بيغ ميل. وكان موقعاً متداعياً لمؤسسة طباعة قديمة. عيّن

باتريك كمسؤول عن التصميم الداخلي للبناء الجديد ووظف هذه المهمة المهندس المعماري الأفريقي الجنوبي كلايف ويلكنسون، الذي صمم مقرّ Chiat\ Day البديل في لوس أنجلوس.

ومرة أخرى، اعتمدت الفكرة الرئيسية للتصميم الهندسة المقدسة للدائرة. رتبت المكاتب ضمن تشكيلات دائرية ضخمة تلتف ابتداء من غرف اجتماعات دائرية زجاجية في المركز. واتبع ترتيب السجاد النماذج الدائرية ذاتها. وفي بهو المبنى، دجت حلقات متداخلة من النحاس الأصفر في موزاييك قزميد الأرضية لتشكيل رمز زهرة الحياة. كما صمم حيّز إيزابيت الجديد ليشبه مكتب البيت البيضاوي. أوصى باتريك بصنع مكتب محدد المواصفات كان عميقاً كمكتب الرئيس في المركز لكن بحواف دائرية. وأمامه، وضع كنتين وكرسين حول طاولة، استلهاماً لنموذج البيت الأبيض. وتحت إصرار إيزابيت، صنعت نوافذ المكتب الكبيرة من زجاج مقاوم للرصاص.

لم يكن باتريك مستشار إيزابيت في الطراز والديكور فحسب، بل أعطى لتسويق ثيرانوس دفعاً كبيراً في أريزونا التي بدأت ثيرانوس العمل فيها. وهناك امتدت مراكزها الصحية لتشمل أربعين من متاجر وولغرينز. استأجر خدمات إرول موريس، صانع الأفلام الوثائقية الذي نال جوائز عديدة وبرز كمنتج وكمخرج إعلانات، ممن كانت مهمتهم صنع إعلانات تعرضها الشركة على محطات تلفزيونية في منطقة فينيكس وعلى موقعها وقناة يوتيوب الخاصة بها. كانت إحداها لقطة مقرّبة لإيزابيت في



بلوزتها ضيقة العنق السوداء تحديق في الكاميرا وتحدث عما أسمته «حق إنساني أساسي» للناس في أن يعرفوا معلوماتهم الصحية من خلال تحاليلهم الدموية. بدت عيناها واسعتين جداً وتحدثت ببطء شديد وبنبرة متعمدة بحيث كان للفيديو أثراً تنويمياً.

أظهر إعلان آخر مرضى يشكون من كرههم الشديد للإبر الكبيرة ومن ثم يتصرفون برضا إزاء تجربتهم مع ثيرانوس الخالية من الألم فيما توخز أصابعهم. اعتقد باتريك أن الإعلان قوي التأثير ورتب لعرضه خلال البرامج التي تغطي بمشاهدة أكبر من قبل الإناث مثل المسلسل الدرامي على قناة ABC سكاندال لأن الأبحاث أظهرت أن الأمهات هن صانعات القرار الطبي في المنزل. لكن اضطروا إلى سحب الإعلان عقب بثه على الهواء بعد أن اشتكى طبيب محلي قائلاً إن بعض مرضاه ذهبوا إلى متاجر وولغرينز متوقعين سحب عينة دموية بوخز الإصبع ليُقال لهم إن التحاليل التي جاؤوا لأجلها تطلبت الإبر في النهاية. خاب أمل باتريك لكنه لم يثر ضجة حول الموضوع لأنه عرف حساسية الموضوع. قبل ذلك بعدة شهور، سأل سوني عن نسبة تحاليل ثيرانوس التي تجري على عينة مسحوبة من وخزة إصبع مقارنة مع تلك المسحوبة من الوريد. رفض سوني منحه جواباً مباشراً وغير الموضوع فجأة.

(١٨)

## قَسَم أبوقراط

تأخر آلان بيم، مدير مختبر ثيرانوس، عن الحفلة.

نُصبتْ خيمة بيضاء على ملاعب كرة سلة تجاور مبنى فيسبوك القديم، الذي كانت الشركة تعتزم إخلاءه. دَوّت الموسيقى من مكبرات صوت خارجية وعكست الأضواء صوراً لعناكب زهرية عملاقة على ساحة الرقص المؤقتة. زُيّن الحقل العشبي خلف الخيمة باليقطين ورزم القش. وبينما استنشق آلان هواء المساء المنعش لصيف بالو آلتو الهندي، مسح ببصره الحشد المتأنق ورأى إليزابيت. كانت ترتدي فستاناً طويلاً مخملياً بحواف ذهبية وقبة منتصبة كبيرة، وُصِفَ شعرها على شكل كعكة مرفوعة مرتبة. لم تخف عنه مفارقة رداء الملكة إليزابيت. فقد قدّرت فوربس القيمة الصافية لثروتها بـ ٥, ٤ مليار دولار، وذلك في عددها الصادر في ٢٠ تشرين الأول، ٢٠١٤، لتصبح من الطبقة الملكية في وادي السيليكون.

أحبت إليزابيت إقامة حفلات للشركة. وكانت المفضلة لديها الحفلة التي تقيمها في عيد الهالوين كل سنة. فالحفلة تقليد

دائم لثيرانوس لم تبخل عليها بأية مصاريف. شارك جميع المدراء التنفيذيين الكبار في الشركة باللعبة. ارتدى سوني زي شيخ عربي. وتحول داني يونغ إلى والتر وايت، أستاذ الكيمياء في المدرسة الثانوية الذي تحوّل إلى تاجر مخدرات في مسلسل بريكينغ باد. فيما تنكّر كريستيان هولمز وفرات باك بزي شخصيات من سلسلة أفلام كيل بيل - كوينتين تارانتينو.

أحبت إليزابيث أن تسترخي في مناسبات كهذه، وهي المتصلّبة والانعزالية في العمل عادة. ففي حفلة العام الماضي، تقافزت كطفلة متحمسة في بيتٍ دميةٍ للقفز. هذا العام، استبدل بيت القفز بحلبة ملاكمة قابلة للنفخ. فيما ارتدى موظفون بدلات مصارعي السومو تتمايل على جنباتها قفازات المصارعة كبيرة الحجم، كانت إليزابيث سعيدة بزي المهندس المتنكّر بعُدلة neutrophil عملاقة.

أراد آلان أن يتنكر بزي زومبي وشعر بأنه كذلك. ومتأملاً في الماضي، كان ترك منصبه الهادئ في بيتسبورغ للعمل في ثيرانوس كالعبور إلى نسخته الغريبة من منطقة الشفق. ففي الأشهر الأولى لعمله كمدير مختبر، علّق آماله بالاعتقاد القائل إن الشركة كانت ستغيّر أساليب التحاليل المخبرية بالتكنولوجيا خاصتها. لكن بددت الحوادث على مدى الأعوام الماضية أية أوهام حول هذا الأمر. شعر الآن بأنه بيدق ضعيف في لعبة خطيرة تُلعَب مع المرضى، والمستثمرين، والمنظّمين. وفي مرحلة ما، كان عليه التحدث مع سوني وإليزابيث حول إجراء تحاليل مرض الإيدز على عينات مسحوبة من وخزة إصبع ممدّدة. كانت نتائج البوتاسيوم

والكوليسترول غير الموثوقة سيئةً إلى حدّ كبير. أما نتائج تحليل الإيدز الخاطئة فستكون كارثة.

استقال شريكه في الإدارة، مارك باندوري، بعد خمسة أشهر من تعيينه في وظيفته. كان الحافز الرئيسي لذلك طلباً قدّمه يلتمس فيه من إليزابيث مراجعته وزميله قبل أن تقدّم تصاريح للصحافة حول قدرات ثيرانوس التحليلية. رفض سوني الطلب بشكل موجز، ما دفع مارك إلى تسليم استقالته في ذلك اليوم بالضبط. وأصيبت عاملة مختبر أخرى باضطراب شديد جراء بعض ممارسات الشركة بحيث أخبرت آلان أنها لم تستطع النوم ليلاً. واستقالت بدورها.

كان آلان على وشك الوصول إلى نقطة الانهيار. قبل ذلك بعدة أسابيع، بدأ بإرسال عشرات الرسائل الإلكترونية الخاصة بالعمل إلى حسابه الشخصي في Gmail. كان يعلم أن هذه الخطوة تنطوي على الخطر لأن الشركة تراقب كل شيء، لكنه أراد حفظ سجلّ لمخاوفه التي أثارها مراراً مع سوني وإليزابيث. قطع شوطاً إضافياً في ذلك منذ يومين واتصل بشركة محاماة في العاصمة واشنطن، اختصت في تمثيل الموظفين الذين يكشفون النقاب عن أعمال شائنة في شركاتهم، لكن من أجاب على الهاتف كان «مختصاً بخدمة الزبائن». فاختار أن يبقى سبب اتصاله غامضاً، راغباً في الحديث مع محام فقط. وأرسل إليهم بعض مراسلاته الإلكترونية المتبادلة مع سوني، لكنه خشي من صعوبة فهمها دون سياق إضافي وفهم جيد لكيفية عمل المخابر السريرية.

كان أيضاً من الصعب إثبات كل شيء. فالشركة أبقت كل شيء مقسماً إلى أجزاء. لماذا لم يعودوا يسمحون له برؤية معلومات اختبارات ضبط الجودة بعد الآن؟ كيف يمكن أن تُمنع معلومة كهذه عن مدير مختبر، وهو الشخص الذي يفترض أن يؤكد على دقة نتائج الاختبارات المقدمة للأطباء والمرضى؟ كانت اختبارات الكفاءة قلقه الكبير الآخر. وبعد قراءته للقوانين الناظمة لـ CLIA، أصبح مقتنعاً أن ثيرانوس تتلاعب بالاختبار.

«آلاااان!»

كان دانييل يונغ إلى جانبه، قاطع أفكاره الكثيرة. وكعادته في حفلات عمل كهذه، ثمل دانييل. جعله الكحول ودوداً ومتجاوباً بطريقة لا تشبهه، لكن آلان كان أكثر حكمة من أن يشاركه أخباره السيئة. كان دانييل جزءاً من الدائرة الداخلية. تحدثاً قليلاً، تمازحاً حول نشأة دانييل وسط طبقة مخملية في كونيكتيكت. وأثناء حديثهما، بدت مظاهر الاحتفال تخبو. توجه بعض الزملاء إلى أنطونيوز نات هاوس، وهي حانة رديئة السمعة بعد عدة كتل سكنية على الشارع، لشرب المزيد من الجعة. وانضم إليهم آلان ودانييل.

حين وصلوا إلى الحانة، وقعت عينا آلان على كيرتيس شنايدر، الخبير في قسم البحث والتطوير في الشركة، فجلس على مقعد بجانبه. كان كيرتيس أحد أذكى الأشخاص الذين عرفهم آلان في ثيرانوس، ويحمل شهادة دكتوراه في الكيمياء غير العضوية

وأَمْضَى أربع سنوات كطالب ما بعد الدكتوراه في كالتيك. تحدثاً قليلاً عن صيد السمك بالذباب، وهي واحدة من هوايات كيرتيس المفضلة. ثم أخبر كيرتيس آلان عن مؤتمر هاتفي في وقت باكر ذلك اليوم مع المسؤولين من منظمة الدواء والغذاء. حاولت ثيرانوس إقناع الوكالة بالموافقة على بعض اختبارات الدم لديها والمسجلة باسمها. وخلال الاتصال، عبّر أحد مراجعي الوكالة عن نظرة معارضة حول طلب الشركة لكن أسكتته زملاؤه. وجد كيرتيس ذلك غريباً. لربما ليس أمراً كبيراً، كما اعتقد آلان، لكن القصة صعدت من قلقه المتنامي. ثم تحدث كيرتيس عن معلومات ضبط الجودة في المختبر وكيف حُجبت عنه. واثمنه على أمر آخر: لقد غشت الشركة في اختبارات الكفاءة. وفي حال لم يفهم كيرتيس معنى ما قاله للتو، تهجّى الكلمات كلمة إثر كلمة: ثيرانوس - تخرق - القانون.

حين رفع رأسه، وقعت عينا آلان على دانييل يحدّق فيهما من الجهة المقابلة للبار. كان وجهه شاحباً كوجه شبح.

بعد ذلك بثلاثة أسابيع، كان آلان جالساً في مكتبه الجديد في نيوارك حين تلقى اتصالاً من كريستيان هولمز. كانت معظم أقسام الشركة قد انتقلت إلى المبنى الجديد على بيچ ميل رود في بالو ألتو، باستثناء المختبر السريري. فقد انتقل المختبر عبر خليج سان فرانسيسكو إلى منشأة ثيرانوس المتوسّعة في نيوارك، المكان الذي خططت الشركة لتصنيع آلاف المختبرات المصغّرة (المني لاب) فيه.

أراد كريستيان من آلان أن يتعامل مع شكوى طبيب أخرى. تعامل آلان مع عشرات الشكاوى منذ ظهرت الشركة مع اختبارات عملها الميداني المباشر في الخريف الماضي. ومرة تلو مرة، طُلب إليه إقناع الأطباء أن نتائج التحاليل الدموية التي لم تكن يثق بها صحيحة ودقيقة. فقرر أنه لن يستطيع فعل ذلك بعد الآن. لن يسمح له ضميره بذلك.

رفض طلب كريستيان وأرسل رسالة إلكترونية إلى سوني وإليزابيث يبلغهما فيها باستقالته طالباً شطب اسمه مباشرة من رخصة CLIA للمختبر. ردّت إليزابيث أن أملها خاب في العمق. وافق على تأجيل رحيله الرسمي شهراً آخر لمنح ثيرانوس الوقت لإيجاد مدير مختبر آخر. وعلى مدى الأسبوعين الأولين من إشعاره أسبوعي الاستقالة الذي قدمه آلان، أخذ إجازة. ركب دراجته النارية إلى لوس أنجلوس لرؤية أخيه لعدة أيام ومن ثم طار إلى نيويورك ليمضي عيد الشكر مع أهله. ولدى عودته في أواسط شهر كانون الأول، اتجه إلى مبنى بالو ألتو الجديد ليناقدش مع سوني خطة الاستقالة.

نزل سوني للقاءه في بهو المبنى الجديد مع مونا. أدخلاه إلى غرفة خارج منطقة الاستقبال وأعلماه أنهما استغنيا عن خدماته قبل الموعد النهائي. مرّر سوني ما بدا أنه وثيقة قانونية عبر الطاولة إليه.

قرأ آلان العنوان العريض الأسود في أعلى الصفحة: «إقرار وتعهّد من آلان ييم».

تفيد الشهادة، تحت طائلة عقوبة الحنث باليمين بموجب قوانين كاليفورنيا، أنه يلتزم بالآلا يكشف عن أية معلومات متعلقة بالأجهزة المسجلة للشركة أو معلومات سرية عرفها خلال عمله في الشركة. وتضمنت الشهادة هذه الفقرة: «لا أحتفظ بأية معلومات مدونة إلكترونياً أو على قرص ذاكرة تتعلق بثيرانوس في أي موقع بما فيه حسابات بريدي الإلكتروني الشخصية، وأية حواسيب شخصية أو حواسيب تقليدية، سواء في ملفات سلة المهملات/ محذوفة، أو أقراص USB، أو في المنزل، أو في السيارة، أو أي موقع آخر.»

قبل أن يتسنى لآلان إتمام القراءة، سمع سوني يقول في نبرة جليدية، «نعلم أنك أرسلت لنفسك بالبريد الإلكتروني مجموعة رسائل إلكترونية متعلقة بالعمل. عليك أن تسمح لمونا بدخول حسابك في Gmail كي تراجعها وتحذفها.»

رفض آلان. أخبر سوني أن الشركة لا تملك الحق في انتهاك خصوصيته وبأنه لن يوقع على المزيد من الوثائق.

احمرّ وجه سوني. وبدأ غضبه البركاني يحتدم. التفت إلى مونا وهو يهزّ رأسه باشمئزاز قائلاً، «هل تصدقين هذا الرجل؟»

التفت إلى آلان مجدداً. وعرض عليه بصوت يرشح ازدراءً توكيل محام له لتسهيل الأمور.

صعقت آلان بسخافتها فكرة محام تدفع أتعابه ثيرانوس ليكون هو من سيدافع عن مصالحه بشكل مناسب في خلافه مع الشركة.



رفض العرض وأعلن أنه يريد الرحيل. أعطته مونا حقيبة ظهره، التي أصر عليها أن تحضرها من المختبر. بالمقابل، طلبت منه إعادة هاتف الشركة وحاسوبها الشخصي. فسلمهما بعد أن أعاد الهاتف بسرعة إلى إعدادات المصنع لي مسح محتوياته. ثم خرج.

على مدى الأيام القليلة الماضية، تراكت الرسائل في صندوق بريده الصوتي. كان بعضها من سوني، وبعضها الآخر من مونا. احتوت جميع الرسائل المحتوى ذاته، بنبرات تهديد متصاعد: كان عليه أن يعود إلى المكتب، أن يسمح لمونا بحذف الرسائل الإلكترونية من حساب بريده الإلكتروني الشخصي، وأن يوقع شهادة القسم الخطية. وإلا ستقاضيه الشركة.

أدرك آلان أنهم لن يتوقفوا. كان يحتاج إلى محام. لم تصل تلك الاتصالات مع الشركة في واشنطن إلى أية نتيجة. أحتاج شخصاً قريباً بحيث يستطيع استشارته وجهاً لوجه. اتصل بأول من ظهر في قائمة محرك غوغل: محامية مختصة بالأخطاء الطبية والإصابات الشخصية في سان فرانسيسكو. وافقت على تمثيله بعد أن قدم لها عشرة آلاف دولار كمقدم أتعاب.

كما رأت محاميته الجديدة، لم يكن لدى آلان خيار. تستطيع ثيرانوس بناء قضية حول خرق أفعاله لتعهده السابق بالسرية. وحتى لو فشلت في ذلك، يمكنها أن تتركه عالقاً في أروقة المحاكم لشهور، إن لم يكن لسنوات. كانت هذه إحدى أكبر الشركات الخاصة قيمةً في وادي السيليكون، إحدى (أحاديات القرن)

الأسطورية. ويفترض أن مصادرهما المالية بلا حدود. كما يمكن لدعوى قضائية أن تتسبب بإفلاسه. فهل أراد فعلاً القيام بتلك المخاطرة؟

تعرضت محاميته لضغوط من شريك في بويز شيلر مثل ثيرانوس ومن الواضح بأنها شعرت بالتهديد. حثت آلان على حذف الرسائل الإلكترونية وعلى توقيع شهادة القسم الخطية. أخبرته أنها سترسل إلى ثيرانوس تحفظاً تطلب فيه الاحتفاظ بالنسخ الأصلية. لم يكن ثمة ضمانات على احترام الشركة للتحفظ، لكن كان ذلك أقصى ما بوسعهم فعله، كما قالت.

في ذلك المساء، جلس آلان كئيباً أمام حاسوبه في شقته في سان فرانسيسكو ودخل إلى حسابه في Gmail. مسح الرسائل الإلكترونية، واحدة تلو الأخرى. وحين انتهى، كان قد أحصى ١٧٥ منها.

مرّت تسعة أشهر منذ سوّى ريتشارد فويتز قضيته بالاتفاق مع ثيرانوس ووافق على سحب براءة اختراعه، لكنه كان لا يزال منشغلاً بالقضية. وعلى مدى الأسابيع القليلة الأولى بعد التسوية، كان قد أصبح مشلولاً تقريباً. واضطرت زوجته، لورين، إلى الاتصال بابنه جو لتعرف ما حدث لأنه رفض الحديث في الأمر.

أثناء الدعوى القضائية، وجد فويتز مستمعاً جيداً في فيليس غاردنر، التي ربطته بها صداقة طويلة، والتي كانت بروفيسوراً في كلية ستانفورد الطبية. كانت لفيليس وزوجها، أندرو بيرلمان، علاقة قصيرة الأمد بثيرانوس في بداياتها لأن إليزابيث استشارت

فيليس بشأن فكرة اللصاقة الأصلية عندما تركت دراستها في جامعة ستانفورد. وحينذاك أخبرتها أنها لا تعتقد أن فكرتها قابلة للتطبيق بأي شكل من الأشكال، أحالت فيليس إليزابيث إلى أندرو، المدير التنفيذي المخضرم في صناعة التكنولوجيا الحيوية. وافق أندرو على أن يخدم في مجلس ثيرانوس الاستشاري الذي لم يدم طويلاً إذ حلّته إليزابيث بعد بضعة أشهر فقط.

جعلت تلك الحادثة التي مرّ عليها عقدٌ من الزمن فيليس متشككة من أن إليزابيث، التي لم تنل أي تدريب علمي أو طبي يُذكر، وامتلكت في الوقت نفسه ميلاً لعدم الاستماع إلى الأكبر سناً والأكثر خبرة منها، قد مضت فعلاً في تطوير التكنولوجيا الثورية في تحليل الدم الخاصة بها. تعمّقت شكوكها حين تحادث أندرو مع مندوب مبيعات سيمنز خلال رحلة بالطائرة وعلم بأن ثيرانوس زبون رئيسي لمعدات سيمنز التشخيصية.

أصبح فويتز أيضاً متشككاً بمدى إمكانية ثيرانوس فعلاً من تحقيق ما ادعت أنها أنجزته. خلال زيارة لبالو آلتو ضمن تحركات ما قبل المحاكمة في خريف عام ٢٠١٣، اتصل بمتاجر وولغرينز المحلية وسأل إن كان يستطيع إجراء تحليل كرياتينين بعينة مسحوبة من وخزة إصبع هناك. فقد شخص أطبائه حديثاً إصابته بآلدوستيرونية، وهي اضطراب هرموني يسبب ارتفاع ضغط الدم، وطلب طبيبه مراقبة مستويات الكرياتينين لديه تحسباً لحدوث أية أذية للكلية. والكرياتينين هو تحليل دموي شائع، لكن المرأة التي أجابت على اتصاله أخبرته أن مركز الرعاية

الصحية لم يجز هذا التحليل دون موافقة خاصة من مدراء ثيرانوس التنفيذيين. ومع وضع ذلك بالحسبان بالإضافة إلى السرية المفرطة للشركة وإلى واقع أنها أحبطت شهادة إيان غيونز قبل وفاته، شعر بوجود لعبة قدرة.

قام فويتز بتقديم فيليس إلى أرملة إيان، روشيل، ووجدت المرأتان رابطاً مشتركاً في عدم ثقتهما بإليزابيت. ومعاً، شكّل الثلاثة عصابة صغيرة من المتشككين بثيرانوس. كانت المشكلة عدم وجود شخص آخر كما يبدو يشاركهم شكوكهم.

سيتغير ذلك حين نشرت ذا نيويورك كرس في عددها الصادر في ١٥ كانون الأول، ٢٠١٤، مقالة تعريفية بإليزابيت. وبأكثر من وجه، كانت مجرد نسخة أطول من مقالة مجلة فورتشن التي أطلقت شهرة إليزابيت كالصاروخ منذ ستة أشهر خلت. والفرق هذه المرة أن شخصاً عالمياً بأمور تحليل الدم قرأ المقالة وأصبح متشككاً على الفور.

كان ذلك الشخص هو آدم كلابر، اختصاصي علوم أمراض ممارس في كولومبيا، ميزوري، كتب آدم في أوقات فراغه في مدونة إلكترونية حول هذه الصناعة تدعى باثولوجي بلاوغ Pathology Blawg. بالنسبة لكلابر، بدا الأمر أعلى من أن يُصدّق، خصوصاً قدرة ثيرانوس المزعومة على إجراء عشرات التحاليل على مجرد قطرة دموية مسحوبة من إصبع.

أثارت مقالة ذا نيويورك كرس بالفعل بعض النقاط المشكوك

بأمرها. تضمنت اقتباسات من عالمة متقدمة في العمر في كويست قالت إنها لا تعتقد أن تحاليل الدم التي تجرى على عينة مسحوبة من وخزة إصبع يمكن أن يعتمد عليها وذكرت افتقارَ ثيرانوس إلى المعلومات المنشورة التي راجعها نظراء لهم. ومن ضمن الجدلالات انبرت لدحض الفكرة الأخيرة، فقد استشهدت إليزابيت بورقة بحثية شاركت بكتابتها في مجلة طبية تدعى هيماتولوجي ريبورتس. لم يسمع كلابر بـ هيماتولوجي ريبورتس قط، فبحث عنها. وعلم أنها موقع نشر إلكتروني فقط متمركز في إيطاليا ألزم العلماء الذين يرغبون بنشر أبحاث لهم فيه بمبلغ خمسمئة دولار كرسوم نشر. ومن ثم بحث عن الورقة البحثية التي شاركت في كتابتها هولمز وصدمه احتواؤها على معلومات تتعلق فقط بتحليل دموي واحد أجري على ستة مرضى فقط.

في منشور على مدوّنته حول قصة ذا نيويورك كركر، علّق كلابر على كون المجلة مغمورة وعلى ضعف الدراسة وأعلن نفسه كمتشكك «حتى أرى دليلاً على أن ثيرانوس تستطيع القيام بما تقول فيما يخص دقة التشخيص.» لم يكن باثولوجي بلاوغ يحظى بمتابعة جيدة، لكن وجد جو فويتز المنشور من خلال بحث على محرك غوغل ولفت نظر والده إليه. اتصل ريتشارد فويتز مباشرة بكلابر وأخبره أنه عقد العزم على أمر ما. أعطاه معلومات للاتصال بفيليس وروشيل وحثّه على الاستماع إلى ما لديهما. أثير اهتمام كلابر بما أخبره الثلاثة، خاصة بقصة موت إيان غيرونز. لكن بدت الأمور جميعها عارضةً أكثر من أن تتجاوز ما كتبه سابقاً. وما احتاجه كان دليلاً ما، كما قال لـ فويتز.

أُحِبُّ فويتز. إلامَ يحتاج الناس ليستمعوا إليه ويروا أخيراً حقيقة إлизаيت هولمز؟

بعد ذلك بأيام قليلة ولدى تحققه من بريده الإلكتروني، وقع فويتز على ملاحظة من لينكدين تنبئه أن شخصاً جديداً بحث عن حسابه على الموقع. لم يلفت اسم هذا الشخص - آلان بيم - انتباه فويتز لكن فعل ذلك عنوان وظيفته: مدير مختبر في ثيرانوس. أرسل فويتز لبيم رسالة عبر البريد الداخلي للموقع سائلاً إياه فيما لو استطاعا الحديث على الهاتف. ظن أن فرص حصوله على استجابة ضئيلة جداً، لكن يستحق الأمر المحاولة. وفي اليوم التالي كان في مالىو يلتقط الصور بكاميرته الـ ليكا حين ظهرت في صندوق بريده على جهاز الآيفون رسالة قصيرة من بيم. كان راعباً في التحدث إليه وتضمنت الرسالة رقم هاتفه الخليوي. قاد فويتز سيارته المرسيديس من نوع E-Class عائداً إلى بيفرلي هيلز، واتصل بالرقم حين أصبح منزله على بعد بضعة أبنية فقط.

بدا الصوت الذي سمعه من الطرف الآخر للخط مذعوراً. وقال بيم «د. فويتز، السبب الذي يجعلني راعباً في الحديث إليك هو أنك طبيب، كلانا أقسم قسم أبقرات، الذي ينص أولاً على عدم الأذية. وثيرانوس تضع الناس في طريق الأذية». تابع آلان أخبار فويتز عن سلسلة المشاكل في مخبر ثيرانوس. انعطف فويتز إلى مدخل منزله وبسرعة خرج من سيارته. وحين أصبح داخل منزله، التقط مفكرة جلبها معه من فندق أقام فيه في باريس يدعى موريس وبدأ بتدوين الملاحظات. تحدث آلان بسرعة إلى درجة صعب عليه معها مجازاة ما يقول. ودون في المفكرة:

كذبوا على شخصيات من CLIA وغشّوا

نشر الكارثة

وخز الإصبع غير دقيق - باستخدام البزل الوريدي

نقل أريزونا إلى بالو آلتو

استخدام معدات سيمنز

خروقات أخلاقية

تحاليل غدة درقية زائفة

نتائج تحاليل K متباينة بشكل هائل

أخطاء حمل زائفة

أخبرُ إليزابيث بعدم الجهوزية لكنها تصرّ على المتابعة

طلب فويتز من آلان الحديث مع جو وفيليس. لقد أراد أن يسمعا الأمر بنفسيهما من فم آلان مباشرة. وافق آلان على الاتصال بهما وكرر على مسمع كل منهما تقريباً ما أخبر به فويتز. لكن كان هذا أقصى ما رغب بفعله. لن يتحدث إلى أحد آخر. طارده محامو بويز شيلر، كما قال، ولا يستطيع تغطية تكاليف مقاضاة كالتني تعرّض لها فويتز. على الرغم من تعاطف فويتز مع مازق آلان، إلا أنه لم يتمكن من التوقف عند هذا الحد. عاد واتصل بكلابر وأخبره عن الشخص الجديد الذي اتصل به مؤخراً وما علم منه. وكان هذا هو الإثبات الذي أراد، كما أخبره.

وافق كلابر على أن ذلك يغير كل شيء. والقصة الآن تقف على

ساقين. لكن بعد التفكير بالأمر، قرر أنه لا يستطيع المضي بالأمر بنفسه. فمن جهة، لا يستطيع تحمّل الأعباء القانونية للوقوف ضد شركة قيمتها ٩ مليارات دولار من وادي السيليكون ذات سجل يشهد بنهج مشاكس مثله ديفيد بويز. ومن جهة أخرى، كان مجرد مدوّن هاوٍ. لم تكن لديه المعرفة الصحفية لمعالجة أمر كهذا. ناهيك عن مهنته الطبية التي يعمل بها بدوام كامل. كان هذا، كما اعتقد، عملَ محقّق صحفيّ. وخلال السنوات الثلاثة الماضية منذ إطلاقه باثولوجي بلاوغ، تحدث كلابر لكثيرين عن الممارسات الاستغلالية في صناعة المخابر. كان هناك شخص بعينه وردّ إلى ذهنه من بين هؤلاء. ويعمل لدى وول ستريت جورنال.



(١٩)

## المعلومة

كان ثاني اثنين من شهر شباط وكنْتُ أجلس وراء طاولة مكتبي الفوضوية في غرفة الأخبار في وول ستريت جورنال، ميدتاون مانهاتن، أعمل على قصة مقالةٍ جديدةٍ سأغوص بها. كنت قد أنهيت مؤخراً تحقيقاً امتد لسنة عن عملية احتيال متعلقة بالرعاية الطبية ولم تكن لدي أية فكرة عما سأفعله بعد ذلك. بعد ست عشرة سنة في الجورنال، كان هذا شيئاً لم أتقنه بعد: فن الانتقال السريع والفعال من مشروع صحفي إلى آخر.

رَنّ هاتفي، كان آدم من باثولوجي بلاوغ. كنت قد التمتست مساعدته منذ ثمانية أشهر في محاولتي فهم تعقيدات فرض الضرائب على المخابر لواحدة من مقالاتي في سلسلة الرعاية الطبية. شرح لي بصبر ما الذي تعتمده إجراءات قوانين فرض ضرائب معينة - وهي معرفة استخدمتها لاحقاً لكشف خديعة تخص جهازاً هاماً في مراكز الرعاية الصحية.

أخبرني آدم أنه تعثر بما ظنّ أنها قصة كبيرة. يأتي الناس عادة إلى الصحفيين بمعلومات. وفي تسع من أصل عشر من الحالات،

لا يأتون بمعلومات ثمينة، لكنني دوماً أخصص وقتاً للاستماع. لا يعلم المرء متى تأتي المعلومة الهامة. بالإضافة إلى ذلك، أنني في هذه اللحظة، كنت ككلب بلا عظمة. احتجتُ عظمة جديدة ألوكها.

سألني آدم إذا كنت قد قرأت مقالة حديثة في نيويورك ركر عن أعجوبة وادي السيليكون المسماة إيزابيت هولمز وشركتها، ثيرانوس. وكما تبين، اطلعتُ عليها. فقد اشتركت بالمجلة وغالباً قرأتها في قطار الأنفاق في الطريق من العمل وإليه.

الآن وقد ذكر الموضوع، كان هناك أمور تثير الشك في المقالة، مثل غياب المعلومات التي راجعها الأقران للدّعاءات العلمية للشركة. كنت قد أعددت المقالات حول أمور الرعاية الصحية خلال القسم الأكبر من سنوات عشر ولم أستطع التفكير في خطوات أكثر تقدماً في الطب دون أن تكون موضوعَ مراجعةِ الأقران. أيضاً صدمني وصف موجز لهولمز حول الطريقة التي تعمل بها أجهزة تحليل الدم السرية لثيرانوس: «يؤدّي عمل كيميائي بحيث تحصل استجابة كيميائية تُصدر إشارة من تفاعل داخلي كيميائي مع العينة، يترجم إلى نتيجة، تراجع بعدها من قبل شخصية مرخص لها في المختبر.»

بدت تلك الأقوال كما لو أن قائلها تلميذ في حصة الكيمياء من المرحلة الثانوية، وليس عالم مختبر مرموق. اعتبر كاتب المقال الوصف «غامضاً بشكل هزلي.»

حين توقفت عن التفكير بالموضوع، وجدت من الصعب

تصديق أن شخصاً تخلّى عن دراسته الجامعية بعد إتمامه فصلين فقط من مواد الهندسة الكيميائية ليصبح رائداً في العلم الجديد الخارق لكل المقاييس. بالتأكيد، تعلّم مارك زوكربيرغ التشفير على حاسوب والده حين كان في العاشرة من عمره، لكن الطب مختلف: لم يكن شيئاً تستطيع تعليمه لنفسك في قبو منزلك. بل ستحتاج فيه إلى سنوات من التدريب وعقود من البحث لتضفي قيمة على علمك به. وهناك سبب وجيه في أن الكثيرين ممن فازوا بجائزة نوبل في الحقل الطبي كانوا في العقد السادس من عمرهم حين نالت إنجازاتهم الطبية الاعتراف.

قال آدم إن ردة فعله على مقالة النيويوركركر كانت مماثلة وأن مجموعة أشخاص تواصلوا معه بعد أن نشر تشكيكاً بالأمر عبر مدوّنته. تحدث بشكل ملغز عن هوياتهم وعلاقتهم بثيرانوس في البداية، لكنه ذكر أن بحوزتهم معلومات عن الشركة قد أرغب في سماعها. قال إنه سيراجعهم ليرى فيما إذا كانوا راغبين بالحديث معي.

في تلك الأثناء، أجريت بحثاً أولياً عن ثيرانوس وعثرتُ على المقالة الافتتاحية في الجورنال التي نشرت منذ سبعة عشر شهراً خلت. لم أرها حين نُشرت. وذلك ما أخرجني، وفكرت: لعبت جريدتي دوراً في صعودها النيزكي لكونها أول وسيلة إعلامية رئيسية تعلن عن إنجازاتها المزعومة. كان ذلك موقفاً غريباً، لكن لم أقلق كثيراً إزاءه. كان ثمة جدار ناري بين طاقم الصفحة الافتتاحية وطاقم غرفة الأخبار. وإذا اتضح أنني كشفت بعض

الأسرار المريبة في جعبة هولمز، فلن تكون تلك المرة الأولى التي يناقض فيها أحد أقسام الجريدة الآخر.

بعد حديثنا الأول بأسبوعين، وصلني آدم بريتشارد وجو فويتز، وفيليس غاردنر، وروشيل غيونز. كان من المخبى في البداية سماع تورط آل فويتز في دعوى قضائية مع ثيرانوس. حتى لو أصراً على بطلان ادعاءات الشركة، فإن الدعوى القضائية منحتهم دافعاً كبيراً للانتقام وجعلتهما مصدرين غير نافعين.

لكن انتصبت أذناي حين سمعت أنهما تحدثا مع مدير مختبر ثيرانوس المستقيل حديثاً وأنه زعم وجود أعمال خاطئة في الشركة. أيضاً وجدت قصة إيان غيونز مأساوية وأثارتني نقطة أنه أسر إلى روشيل في عدة مناسبات أن تكنولوجيا ثيرانوس لم تكن ناجحة. كان نوعاً من الأمور التي ترفض في المحكمة على أساس أنها من الشائعات، غير أنها بدت جديرة بالمصادقية ما يكفي لإلقاء نظرة أقرب. لكن للمضي بالموضوع أبعد من ذلك، كان واضحاً ما يجب أن أقوم به كخطوة تالية: لا بد من التحدث مع آلان بيم.

في المرات الست الأولى التي هاتفت فيها آلان، ردّ مجيئه الآلي. لم أترك رسالة وأصررتُ على محاولة الحديث معه شخصياً. وفي ظهيرة يوم الخميس، ٢٦ شباط، ٢٠١٥، رد على الهاتف أخيراً صوت ذو لكمة لم أتمكن من تحديدها بدقة. بعد التأكد من أن المجيب كان آلان نفسه، عرفتُ عن نفسي وأخبرته أنني فهمتُ أنه غادر ثيرانوس مؤخراً مع شكوك حول عمل الشركة.

شعرت بأنه متوتر جداً، لكن بدا أيضاً أنه أراد ألا يثقل على نفسه. أخبرني أنه مستعد للحديث معي بشرط أن أبقى هويته سرية. فقد ضايقه محامو ثيرانوس وكان واثقاً أن الشركة ستقاضيه إن اكتشفت أنه يتحدث إلى صحفي. وافقت على حجب هويته. لم يكن قراراً صعباً. بدونه، كان كل ما لدي مصادر غير مباشرة وتخمينات علموا بها. وإن لم يتحدث، لن تكون ثمّة قصة.

بعد أن أرسينا قواعد تعاملنا الأساسية، تخلى آلان عن حذره وتحدثنا لأكثر من ساعة. كان أحد الأشياء التي قالها إن ما قاله إيان لروشيل صحيحاً: لم تكن أجهزة ثيرانوس ناجحة. سميت باسم إديسون، كما قال، وكانت معرضة للخطأ. وفشلت بشكل متكرر في اختبارات ضبط الجودة. علاوة على ذلك، استخدمتها ثيرانوس لعدد قليل فقط من التحاليل. وأجرت معظم تحاليلها باستخدام أجهزة متوفرة تجارياً ومدّدت العينات الدموية.

استغرقت بعض الوقت لأفهم الجزء المتعلق بالتمديد. وسألته: لم يفعلون ذلك ولم كان الأمر سيئاً؟ أوضح آلان أن ذلك للتعويض عن استطاعة جهاز إديسون القادر على القيام بفئة معينة فقط من التحاليل تدعى التحاليل المناعية. لم ترغب ثيرانوس أن يكتشف الناس محدودية التكنولوجيا الخاصة بها، فابتكرت طريقة لاستخدام العينات الصغيرة المسحوبة من وخزة إصبع في تحاليل على الأجهزة التقليدية. تضمن ذلك تمديد العينة المسحوبة من وخزة إصبع لزيادتها. وكانت المشكلة، كما قال، أنك حين

تمدد العينات، تخفف بالتالي تركيز المواد المراد قياسها في الدم إلى مستوى لا تعود معه الآلات التقليدية قادرة على القياس الدقيق.

قال إنه حاول تأخير إطلاق تحاليل ثيرانوس الدموية في متاجر وولغرينز وحدّر هولمز من أن نتائج تحاليل الصوديوم والبوتاسيوم في المختبر غير موثوقة إطلاقاً. فبحسب تحاليل ثيرانوس، امتلك مرضى أصحاباً تماماً مستويات بوتاسيوم في دمهم أكبر مما يصدق. استخدم كلمة «جنونية» ليصف النتائج. كنت بالكاد أستوعب تلك التصريحات حين ذكر آلان شيئاً يدعى اختبار الكفاءة. وكان صلباً في اعتباره ثيرانوس تحرق القوانين الفدرالية لاختبار الكفاءة. حتى إنه نصحني بالاطلاع على قانون التنظيمات الفدرالية: ٤٢ CFR ، القسم ٤٩٣. كتبت ذلك على دفتر ملاحظاتي وذكرت نفسي بالبحث عنها لاحقاً.

أخبرني آلان أيضاً أن هولمز كانت متشدة جداً حول إحداث ثورة في عالم تحليل الدم لكن معلوماتها الأساسية في العلم والطب كانت فقيرة، وذلك ما أكّده حدسي. وقال إنها لم تكن الشخص الذي يدير شؤون ثيرانوس اليومية. بل فعل ذلك رجل يدعى سوني بالواني. لم يخفف آلان كلماته عن بالواني: كان متنمرّاً يفتقر إلى النزاهة وأدار الشركة باستخدام التهديد. ثم ألقى قذيفة أخرى: كانت هولمز وبالواني على علاقة عاطفية. عرفت من قراءة مقالات النيويورك وفورتن و من تصفح موقع ثيرانوس أن بالواني كان رئيس الشركة ومسؤول تشغيلها الرئيسي. وإن كان ما يقوله آلان صحيح، فذلك سيحدث انعطافاً جديدة: كانت

المليارديرة مؤسّسة الشركة التكنولوجية في وادي السيليكون تنام مع مدير شركتها التنفيذي رقم اثنين، الذي كان يكبرها بعشرين سنة تقريباً.

كانت تلك إدارة متهاونة للشركة، لكن مجدداً كانت هذه شركة خاصة. لم توجد قوانين ضد ذلك النوع من الأمور في عالم شركات وادي السيليكون الخاصة. لكن ما وجدته أكثر إثارة للاهتمام كان حقيقة أن هولمز بدت تخفي العلاقة عن مجلس إدارة شركتها. فلم صورتها مقالة النيويوركر على أنها عزباء، مع قول هنري كيسينجر إنه وزوجته حاولا تقديمها إلى شبان مؤهلين للزواج؟ إن لم تكن هولمز صريحة مع مجلس إدارة شركتها حول علاقتها بالواني، إذاً ما الشيء الآخر الذي يمكن لها أن تخفيه حول الأمر؟

قال آلان إنه طرح مخاوفه حول اختبار الكفاءة وموثوقية نتائج اختبارات ثيرانوس مع هولمز وبالواني عدة مرات شخصياً وعبر الرسائل الإلكترونية. لكن بالواني كان يصده دوماً أو يحبطه، ويحرص على إرسال نسخة من رسائلها الإلكترونية المتبادلة إلى محام يعمل لصالح ثيرانوس يذيلها بـ «اعتبر هذا سرّاً بين المحامي وموكله».

كمدير للمختبر ثبّت اسمه على رخصة CLIA لمختبر ثيرانوس، كان آلان قلقاً من تحميله مسؤولية قانونية إذا جرى يوماً تحقيق حكومي. وليحمي نفسه، أخبرني أنه أرسل عشرات من المراسلات الإلكترونية مع بالواني مباشرةً إلى حسابه الشخصي.

لكن اكتشفت ثيرانوس ذلك وهددت بمقاضاته لخرقه اتفاق السرية الذي وقعه.

ما أقلقه أكثر حتى من أية مسؤولية قانونية قد يواجهها هو الخطر المحتمل الذي يتعرض له المرضى. وأسهب في وصف السيناريوهين الكابوسيين اللذين يمكن أن تقود إليهما نتائج تحليل دم خاطئة. قد تؤدي نتيجة إصابة إيجابية خاطئة إلى تعرض المريض لإجراء طبي غير ضروري. أما نتيجة إصابة سلبية خاطئة فأسوأ: قد يموت مريض لديه حالة خطيرة لم تشخص كما يجب.

أغلقت الهاتف وأنا أشعر بالإثارة المألوفة التي تصينني كلما أطلقت قصة صحفية ضخمة وكان علي أن أذكر نفسي بأن هذه كانت الخطوة الأولى ضمن سلسلة طويلة. فلا يزال ثمة الكثير لأفهمه وقبل كل شيء، ستتطلب القصة الإثبات، لا يمكن للجريدة أن تتبنى القصة مع مجرد مصدر مجهول الهوية، مهما كان ذلك المصدر جيداً.

في المرة الثانية التي تحدثت فيها وآلان، كنت واقفاً في بروكلن بروسبكت بارك أحاول البقاء دافئاً بينما أرقب من بعيد ولديّ، اللذين تبلغ أعمارهما التاسعة والحادية عشر، بينما يلعبان لعبة الحصان مع أحد أصدقائهما. كان ذلك آخر يوم سبت مما سيسجل على أنه أبرد شهر شباط عرفته نيويورك منذ واحد وثمانين سنة.

أرسلتُ رسالة نصية إلى آلان بعد محادثتنا الأولى لأستفسر عن وجود زملاء سابقين يمكنهم أن يؤيدوا ما أخبرني به. أرسل سبعة



أسماء، واتصلت باثنين منها. كان كلاهما متوتراً للغاية ووافق فقط على الحديث باستخدام المعلومات لكن دون إسناد. كان أحد الاسمين لأخصائية مختبر سريري لم تقل الكثير، لكن ما قالته منحني الثقة بأنني على المسار الصحيح: أخبرتني أن ما حدث في الشركة سبب لها الكثير من الاضطراب وأنها قلقت على سلامة المرضى. استقالت لأنها لم تكن مرتاحة إلى ظهور اسمها المتكرر على نتائج الفحوص. وكان الآخر مشرفاً تقنياً سابقاً في المختبر قال إن ثيرانوس عملت في ظل ثقافة السرية والخوف.

أخبرت آلان عن شعوري بأني بدأت أحرز تقدماً، الأمر الذي بدا سعيداً لسماعه. سألته هل احتفظ بالمراسلات الإلكترونية التي حوّلها إلى حسابه الشخصي في GMAIL. شعرتُ بالغمّ حين أخبرني أن محاميته أجبرته على حذفها التزاماً بشهادة القسم الخطية التي أرغمتها الشركة على توقيعها. كان الدليل الموثق المعيار الذهبي لهذا النوع من القصص. ذلك ما عقّد مهمتي جداً. حاولت ألا أظهر خييتي.

انتقلت محادثتنا إلى اختبار الكفاءة. شرح آلان كيف تلاعبت به ثيرانوس وأخبرني بأي محلات تجارية أُجريت معظم التحاليل الدموية. كلاهما من صنع سيمنز، مؤكداً ما سمعته أندرو بيرلمان، زوج فيليس غاردنر، من ممثل مبيعات سيمنز خلال الرحلة بالطائرة. وكشف شيئاً آخر لم يرد ذكره في اتصالنا الأول، عن تقسيم مختبر ثيرانوس إلى شطرين. احتوى أحدهما المحلات التجارية بينما احتوى الآخر أجهزة إديسون. وخلال تفتيش

المفتشة الفدرالية للمختبر، أُدخلت إلى القسم الذي يحتوي المحلات التجارية. وشعر آلان بأنها خُدعت.

ذكر أيضاً بأن ثيرانوس كانت تعمل على جيل أحدث من جهاز أُطلق عليه اسم 4S كان من المفترض أن يحل محل إديسون وأن يجري تحاليل دموية أكثر تنوعاً، لكنه لم ينجح على الإطلاق ولم يستخدم في المختبر قط. وكان من المفترض أن يكون تمديد العينات الدموية المسحوبة من وخزة إصبع وتحليلها على أجهزة سيمنز حلاً مؤقتاً، لكنه أصبح حلاً دائماً بسبب الاخفاق الذريع لـ 4S.

بدأ كل شيء يتضح: بالغت هولمز وشركتها في الوعود التي قطعتها ومن ثم اتبعت وسائل غير مشروعة حين لم تستطع الوفاء بالوعد. وكان الحل الوحيد كي تنجز ذلك يتمثل بالاعتماد على برنامج كمبيوترى أو تطبيق للهاتف الذكي، لكن فعل ذلك مع منتج طبي يتخذ الناس بموجبه قرارات طبية هامة كان أمراً بلا ضمير. في أواخر هذه المحادثة الهاتفية، ذكر آلان شيئاً آخر وجدته هاماً: جورج شولتز، وزير الخارجية السابق الذي كان عضواً في مجلس إدارة ثيرانوس، كان له حفيد اسمه تيلر عمل في الشركة. لم يكن آلان متأكداً لم غادر تيلر لكنه لم يعتقد أن مغادرته كانت ودية. كنت أدون المعلومات على تطبيق الملاحظات على جهازى الآيفون وأضفت اسم تيلر كمصدر آخر محتمل.

على مدى الأسابيع القليلة المقبلة، أحرزت مزيداً من التقدم لكنني أيضاً واجهت بعض التعقيدات. وفي سعيي لإثبات ما أخبرني

به آلان، تواصلت مع أكثر من عشرين موظفاً في ثيرانوس حاليين وسابقين. لم يجب العديد منهم على اتصالاتي ورسائلي الإلكترونية. أما القلة الذين تمكنت من الحصول على استجابة منهم فأخبروني أنهم وقعوا اتفاقات سرّية بشروط قاسية ولم يرغبوا بالمخاطرة في التعرض للملاحقة القضائية بسبب خرقها.

وافق موظف سابق في المختبر كان ذا رتبة عالية على الحديث معي لكن دون ذكر المصدر. كان هذا فارقاً صحفياً هاماً: وافق آلان والموظفان الآخران السابقان على التحدث معي دون إسناد، ما يعني أنني أستخدم ما أخبروني به مع الإبقاء على هوياتهم سرية. بينما تعني «بشكل غير رسمي» أن بوسعي استخدام ما أخبروني به بأي شكل. كانت المحادثة مفيدة لأن هذا المصدر أكد الكثير مما قاله آلان، ومما منحني الثقة للمضي قدماً. لخص ما كان يجري في الشركة باستعارة: «طريقة ثيرانوس في العمل تشبه من يحاول أن يصنع حافلة أثناء قيادته الحافلة. سيقتل شخص ما لا ريب.»

بعد ذلك بعدة أيام، عاد آلان مع بعض الأخبار الجيدة. كنت قد طلبت إليه الاتصال بشركة المحاماة المختصة بقضايا الموظفين الذين يفضحون أعمال شركاتهم في العاصمة واشنطن كان هو قد تواصل معها في الخريف ليرى إن كان يستطيع استعادة الرسائل الإلكترونية المتبادلة مع بالواني والتي أرسلها إليه. استجابت الشركة لتوها إلى طلبه. وأحال إلي آلان تلك الرسائل. كانت سلسلة من ثماني عشرة رسالة إلكترونية عن اختبار الكفاءة جرى تبادلها بين سوني بالواني، ودانييل يونغ، ومارك باندوري، وآلان.

وأظهرت كيف أن بالواني يلوم بغضب آلان ومارك باندوري لتحليل عينات اختبار الكفاءة بواسطة أجهزة إديسون ويعترف بتردد بـ «فشل» الجهاز باجتياز الاختبار. وفوق ذلك، لم يترك أدنى شك بمعرفة هولمز بالحادثة: فقد أرسلت إليها نسخة من معظم الرسائل الإلكترونية.

كانت هذه خطوة أخرى للأمام، لكن تبعتها خطوة للخلف بعد وقت قصير. في أواخر آذار، شعر آلان بالخوف. فالتزم بكل ما قال، لكن لم يرغب بالتورط بعد الآن بمسار تقدم القصة. لم يستطع تحمّل المخاطر أكثر من ذلك. فقد سرّع التحدث معي من ضربات قلبه وتسبب بتشويش له في عمله الجديد، كما قال. حاولت تغيير رأيه لكنه صمّم على ذلك، فقررت منحه بعض المساحة وأملت أن يغير رأيه مع الوقت.

على الرغم من أنها كانت خطوة كبيرة إلى الوراء، إلا أنني كنت أتقدم ببطء على جبهات أخرى. اتصلت بنائب رئيس جامعة كاليفورنيا، قسم سان فرانسيسكو لطب المخابر، ويدعى تيموثي هاميل، للحصول على رأي محايّد من اختصاصي في المخابر حول تمديد العينات الدموية الذي تقوم به ثيرانوس والطريقة التي تجري بها اختبار الكفاءة. فأكد تيم أن الإجراءات مشكوك بأمرهما لدرجة كبيرة. أوضح أيضاً مخاطر استخدام عينات دموية مسحوبة من وخزة إصبع. بعكس دم الوريد المسحوب من الذراع، فدُم الأوعية الشعرية مشوّبٌ بسوائل تأتي من الأنسجة والخلايا لتتداخل مع التحاليل وتجعل النسب أقل دقة. وقال، «ستكون

مفاجأتي لو أخبرونا أنهم مسافرون عبر الزمن وعادوا من القرن السابع والعشرين أقلّ من مفاجأتي لو أخبرونا أنهم حلّوا تلك العقدة.»

قبل أن يغير رأيه، ذكر آلان ممرضة في أريزونا تدعى كارمن واشنطن عملت في عيادة تملكها وولغرينز واشتكت من تحاليل الدم التي تجريها ثيرانوس. بعد محاولة تقفي أثرها لعدة أسابيع، استطعت في النهاية محادثتها على الهاتف. أخبرتني أن ثلاثة من مرضاها تلقوا نتائج مشكوك بأمورها من الشركة. كانت واحدة منهم فتاة في السادسة عشرة من عمرها بنتائج بوتاسيوم هائلة الارتفاع أوحّت بأنها على وشك التعرّض لذبحه قلبية. لم تكن النتيجة منطقية نظراً لأن الفتاة كانت مرافقة تتمتع بصحة جيدة، كما قالت كارمن. وتلقى مريضان آخران نتائج تظهر مستويات عالية بشكل غير طبيعي من هرمون محفّز للغدة الدرقية، أو TSH. طلبت كارمن أن يعودا إلى العيادة وأعادتا سحب الدم منهما. في المرة الثانية، عادت النتائج منخفضة إلى درجة غير طبيعية. بعد ذلك، فقدت كارمن إيمانها بتحاليل ثيرانوس لعينات مسحوبة من وخزة إصبع. تطابقت هذه الحوادث مع ادعاءات آلان. كان تحليل TSH واحداً من التحاليل المناعية التي تجريها ثيرانوس على أجهزة إديسون الفاشلة في اختبار الكفاءة.

كانت قصة كارمن واشنطن داعمة، لكنني حظيتُ بعد ذلك بقليل بشيء أفضل: مثير فضيحةٍ آخر من ثيرانوس. فقد تركت لتيلر شولتز رسالة قصيرة عبر بريد لينكدين بعد ملاحظتي أنه

شاهد صفحتي عبر الموقع. استنتجت أنه لا بد سمع عن تحرياتي من موظفين آخرين. مرّ أكثر من شهر على إرسال الرسالة وكدتُ أفقد الأمل في الحصول على رد منه حين رنّ هاتفني.

كان المتصل تيلر، بدا متحمساً للحديث. في كل الأحوال، كان شديد القلق من أن الشركة ستلاحقه. حادثني من رقم خلوي يُشترى من الأسواق ولا يمكن أن يقود إليه. بعد أن وافقت على منحه السرية، أخبرني قصة الأشهر الثمانية التي أمضاها في الشركة بحماس كبير.

كان حافز تيلر للحديث معي ذا جانبين. فهو مثل آلان، قلق على المرضى الحاصلين على نتائج تحليل غير دقيقة. كان أيضاً قلقاً على سمعة جده. على الرغم من شعوره بأن ثيرانوس ستُفْضَح في النهاية، إلا أنه أراد تسريع العملية ليمنح جده الفرصة لتنقية اسمه. كان جورج شولتز في الرابعة والتسعين من عمره وربما لن يعيش بعد ذلك بكثير.

قال تيلر، «لقد تجاوز ووترغيت وفضيحة إيران-كونترا دون أن تمس كرامته، وأثق بأنه سيتجاوز ثيرانوس إن كان بقي على قيد الحياة ليصحح الأمور.»

في طريق خروجه، طبع تيلر الرسائل الإلكترونية التي أجاب بها هولمز وبألواني وهرّبها خارجاً تحت قميصه. كما أنه لم يزل يحتفظ بالرسائل الإلكترونية التي تبادلها مع قسم الصحة في ولاية نيويورك حول اختبار الكفاءة. أطرّبني سماع ذلك. طلبت إليه أن يرسل لي كل شيء، الأمر الذي فعله بسرعة.

جاء وقت التوجه إلى بالو آلتو. لكن قبل أن أذهب، كان عليّ زيارة مكان آخر أولاً.

كان عليّ إثبات أن الشركة قد أصدرت نتائج تحاليل غير دقيقة. والطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك في إظهار أن أطباء تلقوا تقارير مخبرية مشكوك بأمريها وأرسلوا مرضاهم لإجراء التحاليل في مكان آخر. وأفضل مكان للبحث هو فينيكس، التي توسّعت فيها ثيرانوس لتحتل أكثر من أربعين موقعاً. وكان أول ما فكرت به زيارة كارمن واشنطن، لكنها كانت قد تركت عملها في عيادة وولغرينز الواقعة على تقاطع شارع أوزبورن وجادة سنترال ولم تحتفظ بأسماء المرضى الثلاثة الذين أخبرتني عنهم.

لكن هناك سبيل آخر، فبعد تصفّحي موقع Yelp باحثاً إن كان أحد قد أبلغ عن تجربة سيئة مع ثيرانوس، وجدتُ سيدةً بدا أنها طبيبة تحت اسم «ناتالي م.» قد كتبت شكوى ضد الشركة. كان لـ Yelp بوابة تتيح لمراء إرسال الرسائل إلى مراجعين، فأرسلت إليها رسالة تتضمن معلومات التواصل معي. اتصلت بي في اليوم التالي. كان اسم ناتالي م. الحقيقي نيكول سندين. وهي طبيبة أسرة في ضواحي فينيكس، فاونتن هيلز، ولم تكن راضية أبداً عن ثيرانوس. ففي الخريف الماضي، أرسلت إحدى مريضاتها إلى غرفة الإسعاف بسبب تقرير مختبر مرعب من الشركة لتكتشف أن نتيجته مغلوطة. ذهبت بالطائرة إلى فينيكس لألتقي بـ د. سندين ومريضتها. وأثناء وجودي هناك، خططتُ أيضاً للمرور دون موعد مسبق بعيادات أطباء آخرين تعاملوا مع ثيرانوس

في التحاليل الدموية التي يطلبونها. أخذت أسماء ستة أطباء من مصدر مطلع.

وافقت مورين غلنز، مريضة د. سندين، على لقائي في مقهى ستاربكس قرب منزلها. كانت امرأة صغيرة البنية في أواسط العقد الخامس من عمرها، كانت نموذجاً للحالة الأولى التي قلق حيالها آلان بيم. أظهر تقرير المختبر الذي تلقتّه من ثيرانوس نتائج مرتفعة بشكل غير طبيعي لمستويات الكالسيوم، والغلوكوز، وثلاثة أنزيمات كبدية لديها. حيث اشتكت من طنين في أذنها (حدّد السبب لاحقاً بأنه ناتج عن نقص النوم)، قلقت د. سندين من احتمال أنها قد تتعرض لذبحة وأرسلتها مباشرة إلى المشفى. أمضت غلنز أربع ساعات في غرفة الإسعاف في أمسية عيد الشكر حيث أجرى عليها الأطباء سلسلة فحوص، بما فيها تخطيط CT. وسرّحت من المشفى بعد سلسلة تحاليل دموية أجراها مختبر المشفى أتت بنتائج طبيعية. لكن لم تكن تلك نهاية الأمر، كإجراء احتياطي، خضعت لفحوصي التصوير بالرنين المغناطيسي خلال الأسبوعين التاليين. وقالت أنها توقفت عن القلق حين أتت هذه الفحوص بنتائج طبيعية أيضاً.

كانت حالة غلنز مؤثرة حيث أظهرت مدى العذابات المعنوية والمادية للرعب الصحي الذي تأتي به نتائج غير دقيقة. وفي عملها كوسيلة عقارات مستقلة، كان تأمينها الصحي من النوع الذي تُقتطع منه مبالغ عالية. وكلفتها زيارتها لقسم الإسعاف وفحوص الرنين المغناطيسي اللاحقة مبلغ ثلاثة آلاف دولار كان عليها أن تدفعه من جيبتها.



حين التقيت الدكتورة سندين في عيادتها، علمت أن غلنز لم تكن المريضة الوحيدة التي أحاقت الشكوك بنتائج تحاليلها. أخبرتني أن أكثر من دزينة من مرضاها ظهرت لديهم مستويات عالية مثيرة للريبة من البوتاسيوم والكالسيوم كنتيجة للتحاليل التي شككت بدقتها أيضاً. وكتبت رسالة إلى ثيرانوس تبلغها فيها شكواها لكن الشركة لم تُعَرِّ الرسالة أدنى اهتمام.

بمساعدة د. سندين، قررتُ خوض تجربة صغيرة. كتبت لي وصفة تحليل مخبري أخذته إلى أقرب متجر وولغرينز إلى فندقني في الصباح التالي، حريصاً على الصوم لأضمن أكثر القراءات دقة. لم يكن مركز ثيرانوس الصحي داخل المتجر مكاناً ملفتاً للنظر: كان عبارة عن غرفة صغيرة ليست أكبر بكثير من خزانة مع كرسي وعبوات ماء صغيرة. وعلى عكس سيفواي، لم تنفق سلسلة الصيدليات ثروة لإعادة بناء متاجرها لتأسيس عيادات عالية المستوى. جلست وانتظرت لعدة دقائق ريثما أدخلت الموظفة طلبي إلى حاسوب وتحدثت مع شخص عبر الهاتف. بعد أن أغلقت السماعة، طلبت مني رفع كمي ولفت مرقاة حول ذراعي. لم يُسحب الدم بوخز الإصبع؟ سألتها. وأجابت إن بعض التحاليل في وصفتي تتطلب دم وريد. لم أفاجأ كلياً. شرح لي آلان بيم أنه من بين أكثر من ٢٤٠ تحليل قدمته ثيرانوس على لائحتها، لم تستخدم عينة دم مسحوبة من وخزة إصبع إلا في ٨٠ منها (دزينة منها تجرى على أجهزة إديسون بينما تُجرى بقية الستين أو السبعين تحليلاً على أجهزة سيمنز المعدلة). وقال إن

بقية التحاليل تطلّبت ما شبهته هولمز في مقابلاتها الإعلامية بآلات تعذيب العصور الوسطى: الإبرة المخيفة تحت الجلد. تأكدت الآن من ذلك. بعد خروجي من وولغرينز، قدت سيارتي المستأجرة إلى موقع لابكوروب قريب وسجلت طلباً بإجراء سحب دم. وعدتني د. سندين بإرسال نتائج التحليلين إلي حين يصلا. ولدى التفكير في الأمر، وجدتُ أنها أرادت إجراء التحاليل على عينات دموية في المكانين ذاتهما أيضاً لمزيد من الشمولية في عيّنتنا المقارنة، كما قالت.

أمضيت الأيام القليلة الماضية أقرع أبواب عيادات الأطباء، تحدثت في عيادة في سكوتسداليل، إلى الأطباء أدريان ستيوارت، لورين بيردزلي، وسامان ريزاي. تحدثتُ د. ستيوارت عن مريضة لها أجلت رحلة خططت لها طويلاً إلى إيرلندا في اللحظة الأخيرة بسبب نتيجة تحليل من ثيرانوس أفادت بأنها قد تكون مصابة بجلطة وريدية عميقة، وهي حالة تحدث عندما تتشكل خثرات دموية، في الأرجل عادة. ولا يجدر بالأشخاص المصابين بهذه الحالة أن يسافروا جواً بسبب خطر تفكك الخثرة، وتحركها ضمن مجرى الدم، واستقرارها في الرئتين، مسببة جلطة رئوية. بالتالي وضعت د. ستيوارت جانباً نتيجة تحليل ثيرانوس حين جاءت نتيجة الفحص بالأمواج فوق الصوتية لساقَي المريضة ومجموعة أخرى من التحاليل الدموية من مختبر آخر طبيعية.

جعلتها الحادثة تنظر شذراً عندما أرسلت إليها ثيرانوس تقريراً مخبرياً للمريضة أخرى تبدي فيه نتيجة عالية بشكل غير طبيعي لقيم هرمون الغدة الدرقية. كانت المريضة تتناول دواء

للغدة الدرقية مسبقاً واقترحت النتيجة أن عليها زيادة الجرعة. قبل أن تفعل أي شيء، أرسلت د. ثيرانوس المريضة لتعيد تحاليلها في سونورا كويست، مشروع مشترك بين كويست ونظام المشافي بانر هيلث. جاءت نتيجة التحليل من سونورا كويست طبيعية. ولو وثقت بنتيجة ثيرانوس ورفعت جرعة الدواء الذي تُعالج به المريضة، لكانت النتيجة كارثية، كما قالت د. ستيوارت. كانت المريضة حاملاً. ورفَعُ جرعة الدواء سيؤدي إلى رفع مستويات هرمون الدرق الأمر الذي سيجعل حملها في خطر.

التقيت أيضاً د. غاري بيتز، طبيب أسرة في قسم آخر من البلدة توقف عن إرسال مرضاه إلى ثيرانوس بعد تجربة سيئة تعرض لها أحد هؤلاء المرضى الصيف الماضي. تناولت تلك المريضة دواء خافضاً لضغط الدم. كان أحد الأعراض الجانبية المحتملة لذلك الدواء رفع مستوى البوتاسيوم، فراقب د. بليتز تحاليلها الدموية بشكل دوري. وبعد أن جاء تقرير ثيرانوس بنتيجة مفادها ارتفاع مستوى البوتاسيوم لدى المريضة إلى درجة شبه حرجة، أرسلتها ممرضة في عيادة د. بليتز لتعيد تحليل الدم لدى ثيرانوس للتأكد من صحة النتيجة. لكن خلال الزيارة الثانية، قامت الفصادة بثلاث محاولات غير ناجحة لسحب دمها ثم أرسلتها إلى المنزل. غضب د. بليتز عندما اكتشف ذلك في اليوم التالي: إن كانت النتيجة الأولى صحيحة، كان ملزماً أن يحصل على تأكيد بأسرع وقت ممكن بحيث يستطيع إجراء تعديلات في علاجها. أرسل المريضة لتعيد تحاليلها لدى سونورا كويست. وكما تبين، كان إنذاراً خاطئاً

آخر: فالنتيجة القادمة من سونورا كويست أقل بكثير من نتيجة ثيرانوس وضمن القيم الطبيعية. أخبرني د. بليتز أن تلك الحادثة أيضاً دمرت ثقته بثيرانوس.

وبينما أنهى أمور رحلتي، تلقيت رسالة إلكترونية من شخص يدعى ماثيو تروب. عمل لدى شركة علاقات عامة تدعى د. ك. سي. قال إنه يمثل ثيرانوس. علم أنني أعمل على قصة حول الشركة وأراد أن يعرف إن كان ثمة معلومة يمكن أن يساعدني بها. يبدو أن المسألة باتت معروفة، وهذا يناسبني، فقد خططت للتواصل مع الشركة فور عودتي إلى نيويورك. في الجورنال، كانت لدينا قاعدة رئيسية تدعى «لا مفاجآت». لا نأتي إطلاقاً إلى الصحافة بقصة دون إعلام موضوع القصة بكل تفصيل ومعلومة جمعناها في تقاريرنا وإتاحة الوقت والفرصة الكافيين لمعالجة ودحض كل شيء.

كُتبت إلى تروب مجيئاً أنني أعمل على قصة. وسألت إن كان بإمكانه إعداد لقاء مع هولمز وزيارة إلى ثيرانوس ومختبرها؟ أخبرته أنني خططت للسفر إلى منطقة الخليج في سان فرانسيسكو في بداية شهر أيار، الذي يحلّ بعد أسبوعين، وأستطيع لقاءها في ذلك الوقت. قال إنه سيتحقق من برنامج هولمز ويحيني.

بعد ذلك ببضعة أيام، كنت في مكثبي في الجورنال حين سلمني ساعي بريد مغلفاً ضخماً. كان المغلف من د. سندين. كان داخله تقاريرنا المخبرية من ثيرانوس ولابكورب. عند تفحصي لنتائج تحاليلي، لاحظت عدداً من التناقضات. أشارت ثيرانوس إلى ثلاثة

من تحاليلي على أنها عالية بشكل غير طبيعي وواحدة منها على أنها منخفضة بشكل غير طبيعي. بينما في تقرير لابكوروب، بدت تلك التحاليل الأربعة طبيعية. في الوقت ذاته، أشارت لابكوروب إلى مجموع الكولسترول والـ LDL (المعروف بالكولسترول الضار) على أنه مرتفع، في حين وصفها تقرير ثيرانوس بأنها في الأولى «مرغوبة» وفي الثانية «شبه مثالية».

كانت هذه الاختلافات معتدلة مقارنة مع القيم الكاذبة الكبيرة التي وجدتتها د. سندين في نتائجها. بحسب ثيرانوس، كانت كمية الكورتيزول في دمها أقل من ١ ميكروغرام بالديسيليتر. تُعزى قيمة منخفضة كهذه عادة إلى مرض أديسون، وهو حالة خطيرة يتم تشخيصها من خلال تعب كبير وضغط دم منخفض يمكن أن يؤدي إلى الموت إن لم يُعالج. بينما أظهر تقرير لابكوروب، مستوى كورتيزول بلغ ٨, ١٨ ميكروغرام بالديسيليتر، حيث كانت تلك القيمة طبيعية لدى مريض بصحة جيدة. لم يراود د. سندين أدنى شك حول أي من القيمتين كانت هي الصحيحة.

حين جاءني رد من تروب، أخبرني أن جدول هولمز كان محجوزاً بالكامل بحيث لا يمكن إتاحة لقاء لي في وقت قصير كالذي طلبته. قررت أن أسافر إلى سان فرانسيسكو في كل الأحوال، لألتقي تيلر شولتز وروشيل غيونز شخصياً. كان يوجد أيضاً موظفة سابقة في ثيرانوس راغبة بالتحدث إلي إن ضمنت لها السرية.

التقيتُ بمصدر المعلومات الجديد في مصنع جعة صغير

يدعى ترايست بروفيجنز في جادة كوليدج في أوكلاند. وهي شابة اسمها إيريك تشيونغ. ككل موظف سابق تحدثت إليه، كانت إيريك متوترة جداً في البداية. لكن حين أبلغتها بكم المعلومات التي حصلت عليها سلفاً، بدا عليها الاسترخاء وشرعت تسرد ما تعلمه على مسامعي.

كشخص عمل في مختبر ثيرانوس، شهدت إيريك تفتيش المخابر الذي جرى عام ٢٠١٣ في كانون الأول مباشرة. ومثل آلان، شعرت إيريك أن مفتشة الولاية قد ضللت. وقالت إن أوامر واضحة فُرضت على أعضاء المختبر ألا يدخلوا أو يخرجوا من النورماندي أثناء التفتيش وأن الباب المؤدي إليه قد أُغلق بقفل. أخبرتني أيضاً عن صداقتها مع تيلر وعن العشاء الذي حضرته في منزل جورج شولتز في الليلة التي استقال فيها تيلر. ومثل تيلر، أثار اشمئزها نقص الدقة العلمية في اعتماد التحاليل بوصفها صالحة على أجهزة إديسون. قالت إنه لم يكن ينبغي على ثيرانوس البدء بإجراء التحاليل على عينات المرضى. تجاهلت الشركة بشكل دوري إخفاق اختبارات ضبط الجودة والأخطاء في التحاليل وأظهرت إهمالاً كاملاً لصحة المرضى وسلامتهم، كما قالت. واستقالت في النهاية لأنها اشمأزت مما أصبحت طرفاً فيه، كما أخبرتني. كانت تلك كلمات قوية، ومن الواضح من احتياج إيريك أنها كانت تعني كل كلمة قالتها.

في اليوم التالي، قدت سيارتي إلى ماونت فيو، مركز شركة غوغل، والتقيت تيلر في حديقة للجنة تدعى شتاينز. كان الوقت

أوائل المساء المكان مكتظ بموظفي وادي السيليكون الذين يستمتعون بالوقت السعيد. لم نستطع إيجاد مقاعد، فوقفنا حول برمبل جعة خشبي على الشرفة خارجاً واستخدمناه كمنضدة. أثناء شربنا للكأس من البيرة، حدثني تيلر بشكل أكثر تفصيلاً عن الوقت الذي أمضاه في ثيرانوس، بما فيه الاتصال المدعور من والدته وهي تنقل إليه تهديد هولمز يوم استقالته ومحاولاته وإيريكاً للتحديث بمنطق مع جورج شولتز في تلك الأمسية. حاول أن يتبع نصيحة والديه وأن يترك الأمر وشأنه لكنه وجد نفسه عاجزاً عن ذلك.

سألته إن كان جده لا يزال مخلصاً لهولمز. نعم، كان ثمة قليل من الشك في ذهنه حول استمرار جده في إخلاصه لها، كما أجاب. حين سأله ما الذي جعله يعتقد ذلك، كشف عن حكاية جديدة. قضى تقليد عائلة شولتز بالاحتفال بعيد الشكر في منزل وزير الخارجية السابق. وعندما حضر تيلر، وأخوه، ووالداه إلى منزل جده في ذلك اليوم، قابلا هولمز ووالديها وجهاً لوجه. دعاهم جورج أيضاً، كانت سبعة أشهر فقط قد مضت على استقالة تيلر وكانت الجروح لا تزال طرية، لكنه أجبر على التصرف كأن شيئاً لم يكن، انتقلت محادثة العشاء الغريبة من الجفاف في كاليفورنيا إلى النواذل المقاومة للرصاص في مركز ثيرانوس الجديد. بالنسبة لتيلر، كانت اللحظة الأكثر تعذيباً حين نهضت هولمز وقدمت نخباً تعبر فيه عن حبها وتقديرها لكل فرد من عائلة شولتز. قال أنه بالكاد تمالك نفسه.

كان تيلر وإيريكاً فتيين جداً وكانا موظفين مبتدئين في ثيرانوس، لكنني وجدتهما جديرين بالثقة كمصدرين معلومات لأن كثيراً مما قالاه أوصل إلى ما قاله آلان بيم. أثر بي أيضاً حسهما الأخلاقي. شعرا بقوة أن ما شهداه كان خاطئاً وكانا عازمين على المخاطرة بالتحدث إلي لتصحيح الخطأ.

التقيت بعدها فيليس غاردنر، بروفيسورة كلية الطب في ستانفورد التي استشارتها هولمز بخصوص فكرة اللصاقة الأصلية حين تركت دراستها في الكلية منذ اثنتي عشرة سنة. أخذتني فيليس في جولة ضمن حرم ستانفورد ومحيطها. وأثناء جولتنا في سيارتها، صعقني كم بالو آلتو صغيرة ومعزولة. كان منزل فيليس في أسفل التلة التي يقع عليها منزل جورج شولتز الكبير المكسو بالألواح الخشبية وكلاهما بُني على أرض تملكها ستانفورد. وكلما تمشت فيليس مع كلبها، كانت تصادف أحياناً تشانينغ روبرتسون. قام بناء معهد هوفر في وسط الحرم الجامعي حيث كانت مكاتب جورج شولتز وأعضاء آخرين من مجلس إدارة ثيرانوس. وأما مركز ثيرانوس الجديد في بيج ميل رود فعلى أرض تابعة أيضاً لستانفورد تبعد أقل من ميلين. وفي مفارقة غريبة، أخبرتني فيليس أن الموقع كان منشأة طباعة تابعة لـوول ستريت جورنال.

في اليوم الأخير من رحلتي، التقيت روشيل غيبونز على الغداء في رانغون روبي، مطعم بورمي في بالو آلتو. مرت ستتان على وفاة إيان، لكن روشيل كانت لا تزال في حداد عليه وناضلت لكبح دموعها. لامت ثيرانوس على موته وتمنت لو لم يعمل يوماً هناك.



سلمتني نسخة من مفكرة الدكتور يحثُّ من خلالها أحد محاميِّ ثيرانوس إيانَ على استخدامها لتجنب الاستدعاء إلى الشهادة في قضية فويتز. أظهر خاتم الوقت في رسالة المحامي الإلكترونية بأن الرسالة قد أُرسِلت قبل أن ينتحر إيان بساعات قليلة. تحدثت روشيل دون إخفاء هويتها على الرغم من أنها ورثت عن زوجها خيارات أسهم ثيرانوس التي يقدر أنها تساوي ملايين الدولارات. لم تكن تكثرث بالمال، كما قالت، وفي كل الأحوال، لم تعتقد أن الحصة تساوي أي شيء في واقع الأمر.

عدت بالطائرة إلى نيويورك في اليوم التالي واثقاً أنني وصلت إلى كتلة حرجة في بحثي وبأنه لن يمر وقت طويل قبل أن أكون قادراً على النشر. لكن كان ذلك قليلاً من شأن الذين أقف بمواجهتهم.

(٢٠)

## الكمين

كان المنزل المستأجر في لوس أنجلس هيلز الذي تشاطره تيلر شولتز مع خمسة شركاء يبعد عن منزل ذويه في لوس غاتوس مسافة خمس وعشرين دقيقة بالسيارة، لذا اعتاد أن يشاركهم العشاء مرة كل أسبوعين. وفي مطلع أمسية ٢٧ أيار، ٢٠١٥، ركن تيلر سيارته الصغيرة من نوع تويوتا بريوس سي في كراج والديه ودخل المنزل من باب المطبخ. حين رأى والده، شعر مباشرة أن ثمة شيئاً ما خاطئاً. كان وجهه قناعاً من الرعب والقلق.

وسأل والده بفضول، «هل تحدثت إلى صحفي محقق حول ثيرانوس؟»

أجاب تيلر، «نعم.»

«هل تمزح؟ إلى أي درجة بلغت بك الحماقة؟ حسن، إنهم يعرفون بالأمر.»

علم تيلر أن جده اتصل لتوه ليقول إن ثيرانوس علمت بتواصله مع صحفي من وول ستريت جورنال. وإذا أراد أن يخرج

مما أسماه جورج «دنيا من المشاكل»، فعليه أن يلتقي محامي الشركة في اليوم التالي ليقع على شيء ما.

اتصل تيلر بجده وطلب لقاءه في وقت متأخر من تلك الأمسية دون وجود محامين. قال جورج إنه خرج مع شارلوت لتناول العشاء لكنه سيكون في المنزل بحدود التاسعة ويمكن لتيلر أن يزوره في ذلك الوقت. تناول تيلر وجبة سريعة مع والديه، ثم عاد إلى منزله ليفكر ملياً في الطريقة الأمثل التي عليه أن يستهلّ بها المحادثة مع جده. احتضنه والده ووالدته بقوة حين اتجه إلى الباب خارجاً.

حين وصل إلى منزله، اتصل تيلر بي. بدا من نبرة صوته مهزوزاً متوتراً. سأل فيما لو أفضيت بمحادثاتنا إلى ثيرانوس. وأجبهه بالتأكيد لا، أخبرته أنني آخذ وعد السرية الذي أقطعه لمصادري بمنتهى الجدية. حاولنا أن نستنتج ما الذي حدث.

كان قد مر على لقائنا في حديقة الجعة في ماونتن فيو ثلاثة أسابيع. أما في نيويورك، فقد استمر ماثيو تروب في إحباط طلباتي بإجراء مقابلة مع هولمز وطلب مني بالمقابل إرسال أسئلة. أرسلت إليه رسالة إلكترونية تحمل الخطوط العريضة لسبعة مجالات أردت مناقشتها مع ثيرانوس، تتراوح بين إيان غيرونز واختبار الكفاءة.

حوّلت الرسالة الإلكترونية إلى تيلر واطّلع عليها ونحن نتحدث على الهاتف. في فقرة حول التحقق من توثيق مصداقية التحاليل، ضمنت الرسالة مُعامل اختلاف لواحد من تحاليل

إديسون، غير مدرك أنه رقم اكتشفه تيلر بنفسه. لم يكن في الرسالة الإلكترونية أي شيء آخر يمكن أن يشير إليه، فافترض تيلر أن ذلك كان ممسكهم. بدا أن بإمكانه الاسترخاء الآن. بإمكانه شرح وجود ذلك الرقم بطريقة ما، كما قال. كان يمكن لأي أحد أن يأتي به.

لم يخبرني تيلر أنه كان على وشك لقاء جده، قال فقط إن ثيرانوس ترغب أن يحضر إلى مكاتبها في الصباح التالي ليلتقي محاميها. نصحته بالألا يذهب. لم يكن يعمل لدى الشركة وليس هناك ما يلزمه بتلبية طلبهم. إن ذهب، فسيحاولون أن يرهبوه، كما حذّرتة. قال تيلر إنه سيفكر بالأمر. واتفقنا أن نتواصل مجدداً في اليوم التالي.

وصل تيلر إلى منزل جده في الساعة ٨:٤٥ مساءً. لم يكن جورج وشارلوت في المنزل بعد، فانتظر في الشارع حتى شاهد سيارتهما تركن في الممر. أعطاهما بضعة دقائق ليستقرا، ومن ثم دخل المنزل. وجدهما جالسين في غرفة الجلوس.

سأل جورج، «هل تحدثت إلى أي صحفيين عن ثيرانوس؟»

«لا،» كذب تيلر. «ليست لدي أدنى فكرة لم يعتقدون ذلك.»

«تعلم إليزابيت أنك تحدثت إلى وول ستريت جورنال. تقول إن الصحفي استخدم نفس الصيغة الموجودة في واحدة من رسائلك الإلكترونية.»

صححت شارلوت لزوجها: «أعتقد أنها قالت إنه رقم.»

سأل تيلر، هل كان رقماً متعلقاً باختبار الكفاءة؟ رأى كثيرون تلك المعلومات، كما قال. يمكن للجورنال أن تكون قد حصلت عليه من أي موظف سابق.

قال جورج بصرامة، «تقول إليزابيث إن الرقم يُحتمل أن يكون قد صدر عنك فقط.»

التزم تيلر بروايته. وقال إنه ليست لديه أدنى فكرة عن مصدر معلومة الصحفي.

قال جورج، «إننا نفعل ذلك لأجلك، تقول إليزابيث أن حياتك المهنية ستنتهي إذا نُشرَ المقال.»

دون أن يعترف بشيء، حاول تيلر مجدداً إقناع جده أن ثيرانوس كانت تضلله. وراجع جميع الأشياء التي قالها له منذ سنة خلت، بما فيها حقيقة أن الشركة أجرت قسماً صغيراً من تحاليلها الدموية على أجهزة إديسون المسجلة الخاصة بها. ظل جورج غير مقتنع. وأخبر تيلر أن ثيرانوس جهزت وثيقة من صفحة واحدة ليقع عليها تؤكد على أنه سيلتزم بمبدأ السرية من الآن وصاعداً. ستشر وول ستريت جورنال أسرار صنعة ثيرانوس وستصبح أسرار صنعتها هذه شأناً عاماً ما لم تتصرف الشركة حيال حمايتها. لم يرَ تيلر لم عليه أن يفعل ذلك لكن قال إنه عازم على التفكير بالأمر إن عني ذلك أن الشركة ستوقف عن إزعاجه.

قال جورج، «جيد، يوجد اثنان من محامي ثيرانوس في الطابق العلوي، هل أستطيع استدعاءهما؟»

شعر تيلر بأنه قد غرروا به واستغفلوه. كان قد طلب بالضبط أن يتم اللقاء دون محامين. لكن إن حاول الانسحاب الآن، فسيعزز ذلك شكوك الجميع بأن لديه ما يخفيه، فسمع نفسه يقول «بالطبع».

وبينما صعد جورج إلى الطابق العلوي، قالت شارلوت لـ تيلر إنها بدأت تتساءل حول صحة وجود «علبة» ثيرانوس. قالت «هنري أيضاً يتساءل»، مشيرة إلى هنري كيسنجر، «وكان يقول إنه يريد الخروج من الموضوع».

قبل أن يتسنى لشارلوت قول المزيد، ظهر رجل وامرأة ومشيا بعنف تجاه تيلر. كانت أسماؤهما مايك بريل وميريديث ديربورن. كانا شريكين في بويز، شيلر وفليكسنر. قال بريل لـ تيلر إنه كُلف بمهمة معرفة مصادر الجورنال وعرف أنه واحد منهم في خمسة دقائق. سلّمه ثلاث وثائق: أمر تقييد مؤقت، مذكرة ليظهر في المحكمة خلال يومين، ورسالة تقرّ أن لدى ثيرانوس سبباً لتعتقد أن تيلر خرق اتفاق السرية وتجهز لتحضير دعوى قضائية ضده. أنكر تيلر مجدداً حديثه مع الصحفي.

قال بريل إنه يعرف أن تيلر يكذب وضغط عليه كي يعترف بالأمر، لكن التزم تيلر بموقفه بحزم. رفض المحامي ترك الأمر. كان أشبه بكلب هجوم. استمر في مضايقة تيلر لما بدا أنه دهر. في نقطة ما، نظر تيلر إلى زوجة جده وسألها إن كانت متضايقة مثله. كانت شارلوت تحملق في بريل وبدت كأنها على وشك أن تضربه بخطافها الأيمن.

قال تيلر أخيراً، «على هذه المحادثة أن تنتهي».

انحاز جورج إلى جانب حفيده. «أعرف هذا الفتى، هذا الفتى لا يكذب. إن قال إنه لم يتحدث إلى الصحفي، فإذا لم يتحدث إلى الصحفي!» كما أعلن بقوة. رافق وزير الخارجية السابق المحامين إلى خارج منزله. وحين ذهباً، اتصل بهولمز وأخبرها أن ذلك لم يكن ما اتفقا عليه. أرسلت مدعياً عاماً بدل أن ترسل أحداً مستعداً لإجراء محادثة متحضرة. كان تيلر جاهزاً للذهاب إلى المحكمة في اليوم التالي، كما حذرهما.

شعر تيلر بضربات قلبه تتسارع وبيديه ترتجفان فيما شاهد شارلوت تأخذ الهاتف من يد جورج وسمعتها تقول، «إليزابيث، لم يقل تيلر تلك الكلمات!»

استعاد جورج سماعه الهاتف وطرح تسوية للأمر: سيلتقيان مجدداً في المنزل في الصباح التالي وستأتي ثيرانوس بالوثيقة ذات الورقة الواحدة التي سبق وتناقشا حولها مؤكداً أن تيلر سيعزز التزامه بالسرية. قبل أن يغلق الهاتف، ناشد هولمز أن ترسل محامياً آخر هذه المرة.

في الصباح التالي، وصل تيلر إلى منزل جده باكراً وانتظر في غرفة الطعام. لم يفاجأ حين ظهر بريل مجدداً. كانت هولمز تتلاعب بجده ككمنجة.

جلب المحامي معه مجموعة وثائق جديدة. كانت إحداها شهادة خطية بقسم تقر بأن تيلر لم يتحدث مع أي طرف ثالث

حول ثيرانوس وأنه يتعهد بإعطاء أسماء أي موظفين حاليين أو سابقين علم أنهم تحدثوا إلى الجورنال. طلب برييل من تيلر توقيع الشهادة. لكن تيلر رفض.

قال جورج «ليس تيلر بواش». معرفة من تحدث إلى وول ستريت جورنال هي مشكلة ثيرانوس، وليست مشكلته.»

تجاهل برييل وزير الخارجية السابق وتابع الضغط على تيلر ليقع على الوثيقة وليسمي مصادر الصحيفة. وقد نظر إلى الأمر من زاويته، التمس: لكي ينجز ما طُلب منه، فعليه أن يحصل على تلك المعلومة من تيلر. لكن تيلر لم يتزحزح عن موقفه.

بعد أن استمرت المواجهة غير المريحة ما يكفي من الوقت، أخذ جورج برييل إلى غرفة منفصلة وعاد ليتحدث مع تيلر لوحده. سأل حفيده، ما الذي يطلبه لتوقيع تلك الوثيقة؟. أجاب تيلر إن على ثيرانوس إضافة فقرة أنها لن تلاحقه قضائياً.

التقط جورج قلماً وخربش سطرًا على وثيقة الشهادة بقسم يفيد أن ثيرانوس تتعهد بـ«لا تلاحق تيلر شولتز قضائياً لستين». تساءل تيلر للحظة بينه وبين نفسه فيما لو ظنه جده غيباً.

وقال «لن ينفع هذا، يجب أن يتعهدوا بعدم ملاحقتي قضائياً على الإطلاق.»

احتج جورج، «أحاول فقط اقتراح شيء توافق عليه ثيرانوس.»



لكن بدا أن الرجل العجوز يعي سخافة ما اقترحه لتوه. شطب كلمة «لستين» واستبدلها بـ«على الإطلاق». ثم خرج من غرفة الطعام ليعود إلى بريل. عاد كلاهما بعد عدة دقائق، مع موافقة بريل كما يبدو على شروط تيلر.

لكن الفترة الفاصلة الموجزة منحت تيلر وقتاً ليفكر، وقرر أنه لن يوقع على شيء. كانت من بين الوثائق التي أتى بها بريل ذلك الصباح اتفاق الالتزام بالسرية الأصلي الذي وقعه مع ثيرانوس. تظاهر تيلر أنه يقرأ الوثيقة ملياً بينما فكر حول أفضل طريقة ممكنة حتى لا يوقع الشهادة بقسم. بعد صمت طويل، غريب، توصل إلى الطريقة التي سيقدم فيها رفضه.

قال، «خطّ محامي ثيرانوس هذه المسودة آخذاً بعين الاعتبار مصالح ثيرانوس إلى أقصى حد، أعتقد أنني أحتاج محامياً ليراجعها لي آخذاً بعين الاعتبار مصلحتي إلى أقصى حد.»

بدا الغضب ظاهراً على كل من جده وبريل. سأل جورج تيلر إن كان سيوقع على الوثيقة إن راجعها محاميه العقاري، بوب آندرز، وأخبره أن لا بأس من توقيعها. وافق تيلر، فتوجه جورج إلى الطابق العلوي ليرسل فاكساً بالإفادة المعدلة إلى آندرز. مدركاً أنه سيحتاج الوقت ليصعد السلم ويشغل آلة الفاكس، ذهب تيلر إلى المطبخ وبدأ بمراجعة دليل هاتف جده باحثاً عن رقم محاميه العقاري. أراد أن يتواصل معه أولاً. فيما كان يقلب الصفحات، ناولته شارلوت ورقة تحمل الرقم المطلوب. وقالت، «اتصل به.»

أجرى تيلر المكالمة في الفناء الخلفي. شرح الوضع بسرعة إلى أندرز. سأل المحامي، بينما كان لا يزال يستوعب المعلومات، من يمثل ثيرانوس. وكان تيلر ممسكاً بيده الرسالة التي تحمل التهديد بملاحقته قضائياً والتي سلمه إياها بريل الليلة الماضية. وأخبر أندرز بأنها تحمل توقيع «ديفيد بوي-زي». مخطئاً في لفظ كنية المحامي الشهير.

«اللعنة! هل تعلم من هذا؟»

كان بويز واحداً من أكثر المحامين شهرة ونفوذاً في أمريكا، كما شرح أندرز. وقال إن الوضع خطير. نصح تيلر أن يأتي لرؤيته في مكتبه في سان فرانسيسكو ظهيرة ذلك اليوم.

عمل تيلر بالنصيحة وقاد سيارته إلى المدينة. التقى بـأندرز وأحد شركائه في الطابق السابع عشر من مبنى روس، برج على الطراز القوطي الجديد في فايننشال ديستريكت الذي كان واحداً من أعلى أبراج سان فرانسيسكو. بعد أن قرأ الشهادة مسبقاً وعلماً بتوقعات تيلر، أخبره المحاميان أنها لا يمكن أن ينصحاه بضمير مرتاح أن يوقع الوثيقة. وافقاً على إيصال الفكرة لثيرانوس نيابة عنه، لكن عليهما في النهاية أن يرسله إلى محام آخر لتفادي تضارب المصالح. حيث أن شركتهما، فاريل براون + مارتل، تمثل أيضاً مصالح هولمز العقارية.

حين أبلغ أندرز مايك بريل أن تيلر لن يوقع الشهادة، حذر بريل من أنه لن يكون لدى ثيرانوس خيار إلا أن تلاحقه قضائياً.

عاد تيلر إلى المنزل متوقعاً أن يُستدعى إلى المحكمة في اليوم التالي، لكن لاحقاً في تلك الليلة، أرسل بريل إلى آندرز رسالة إلكترونية تقول بأن ثيرانوس قررت أن تجمد موضوع الدعوى القضائية لمنح الطرفين مزيداً من الوقت للعمل على حل الأمور. تنهد تيلر بارتياح عميق حين علم بالخبر.

نصح آندرز الفتى تيلر بمحام يدعى ستيفان تايلور، رئيس شركة محاماة خبيرة بالتعامل مع قضايا خلافات الأعمال المعقدة في سان فرانسيسكو. خلال الأسابيع التالية، تبادل بريل وتيلر أربعة شهادات مختلفة.

حاول تيلر أن يكون استرضائياً في جهد منه للتوصل إلى اتفاق، معترفاً في النسخ الجديدة أنه تحدث إلى الجورنال. منحته ثيرانوس خيار القول أنه كان شاباً وساذجاً وأن الصحفي خدعه، لكنه رفض. عرف تماماً ما كان يفعل ولم يكن لصغر سنه علاقة بالأمر. تمنى أن يتصرف بالطريقة نفسها لو كان عمره أربعين أو خمسين عاماً. لكن ليرضي ثيرانوس، وافق تيلر على أن يتم تصويره كموظف مبتدئ كانت واجباته ثانوية إلى درجة لا يمكن له معها أن يعرف عما كان يتحدث فيما يتعلق باختبار الكفاءة، والتحقق من توثيق مصداقية التحليل، وسير العمليات في المختبر.

لكن عرقل المفاوضات أمران اثنان. أصرت ثيرانوس على أن يسمي تيلر المصادر الأخرى لـ الجورنال، الأمر الذي رفضه تيلر كلياً. ورفضت الشركة تضمين والديه والورثة في التحرير

من الملاحقة القضائية التي كانت بصدد استصدارها بحقه. فيما استمر المأزق، لجأت بويز شيلر إلى أساليبها الشرسة التي عرفت بها. أشاع بريل أنه إذا لم يوقع تيلر على الشهادة ويسمي مصادر الجورنال، فإن الشركة ستحرص على التسبب بإفلاس أسرته بأكملها حين ستجره إلى المحكمة. أيضاً وصلت إلى تيلر معلومة أنه مراقب من قبل محققين خاصين. إلا أن محاميه نصحه بألا يلقي بالاً للأمر.

وقال، «ليست مسألة ذات أهمية، فقط لا تذهب إلى أي مكان لا يفترض بك الذهاب إليه وتذكر أن تبتسم وتلوح للرجل المختبئ بين الشجيرات خارج منزلك حين تذهب إلى العمل.»

في إحدى الأماسي، تلقى والدا تيلر اتصالاً من جده. قال جورج إن هولمز أخبرته أن تيلر كان مسؤولاً عن معظم المعلومات التي تملكها الجورنال وأنه كان مفرطاً في عدم عقلانيته. أجلس والدا تيلر ابنيهما في المطبخ وناشده أن يوقع أي شيء تريده ثيرانوس أن يوقعه في أقرب فرصة. وإلا، كان عليهما بيع منزلهما لتغطية الأتعاب القضائية. لم يكن الأمر بهذه البساطة، أجاب تيلر، عاجزاً عن قول المزيد. أراد بشدة أن يشرح لهما ماذا يجري، لكنه تلقى تعليمات تفيد ألا يحدث أحداً آخر بمفاوضاته مع ثيرانوس.

وليتمكن تيلر من إعلام والديه بما آلت إليه الأمور، رتب لهما حضور مستشار قانوني خاص بهما. وبذلك يمكنه التواصل معهما من خلال المحامين وستكون تلك المحادثات محمية بمزية

المحامي - الموكل. أدى ذلك إلى حادثة أقلق تيلر ووالديه على السواء. فبعد ساعات من لقاء محامية والديه الجديدة بموكلَيها للمرة الأولى، اقتحمت سيارتها وسرقت حقيبة تحتوي على ملاحظات الاجتماع. وعلى الرغم من أنه قد يكون فعل سرقة عشوائي، فإن تيلر لم يتمكن من محو الشك بأن لثيرانوس علاقة بالأمر.

لم تكن لديّ أية فكرة عن حدوث ذلك. بعد اتصال تيلر المضطرب في الليلة التي تناول فيها العشاء في منزل والديه، حاولت الاطلاع على أموره. أرسلت رسالة إلكترونية إلى حسابه باسم كولین راميرز، الذي أُصرُّ على استمرارنا بالتواصل من خلاله لحمايته، واتصلت به على رقم هاتفه المخصص للاستعمال مرة واحدة. لكن لم أتلَق جواباً على رسالتي الإلكترونية وبدأ أن الهاتف مغلق ولم يكن ثمة مجيب آلي. استمررت باستخدام عنوان بريده الإلكتروني ورقم الهاتف المذكورين لعدة أسابيع، دون فائدة. اختفى تيلر.

شككت أن لثيرانوس قيّده، لكن لم أتمكن من مواجهة الشركة بالأمر حيث كان مصدراً سرّياً. تمنيت ألا ينهار تحت الضغط وأراحتني واقع أنه أرسل لي سلفاً رسالته الإلكترونية إلى هولمز التي يتساءل فيها عن ممارسات لثيرانوس والشكوى التي قدمها في ولاية نيويورك. وبإضافة ذلك إلى سلسلة الرسائل الإلكترونية الداخلية حول اختبار الكفاءة الذي حصلت عليه من آلان بيم، تشكّلت وثائق كاشفة عظيمة.

تابعت في تحقيقي الصحفي، واتصلتُ بوزارة الصحة في ولاية نيويورك، لأتحرى عما حدث بشكوى تيلر مجهولة المصدر. أخبروني أن الشكوى قد أُحيلتُ إلى المراكز الفيدرالية لخدمات الرعاية الطبية والمساعدة الطبية ليُصارَ إلى التحقيق فيها. لكن حين اتصلت بالجهة المذكورة، عرفت أن أحداً هناك لم يجد أثراً للموضوع. ضاعت بشكل ما في الفوضى. بحسب روايتهم، بدا المسؤولون عن إدارة قسم رقابة المخابر جديدين بشأن متابعة الموضوع الآن وقد علموا به. وطلبوا مني أن أرسل لهم الشكوى وأكدوا لي أنها لن تُهمل هذه المرة.

في هذه الأثناء، استمر ماثيو تروب في المماطلة معي. بدا أنني الصحفي الوحيد في أمريكا الذي لن تمنحه هولمز مقابلة. ظهرت مؤخراً في برنامج CBC الصباحي الاخباري، وبرنامج فريد زكريا على CNN، وبرنامج جيم كرايمر Mad Money على محطة CNBC. بلغ الأمر ذروته ذات أمسية في أوائل حزيران حين رفعتُ ناظريَّ عن حاسوبي إلى إحدى أجهزة التلفاز في غرفة الأخبار لأراها ببلوزتها مدورة العنق تظهر في برنامج تشارلي روز. خلال محادثة محتمة على الهاتف في اليوم التالي، أخبرت تروب أن ثيرانوس لا تستطيع الاستمرار في رفض إجراء لقاء معي إلى الأبد. إن لم تتحدث هولمز، فعلى شخص من الشركة أن يلتقي بي للاستجابة على أسئلتني ويجب أن يحدث ذلك قريباً، قلت بصوت عال، وأنا أذرع الغرفة جيئة وذهاباً أمام شرفتي في بروكلن.

تواصل تروب معي بعد ذلك بعدة أيام مقترحاً أن ألتقي

بممثل لثيرانوس في مكاتب بويز شيلر في مانهاتن. وافقت في البداية ثم أعدت النظر في الأمر. كان ذلك شبيهاً بدخول عرين الأسد، اتصلت به مجدداً وأخبرته أن على ممثل ثيرانوس - وكتيبة المحامين الذين أعتقد أنهم سيرا فقونه - المجيء إلي. وأُدرج لقاء في الساعة الواحدة ظهراً يوم الثلاثاء، ٢٣ حزيران، في الجادة ١٢١١ في أميريكاز، موطن وول ستريت جورنال.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(٢١)

## أسرار الصنعة

تألف معظم وفد ثيرانوس المفوض الذي قدم إلى مكاتب الجورنال من المحامين. كان قائد المجموعة ديفيد بويز. أحاط به مايك بريل، وميريديث ديربورن، وهيدر كينغ، وهي شريكة سابقة في بويز شيلر ومساعدة هيلاري كليتون التي أصبحت مستشارة ثيرانوس العامة منذ أقل من شهرين. خارج تلك الحلقة كان هناك ماثيو تروب وبيتر فريتش، صحفي سابق في الجورنال كان المؤسس المساعد لشركة الأبحاث المعارضة في العاصمة واشنطن، أما المدير التنفيذي الوحيد من ثيرانوس الذي حضر فكان دانييل يونغ.

ولأنني توقعتُ مواجهة نارية، أحضرت محرري، مايك سيكونولفي، الذي ترأس فريق المفاوضات، وجاي كونتي، نائب المستشار العام للشركة الأم لـ الجورنال التي عملت عن قرب مع غرفة الأخبار حول القضايا الصحفية الحساسة. أقيمت الاثنين على علم ببحثي الصحفي وأخبرتني بسر مصادري.

جلسنا في غرفة اجتماعات في الطابق الخامس من غرفة أخبار



الجورنال. حُدِّثْ نبرة اللقاء منذ البداية حين أخرجت كينغ وديربورن جهازيّ تسجيل صغيرين ووضعوا واحداً في كل طرف من طاولة الاجتماع. كانت الرسالة واضحة: اعتبروا اللقاء بمثابة إفادة في دعوى قضائية لاحقة.

بناءً على طلب تروب، أرسلت مجموعة مؤلفة من ثمانين سؤالاً منذ أسبوعين ستؤسس للنقاش. افتتحت كينغ الاجتماع بقولها إنهم جاؤوا للدحض «الافتراضات الخاطئة» التي انطوت عليها تلك الأسئلة. ثم ألقت القذيفة الأولى.

«من الواضح أن أحد مصادركم الرئيسية بالتأكيد هو شاب يدعى تيلر شولتز.» نظرت إلى مباشرة أثناء قولها هذا فيما بدا من الواضح أنه افتتاحية من القذائف المتتالية تدرّبت عليها لتربكني. أبقيت ملاحني خالية من أي تعبير ولم أقل شيئاً. يمكنهم أن يشكوا بتيلر كما شاؤوا، لكنني لم أكن لأخون ثقته وأمنحهم التأكيد الذي تصيدوه. تابعت في تشويه صورة تيلر على أنه شاب وغير مؤهل ومن ثم أكدت على أن مصادري الأخرى كانت مجموعة مستاءة من الموظفين السابقين الذين كانوا غير موثوقين تماماً مثل تيلر. قاطع مايك خطبتها اللاذعة. لم نكن لنفشي أسماء مصادري السريين ولا يمكن لثيرانوس أن تفترض أنها تعرف هوياتهم، قال ذلك بتهذيب لكن بحزم.

تدخل بويز للمرة الأولى، لاعباً دور الشرطي الطيب المكمل لدور كينغ الشرطي السيء. «نريد فقط معالجة الموضوع خطوة

خطوة بحيث ترى بنفسك بالفعل أن لا قصة صحفية هنا،» قال المحامي الخارق ذو الأربعة وسبعين عاماً بلطف. وبحاجبيه الكثين وشعره الرمادي المنحسر ذكرني بجذ يحاول فض النزاع بين أطفال متعاركين.

اقترحت أن نبدأ بالإجابة على الأسئلة التي أرسلتها، لكن، قبل أن يتسنى لي الوقت لأقرأ الأول، تحول أسلوب كينغ إلى العدائية مجدداً وأصدرت تحذيراً حاداً: «لا نوافق على نشرك لأسرار صنعتنا.»

كنا في الدقائق الأولى للاجتماع وبدائي واضحاً أن استراتيجيتها الرئيسية تنص على محاولة تهديدنا، فقررت أن الوقت قد حان لنوصل رسالة أن هذه الطريقة لن تنفع.

وأجبت بسرعة وبحدة، «لا نوافق على التنازل عن امتيازاتنا الصحفية.»

بدا أن جوابي أصاب الهدف. عادت لتبدو أكثر استرضاءً وبدأنا بمراجعة أسئلتني واحداً تلو الآخر مع التفاهم حول أن دانييل يونغ، بوصفه ممثل ثيرانوس الرسمي الوحيد، سيجيب على الأسئلة. لكن، سرعان ما أصبحنا مجدداً على طرفي نقيض.

بعد أن اعترفت يونغ بامتلاك ثيرانوس لمحللات دم تجارية، ادعى أن الشركة امتلكتها لغرض المقارنة فقط، وليس لتقديم نتائج، سألت إن كان أحدها هو جهاز أدفيا ADVIA من صنع سيمنز والذي يتصف على الخصوص بألية تمديد للسائل. وسألت

إن كانت ثيرانوس قد أجرت اختبار عينات دموية مسحوبة من الإصبع على جهاز سيمنس أدفيا باستخدام نظام التمديد. فأثار مجدداً مسألة أسرار الصنعة ليتجنب الإجابة على السؤال لكن جادل بأن آلية تمديد الدم شائعة في عمل المخابر.

من تلك النقطة، دار الحديث في دوائر. صبت تلك الأسئلة في صميم قصتي، كما قلت. إن لم يكونوا جاهزين للإجابة عنها، فما الغاية من الاجتماع؟ أجاب بويز أنهم حاولوا أن يكونوا مفيدين لكنهم لن يشوا بالوسائل التي تستخدمها ثيرانوس إلا إذا وقعنا اتفاق سرية. كانت تلك أسرار سعى كل من كويست ولابكورب على امتلاكها بأية وسيلة ممكنة، ومنها التجسس الصناعي، كما ادعى.

وبينما تابعتُ الضغط للحصول على أجوبة أكثر حقيقية، غضب بويز. فجأة لم يعد ذلك الجدل المحبب. أخذ يهدر ويكشر عن أنيابه كدب بني عجوز. كان هذا هو ديفيد بويز الذي أُرهب خصومه في المحكمة، كما قلتُ في سري. ضرب وسائل الصحافة، قائلاً أنني سألت بعض الأطباء أسئلة ثقيلة مؤذية لثيرانوس. رفع ذلك من حدة حوارنا. حدق واحدنا في الآخر بازدراء من جهتي الطاولة.

قفز جاي كونتي لينقذ الوضع لكنه سرعان ما بدأ يتعارك مع كينغ وبريل. حتى أخذ جداهم منعطفاً هزلياً تقريباً.

قالت كينغ، «يبدو أنك تريدنا أن نمنحك مرگب الكوكاكولا حتى نقتنعك أنها لا تحتوي على الزرنيخ.»

رد جاي منفِعلاً، «لم يطلب أحد مرَّكب الكوكاكولا!»

احتدم جدال أكبر حول ما يمكن أن يشكل سر الصنعة بشكل شرعي. وسألت، كيف يمكن لأي شيء يحوي محلاً تجارياً صنعه طرف ثالث أن يعتبر سر صنعة لثيرانوس؟ أجاب بريبل بشكل غير مقنع أن التمييز بين المفهومين ليس بالبساطة التي أفترضها.

عدنا لأسئلتني حول جهاز إديسون. كم عدد التحاليل الدموية التي أجرتها لثيرانوس بواسطة الجهاز؟ قالوا إن هذا أيضاً سر صنعة. شعرت وكأنني أشاهد عرضاً مباشراً لمسرح العبث. هل كان لدى لثيرانوس بالفعل أية تكنولوجيا جديدة؟ سألت بشكل استفزازي.

تصاعد غضب بويز مجدداً. وقال وهو يستشيط غضباً، كان إجراء التحاليل على عينات صغيرة مسحوبة من وخزة إصبع شيئاً لم يتمكن من القيام به أحد في عالم المخابر من قبل. «بينما لثيرانوس تقوم بذلك، إلا إن كان الأمر سحراً، فهي تكنولوجيا جديدة!»

فقال جاي ساخراً، «يبدو الأمر كساحر أُوْز».

استمرينا في الدوران، دون أن نحصل على إجابة محددة حول عدد التحاليل التي أجرتها لثيرانوس على أجهزة إديسون مقابل تلك التي تجربها باستخدام المحللات التجارية. كان أمراً محبطاً لكن أيضاً علامة على أنني على الطريق الصحيح. فلن يحصنوا أنفسهم بهذه الشراسة لو لم يخفوا شيئاً.

استمر الاجتماع على هذا المنوال لأربع ساعات. وبينما تابعنا مراجعة أسئلتني، أجاب يونغ على البعض منها دون أن يثير مسألة سر الصنعة. اعترف بمشاكل واجهها تحليل البوتاسيوم في ثيرانوس لكن ادعى أن الأمر تم علاجه بسرعة ولم تُقدّم أية نتيجة خاطئة للمرضى. أخبرني آلان بيم عكس ذلك، فشككت أن يونغ كان يكذب حول الموضوع. أكد يونغ أيضاً إجراء ثيرانوس لاختبار الكفاءة بشكل يختلف عن معظم المخابر لكن جادل أن الأمر مبرر في ظل التكنولوجيا الفريدة الخاصة بها. أيضاً أكد أن مفتشة CLIA لم تفتش قسم النورماندي في مخبر ثيرانوس لكنه ادعى أنها أُبلغت بوجوده.

صعقني أحد أجوبته بغرابته. حين ذكرت له الدراسة التي شاركت في كتابتها هولمز في تقارير الأمراض الدموية Hematology Reports، صرف يونغ النظر عن الأمر مباشرة باعتباره فات وقته. فقد أُجريَ بتكنولوجيا أقدم لثيرانوس والبيانات الخاصة به قديمة العهد، تعود إلى عام ٢٠٠٨، كما قال. وتساءلتُ، إذاً لم اقتبست هولمز من تلك الدراسة في ردّها على مجلة النيويوركر؟ بدا أن ثيرانوس تبعد نفسها عنها الآن، غالباً لوعيها بمدى ضعف الدراسة.

سألت عن إيان غيونز. أقر يونغ أن إيان كان مساهماً هاماً في أعوام الشركة الأولى لكنه أضاف أن سلوكه أصبح غريب الأطوار في أواخر حياته ولمح إلى أنه كان قد خرج من دائرة المطلعين على الأمور في الشركة. أقحمت كينغ نفسها في الحديث، لتلغي أهمية

غبيونز بوصفه كان كحولياً. بينما هاجم بويز مصداقية روشيل غبيونز بالإشارة إلى فشلها في تقديم تصريح تحت القسم في قضية فويتز، ما حدا بالقاضي إلى الحكم بمنعها من تقديم الشهادة في المحكمة.

سواء قدمت شهادة تحت القسم في قضية فويتز أم لا فالأمر خارج الموضوع، أخبرته بذلك. وجدتها جديرة بالثقة كمصدر وكانت تتحدث إليّ علنياً، وحديثها موثق.

قلت، «هي تحت القسم معي».

انتقلنا في النهاية إلى حادثة نتائج التحليل المشكوك بأمرها التي عرفت تفاصيلها خلال تحقيقي الصحفي. لتستطيع الإجابة عن أمثلة المرضى المحددين التي قدمتها، قالت كينغ إن على ثيرانوس الحصول على إخلاءات مسؤولية موقعة من كل منهم يتخلل فيها واحد منهم عن حقوقه/ها في الخصوصية كمريض/ة. طلبت مني المساعدة في جمع هذه الشهادات من المرضى. ووافقت.

في الوقت الذي انفض فيه الاجتماع أخيراً، كانت الساعة قد قاربت السادسة مساءً وبدأت كينغ كأنها راغبة بطعن صدري بخنجر.

بعد ذلك بثلاثة أيام، كانت إيريك تشيونغ تعمل حتى وقت متأخر في المختبر الذي تعمل فيه مؤخراً، وهي شركة تقانة حيوية تدعى أنتيودي سوليوشنز، حين أتى زميل ليخبرها أن رجلاً طلب رؤيتها. لقد انتظر الرجل في سيارته في موقف السيارات لوقت طويل، كما قال الزميل.

اعتري القلق إيريكاً مباشرة. حيث كانت مونا راما مورثي، رئيسة قسم الموارد البشرية في ثيرانوس، قد تركت عدة رسائل على المجيب الآلي لها تفها الخليوي سابقاً في ذلك اليوم تقول إن ثمة طارئاً عليها مناقشته معها. لم تجب إيريكاً على مكالمات مونا والآن ينتظر رجل غامض ما خارجاً ليتكلم معها. شكت أن تكون هناك صلة بين الأمرين.

كانت الساعة السادسة مساء يوم جمعة ولم يبق الكثير من الناس في مكاتب أنتيبودي سوليوشنز في سانيفيل. وحرصاً على سلامتها، طلبت إيريكاً من الزميل أن يمشي معها إلى سيارتها. وحين خرجا من المبنى، خرج شاب من سيارته الـ SUV ومشى تجاههما بخطى سريعة حاملاً مغلفاً بيده. سلمه لإيريكاً، ثم عاد إلى سيارته وغادر.

حين رأت إيريكاً العنوان على المغلف، كاد قلبها أن يتوقف.

للتسليم باليد

الآنسة إيريكاً تشيونغ

٩٢٦ موتون سيركل

إيست بالو آلتو، كاليفورنيا ٩٤٣٠٣

كانت زميلتها جوليا الشخص الوحيد الذي عرف أن ذلك هو عنوان سكنها. قبل أسبوعين، انتظرت إيريكاً انتهاء مدة إيجار

شقتها في أوكلاند وانتقلت لتسكن مؤقتاً مع جوليا كمرحلة أولية تسبق انتقالها الذي خططت له إلى الصين في الخريف. مكثت هناك فقط في ليالي الأسبوع، وكانت تخيم أو تسافر في أعطال نهاية الأسبوع. حتى والدتها لم تعلم بهذا العنوان. كانت الطريقة الوحيدة لمعرفته أن يكون هناك مَنْ يلاحقها.

حملت الرسالة داخل المغلف ترويسة بويز شيلر. وأثناء قراءة إيريكال للرسالة، تزايد إحساسها بالرعب:

عزيزتي الأنسة تشيونغ،

يمثل مكتبُ المحاماة هذا شركة ثيرانوس، («ثيرانوس» أو الـ«شركة»). لدينا سبب لنعتقد أنك أفشيت بعضاً من أسرار صناعة الشركة ومعلومات سرية أخرى دون الحصول على تصريح. لدينا أيضاً سبب لنعتقد أنك فعلت هذا مترافقاً مع تقديم تصريحات كاذبة ومشوّهة للسمعة حول الشركة بهدف إلحاق الأذى بأعمالها. نوجهك إلى التوقف والكف عن هذه التصرفات. وما لم يتم حل هذه المسألة بشكل ملائم مع الشروط المحددة لاحقاً في هذه الرسالة بحلول الساعة ٥:٠٠ مساءً (بالتوقيت الصيفي الباسيفيكي) من يوم الجمعة، ٣ تموز، ٢٠١٥، ستعمل ثيرانوس على حل المشكلة بأية طريقة ممكنة، بما فيها ملاحقتك قضائياً.

ووردَ أيضاً في الرسالة، أنه إن رغبت إيريكال بتفادي الدعوى القضائية، فعليها أن تخضع لمقابلة مع محامين في بويز شيلر وتكشف عن المعلومات التي أفشت بها عن ثيرانوس ولمن. وقع الرسالة



ديفيد بويز. قادت إيريك سيارتها إلى منزل جوليا وبقيت هناك طوال عطلة نهاية الأسبوع مع قفل جميع الأبواب، أكثر رعباً من أن تخطو خارج المنزل.

بالعودة إلى الشاطئ الآخر، بدأت أشعر أن الأمور تتجه نحو التصعيد. في أمسية يوم الجمعة ذاك. وصلتني رسالة من آلان بيم. كانت أول ما وصلني منه منذ ما يقارب الشهرين.

كتب، «ثيرانوس تهددني مجدداً، يقول محاموها إن لديهم شكوكاً حول خروقي شهادة القسم الخطية خاصتي.»

تكلّمنا على الهاتف وأعلمته باللقاء الماراثوني مع وفد ثيرانوس المفوّض في الجورنال والذي حدث منذ بضعة أيام. بدلاً من أن يخيفه الأمر كما كنتُ أتوجس، انبهر آلان بهذا التطور الجديد. كان قد استشار محامياً جديداً، وهو مدّع عام فيدرالي سابق عمل في قوة مكافحة الخداع في الرعاية الصحية، وشعر بخوف أقل من أساليب ثيرانوس بالتهديد. في الواقع، بدا أنه غير رأيه وأنه يريد استئناف مساعدتي في نشر القصة.

لاحقاً في تلك الليلة، وصلت إلى بريدي الإلكتروني رسالة من ميريديث ديربورن. مرفقاً بها رسالة رسمية من ديفيد بويز موجهة إلى جاي كونتي، الذي كان المستلم الرئيسي للرسالة الإلكترونية. طالبت الرسالة الحافلة باقتباسات من العديد من قوانين كاليفورنيا بحزم أن «تُتلف أو تعيد» الجورنال أسرار صناعة

ثيرانوس جميعها والمعلومات السرية التي في حوزتها. على الرغم من إدراك بويز أن احتمال قبولنا الأمر هو صفر، إلا أنه رمى هذا السهم.

تبددت أية شكوك متبقية لدي حول شن ثيرانوس لهجوم عدائي مضاد في صباح يوم الاثنين التالي. كنت جالساً في سيارتي المتوقفة أستمع إلى الراديو وأنتظر شاحنة كنس الطريق لتمر - وهو أحد أقل مظاهر الحياة لطفاً في بروكلن - حين رن هاتفني الخليوي. خفضت صوت راديو السيارة وأجبت.

كان المتصل إيريكاً وبدت مذعورة بشكل هائل. أخبرتني عن الرجل في سيارته الـ SUV، العنوان على المغلف، والإنذار من بويز. حاولت تهدئة روعها. نعم، كان احتمال كونها تحت المراقبة كبيراً، اعترفت بذلك. لكنني كنت واثقاً أن الأمر قد بدأ فقط مؤخراً وأنه لا دليل بحوزة ثيرانوس على أنها كانت من مصادري. كانت هذه محاولة لترويعها، كما قلت. كانوا يراوغون. شجعتها على تجاهل الرسالة وعلى استئناف أعمالها بشكل اعتيادي. ميزت من صوتها المتعثر أنها كانت لا تزال خائفة، لكن وافقت على اتباع نصيحتي.

في اليوم التالي، وصلتني رسالة إلكترونية من د. سندين في فينيكس. أتت إلى مكتبها مندوبة مبيعات عن ثيرانوس لتخبرها أن رئيس الشركة، سوني بالواني، كان في المدينة وأراد لقاءها. وحين رفضت الدعوة، أصبح عدائياً واقترح أنه سيكون لرفضها تبعات سلبية. لم أستطع تصديق الأمر. كانت ملاحقة مصادري السرية

شيء، لكن تهديد طبية تحدثت إلي دون تخفّف كان أمراً لا يمكن السكوت عنه أبداً. أرسلت رسالة إلكترونية لهيذر كينغ أعلمها فيه بمعرفتي بزيارة مندوبة المبيعات مكتب الدكتور سندن، وأنني، إن علمت بحوادث أخرى من هذا النوع، سأعتبرها جديرة بأن تكون مادة إخبارية وسأضمّننها في قصتي. نفت كينغ أن تكون مندوبة المبيعات قامت بأي فعل خاطئ.

وفي خطوة أبعد ما تكون عن التراجع، تقدمت ثيرانوس خطوة للأمام. لاحقاً في ذلك الأسبوع، أرسل بويزل الجورنال رسالة ثانية. على عكس الأولى، التي لم يتجاوز طولها الصفحتين، بلغت هذه الرسالة ثلاثاً وعشرين صفحة وهددت بوضوح برفع دعوى قضائية في حال نشرنا القصة وشوهنا سمعة ثيرانوس أو أفشيناً أياً من أسرار صنعتها. كان معظم ما ورد في الرسالة هجوماً لا دعواً استهدف نزاهتي الصحفية. ففي سياق تحقيقي الصحفي، «ابتعدت كثيراً عن العدل، والموضوعية، وعدم الانحياز» وبدوت بدلاً من ذلك مصراً بضراوة على «إنتاج رواية (كاذبة) ومحددة مسبقاً» كما كتب بويزل.

كان دليله الرئيسي لدعم حججه إقرارات موقعة طلبتها ثيرانوس من طبيين آخرين ممن تحدثت إليهم يدعيان فيها تحريفي لما أخبراني به وأنني لم أوضح لهما أنني قد أستخدم المعلومات في مقال منشور. كان الطبييان هما لورين بيردزلي وسامان ريزاي من عيادة سكوتسدايل التي زرتهما.

في الواقع لم أخطط لاستخدام قضية المريضة التي أخبرني بها الطبيب بيردزلي وريزاي لأنها لم يكونا مصدرين مباشرين. إذ عاين المريضة المعنية طبيب آخر في العيادة نفسها ورفض التحدث إلي. لكن، بينما لم يضعف إقرارهما الموقعان شيئاً من قصتي، أقلقني حقيقة أنهما رضخا لضغوط الشركة.

لاحظت عدم وجود إقرار موقع من أدريان ستيوارت، الطبيبة الثالثة التي قابلتها في العيادة. كان ذلك لصالحني لأنني خططتُ لاستخدام واحدة أو اثنتين من قصص المرضى التي ناقشتها معي. حين كلمتها هاتفياً، قالت إنها في زيارة لعائلتها في إنديانا وأنها لم تكن حاضرة حين جاء ممثلو ثيرانوس إلى العيادة. أخبرتها عن إقرارات زملائها الموقعة وحذرتها أن الشركة قد تحاول استخدام الأساليب الكريهة ذاتها معها حين تعود.

أرسلت إلي د. ستيوارت رسالة إلكترونية بعد ذلك بعدة أيام لتعلمني أن بالواني ورجلين آخرين قدما بالفعل للتحدث إليها فور عودتها إلى أريزونا. أخبرتهما المضيقة بأن الطبيبة مشغولة مع المرضى، لكن رفضوا المغادرة وبقيا في غرفة الانتظار لساعات حتى خرجت أخيراً لتصفاحهم. دفعوها إلى الموافقة على لقائهم صباح الجمعة التالي، الذي كان بعد يومين. اعتراني شعور سيء حول ذلك الاجتماع، لكن لم يكن هناك ما يمكنني فعله حيال الأمر. وعدت د. ستيوارت بأنها لن تخضع لأي ضغط. شعرت أنه من الضروري اتخاذ موقف لصالح مرضاها ونزاهة التحاليل المخبرية.

حين جاء يوم الجمعة، حاولت أن أتحرى سير الأمور مع د. ستيوارت لعدة مرات في الصباح لكن لم أتمكن من التواصل معها. عاودت الاتصال بي حين حل المساء، فيما كنت أقود سيارتي إلى شرقيّ لونغ آيلند لأمضي عطلة نهاية الأسبوع مع زوجتي وأبنائي الثلاثة. بدت مضطربة. أخبرتني أن بالواني حاول دفعها لتوقيع إقرار مشابه للإقرار الذي وقعته زميلاها، لكنها رفضت بأدب. فهدد بجر سمعتها إلى الحضيض غاضباً إذا ظهرت في مقال الجورنال عن ثيرانوس. ناشدتنى، بصوتها المرتجف، ألا أستخدم اسمها. وبينما حاولت أنؤكد لها أن ذلك كان تهديداً فارغاً، كان يخطر لي أن أولئك الناس لن يتورعوا عن فعل أي شيء لمنع مقالي من الظهور.

(٢٢)

## لا ماتانزا

حملت الأيام الأولى من شهر تموز عام ٢٠١٥ خبرين جديدين لثيرانوس. كان الأول موافقة إدارة الغذاء والدواء على تسجيل ملكية تحليل لفيروس HSV-1 على عينة مأخوذة من وخزة إصبع، وهو واحد من سلالتين لفيروس الهربس. أما الثاني فكان أن قانوناً أقرته أريزونا تسمح فيه للمرضى بإجراء تحاليل دموية دون أمر من الطبيب - وهو مشروع قانون كتبه عملياً ثيرانوس بنفسها وضغطت في سبيل إقراره - كان على وشك أن يُفعل.

احتفلت الشركة بهاتين الخطوتين الجبارتين بإقامة حفلة الرابع من تموز في مقر الشركة الجديد في بيچ ميل رود. بدأت الاحتفالات في الكافتيريا بخطابات ملتهبة من هولمز وبالواني ومن ثم خرجت إلى فناء المبنى، حيث كان بانتظار الموظفين بار مفتوح، وطعام جاهز، وموسيقى.

أسهبت ثيرانوس في الابتهاج بالموافقة على تحليل الهربس كدليل على نجاح التكنولوجيا الخاصة بها، لكنني بقيت متشككاً بقوة. بلغة المخابر، كان تحليل الهربس تحليلاً نوعياً. تقدم تحاليل

كهذه إجابات بسيطة بنعم أو لا فيما إذا كان الشخص مصاباً بمرض معين. كانت من الناحية التقنية أسهل في بلوغ نتائج صحيحة من التحاليل الكمية المُعدّة لقياس الكمية الدقيقة لمادة محللة في الدم. فمعظم التحاليل الدموية الروتينية كمية الطابع.

اتصلت بمصدر لي ذي مركز مرموق في قسم الأجهزة الطبية في إدارة الدواء والغذاء. وأكد اعتقادي. كانت الموافقة على تحليل الهربس تصرّيحاً لحالة واحدة ولم يكن بأي شكل تبنياً شاملاً لتقنية ثيرانوس، كما قال. وأضاف، في الواقع، كانت البيانات السريرية التي قدمتها الشركة إلى الوكالة لعدد من تحاليلها الأخرى التي تجرى على عينة مسحوبة من وخزة إصبع ضعيفة ولا يمكن أن تنجح في امتحان دقيق. حين أخبرته بدوري عن الأمور التي علمتها في سياق تحقيقي الصحفي، ابتداء من قيام ثيرانوس بتمديد عينات مسحوبة من وخزة إصبع على محلات تجارية إلى تلاعبها باختبار الكفاءة ونتائج التحاليل المشكوك بها التي تلقاها بعض الأطباء والمرضى، بدا عليه الاضطراب.

كان جزء من المشكلة، أنه بعد ثلاث سنوات من تصادم هولمز مع المقدّم ديفيد شوميكر، استمرت ثيرانوس بالعمل بعقلية عدم الاكتراث بأحد. باستخدام أجهزتها المسجلة فقط ضمن جدران مخبرها وعدم السعي لتسويقها، كانت قادرة على الاستمرار بتجنب تدقيق إدارة الغذاء والدواء لها. في الوقت نفسه، أعطت مظهر التعاون مع الوكالة مع الدعم العلني لسعيها تجاه تنظيم التحاليل المطورة ضمن المخبر وتطوعت بتقديم بعض تحاليلها

الخاصة المطورة في المختبر مثل تحليل الهربس، للحصول على موافقة الوكالة.

قال مصدري إنه يصعب على الوكالة اتخاذ أية إجراءات مضادة للشركة التي صورت نفسها على أنها أكبر مدافع في عالم المخابر عن تعليمات إدارة الغذاء والدواء. خاصة تجاه شركة ذات ارتباطات سياسية مثل ثيرانوس. في البداية، ظننته يشير إلى مجلس إدارتها، لكن كان ذلك أقل مصادر قلقه. أشار إلى مدى حميمية العلاقة التي وطدتها هولمز مع إدارة أوباما. وقد شهد ذلك في إطلاق مبادرة الرئيس بما يخص الدقة الطبية في وقت باكر من ذلك العام، وهي واحدة من العديد من زياراتها للبيت الأبيض في الأشهر الأخيرة. وكان آخرها عشاء على مستوى الدولة على شرف رئيس وزراء اليابان، حيث تصورت مرتدية رداء أسود يلف الجسم متأبطة ذراع أخيها. على الرغم من كل ذلك، جعلتني كلماته الختامية أعتقد أن ثيرانوس لا يمكنها أن تخدع إدارة الغذاء والدواء لوقت أطول: «أنا قلق للغاية حول ما يفعلونه.»

أما في فورتشن، فقد كان لـ روجر بارلوف مقاربة لقبول اختبار الهربس تختلف عن مقاربتني. في مقال نشره على موقع المجلة، كتب أنها «تبين واضح لنزاهة» أساليب ثيرانوس.

خلال مقابلة هاتفية قبلت هولمز بإجرائها معه ضمن المقال الثاني هذا، تساءل بارلوف عن تحليل إيولا تعمل عليه ثيرانوس.



وكان جورج شولتز قد ذكره بشكل عابر في أحد المؤتمرات قبل ذلك بأشهر. مع الأخذ بعين الاعتبار أن وباء الإيبولا تفشى في غرب إفريقيا لأكثر من عام، فكر بارلوف أنه يمكن لتحليل سريع على عينة تؤخذ من وخزة إصبع لكشف الفيروس القاتل أن تكون ذات نفع كبير لسلطات الصحة العامة واهتم بالكتابة عن الموضوع. قالت هولمز إنها توقعَت الحصول على تصريح بالاستعمال الطارئ للتحليل خلال وقت قصير ودعته لمشاهدة عرض حيّ له في مكاتب بويز شيلر في مناهاتن.

بعد ذلك بأيام قليلة، وصل بارلوف إلى شركة الحمامة واستقبله دان إيدلين، أحد أعضاء أخوية جامعة ديوك التي أسسها كريستيان هولمز. قاده إيدلين إلى غرفة اجتماعات حيث وُضع جهازان من ثيرانوس واحداً بجانب الآخر (كانا من نوع المختبر المصغّر وليس إديسون). ولأسباب لم يفهمها بارلوف، أرادت هولمز أن يتضمن العرض التقديمي تحليل بوتاسيوم أيضاً (لا شك لأنني سألت أسئلة لا هوادة فيها عن ذلك التحليل بالذات). سحب إيدلين الدم من إصبع بارلوف مرتين. بعد ذلك سيقوم جهاز بتحليل الكشف عن الإيبولا بينما يقوم الآخر بتحليل البوتاسيوم. كما أوضح له. تساءل بارلوف بشكل عابر لماذا لا يقوم واحد من الجهازين بالتحليلين معاً في الوقت نفسه على عينة دموية واحدة، لكن قرر ألا يثير المسألة.

تجاذب بارلوف وإيدلين أطراف الحديث قليلاً بينما ينتظران نتائج التحليل. بعد مرور قرابة خمس وعشرين دقيقة، كانت

التحليل لا تزال غير منجزة. فسّر إيدلين السبب في أن الأجهزة قد رُكبت حديثاً وتحتاج بعض الوقت للتحمية. كانت حافة دائرة يزداد لونها قتامةً تصوّر تقدّم التحليل على شاشتي الجهازين الرقميتين، مثل تنزيلات التطبيقات على جهاز آيفون. وداخل الدائرة، يُبنى رقمٌ على شكل نسبة مئوية المستخدم عن نسبة التحليل التي تمت. استناداً إلى بطء امتلاء إحدى الدائرتين، بدا لبارلوف أن الأمر قد يستغرق عدة ساعات إضافية. ولم يستطع الانتظار لتلك المدة. قال لـ إيدلين إن عليه العودة إلى عمله.

بعد رحيل بارلوف، دخل غرفة الاجتماعات كايل لوغان، مهندس كيميائي شاب نال جائزة علمية في ستانفورد سمّيت باسم تشانينغ روبرتسون. كان قد سافر بالطائرة مع إيدلين من سان فرانسيسكو صباح ذلك اليوم وحضر ليقدم الدعم التقني. وبعد أن لاحظ كيف علق الميني لاب الذي يجري تحليل البوتاسيوم عند رقم اكمال ٧٠ بالمئة من إتمامه، أخرج الخرطوشة وأعاد تشغيل الآلة. كانت لديه فكرة واضحة عما حدث.

كلف بالواني مهندس برمجة من ثيرانوس يدعى مايكل كريغ بصياغة تطبيق البرنامج لجهاز الميني لاب يخفي أخطاء التحليل. وحين يحدث خلل ما داخل الجهاز، يُفعّل التطبيق ويمنع رسالة بالخطأ من الظهور على شاشة العرض الإلكترونية. وبدلاً من ذلك، تُظهر الشاشة تباطؤاً شديداً في تقدم التحليل.

هذا بالضبط ما حدث في تحليل البوتاسيوم الخاص ببارلوف.

ولحسن الحظ، اكتمل جزء كاف من التحليل قبل أن يحدث الخطأ بحيث تمكن كايل من استعادة نتيجة من الجهاز. حدث العطل فيما كان الجهاز يعيد إجراء التحليل في القسم المحدد للضبط من العينة. وبالعادة، يفضل الحصول على نتيجة بدئية مؤكدة عن طريق التحكّم، لكن دانييل يونغ أخبر كايل عبر الهاتف أنه لا بأس من الاستغناء عن ذلك في هذه الحالة.

في غياب بيانات حقيقة للتحقق من وثوق المصادقية، استخدمت هولمز هذه العروض التقديمية لتقنع أعضاء مجلس الإدارة، والمستثمرين المحتملين، والصحفيين أن المختبر المصغر قد أنجز. لم يكن تطبيق مايكل كريغ الحيلة الوحيدة التي استخدمت للمحافظة على الوهم. فخلال عروض تقديمية في مقر الشركة، يقوم موظفون بتقديم عرض يتضمن وضع عينة الدم المسحوبة من وخزة إصبع لشخصية هامة زائرة في المختبر المصغر، ينتظرون حتى يخرج الضيف من الغرفة، ومن ثم يخرجون العينة ويقدمونها إلى عامل في المختبر، يجري التحليل عليها بواسطة محلات تجارية معدّلة.

بالنسبة لبارلوف، لم تكن لديه أدنى فكرة أنه قد خُدع. في مساء ذلك اليوم، تلقى رسالة إلكترونية من ثيرانوس مع مرفق محمي بكلمة سر تحمل نتائج تحليله، حين فتح المرفق، سعد برؤية نتيجة تحليله للإيبولا الذي جاء سلبياً وأن قيمة البوتاسيوم لديه ضمن الحدود الطبيعية.

وفي كاليفورنيا، كانت هولمز وبالواني يؤسسان لاستعراض ترويجي أكبر. دعت هولمز نائب الرئيس جو بايدن لزيارة منشأة ثيرانوس في نيوارك، التي أصبحت في ذلك الوقت موطن مختبر ثيرانوس السريري وعمليات تصنيع المختبر المصغر الخاص به.

كانت خطوة جريئة مع الأخذ بعين الاعتبار أن المختبر، منذ رحيل آلان بيم في كانون الأول ٢٠١٤، كان يعمل دون مدير حقيقي. ولإخفاء ذلك، جند بالواني طبيب جلدية يدعى سونيل دهاوان ليحل مكان بيم في شهادة CLIA الخاصة بالمختبر. وعلى الرغم من أن دهاوان لم يمتلك شهادة أو وثيقة بورد في علم الأمراض، إلا أنه امتلك متطلبات الولاية والمتطلبات الفدرالية لأنه كان طبيباً بشرياً وأشرف على مختبر صغير ملحق بعيادته الجلدية لتحليل العينات الجلدية. لكن في الواقع، لم يكن مؤهلاً لإدارة مختبر سريري كامل التجهيز. ليس للأمر أهمية، فقد أراد بالواني له أن يكون مجرد رئيس شكلي. وبعض موظفي المختبر في نيوارك لم يروا دهاوان على الإطلاق في المبنى.

وبالإضافة إلى أنه لا يتمتع بصلاحيات قيادية، كانت الروح المعنوية في المختبر في الدرك الأسفل. فقبل ذلك الوقت بشهرين، أُرهب بالواني أعضاء المختبر بعد أن ظهر نقد قاس لثيرانوس على غلاسدور، الموقع الإلكتروني الذي يقدم فيه موظفون سابقون وحاليون آراءهم في الشركات دون الإفصاح عن هوياتهم. تحت عنوان «كومة من أكاذيب العلاقات العامة»، نقرأ في جزء منه:

يعني وجود معدل استبدال الموظفين العالي للغاية أنك لن تشعر بلحظة ملل في عملك. كما أنه جيّد إذا كنت شخصاً ميالاً للعزلة لأن كلّ وردية ستكون محدودة الطاقم. خاصة إذا كنت أرجوحة أو مقبرة. فأنت أساساً لست موجوداً بالنسبة إلى الشركة. لماذا تزعج نفسك برداء المختبر أو نظارات الأمان؟ ليس عليك استخدام أشياء كهذه على الإطلاق. من يكثرث إن التقت فيروس الايدز أو السفلس؟ بالنسبة لهذه الشركة فهي بالتأكيد لا تكثرث!

التملّق أو الاستماتة لكسب الرضى، طريقك إلى النجاح.

كيف تجني المال في ثيرانوس:

١ - اكذب على الرأسماليين المغامرين.

٢ - اكذب على الأطباء، والمرضى، وإدارة الغذاء والدواء، CDC، والحكومة. بينما ترتكب أيضاً أفعالاً لا أخلاقية تنتهك المبادئ إلى درجة كبيرة، (وتنتهك القانون ربما).

لم تكن المراجعات السلبية في موقع غلاسدور عن الشركة شيئاً غير عادي. حرص بالواني على أن تتم موازنتها بسيل مستمر من الآراء الإيجابية المزيفة التي أمر أعضاء من قسم الموارد البشرية بكتابتها. إلا أن هذا الإجراء أدى إلى رفع وتيرة الغضب لديه. وبعد أن أجبر غلاسدور على حذف الآراء، أطلق حملة تصيّد ساحرات في نيوارك، يجري خلالها تحريّيات وتحقيقات حول موظفين يشك في

أنهم كتبوا آراء سلبية. كان غاية في اللؤم مع أحدهم، وهي امرأة تدعى بروك بيفنز، بحيث دفعها إلى البكاء. ولم يتمكن من إيجاد المذنب إطلاقاً.

ومؤخراً، عمد بالواني إلى طرد لينا كاسترو، عضو محبوب ومحترم في فريق علم الأحياء الدقيقة. كانت خطيئة لينا دفع الشركة لتأسيس إجراءات حماية معيارية خاصة بالأمان والصحة البيئية في المختبر. في الصباح الذي تلا طردها، تبجح بالواني أمام أعضاء فريقها الآخرين أنه يساوي المليارات وأنه يذهب كل يوم إلى العمل لأنه يريد ذلك. على كل شخص آخر أن يحذو حذوه، كما قال، ملمحاً إلى أن كاسترو كانت مفرطة السلبية وغير ملتزمة بالحد الأدنى من رسالة ثيرانوس.

وكما كان الحال داخل مبنى فيسبوك القديم في بالو آلتو، قُسمت عمليات المختبر في نيوارك بين الحديقة الجوراسية والنورماندي. شغلت الحديقة الجوراسية الجديدة غرفة ضخمة بأضواء من النيون وأرض بلون الفانيليا. جُمعت فيها مكاتب أعضاء المختبر في زاوية واحدة تحت شاشة مراقبة مسطحة عملاقة عرضت سيلاً مستمراً من الاقتباسات الملهمة وآراء الزبائن الإيجابية. وتوزعت على باقي المساحة المحللات التجارية المستخدمة لإجراء التحاليل على عينات وريدية اعتيادية. بينما شغل النورماندي غرفة أخرى مكتظة بعشرات أجهزة إديسون البيضاء والسوداء وآلات سيمنز التي اخترق نظامها كل من دانييل يونغ وسام غونغ.

كان هدف هولمز وبالواني إثارة اعجاب نائب الرئيس برؤيا لمختبر يكسر التقليد ومؤتمت بالكامل. فبدلاً من تعريفه على المختبر الأصلي، ابتكرا آخر مزيفاً. وجعلا فريق الأحياء الدقيقة يخلي غرفة ثلاثة أصغر كان يعمل فيها، فأعادوا طلاءها، وصفّوا على حيطانها في أنساقٍ أجهزة الميني لاب التي رُصّت على رفوف معدنية. وحيث أن معظم هذه الأجهزة صنعت في بالو آلتو، كان يجب أن تنقل عائدة من الخليج لأن بقاءها هناك أعاق تطورها. لم يعلم أعضاء فريق علم الأحياء الدقيقة حقاً لم تُقلوا في البداية، لكن استنتجوا الأمر حين ظهر فريق متقدم من الاستخبارات السرية بعد عدة أيام قُبيل وصول بايدن.

في يوم الزيارة، تلقى معظم أعضاء المختبر تعليمات بالبقاء في المنزل فيما سُمح لبعض المصورين الإخباريين المحليين وكاميرات التلفزة بالدخول إلى المبنى حرصاً على أن ينال الحدث بعض التغطية الإعلامية. جالت هولمز مع نائب الرئيس في المنشأة وأطلعته على المختبر المؤتمت المزيف. بعدها، ترأست اجتماعاً حول طاولة دائرية عالج موضوع الرعاية الصحية الوقائية في المبنى وملحقاته بحضور ستة مدراء تنفيذيين صناعيين، بمن فيهم رئيس مشفى ستانفورد.

خلال اجتماع الطاولة المستديرة، سمى بايدن ما رآه لتوّه «مختبر المستقبل». امتدح هولمز أيضاً لتعاونها الفعال مع إدارة الغذاء والدواء. وقال، «أعلم أن الوكالة انتهت لتوها من إجراء

مراجعات ايجابية لجهازكم المبتكر، إن تقديمكم الطوعي لجميع تحاليلكم إلى إدارة الغذاء والدواء يُظهر ثقتكم بما تفعلون.»

بعد ذلك بأيام قليلة، في ٢٨ تموز، فتحت نسخة ذلك الصباح من الجورنال وكدتُ أتفُ قهوتي: أثناء تصفّحي القسم الأول من الجريدة، وقعتُ على مقال افتتاحي كتبته هولمز تبجح فيه بالموافقة على تحليل الهربس الخاص بثيرانوس وتدعو جميع التحاليل المخبرية للحصول على مراجعة إدارة الغذاء والدواء. فعلى امتداد أشهر رفضت طلبتي لإجراء مقابلة، وبنى محاموها الجدران وهددوا مصادري، وها هي تستخدم صفحات الرأي في جريدتي بالذات لتخلد أسطورة أنها الصديقة الأفضل لمُصدري القرارات التنظيمية.

بسبب جدار النار الفاصل بين جانبي التحرير والأخبار في الجريدة، لم يكن لدى بول غيغوت وفريقه أية فكرة عن عملي في تحقيق ضخم حول الشركة. بالتالي لا يمكنني لومهم لنشر ما رأوه مناسباً. لكنني شعرتُ بالانزعاج. شككت بأن هولمز تحاول نشر تغطية إيجابية على صفحة افتتاحية جريدتي لتزيد من صعوبة نشر تحقيقي على الجورنال.

في تلك الأثناء، خضع آلان بيم لضغوط جديدة من أتباع بويز. هددوا بالإبلاغ عنه لخرقه HIPAA، قانون الخصوصية الصحية الفدرالي، بناءً على أن بعض رسائله الإلكترونية التي حوّلها إلى حسابه في جي ميل قبل تقديمه الاستقالة قد احتوت



معلومات عن المرضى. اضطر محاميه الجديد إلى أن يصدّهم من مكانه الحالي في لندن، حيث كان في إجازة مع زوجته. بدأ بالواني أيضاً بمضايقة بعض المرضى الذين تحدثت إليهم، مصراً على البقاء معه على الهاتف ويستدرجهم بأسئلته أثناء المكالمات ليحصل على بعض المعلومات.

أرسلت مسودة عن مقالتني قبل ذلك بأسبوع وقررت أن أمضي إلى مكتب محرري لأطلع على ما وصل إليه في التحرير. وما إن ينتهي منه، فإن المقالة سترسل إلى محرر الصفحة الأولى في الجريدة، الذي سيكلف شخصاً من فريقه بإجراء تحرير ثان أدق. ثم سيمشطها محرر المعايير والمحامون سطرّاً سطرّاً. كانت عملية بطيئة غالباً ما تستهلك أسابيع وأحياناً شهوراً. أردت تسريع الأمر. كلما تأخرنا في النشر، كلما منحنا ثيرانوس وقتاً أطول لتقلب مصادري ضدي.

كان مايك سيكونولفي الشخص المرح ذاته حين أطللتُ برأسي من باب مكتبه. أشار إلي بالجلوس. أخبرته أنني أشعر أن علينا التحرك بشكل أسرع. لم يكن لدينا علم بالخطوة التالية التي ستُقدم عليها ثيرانوس وبوينز. أشرت إلى مقالة هولمز الافتتاحية وإلى زيارة بايدن الصاخبة إلى مبنى ثيرانوس في نيوارك قبل أيام قليلة.

حذّر مايك مناشداً الصبر. كانت هذه القصة قبلة، علينا التأكد من أنها مقاومة للرصاص حين ننشرها، كما قال. كان مايك من أصول إيطالية أمريكية وأحب استخدام الاستعارات

الإيطالية. سمعته عشر مرات يسرد قصة سلفه الأمير سيكونولف، الذي حكم منطقة تحيط بساحل أمالفي في القرن التاسع.

وسألني، «هل أخبرتك يوماً عن لا ماتانزا la matanza؟». وفكرت، يا إلهي، ها نحن أمام الحكاية ذاتها مجدداً. وشرح بأن لا ماتانزا تقليد صقلي قديم يدخل فيه الصيادون البحر الأبيض المتوسط حتى يغمرهم إلى مستوى الخاصرة مع هراواتهم ورماحهم ومن ثم يقفون بثبات لساعات حتى يتوقف السمك عن ملاحظة وجودهم. في النهاية، حين يجتمع ما يكفي من السمك حولهم، يعطي أحدهم إشارة حذرة وخلال جزء من الثانية يتحول المشهد من هدوء خارق للطبيعة إلى حمام دم صاخب حيث يضرب الصيادون فرائسهم الغافلة بضراوة. ما كنا نفعله هو النسخة الصحفية من لا ماتانزا، كما قال مايك. إننا نستلقي بصبر حتى نصبح جاهزين للنشر ومن ثم، في وقت نختاره، نضرب. وبينما يقول هذا، قلّد صياداً صقلياً يستخدم رمحه ببراعة وعنف، الأمر الذي أضحكني.

أخبرته أنني أتفق معه في مقاربة لا ماتانزا طالما أن المقالة ستُنشر قبل حضور هولمز مؤتمر الجورنال السنوي للتكنولوجيا في لاغونا بيتش في تشرين الأول. وصلتني مؤخراً أنباء أنها كانت على قائمة المؤتمر من بين المتحدثين الضيوف وشعرت أن هذا سيضع الصحيفة في موقع حرج إن لم تنشر المقالة قبل ذلك الوقت. وافق مايك. كان المؤتمر بعد شهرين ونصف. ذلك يمنحنا الكثير من الوقت، كما قال.

(٢٣)

## السيطرة على الأضرار

في تلك الأثناء، وراء الكواليس، كانت هولمز تسعى بأسلوب آخر لسحق مقالاتي الصحفية.

في آذار، بعد شهر من بدئي بالتحقيق في أمر الشركة، أغلقت ثيرانوس جولة جديدة من التمويل. ودون أن أعلم، كان المستثمر الأكبر، روبرت مردوخ، عملاق الإعلام أوسترالي المولد الذي سيطر على الشركة الأم لجورنال، المسماة وكالة الأخبار. من بين أكثر من ٤٣٠ مليون دولار جمعتها ثيرانوس في الجولة السابقة، جاء مبلغ ١٢٥ مليون منها من مردوخ. الأمر الذي جعله المستثمر الأكبر في الشركة.

التقى مردوخ بـ هولمز لأول مرة في خريف عام ٢٠١٤ في إحدى حفلات وادي السيليكون الكبيرة، عشاء جائزة العمل الرائد السنوي. الذي أقيم في هنتار ١ مركز بحث آيمز التابع لناسا في ماونتن فيو، تكرم الجائزة المساهمين الخارقين في حقل علوم الحياة، والفيزياء الأساسية، والرياضيات. وقد أسس هذه المناسبة المستثمر الروسي في التكنولوجيا يوري ميلنر مع مؤسس

موقع فيسبوك مارك زوكربرج، والمساهم في تأسيس غوغل سيرغي برين، وزعيم التكنولوجيا الصيني جاك ما. خلال العشاء، أتت هولمز إلى طاولة مردوخ، قدمت نفسها، وتحدثت إليه. دعم ميلنر الانطباع القوي الأول الذي تركته لديه، فأسهب في مديحها حين سأله مردوخ لاحقاً عن رأيه بالشابة.

التقيا مجدداً بعد ذلك بعدة أسابيع في مزرعة عملاق الإعلام في شمال كاليفورنيا. فوجئ مردوخ، الذي كان لديه حارس شخصي واحد، بحجم التدابير الأمنية التي وصلت معها هولمز. وحين سألها لم احتاجتها، أجابت أن مجلس إدارة شركتها أصر على ذلك. خلال عشاء قدمه طاقم المزرعة، أثارت هولمز موضوع استثمار أمام مردوخ، وأكدت أنها تبحث عن مستثمرين على المدى الطويل. وحذرت بالآيات توقع أية تقارير ربعية لفترة، وبالتأكيد لن يكون ثمة عروض علنية في البداية. كررت حزمة الاستثمار التي أرسلت إلى مكتب مردوخ في مانهاتن لاحقاً الرسالة ذاتها. قالت رسالتها الشاملة في المقطع الأول إن ثيرانوس تخطط للاستمرار بالعمل بسرية «لمدة طويلة» واستمرت في ترداد هاتين الكلمتين لما لا يقل عن خمس عشرة مرة.

عُرف مردوخ بالاستثمار على سبيل الهواية في الشركات الناشئة في وادي السيليكون. فكان من أوائل المستثمرين في أوبر، ليحول رهان الـ ١٥٠٠٠٠ إلى ٥٠ مليون دولار أمريكي. لكن على عكس شركات رأس المال المغامر الكبيرة، لم يجتهد كثيراً لدراسة الأمور، ومال العملاق ابن الأربعة وثمانين عاماً إلى اتباع حدسه، وهو

أسلوب نجح معه في طريقه إلى بناء إحدى أضخم امبراطوريات الإعلام والترفيه في العالم. كان الاتصال الوحيد الذي أجراه قبل أن يستثمر في ثيرانوس مع توبي كوسغروف، المدير التنفيذي في كليفلاند كلينيك. وكانت هولمز قد ذكرت أنها على وشك إعلان تحالف مع مركز القلب المعروف عالمياً. ومثل يوري ميلنر، كان لدى كوسغروف الأشياء الجيدة فقط ليقولها حين تواصل معه مردوخ.

كانت ثيرانوس بما لا يُقارَن أكبرَ من أيّ استثمار قدمه مردوخ خارج موارد الإعلام التي سيطر عليها، ومن بينها استديو الأفلام الخاص بفوكس (20<sup>th</sup> Century)، وشبكة فوكس الإعلامية، وفوكس نيوز. لقد اجتذبتَه هولمز بالكاريزما التي تتمتع بها ورؤيتها، وأيضاً بالتوقعات المالية التي عرضتها. توقعت حزمة الاستثمار التي أرسلتها إليه أرباحاً بقيمة ٣٣٠ مليون دولار من إيرادات تبلغ مليار دولار في ٢٠١٥ و ٥٠٥ مليون دولار كأرباح من عائدات بقيمة ٢ مليار دولار في عام ٢٠١٦. جعلت تلك الأرقام تقيّم الـ ١٠ مليار دولار يبدو رخيصاً.

ارتاح مردوخ أيضاً لوجود مستثمرين معروفين أيضاً سمع بانضمامهم إلى ثيرانوس. من بينهم كوكس انتربرايزز، وهي تكتّل مملوك عائلياً، مقره أتلانتا، كان رئيسها، جيم كينيدي، على علاقة طيبة معه، وآل والتون ملاك وول مارت المشهورون. تنوع المستثمرون الكبار الذين لم يعلم بهم بين بوب كرافت، مالك نيو انجلاند باتريوتس، إلى الملياردير المكسيكي كارلوس سليم وجون

إيلكان، الصناعي الإيطالي الذي سيطر على قطاع سيارات فيات كرايسلر.

في الوقت الذي جرت فيه الحادثة بين مايك سيكونولفي وبينني عن الفن الصقلي العريق في صيد السمك في أواخر تموز، أجرت هولمز ثلاثة اجتماعات خاصة مع مردوخ. عُقد الثالث في وقت سابق من ذلك الشهر، حين استضافته في بالو آلتو وأرته المختبر المصغر. خلال الزيارة، ذكرت موضوع قصتي، أخبرته أن المعلومات التي جمعتها كانت كاذبة وستؤدي ثيرانوس بشكل كبير إن نُشرت. اعترض مردوخ، قائلاً أنه يثق بمحرري الصحيفة في معالجتهم المسألة بشكل عادل.

في أواخر أيلول، مع اقترابنا من موعد النشر، التقت هولمز مردوخ للمرة الرابعة في مكتبه في الطابق الثامن من بناء وكالة الأخبار في ميدتاون مانهاتن. كان مكثبي في غرفة الأخبار في الجورنال تحته بثلاثة طوابق، لكن لم تكن لدي فكرة عن وجودها في المبنى. أثارت موضوع قصتي بإلحاح متجدد، أملت أن يقترح مردوخ حظر القصة. ومرة أخرى، على الرغم من الاستثمار الضخم الذي خاطر به، رفض التدخل.

وبينما حاولت هولمز دون جدوى أن تغيّر رأي مالك الجورنال، استمرت ثيرانوس بحملتها الشرسة ضد مصادري.

أرسل مايك بريل الذي يعمل في بوائز شيلر رسالة إلى روشيل غيرونز يهدد بمقاضاتها إن لم توقف ما أسماه «إقرارات

كاذبة ومشوهة للسمعة» عن الشركة ومدرائها التنفيذيين. وفي فينيكس، راجع مريضان جديدان إلى عيادة د. سندين بناء على موعد واندفعوا بنوبات غضب. كان عليها أن توكل محامياً لدفع موقع يلب إلى حذف مراجعات مسيئة نشرها في الموقع عنها. تدبرت أمر إبعاد د. ستوارت عن الخضوع لضغط بالواني، لكن ثيرانوس أقنعتهما بقبول خدمات مخبرية ضمن العيادة لتضعف روايتها بوجود نتائج تحاليل غير دقيقة.

على الرغم من ذلك، فإن مصادر رسمية أخرى مثل د. غاري بيتز، والمرضة كارمن واشنطن، ومورين غلنز، المريضة التي أمضت ساعات في غرفة الإسعاف في أمسية عيد الشكر، بقيت منيعة ضد أساليب الشركة التهديدية. واستمر آلان بيم وإيريك تشيونغ في التعاون لإنجاح المقالة بوصفهما مصدرين سريين، كما فعل العديد من الموظفين القدامى.

فيما بقي الوصول إلى تيلر شولتز متعذراً (تكلمت مع والدته على الهاتف وتركت رسالة له معها، دون فائدة)، افترضت أن ثيرانوس ستقدم لنا إقراراً موقعاً شبيهاً بما قدمه الأطباء ريزاي وبيردزلي إن نجحت في إرغامه على الخضوع لمطالبها. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن ثمة ما يمكنها فعله لإخفاء الرسائل الإلكترونية التي قدمها إلي. لقد تحدثت بشكل تلقائي.

في محاولة أخيرة لمنع النشر، أرسل بويز للجورنال رسالة ثالثة مطولة، يجدد فيها تهديده بمقاضاتها وبإسقاط تغطيتي الصحفية بوصفها خيلاً واسعاً دبره عقل خصب:

حاولت أن أكتشف كيف وصلنا إلى حالة تأخذ فيها الجورنال بعين الاعتبار أمر نشر مقال نعلم أنه كاذب، ومضلل، وغير عادل، ويهدد بإفشاء معلومات تهميها ثيرانوس بصرامة كأسرار صنعة.

قد يكمن جذر المشكلة في دراما أطروحة الصحفي الأصلية، التي يمكن أن تكون في خانة «صالحة لأن يتحراها المرء». تلك الأطروحة، كما شرح السيد كاريرو في نقاشه معنا، هي أن كلّ اعتراف أكاديمي، وعلمي، ومن قبل مؤسسات الرعاية الصحية بإنجازات ثيرانوس الرائدة هو اعتراف خاطئ؛ وبأن كل تقرير نشر سابقاً عن ثيرانوس بما فيه المنشور في الجورنال ذاتها، فإنه نتيجة تضليل قامت به الشركة؛ وأن الشركة ومؤسستها يرتكبان جرم احتيال بالحديث المعسول عن تكنولوجيا غير ناجحة وتستخدم أجهزة تجارية موجودة لإجراء تحاليل تدعي ثيرانوس أنها تُجرى بواسطة التكنولوجيا الجديدة الخاصة بها. بالتأكيد فإن عرضاً كهذا، إن كان صحيحاً، سيكون تحقيقاً صحفياً قوياً. وربما تكمن المشكلة في أن هذه الأطروحة على الرغم من عدم صحتها، تبقى أكثر دراماتيكية من أن يُعمدَ إلى التخلي عنها.

طالبت الرسالة بقاء رسمي مع غاري بيكر، رئيس تحرير الجورنال. ولكي يكون عادلاً، منحه بيكر مقابلة لكن حرص على دعوتي ومايك للحضور بالإضافة إلى جاي كونتي ونيل ليشوتز، المحررين الكبارين في الصحيفة.



في الساعة ٤:٠٠ مساءً من يوم الخميس، ٨ تشرين الأول، التقينا مع بويز مجدداً في غرفة اجتماعات مختلفة في الطابق السادس من غرفة أخبار الجورنال. هذه المرة، أتى مع فريق أصغر مؤلف من هيدر كينغ وميريديث ديربورن. وكما فعلت في حزيران، أخرجت كينغ جهاز تسجيل صغير وضعته على الطاولة بيننا.

على الرغم من أنهم تابعوا المجادلة بحزم ضد نشر القصة، أدلى بويز وكينغ باعترافين رئيسيين في هذا الاجتماع الثاني دعماً لموقفنا. اعترفا للمرة الأولى بعدم إجراء ثيرانوس لجميع تحاليلها الدموية على أجهزتها المسجلة، ووصف بويز الانتقال لفعل ذلك بـ«رحلة» تتطلب من الشركة بعض الوقت لإكمالها. جاء الثاني بعد أن أثرت موضوع تغييرات الكلمات العديدة التي حدثت مؤخراً في موقع الشركة الإلكتروني. بدأ أحدها يقول بالضبط: حذفت جملة «تطلب الكثير من تحاليلنا مجرد قطرات من الدم». حين سألت لماذا، قالت كينغ دون تفكير أو قصد أنها افترضت حدوث ذلك لغاية «الدقة التسويقية». (أصرت لاحقاً أنها لم تتفوه بتلك الكلمات).

في أواخر الاجتماع، جرّب بويز أسلوباً آخر: إن قبلنا تأجيل النشر لوقت أبعد قليلاً، سيرتب عرضاً لجهاز ثيرانوس. قدموا عرضاً لمجلة فورتشن منذ وقت قصير، كما قال، بالتالي لم يكن ثمة سبب من عدم تقديمهم لعرض لنا أيضاً. حيث اقترح بويز أن عرضاً كهذا سيزودنا بدليل غير قابل للجدل على خطئنا حول عدم نجاح الجهاز.

سألناه، مايك وأنا، متى يمكن حدوث ذلك، وما التحاليل المُراد إجرائها، وما الذي يضمن لنا أن النتائج ستخرج من الجهاز ولن يتضمن الموضوع شيئاً من خفة اليد. حين أجاب بويز أن الموضوع قد يتطلب عدة أسابيع ليتم تنظيمه وكان مبهماً حول النقاط الأخرى، رفض بيكر العرض بأدب. تشاركنا الرأي أن علينا النشر قبل ظهور هولمز في مؤتمر الجريدة للتكنولوجيا، والذي كان بعد أقل من أسبوعين.

أخبر بيكر بويز أننا لن ننتظر لأسابيع لكنه يقبل تأجيل النشر لبضعة أيام لمنح هولمز فرصة للتحدث معي. وقد أمهلها حتى أوائل الأسبوع القادم لتلتقط الهاتف وتتصل بي. ولم تفعل ذلك أبداً.

نشرت القصة على صفحة الجورنال الأولى في يوم الخميس، ١٥ تشرين الأول، ٢٠١٥. كان العنوان الرئيسي، «صراعات شركة ناشئة حاصلة على جوائز»، متواضعاً أما المقال فكان مدمراً. فبالإضافة إلى كشف أن ثيرانوس أجرت كافة تحاليلها باستثناء جزء قليل منها على آلات تقليدية وإلى كشف مشاكل اختبار الكفاءة وتمديداتها لعينات الدم المسحوبة من وخزة إصبع، أثار المقال أسئلة خطيرة حول دقة أجهزتها. وانتهى باقتباس تقول فيه مورين غلنز إن «التجريب والخطأ مع الناس لم يكن مقبولاً»، لتصيب ما شعرت أنه النقطة الأكثر أهمية: الخطر الطبي الذي عرضت الشركة المرضى له.

أثار المقال عاصفة نارية. أجرت NPR مقابلة معي في برنامجها ماركتبليس في الصباح الباكر. جعل محرر فورتشن القصة محور تركيز رسائله الإلكترونية إلى القراء، وهي المجلة التي رفعت أكثر من أي أحد آخر هولمز إلى النجومية. وكتب، «أحادي قرن خرافي يطير عالياً فقرّبه إلى الأرض هذا الصباح قصة جرى التحقيق فيها بعمق ونشرت في الصفحة الأولى من وول ستريت جورنال». أيضاً تحدثت عن المقالة كلّ من فوربس، وذا نيويورك ركر، المجلتان الأخريان اللتان لعبتا دوراً في صعود هولمز إلى النجومية، كذلك فعلت الكثير من الوسائل الإعلامية الإخبارية.

أصبح الأمر الشغل الشاغل لـوادي السيليكون. قفز بعض الرأسماليين المغامرين كرد فعل للدفاع عن هولمز. كان أحدهم المؤسس المشارك السابق لـ نيتسكيب مارك أندريسن، الذي قدمت زوجته لتوها هولمز في قصة غلاف مجلة الموضة ستايل لـ نيويورك تايمز تحت عنوان «خمسة رواد أعمال رؤيويون يغيرون العالم». أما آخرون فكانوا أقل رفقاءً، حيث أضمرُوا شكوكاً لوقت طويل حول الموضوع. لم كانت هولمز دوماً شديدة التكتّم بما يتعلق بالتكنولوجيا الخاصة بها؟ لم لم توظف أبداً شخصاً في مجلس الإدارة يتمتع ولو بالحد الأدنى من المعرفة بعلم الدم؟ ولم لم تستثمر ولو شركة واحدة لرأس المال المغامر تتمتع بخبرة في مجال الرعاية الصحية في ثيرانوس؟ هؤلاء المراقبون، أكدت القصة شكوكهم الصامتة.

ثمة مجموعة ثالثة من الناس لم تعرف ماذا تصدق مع الأخذ

بعين الاعتبار إنكار ثيرانوس القوي. قالت الشركة عن القصة في بيان صحفي نشرته على موقعها، «خاطئة علمياً وبما يتعلق بالحقائق ومستندة إلى تأكيدات لا أساس لها لموظفين سابقين مستائين ولا يتمتعون بالخبرة ولشخصيات تحتل مناصب في عالم المخابر.» وأوضحت الشركة أن هولمز ستظهر في برنامج جيم كريمر / Mad Money مساءً ذلك اليوم لتدحض الادعاءات.

علمنا أن المعركة أبعد ما تكون عن النهاية وبأن ثيرانوس وبويز سيهاجمونا بقسوة في الأيام والأسابيع القادمة. سيعتمد صمود تقرير الصحفي أمام هجومهم بشكل كبير على الإجراءات التي سيقوم بها المشترّعون، إن قاموا بأية إجراءات. سرّت شائعات بين موظفين سابقين في ثيرانوس أن إدارة الغذاء والدواء تخطط لإجراء تفتيش حول الموضوع، لكن لم أستطع تأكيد الأمر في الوقت الذي نشرنا فيه القصة. اتصلت بمصدري في الوكالة عدة مرات لكن لم أتمكن من التواصل معه.

قررت أن أحاول الاتصال به مجدداً في ذلك اليوم قبل الغذاء. هذه المرة رفع سماعة الهاتف. وبناءً على مصادر سرية، أكدي أن إدارة الغذاء والدواء قامت مؤخراً بتفتيش مفاجئ على منشآت ثيرانوس في نيوارك وبالو ألتو. وفي ضربة موجهة للشركة، أعلنت الوكالة أن النانوتينر جهاز طبي غير مصرّح به للعمل ومنعت الشركة من الاستمرار باستعماله، كما قال.

وأوضح أن إدارة الغذاء والدواء استهدفت الأنبوب الصغير

لأنه، كجهاز طبي، وقع بشكل صريح تحت نطاق صلاحياتها ومنحها أكبر غطاء قانوني متين لاتخاذ إجراء ضد الشركة. لكن كان السبب غير المباشر للتفتيش البيانات السريرية الضعيفة التي قدمتها ثيرانوس للوكالة في محاولة للحصول على الموافقة على تحاليلها. وحين فشل المفتشون في إيجاد أية بيانات في الموقع، اتُخذ قرار بإغلاق باب التحاليل التي تجريها الشركة على عينات مأخوذة من وخزة إصبع عن طريق سحب النانوتينر للدم، كما قال. لم يكن هذا كل شيء: قال أيضاً إن وكالتَي مراكز الرعاية الطبية وخدمات المساعدة الطبية أطلقتا لتوّهما تفتيشهما الخاص حول ثيرانوس. لم يعلم إن كان ذلك لا يزال مستمراً لكنه كان متأكداً من أنه خلف المزيد من المشاكل للشركة. ناقشت ومايك هذه التصريحات وشرعنا بسرعة في العمل على ملحق للمقالة في عدد اليوم التالي.

بعد ذلك بساعات قليلة، كنت أقف فوق رأس محرر الصفحة الأولى الذي كان يعالج قصتي الجديدة حين ظهر وجه هولمز على تلفاز قريب عرض محطة CNBC. أخذنا استراحة من التحرير ورفعنا صوت التلفاز، وفي زِيَّها المعتاد كامل السواد وابتسامتها المتكلفة، لعبت دور المبتكرة الرؤيوية في وادي السيليكون التي تتعرض لاعتداءات وتحاول إحباط التقدم. قالت، «هذا ما يحدث حين تحاول تغيير الأمور.» «يظنون في البداية أنك مجنون، ثم يحاربونك، ثم فجأة تغير العالم.» لكن حين سألتها جيم كريمر عن عناصر محددة من المقال، كاستخدام الشركة لمحللات صنعها

طرف ثالث لإجراء معظم التحاليل، أصبحت دفاعية وأعطت أجوبة مراوغة ومضللة.

أرسلت رسالة إلكترونية لهيذر كينغ باكراً في ذلك اليوم لأعلمها بعملها على قصة ثانية ولأطلب تعليقاً من ثيرانوس حول الأمور التي كنت سأقدم تقريرها عنها. لم تجب كينغ. عرفت لماذا الآن: في أواخر لقاءها مع كريمر، ذكرت هولمز عرضاً سحب النانوتينر ولفقت الأمر بحيث يبدو قراراً طوعياً. كانت تحاول استباق خبطتي الصحفية.

نشرنا بسرعة ملحق مقالتي إلكترونياً. وعلى سبيل تأكيد توجّه المقالة، كشفت القصة عن أن إدارة الغذاء والدواء أجبرت الشركة على إيقاف إجراء التحاليل على العينات الدموية المسحوبة من أصابع المرضى وأعلنت النانوتينر كـ«جهاز طبي غير موافق عليه». احتلت القصة الصفحة الأولى من نسخة الجريدة المطبوعة في الصباح التالي، وصبت المزيد من الوقود على ما كان الآن فضيحة مدوية.

لم تكن هولمز في بالو ألتو حين نُشرت قصتنا الأولى. كانت تحضر اجتماعاً في مجلس زملاء كلية هارفارد الطبية. أجرت مقابلتها على CNBC في مساء ذلك اليوم من بوسطن. لم تعد بالطائرة إلى كاليفورنيا قبل اليوم التالي لتواجه الأزمة المتنامية.

أصدرت ثيرانوس بياناً صحفياً ثانياً في ذلك الصباح ارتقى إلى ما نسميه في عالم الأخبار بـ«نفي غير منفي». بدأ البيان كالتالي

«يخيب أملنا أن نرى وول ستريت جورنال لا تزال غير قادرة على تصحيح معلوماتها،» قبل أن يتابع معترفاً بسحب الشركة «مؤقتاً» لأنابيب الدم الصغيرة خاصتها ضمن ما مثله على أنه حركة تحفيزية للسعي للحصول على تصريح إدارة الغذاء والدواء لاستخدامها.

عند نهاية الظهيرة، وصلت رسالة إلكترونية إلى جميع أعضاء الشركة تعلمهم بالتجمع في مقهى بناء بيج ميل رود لعقد اجتماع. لم تكن هولمز بشخصيتها المتوازنة الاعتيادية. تشعث شعرها بفعل السفر وارتدت نظارات بدلاً من عدسات لاصقة. وقف إلى جانبها بالواني وهيذر كينغ. وبنبرة متحدية، أخبرت الطاقم المجتمع أن المقالين اللذين نشرتهما الجورنال كانا مليئين بأكاذيب زرعهما موظفون سابقون مستأؤون ومنافسون. إن شيئاً كهذا محتم الحدوث حين تعمل على اختراق صناعة عملاقة تضم أصحاب مناصب كثر يريدون رؤيتك وأنت تتهاوى، كما قالت. ونعتت الجورنال بـ«الصحافة الصفراء»، وأقسمت على نقل المعركة إلى الصحيفة.

حين فتحت باب الأسئلة، كان باتريك أونيل من أوائل الذين رفعوا أيديهم، وهو المدير التنفيذي السابق للإعلان الصناعي الذي ساهم في صياغة صورتها.

وسأل، متشككاً، «هل حقاً نريد أن نهجم وول ستريت جورنال؟»

وأجابت هولمز، «لن نهاجم صحيفة الجورنال، بل الصحفي.»

بعد أن أجابت على عدة أسئلة أخرى، سأل مهندس أجهزة كمبيوتر متقدّم بالواني إن كان بالإمكان أن يقودهم في ترداد أنشودة. عرف الجميع مباشرة ما الأنشودة التي كانت في ذهن المهندس. فقبل ذلك بثلاثة شهور، حين تلقت الشركة الموافقة على تحليل الهربس من إدارة الغذاء والدواء، حضّ بالواني الموظفين على الصراخ «تبّاً لكم fuck you» بصوت واحد خلال اجتماع واحد في المقهى. في ذلك الوقت، كانت الصرخة موجهة إلى شركتي كويست ولابكورب.

كان بالواني أكثر من سعيد لتلبية طلب المهندس بإعادة الصرخة.

وقال «لدينا رسالة إلى كاريرو.»

عند إشارته، غنى مع العديد من الموظفين الحاضرين والذين بلغ عددهم المئات: «تبّاً لك، كاري-رو! تبّاً لك، كاري-رو!»

حين قالت هولمز أنها ستنقل المعركة إلى وول ستريت جورنال، فإنها كانت تعني ما تقول.

افترض الكثيرون أنها ستراجع عن حضور مؤتمر WSJ D.Live الذي ستيقّمه الجريدة الأسبوع التالي. لكن في اليوم المحدد والوقت المحدد، ظهرت على الواجهة البحرية لفندق ومنتجع مونتاج المطل على شاطئ لاغونا بيتش مع كتيبة حراسها وانضمت إلى



جوناثان كريم، محرر قسم التكنولوجيا في الجورنال، في المسرح. تهامس الجمهور المترقب الذي تجاوز عدده المئة - وهو مزيج من الرأسماليين المغامرين، ومؤسسي الشركات الناشئة، والمصرفيين، والمدراء التنفيذيين في شركات علاقات عامة دفع كل من هؤلاء خمسة آلاف دولار لحضور المؤتمر الممتد على مدى ثلاثة أيام.

أراد مني مايك سيكونولفي أن أتولى أمر المقابلة، لكن لم تشأ الجورنال إجراء تغييرات في اللحظة الأخيرة لحدث استغرق التخطيط له مدة أشهر. بالإضافة إلى ذلك أنني لم أتمكن من مغادرة نيويورك. علقت زوجتي في عملها ضمن لجنة محلفين في محاكمة فيدرالية في إيسليب، لونغ آيلند، على مسافة ساعتين بالسيارة عن بروكلن. وكان عليّ أن أعطني بأبنائنا.

كان هناك اهتمام كبير بمقالة كشف حقيقة ثيرانوس بحيث قررت الجورنال بث المقابلة على الهواء مباشرة على موقعها. شاهدها العديد منا في مكتب نيل ليشوتز.

بدت هولمز تتبخر تقريباً منذ البداية. لم تكن تلك مفاجأة: توقعنا أن تقاتل. أما ما لم نتوقعه أبداً فكان عزمها على قول أكاذيب وقحة على منصة علنية. ليس لمرة واحدة فقط، لكن مراراً وتكراراً خلال مقابلة امتدت نصف ساعة. بالإضافة إلى استمرارها في الاصرار على أن سحب النانوتينر كان طوعياً، قالت إن أجهزة إديسون التي أشرت إليها في قصتي كانت تكنولوجيا قديمة لم تستخدمها ثيرانوس منذ سنوات. أنكرت أيضاً استخدام

الشركة لمعدات التحاليل المخبرية التجارية التي تعمل على عينة دم مسحوبة من وخزة إصبع. وادّعت أن الطريقة التي تجري فيها ثيرانوس اختبار الكفاءة لم تكن فقط قانونية بالكامل، بل حظيت بالباركة الواضحة من المنظمين.

أما الكذبة الأكبر، بالنسبة إلي، فكانت إنكارها المطلق لتمديد ثيرانوس لعينات الدم المسحوبة من وخزة إصبع قبل إجراء التحاليل عليها بواسطة الأجهزة التجارية. «ما وصفته الجورنال بقولها - نأخذ العينة، نمددها، ثم نضعها في أجهزة تحليل تجارية - غير دقيق، وليس هذا ما نفعل»، خاطبت كريم، «في الواقع، أراهن أنك لو حاولت فعل هذا، فلن ينجح لأنه ببساطة من غير الممكن تمديد العينة ووضعها في محلل تجاري. أعني، ثمة الكثير من الأشياء الخاطئة في ذلك.» فيما هزرت رأسي بقرف، لمعت إشارة وصول رسالة نصية على شاشة هاتفي. كانت من آلان بيم. قالت الرسالة «لا أصدق ما قالته لتوها!»

من هناك، وجهت هولمز حديثها إلى الموظفين السابقين الذين تحدثوا معي، فوصفتهم بـ«المضطربين» واعتبرت عدم إفضائهم بأسمائهم دليل عدم مصداقية. وادّعت أن أحدهم عمل لدى ثيرانوس لشهرين فقط في عام ٢٠٠٥، الأمر الذي كان ملفقاً بالكامل. فجميع مصادرنا السرية عملوا في الشركة مؤخراً. في ردها على سؤال متعلق بروشيل غيرونز، كررت الجملة التي قالتها لموظفيها قبل ذلك بخمسة أيام، مشبهة الجورنال بـ«مجلة صحافة صفراء». وأشارت إلي بـ«رجل ما» كتب تقريراً يحمل «أكاذيب عنا.»

لكنها واجهت مشكلة أننا لم نعد الوحيدين الذين أثرنا الأسئلة حول ثيرانوس. فقد بدأت شخصيات بارزة كثيرة في وادي السيليكون بانتقاد سياسة الشركة. ومنهم مدير تنفيذي سابق معروف في آبل يدعى جان-لويس غاسي. قبل ذلك ببضعة أيام، نشر غاسي على مدونته يصف بحدة نتائج التحليل الدموية المتضاربة التي تلقاها من ثيرانوس ومشفى ستانفورد في الصيف. كتب غاسي هولمز طالباً أن تتحرى في أمر التناقضات لكنه لم يتلق جواباً منها. حين أثار كريم مسألة غاسي، ادعت هولمز أنها لم تتلق رسالته الإلكترونية على الإطلاق. والآن حيث علمت بالشكوى، ستتواصل ثيرانوس معه لتحاول فهم ما حدث، كما قالت.

أما بالنسبة للحوادث الأخرى المتعلقة بنتائج غير دقيقة والمذكورة في قصتنا الأولى، صرفتها على اعتبار أنها حوادث قليلة منعزلة لا يمكن ولا يجب استنباط استنتاجات عامة منها.

بعد انتهاء المقابلة بقليل، نشرت ثيرانوس وثيقة طويلة على موقعها تهدف إلى دحض تقريرتي نقطة نقطة.

راجعت ومايك الوثيقة مع المحررين الكبار والمحامين واستنتجنا أنها لا تحوي شيئاً يقلل من أهمية ما نشرناه. كانت مجرد شاشة دخان أخرى. ونشرت الصحيفة إقراراً تقول فيه أنها تدعم مقالاتي.

بعد ظهور هولمز في مؤتمر الجورنال، أعلنت ثيرانوس أنها تجري تغييرات في مجلس إدارتها، الذي تعرض للهجاء منذ نشر

مادتي الأولى. غادر جورج شولتز، وهنري كيسينجر، وسام نين، ورجال الدولة السابقين المعمّرين للانضمام إلى هيئة رسمية جديدة تدعى مجلس المستشارين. ولكي تشغل مكانهم، عمدت ثيرانوس إلى تعيين مدير جديد أشار إلى تصاعد في العدائية: ديفيد بويز.

وبكل تأكيد، على مدى أيام، تلقت الجورنال رسائل من هيدر كينغ تطالب فيها بالتراجع عن العناصر المحورية في أول مقالين لي، أسمت تلك العناصر بـ «دوافع تشهير». تبع ذلك رسالة ثالثة تطالب فيها الصحيفة بالاحتفاظ بجميع الوثائق بحوزتها التي تخص ثيرانوس، «بما فيها الرسائل الإلكترونية، والرسائل الفورية، والمسودات، والملفات غير الرسمية، والملاحظات المكتوبة باليد، والفاكسات، والملاحظات، وما دُوّن في قوائم، والبريد الصوتي، وأية سجلات أخرى محفوظة ورقياً، أو أية صيغة إلكترونية (بما فيها الهواتف الخليوية الشخصية) أو أية واسطة أخرى.»

في مقابلة مع وايرد، حذر بويز من أن دعوى تشهير تلوح في الأفق. حيث قال للمجلة «أعتقد أنه تم تسجيل ما يكفي بحيث يصبح الأشخاص قابلين للمحاكمة بناء على معرفتهم بالوقائع.» بالأخذ بكلمات بويز وكينغ، كلف القسم القانوني في الجورنال تقنياً بنسخ محتويات حاسوبي المحمول وهاتفني تحضيراً للدعوى القضائية.

لكن ثيرانوس تخطئ الظن إذ حسبت أن خشخشة سيفها ستثنيها عن موقفنا. فخلال الأسابيع الثلاثة التالية، نشرنا أربع

مقالات جديدة. كشفنا فيها إيقاف وولغرينز لخطا توسع على مستوى البلاد لمراكز ثيرانوس للرعاية الصحية، ومحاولة ثيرانوس بيع أسهم أكثر بأسعار أعلى قبل نشر قصتي الأولى بأيام، وسير مختبرها بلا مدير حقيقي، وتخلي سيفواي عن شرائتهما التي لم يعلننا عنها سابقاً لمخاوف حول تحاليل الشركة. ومع كل مقالة، كانت تردُّنا مطالبة بإجراء ما من هيدر كينغ.

في غرفة حرب لا شبائيك لها أُعدَّت في الطابق الثاني من مبنى بيج ميل رود في بالو ألتو، ناقشت هولمز ومستشاري العلاقات لديها استراتيجيات تعنى بضرب تقاريري. كانت إحدى مقارباتها المفضلة تصويري ككاهن للنساء. لخلق مزيد من التعاطف، اقترحت أن تفشي للعموم تعرضها للاعتداء الجنسي كطالبة في ستانفورد. نصح مستشاروها بعدم سلوك تلك الطريق، لكنها لم تتخلَّ عن الفكرة كلياً. وصرحت في مقابلة مع بلومبرغ بيزنسويك أنها كانت ضحية للتمييز الجنسي.

أخبرت المجلة «حتى ما حدث في الأسابيع الأربعة الأخيرة، لم أفهم معنى أن تكون امرأة في هذا الحقل.» «يبدأ كل منال ب «امرأة شابة». صحيح؟ جاء أحدهم إلي منذ يومين، وقال لم أقرأ يوماً مقالاً عن مارك زوكربيرغ يبدأ ب «رجل شاب.»

في القصة ذاتها، نبذ أستاذها القديم في ستانفورد، تشانينغ روبرتسون، الشكوك حول دقة تحاليل ثيرانوس على أنها سخيضة، قائلاً إنه كان يجب أن تكون الشركة «قابلة للترخيص» حتى تدخل

السوق بمنتج تعتمد حيوات الناس عليه ثم ليعرفوا بعد ذلك أنه غير جدير بالثقة. أيضاً أكد على أن هولمز عبقرية من النوع الذي يأتي مرة واحدة في كل جيل، مقارناً إياها بنيوتن، وآينشتاين، وموتزارت، وليوناردو دافنشي.

استمرت هولمز أيضاً بتبني صورة مضخمة عن ذاتها. في خطاب قبولها في فعالية جوائز نساء العام التي تقيمها مجلة غلامور في كارنيغي هول، نصّبت نفسها كنموذج يحتذى للنساء الشابات. وحثّتهم بقولها «افعلن كل ما باستطاعتكن لتكنّ الأفضل في العلوم والرياضيات والهندسة، فهذا ما سنتنظر إليه فتياتنا الصغيرات حين يبدأن بالتفكير حول من يردن أن يصبحن حين يكبرن.»

كان ثمة طريقة واحدة تنتهي بها المهزلة وهي أن تأخذ CMS، المنظم الأساسي للمخابر السريرية، إجراء قوياً ضد الشركة. كان علي أن أعرف ماذا نتج عن ذلك التفتيش التنظيمي الثاني.

(٢٤)

## الإمبراطورة لا ترتدي الملابس

في مساء يوم أحد من أواخر أيلول، قبل أن تنشر الجريدة قصتي الأولى بثلاثة أسابيع، وصلت رسالة إلكترونية إلى صندوق بريد غاري ياماموتو، مفتش CMS الميداني المخضرم الذي وصل دون إخطار مسبق إلى مبنى فيسبوك القديم في ٢٠١٢ ووبّخ سوني بالواني رسمياً بما يتعلق بمراعاة تعليمات المخابر. وتحت عنوان موضوع «شكوى CMS: ثيرانوس المحدودة»، بدأت:

العزير غاري

شعرتُ بالاضطراب لمجرد إرسال أو حتى كتابة هذه الرسالة، تأخذ ثيرانوس بالاعتبار موضوع السرية والتكتم إلى الحد الأقصى لدرجة جعلتني دوماً أخشى قول أي شيء.. كما أنّي خجلة من نفسي لعدم إرسال تقرير بهذه الشكوى قبل الآن.

كانت الرسالة من إيريك تشيونغ وتضمنت سلسلة من الادعاءات، تتراوح من سوء السلوك العلمي إلى الممارسات المخبرية المتهاونة. قالت أيضاً إن أجهزة ثيرانوس المسجلة غير جديرة بالثقة، وإن الشركة غشت في اختبار الكفاءة، وإنها ضللت

مفتشة الحكومة التي جالت مختبرها في أواخر ٢٠١٣. واختتمت إيريكا الرسالة الإلكترونية بقولها إنها استقالت من الشركة لأنها لم تستطع العيش مع نفسها وهي تعلم أنها «قد تدمر حياة شخص ما «كذا وهكذا» بإعطائه/ها نتيجة كاذبة أو خادعة».

أخذ ياماموتو ورؤساؤه في CMS الشكوى بغاية الجدية بحيث أجرت الوكالة تفتيشاً فجائياً على مخابر ثيرانوس بعد أقل من ثلاثة أيام. في صباح يوم الثلاثاء، ٢٢ أيلول، وصل ياماموتو ومفتشة ميدانية أخرى من مكتب CMS الإقليمي في سان فرانسيسكو واسمها ساره بينيت إلى منشأة نيوارك وشرحا أنهما هناك ليقوما بجولة في المخبر. لم يسمح لهما بالدخول رجال يرتدون بدلات سوداء ويضعون سماعات في آذانهم وطلبوا منهما الانتظار في غرفة استقبال صغيرة.

بعد برهة، وصل سوني بالواني، ودانييل يونغ، وهيدر كينغ، وميرديث ديربورن من مكتب بويز شيلر. أخذوا مفتشي CMS إلى غرفة اجتماعات وأصروا على إجراء عرض تقديمي على برنامج باوربوينت لهم. على الرغم من ظهور ذلك كأسلوب تشويش، جلس ياماموتو وبينيت بتهذيب واستمعا إلى العرض. وما أن انتهى، طلبا أن يقوما بجولة في المختبر.

وما كادا يخرج جان من غرفة الاجتماعات، حتى رافقهما عدد أكبر من الرجال ذوي البدلات السوداء وأصابهم تضغط على آذانهم. تبعهما على مسافة قريبة كينغ وديربورن، تحملا حاسوبين



وتكتبان الملاحظات. حين وصلوا إلى غرف المختبر، لاحظا أن أبوابه مجهزة بمسحات بصمات الأصابع وأنه يوجد صوت طنين حين تدخل. ذكر الصوت يماموتو بطنان الباب في متاجر الكحول.

كان يماموتو وبينيت قد خصصا يومين لإجراء التفتيش، لكنهما وجدا الكثير من المشاكل وافتقدت ثيرانوس الكثير من التوثيق المخبري الأساسي بحيث خلاصا إلى أن العودة ضرورية. طلب بالواني إرجاء الزيارة شهرين. وادعى أن سنة الشركة المالية الجديدة توشك أن تبدأ وأنها بصدد استقطاب تمويل جديد. وافق المفتشان على العودة في أواسط شهر تشرين الثاني.

حين عادا، كان تحقيق الجورنال قد نُشر، وألقى بمزيد من الضغط على الوكالة لاتخاذ إجراء. لاحظ يماموتو أن الحراسة الأمنية كانت أخف قليلاً وأن هولمز كانت حاضرة لاستقبالهم. حضر أيضاً بالواني وكينغ مجدداً، مع مجموعة مختلفة من محامين خارجيين وبعض المستشارين المخبريين. انقسم المفتشان: تجول يماموتو في غرف المختبر ورشّ الأسئلة على الموظفين هناك، يتبعه بالواني في كل مكان، بينما أدارت بينيت عملها من غرفة اجتماعات حيث بقيت كينغ ومحامون آخرون بالقرب منها.

هذه المرة، بقيا لأربعة أيام. طلبت بينيت إجراء مقابلة سرية مع أحد أعضاء المختبر عمل في النورماندي وكانت له خبرة مباشرة مع أجهزة إديسون. انتظرت مطولاً في غرفة بلا نوافذ إلى

أن حضرت امرأة شابة أخيراً. وحين جلست، طلبت المرأة حضور حمام. بدت مدرّبة على ما عليها فعله وقوله وخائفته.

بقيت وإيريك تشيونغ على تواصل متقطع بعد رعبها في موقف السيارات في أواخر حزيران، لكن لم أعلم أنها استجمعت شجاعته لتواصل مع المنظمين الفدراليين. وحين سمعت للمرة الأولى عن تفتيش CMS، لم تكن لدي أدنى فكرة أنها كانت سبب حدوثه.

طوال خريف عام ٢٠١٥ ومع دخول شتاء ٢٠١٦، حاولت معرفة ما كشف المفتشان عنه النقاب. بعد إنهاء ياماموتو وبينيت زيارتهما الثانية في نوفمبر، سرى لغطٌ بين موظفين سابقين في ثيرانوس لا يزالون على اتصال مع موظفين حاليين أن الأمر لم يجر على ما يرام، لكن كان من الصعب الحصول على تفاصيل. وفي أواخر كانون الثاني/ نوفمبر، تمكّنّا أخيراً من نشر مقالة تفيد بأن مفتشي CMS وجدوا خللاً «جدياً» في مختبر نيوارك، اعتماداً على مراجع عامة بالأمر. أما مدى جدية هذا الخلل فتبدت بعد أيام قليلة حيث نشرت الوكالة رسالة أرسلتها إلى الشركة تقول فيها إن الشركة تعرّض «صحة وسلامة المرضى لخطر مباشر». منحت الرسالة الشركة مهلة عشرة أيام لتقديم خطة تصحيح جذيرة بالثقة وحذرت أن الفشل في تنفيذ هذا المطلب بسرعة قد يتسبب بخسارة المختبر لشهادته الفيدرالية.

كان هذا أمراً هائلاً. فالمشرف على المخابر السريرية في الولايات

المتحدة الأمريكية لم يؤكد وجود مشاكل جدية في تحاليل ثيرانوس الدموية وحسب، بل اعتبر هذه المشاكل جسيمة ما يكفي لأن تعرض المرضى إلى خطر مباشر. فجأة، توقفت طلبات هيدر كينغ الكتابية الداعية إلى انسحابنا، والتي كانت تصل بدقة الساعة بعد كل مقال ننشره.

مع ذلك، استمرت ثيرانوس بالتقليل من شأن الموضوع. وادعت في تصريح لها، أنها تطرقت لعلاج هذه النقائص للتو وأن ما وجده التفتيش لم يعكس الحالة القائمة في مختبر نيوارك. كما ادّعت أن المشاكل محصورة بطريقة إدارة المختبر ولا علاقة لها بسلامة التكنولوجيا المسجلة الخاصة بالشركة. استحال نقض هذه الادعاءات دون النفاذ إلى تقرير التفتيش. وعادةً ما تجعل CMS وثائق كهذه متوفرة للعموم بعد أسابيع قليلة من إرسالها إلى المختبر المخالف، لكن ثيرانوس أثارت أمر سر الصنعة للمطالبة بغرض الحفاظ على سرية هذه الوثائق. وقد بات من الضروري أن أضع يدي على هذا التقرير.

اتصلت بمصدر قديم لي في الحكومة الفدرالية كان له منفذ إلى هذا التقرير. وكان أقصى ما رضى القيام به هو قراءة بعض المقاطع منه على الهاتف. وهذا ما كان كافياً بالنسبة إلينا لأن ننشر عن أمر واحد من أهم ما وجده التفتيش، إذ استمر المختبر بإجراء اختبار تحثر الدم لأشهر على الرغم من الفشل المتكرر في اختبار ضبط الجودة الذي يدل على أن التحليل مخفق. «وقت بروثرومين» الاسم الذي عرف به التحليل، كان تحليلاً من الخطير وجود خطأ

فيه لاعتماد الأطباء عليه ليقرروا جرعة المميعات الدموية التي وصفوها للمرضى المعرضين لخطر السكتات القلبية. وقد يسبب وصف جرعة زائدة جداً من المميع الدموي النزيف للمريض، بينما قد يعرض وصف جرعة قليلة جداً المريض إلى التعرض لخثرات قاتلة. لم تتمكن ثيرانوس من دحض مقالتنا، لكننا جادلت مجدداً أن التكنولوجيا المسجلة الخاصة بها لم يكن لها علاقة بالأمر. إذ أُجري اختبار «وقت بروثرومبين» على عينات دم وريدية عادية باستخدام الأجهزة التجارية، كما قالت. وحين حُشرت في الزاوية، أصبحت الشركة مستعدة للاعتراف باستخدامها للمحولات التقليدية إن كان ذلك يساعد على احتفاظها بوهم نجاح أجهزتها الخاصة.

في محاولة لإجبار CMS على نشر تقرير التفتيش، أرسلت طلب/ قانون حرية المعلومات/ لأي وجميع الوثائق المرتبطة بتفتيش مختبر نيوارك وطلبت تسهيل الأمر. لكن هيدر كينغ استمرت في حث الوكالة على عدم تعميم التقرير دون تنقيحات واسعة، مدعية أن النشر سيؤدي إلى كشف أسرار صنعة عالية القيمة. كانت المرة الأولى التي يطالب فيها صاحب مختبر تحت التهديد بالعقوبات بالتنقيحات في تقرير تفتيش، ولم تبدُ CMS واثقة من من الإجراء التالي. ومع كل يوم يمر، ساورني قلق من أن محتويات التفتيش الكاملة لن ترى النور أبداً.

وفي حين تواصل شدّ الحبل مع هيدر كينغ حول تقرير التفتيش، طرأت معلومات حول أن هولمز ستستضيف جمع تبرعات لصالح حملة هيلاري كلينتون الرئاسية في مقر ثيرانوس في

بالو آلتو. كانت قد أسست علاقة من زمن طويل مع آل كلينتون، حيث ظهرت في العديد من مناسبات مؤسسة كلينتون وصاغت صداقة مع ابنتهما. وجرى تغيير مكان جمع التمويل إلى منزل رائد أعمال تكنولوجي في سان فرانسيسكو، لكن أظهرت صورة من المناسبة هولمز تمسك مكبر الصوت وتحدث إلى الضيوف المجتمعين مع تشيلسي كلينتون إلى جانبها. مع موعد الانتخابات بعد ثمانية أشهر ومع اعتبار كلينتون مرشحة متصدرة، ذُكرت بمدى صلات هولمز السياسية. هل يكفي ذلك ليطاح بمشاكلها التنظيمية؟ يبدو أن كل شيء ممكن.

عدتُ إلى مصدري، وهذه المرة داهنته لعلّه يسرب إليّ كامل تقرير التفتيش. وعلى امتداد ١٢١ صفحة، أدانت الوثيقة البركة إلى الحد الذي يمكن للمرء أن يتوقعه. من ناحية، يثبت التقرير كذب هولمز في مؤتمر الجورنال للتكنولوجيا في الخريف الماضي: فالأجهزة المسجلة التي استخدمتها ثيرانوس في المختبر كانت بالفعل تدعى «إديسون»، وأظهر التقرير أن الشركة استخدمتها لإجراء اثني عشر فقط من أصل ٢٥٠ تحليل على لائحتها بينما أُجري كل تحليل آخر على محلات تجارية.

والأكثر أهمية، أظهر تقرير التفتيش، مقتبساً من بيانات المختبر بالذات، إنتاج أجهزة إديسون لتتأجج شاذة بشكل هائل. فإلّا شهر واحد، فشلت في اختبار ضبط الجودة لمرة من كل ثلاث مرات تقريباً. كما فشل أحد التحاليل الدموية التي أجريت على جهاز إديسون في اختبار ضبط الجودة بنسبة مذهلة بلغت ٨٧

بالمئة من المرات، وهو تحليل لقياس كمية هرمون يحدد مستويات التستستيرون. وأخفق تحليل آخر، يساعد في الكشف عن سرطان البروستات بنسبة ٢٢ بالمئة من اختبارات ضبط الجودة الخاصة به. وبالمقارنة التي تجرى باستخدام العينات الدموية ذاتها، خرجت أجهزة إديسون بنتائج تختلف عن تلك التي خرجت بها الأجهزة التقليدية بنسبة بلغت ١٤٦ بالمئة. وكما كانت قناعة تيلر شولتز، لم تتمكن الأجهزة من إعادة الحصول على نتائجها الخاصة. كان مُعامل الاختلاف لتحليل بجهاز إديسون يقيس الفيتامين ب١٢ يتراوح بين ٣٤ و ٤٨ بالمئة، قد تجاوز بكثير نسبة ٢ إلى ٣ بالمئة الشائعة للتحليل في معظم المخابر.

أما بالنسبة للمختبر نفسه، فكان في حالة فوضى: أفسحت الشركة لشخصيات غير مؤهلة للتعامل مع عينات للمرضى، فخزنت الدم في درجة حرارة خاطئة، وتركت المواد الكاشفة حتى انتهاء صلاحيتها، وفشلت في إخبار المرضى الذين كانت نتائج تحاليلهم خاطئة، من ضمن إخفاقات أخرى كثيرة.

حاولت هيذر كينغ أن تمنعنا من نشر التقرير، لكن كان الأوان قد فات. نشرناه على موقع الجورنال واقتبست القصة المرافقة من خبر مختبرات قال إن محتويات التقرير اقترحت أن نتائج جهاز إديسون لم تكن أكثر من عملية تخمين.

جاءت الضربة القاضية بعد ذلك بأيام قليلة حين حصلنا على رسالة جديدة أرسلتها CMS إلى ثيرانوس. قالت فيها إن

الشركة فشلت في تصحيح ثلاثة وأربعين من أصل خمسة وأربعين عيباً عدّها المفتشون بالاسم وهددت CMS إثرها بمنع هولمز من العمل في تحليل الدم لسنتين. وكما فعلت مع تقرير التفتيش، حاولت ثيرانوس يائسة منع الرسالة من أن تنشر إلى العلن، لكن تواصل معي مصدر جديد من حيث لا أدري وسربه إلي.

حين نشرنا خبراً عن التهديد بالمنع، لم يعد من الممكن لهولمز أن تخفف هول الموقف. كان عليها أن تخرج إلى العلن وتقول شيئاً، فتركت لـ ماريا شريفز أن تجري مقابلة معها في برنامج توداي على محطة NBC اعترفت خلالها بأنها «مخطئة». لكن كما يبدو، لم يكن كافياً أن تعتذر إلى المرضى الذين عرضتهم للأذى. وأنا أشاهدها في المقابلة، تكوّن لديّ انطباع لا شك فيه بأن عرض الندم الذي قدمته كان تمثيلاً. وما زلت لا أشعر بوجود أي ندم حقيقي أو تعاطف لديها.

في النهاية، علم موظفو ثيرانوس، ومستثمروها، وشركاؤها التجاريون، وولغرينز، جميعهم بنتائج التفتيش وحظر قراءة وول ستريت جورنال المرفق بالتهديد. إذا كانت هولمز صادقة بشأن تصويب الأمور، فلمَ حاولت بكلّ هذه الضراوة منع اكتشافهم لها؟

في أيار ٢٠١٦، عدت إلى سان فرانسيسكو، منطقة الخليج، لأحاول تبين ما حدث مع تيلر شولتز. كانت سنة كاملة تقريباً قد مرت على اليوم الذي التقينا فيه في حديقة الجعة في ماونتن فيو.

أخبرتني إيريكا أن تيلر كان يعمل على مشروع بحث مع بروفيسور في النانوتكنولوجيا في ستانفورد، فقدتُ سيارتي المستأجرة إلى بالو ألتو وتحريتُ مكانه في كلية الهندسة بستانفورد. وبعد أن سألت عنه، استطعت أخيراً تحديد موقعه في غرفة ضمن بناء علم المواد.

لم يفاجأ تيلر لرؤيتي. أعطتني إيريكا عنوان بريده الإلكتروني الحقيقي وكتبت إليه لأعلمه أنني سأعود إلى البلدة. لم يلتزم بمقابلتي. لكن بما أنني أصبحت هناك، تجاوب معي. مشينا إلى مقهى قريب لتناول الغداء واتخذ حديثنا طابع المزاح بسهولة.

بدت معنويات تيلر جيدة. أخبرني أنه كان جزءاً من مجموعة صغيرة من الباحثين في ستانفورد شكلت فريقاً مع شركة كندية للدخول في مسابقة كوالكوم تريكوردر XPRIZE التي تبلغ ميزانيتها عدة ملايين من الدولارات. حاولوا صنع جهاز محمول قادر على تشخيص عشرات الأمراض من دم الإنسان، ولعابه، وعلاماته الحيوية.

حين انتقل حديثنا إلى ثيرانوس، تجعد حاجباه وتشنج. لم يرد مناقشة الموضوع في مكان مفتوح مع آذان الناس حاضرة، كما قال. اقترح أن نمشي عائدين إلى مبنى علم المواد. وجدنا غرفة صف فارغة هناك وجلسنا فيها. تحولت تعابيره المريحة في المقهى إلى قلق واضح.

وقال، «منعني محامي من التحدث إليك، لكن لا يـ كنني كبت الموضوع أكثر من ذلك.»



وافقت على اعتبار كل ما سيخبرني به غير رسمي وأن أكتب عنه في المستقبل فقط إن منحني الإذن بذلك.

للدقائق الخمسة والأربعين التالية، استمعت مرتعياً فيما أخبرني تيلر عن الكمين في منزل جده وشهور التهديد بالمحاكمة التي تحملها. على الرغم من كل ذلك، لم يخضع أبداً. رفض بثبات توقيع الوثيقة التي قدمها له مكتب بويز شيلر. أدركت أنه لولا شجاعته وأكثر من أربعمئة ألف دولار التي دفعها والداه كأتعاب لمحامييه، لما كان بإمكانني نشر مقالتي الأول. شعرت بغصات من الشعور بالذنب لزوجّه في محنة كهذه.

كان الجزء الذي يفطر القلب أكثر من أي شيء آخر هو اغتراب تيلر عن جده. استمر جورج شولتز بالاصطفاف إلى جانب هولمز على الرغم من كل ما كشفه تقريره. لم يلتق وتيلر طوال الجزء الأكبر من العام وتواصل عبر المحامين فقط. في كانون الأول الماضي، استضاف آل شولتز حفلة في شقة إضافية امتلاكها في أحد مباني سان فرانسيسكو للاحتفال بعيد ميلاد جورج الخامس والتسعين. حضرت هولمز، لكن لم يحضر تيلر.

سمع تيلر من خلال والديه أن جده استمر بالإيمان بوعده ثيرانوس. بعد سنوات من السرية المطلقة وفي كشف صريح، أعلنت هولمز أنها ستكشف العمل الداخلي في التكنولوجيا الخاصة بها في الاجتماع السنوي للمؤسسة الأمريكية للكيمياء السريرية في ١ آب، ٢٠١٦. اعتقد جورج أن العرض سيخرس المتشككين.

لم يفهم تيلر لم لم يستطع جده كشف أكاذيبها. ما الأمر الذي سيحتاج معرفته كي يقبل الحقيقة في النهاية؟

و حين افترقنا، شكرني تيلر لمتابعتي العنيدة للقصة. أشار إلى أن ثيرانوس استهلكت السنوات الأربعة الأخيرة من حياته منذ بداية تدريبه في الشركة بين سنواته كمبتدئ وكطالب سنة أخيرة في الجامعة. شكرته بدوري على مساعدته لي في نشر القصة وعلى الصمود في وجد الضغط الهائل الذي تعرض له.

بعد ذلك بفترة قصيرة، اتصلت ثيرانوس بمحامي تيلر وأعلمتهم بمعرفتها بلقائنا. بما أن واحداً منا لم يخبر إنساناً بالموضوع، استتجنا أن هولمز عينت مراقباً على أحدنا أو كلينا. لحسن الحظ، لم يبد تيلر شديد القلق حول الموضوع. وسخر في رسالة إلكترونية من الموضوع قائلاً، «في المرة التالية قد آخذ صورة (سيلفي) معك وأرسلها إليها لأوفر عليها عناء استئجار خدمات محققين شخصيين.»

شككت الآن أن ثيرانوس تضع كلينا تحت المراقبة الدائمة لسنة. ومن محتمل أكثر، أن تكون إيريك تشيونغ وآلان بيم تحت مراقبة كهذه أيضاً.

أخبرت هولمز ماريا شرايفر في برنامج توداي أنها تتحمل مسؤولية الفشل في مختبر نيوارك، لكن الذي عانى من النتائج كان بالواني. فبدل أن تتلقى الضربة بنفسها، ضحّت بصديقها. انفصلت عنه وفصلته. في بيان صحفي، قالت ثيرانوس عن مغادرته إنها تقاعد طوعي.

بعد ذلك بأسبوع، أصدرنا تقريراً يقول إن ثيرانوس أبطلت عشرات الآلاف من نتائج التحاليل الدموية، بما فيها تحاليل على جهاز إديسون على مدي سنتين، في جهود منها لتدعن وتتجنب منع CMS لها. بمعنى آخر، اعترفت بشكل فعال إلى الوكالة أنه لا يوجد تحليل واحد يمكن الاعتماد عليه يجري على أجهزتها المسجلة. مجدداً، أملت هولمز في الإبقاء على موضوع التحاليل المبطله سرّاً، لكن اكتشفت أمرها من مصدري الجديد، الذي سرب إلي رسالة CMS التي تهدد فيها بمنع هولمز من العمل في مجال المخابر. وفي شيكاغو، ذهل مدراء تنفيذيون في وولغرينز لدى معرفتهم حجم التحاليل المبطله. حاولت سلسلة الصيدليات الحصول على أجوبة من ثيرانوس حول الأثر على زبائنها لشهور. في ١٢ حزيران، ٢٠١٦، أنهت الشراكة مع الشركة وأغلقت جميع مراكزها الصحية الواقعة في متاجرها.

في ضربة قاصمة أخرى، تابعت CMS في تهديدها بمنع هولمز وشركتها من العمل في المخابر في أوائل تموز. والأكثر شؤماً، أصبحت ثيرانوس الآن موضع تحقيق جنائي من / مكتب المدعي العام الأميركي في سان فرانسيسكو وموضع تدقيق مدني موازٍ من قبل مفوضية الأوراق المالية والبورصة. على الرغم من كل تلك السقطات، شعرت هولمز أنها لا تزال تملك ورقة تلعب بها لتقلب الرأي العام لصالحها: أن تذهل العالم بعرض للتكنولوجيا الخاصة بها.

في يوم صيفي رطب حار في أوائل آب، احتشد أكثر من ٢٥٠٠ شخص في قاعة الاحتفالات الكبيرة في مركز بنسلفانيا للمؤتمرات. كان معظمهم علماء مخبر أتوا ليسمعوا هولمز تتحدث في الاجتماع السنوي لـ AACC. أذيعت أغنية «تعاطف مع الشيطان» لفريق الرولينغ ستونز على جهاز الإعلان العام، خيار لأغنية لم يبدُ مصادفة.

سببت الدعوة التي قدمتها المنظمة لهولمز الكثير من الجدل بين أعضائها. جادل بعضهم بقوة بضرورة سحبها مع الأخذ بعين الاعتبار حوادث الأشهر الماضية. لكن رأت فيها قيادة المنظمة فرصة لتوليد دعاية عامة وضجيجاً حول المؤتمر الذي يبقى علمياً عادة. ثبتت صوابية هذه الرؤية من هذه الناحية: جاء إلى فيلادلفيا عشرات الصحفيين لمشاهدة العرض.

بعد بضعة ملاحظات افتتاحية قدمتها رئيسة AACC باتريشيا جونز، صعدت هولمز إلى المنصة، وقد ارتدت بلوزة بيضاء تحت سترة داكنة. لم يعد ثمة وجود لبلوزة العنق السوداء، التي أصبحت موضع سخرية منذ الخريف الماضي.

لم يكن ما تلا ذلك عرضاً علمياً بقدر ما كان تقديماً لمنتج جديد. وعلى مدى الساعة التالية، بدأت هولمز بالكشف عن الجهاز الذي لم يكن إلا نموذجاً قاصراً حين بدأت ثيرانوس باستخدامه لإجراء التحاليل الدموية على عموم المرضى منذ ما يقارب الثلاث سنوات: المختبر المصغر. طور مهندسو ثيرانوس

وكيميائيوها الجهاز عن ذلك النموذج البدئي. لكن لم تجر الشركة بعد دراسة سريرية كاملة عليه لتثبت أنه يعمل بشكل يعتمد عليه على مدى واسع من التحاليل باستخدام عينات دموية مسحوبة من وخز رؤوس الأصابع. بينما تضمن عرض هولمز بعض البيانات، تضمن كثير منها دماً وريدياً مسحوباً من الذراع. غطت بيانات العينات الصغيرة المسحوبة من وخزة إصبع إحدى عشر تحليلاً دموياً فقط ولم يتحقق منها أو يراجعها مختصون بشكل مستقل. منعت CMS هولمز من إدارة مخابر سريرية، لكن في كل الأحوال: شرحت أن المختبر المصغّر متصل لاسلكياً بمخدمات في مركز ثيرانوس ويمكن نشره مباشرة في منازل المرضى، أو مكاتب الأطباء، أو المشافي، دون الحاجة إلى مختبر مركزي.

بالنتيجة، كانت تدور على قدم واحدة لتعود إلى رؤيتها الأصلية بآلات تحليل دم محمولة تعمل عن بعد باستخدام الواي-فاي أو شبكات الخليوي. وبالطبع، بعد كل ما حدث، كان التسويق التجاري للجهاز كهذا دون حصول على موافقة إدارة الغذاء والدواء أمراً غير مقبول. وجمع الدراستين المكثفتين اللتين سترغب الوكالة برؤيتها سيستهلك سنوات. لهذا حاولت تجنب الوكالة أساساً.

كانت الفوائد المرجوة هزيلة جداً من قيام هولمز بإجراء عرض يشبه عروض هوديني كهذا بينما تخضع لتحقيقات جنائية، لكن مشاهدتها تشرح الأمر للجماهير خطوة خطوة بثقة عبر عرض الشرائح الرشيقة الذي قدمته ساعدني في بلورة فهم كيف وصلت إلى هذا المدى: كانت سيدة مبيعات مذهلة. لم تتلثم

للحظة واحدة ولم تنقطع سلسلة أفكارها. استخدمت اللغات الاصطلاحية للهندسة والمخابر بسلاسة وبراعة وأظهرت ما بدا أنه عاطفة من القلب حين تحدثت عن حماية الأطفال في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة من نقل الدم. وكمثلها الأعلى ستيف جوبز، نشرت حقلاً من تشويه الواقع أجبر الناس على إيقاف عدم إيمانهم لبرهة من الوقت.

لكن التعويذة كُسرت، خلال فترة الأسئلة والاجابات حين أثار ستيفان ماستر شكوكه بأن قدرات المختبر المصغر كانت أصغر بكثير من الادّعاءات الأصلية التي قدّمها، وكان ماستر أستاذاً مشاركاً في علم الأمراض في مركز وايل كورنيل الطبي في نيويورك وواحداً من ثلاثة أعضاء لجان وُجهت الدعوة إليهم لاعتلاء المنصة وطرح الأسئلة على هولمز. أثار تعليقه تصفيقاً مدوّياً من الجمهور. ثم، وقد ارتدّت إلى شخصيتها العفيفة في برنامج توداي حيث ظهرت في المقابلة، اعترفت هولمز أن أمام ثيرانوس الكثير من العمل، بحسب وصفها، لـ«تنخرط» في مجتمع المختبرات. لكن قصّرت مجدداً في الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ.

حين سألتها لاحقاً دينيس لو، أستاذ في علم الأمراض في الجامعة الصينية في هونغ كونغ، كيف اختلف المختبر المصغر عن التكنولوجيا التي استخدمتها الشركة في مختبرها على عينات المرضى، تفادت السؤال. كان أمراً أكثر ضخامة من أن تنحيه جانباً، لكن بقي مئات اختصاصيي علم الأمراض المجتمعين متحضرين ومحترمين على الرغم من تهريها. لم يكن ثمة صياح

استهجان أو شتائم. كُسرت اللباقة للحظة موجزة فقط حين التفتت هولمز لتغادر المسرح في نهاية فقرة الأسئلة والأجوبة «أنت تؤذين الناس»، صاح صوت من الحشد المتفرق.

إن كانت هولمز تأمل بإعادة تأهيل صورتها وتغيير الرواية الإعلامية بالكشف عن المختبر المصغر، فإن ذلك الأمل قد دُمِّرَ بسلسلة المقالات النقدية التي نشرت بُعِيدَ الحدث. عبّر عنوان عريض في مجلة وايرد عن الموضوع بالشكل الأمثل: «امتلكت ثيرانوس الفرصة لتبرئ اسمها، بدلاً من ذلك، حاولت الدوران في مكانها».

في مقابلة مع فاينانشال تايمز، قال جيفري بيرد، وهو أستاذ في علم الأمراض في جامعة واشنطن، إن عرض هولمز التقديمي تضمن «كمية بيانات قليلة إلى درجة مضحكة» وأنه «شعر أن شخصاً ما رتب بحثاً فصلياً في اللحظة الأخيرة في وقت متأخر ليلاً». لاحظ خبراء مخبريون آخرون بسرعة أنه لم تكن أي من مكونات المختبر المصغر جديدة. كل ما فعلته ثيرانوس أنها صغرت تلك المكونات وجمعتها في علبة واحدة، كما قالوا.

كان أحد التحاليل التي تجرى في المختبر المصغر والذي عُرض في المؤتمر لزيكا، الفيروس الذي يحمله البعوض والذي خرب أدمغة آلاف حديثي الولادة حول العالم. قدمت ثيرانوس إلى إدارة الغذاء والدواء طلباً بالتصريح بالاستخدام الطارئ للاختبار، مُعلنةً أنه الأول من نوعه كتحليل من عينة مسحوبة من وخزة

إصبع. لكن في ضربة محرجة أخرى، اكتشف مفتشو الوكالة بسرعة فشل الشركة في تضمين الدراسة ضمانات سلامة للمرضى، مجبرة الشركة على سحب الطلب.

جعل احتمال أن تسحب هولمز أرنباً من قبعتها تلك في اجتماع AACC مستثمري ثيرانوس يحجمون عن إطلاق تمرد عليها. بعد انتقاد ظهورها وتصدر فشل تحليل زيكا الذريع لعناوين الصحف، قرر أحدهم أنه اكتفى: قامت شركة بارتنر فاند، وشركة المحفظة الوقائية في سان فرانسيسكو التي استثمرت ما يقارب ١٠٠ مليون دولار أمريكي في ثيرانوس في أوائل ٢٠١٤، بمقاضاة هولمز، وبالواني، والشركة في محكمة ديلاوير في تشانسيري، مدعية أن أولئك خدعوها بـ «سلسلة من الأكاذيب، والبيانات الخادعة، والإهمال». وقدمت مجموعة منفصلة من المستثمرين بقيادة المصرفي المتقاعد روبرت كولمان دعوى قضائية منفصلة في المحكمة الفدرالية في سان فرانسيسكو، تدّعي أيضاً وجود خداع في السندات المالية وطالبت بعقاب من الحد الأقصى.

فضّل معظم المستثمرين الآخرين عدم اللجوء إلى القضاء، مبرمين صفقة بدلاً من ذلك بحيث يكسبون منحة بأسهم إضافية مقابل وعد عدم المقاضاة. كان ثمة استثناء ملحوظ هو روبرت مردوخ. باع عملاق الإعلام أسهمه إلى ثيرانوس مقابل دولار بحيث يتمكن من المطالبة بخصم كبير على الضرائب المترتبة على مداخيل أخرى له. بثروة مقدارها ١٢ مليار دولار، كان بإمكان مردوخ أن يتحمل خسارة بمقدار ١٢٥ مليون دولار في استثمار فاشل.



توقف ديفيد بويز، وشركته القانونية بويز، شيلر وفليكسنر، عن العمل القانوني مع ثيرانوس بعد الفشل بالاتفاق مع هولمز حول كيفية معالجة التحقيقات الفدرالية. وحلت مكانها شركة قانونية كبرى أخرى هي ويلمرهيل. وبعد شهر من ظهور هولمز في AACC، عادت هيدر كينغ إلى بويز شيلر كشريكة واتخذت مكتب بالو آلتو مقراً لها. ترك بويز مجلس إدارة ثيرانوس بعد ذلك بأشهر قليلة.

أما وولغرينز، التي أغرقت في ثيرانوس ما يبلغ مجموعه ١٤٠ مليون دولار، فرفعت بدورها دعوى قضائية ضد الشركة، متهمة إياها بالفشل في تحقيق «المتطلبات القانونية والمعايير النوعية الأكثر أساسية» من عقد الشركة. كان «المبدأ الرئيسي في العقد المبرم بين الطرفين - كأى جهد يتعلق بصحة الإنسان - هو مساعدة الناس، وليس أذيتهم»، كتبت سلسلة الصيدليات في شكواها.

بعد محاولتها في البداية استئناف قرار CMS بالمنع، لجأت هولمز إلى المحتوم وأغلقت مختبر كاليفورنيا بالإضافة إلى مختبر الشركة الثاني في أريزونا، الذي استخدم محلات تجارية فقط. أثناء تفتيش في منشأة أريزونا قبل أن يغلق بأيام، وجدت CMS كمهاثلاً من المشاكل هناك أيضاً.

بعد تسوية مع محامي أريزونا العام، وافقت ثيرانوس بموجبها على دفع ٦٥, ٤ مليون دولار أمريكي إلى صندوق حكومي عوض أبناء أريزونا الذين بلغ عددهم ٧٦٢١٧ شخصاً ممن طلبوا تحاليل دموية من الشركة.

بلغ عدد التحاليل التي أبطلتها ثيرانوس أو صححتها في كاليفورنيا وأريزونا في النهاية قرابة المليون. ومن الصعب تحديد الأذى الذي لحق بالمرضى جرّاء تلك التحاليل الخاطئة. تقدّم عشرة مرضى بدعاوى قضائية بدعوى خداع المستهلك والأذى الطبي. يدعي أحدهم أن تحليل ثيرانوس فشل في كشف إصابته بمرضه القلبي، مما أدى إلى معاناته من سكتة قلبية كان بإمكانه تفاديها. طالبت الدعوى بحكم من الدرجة الأولى في المحكمة الفدرالية. وأما إذا كان المدّعون سيتمكنون من إثبات الأذى الملحق بهم في المحكمة، فهذا أمر سنعرفه بمرور الوقت.

ثمة أمر واحد مؤكّد: كانت احتمالات أن يموت الناس من تشخيص خاطئ أو علاجات طبية خاطئة لترتفع أسّيّاً لو وسّعت الشركة خدماتها الطبية إلى متاجر وولغرينز الأخرى في الولايات المتحدة والتي يبلغ عددها ٨١٣٤ متجراً حيث كانت على وشك فعل ذلك حين تواصل معي آدم كلابر من مدوّنة باثولوجي بلوغ.

## الخاتمة

في الأيام الأولى بعد مقالي الأول في الجورنال، أكدت هولمز بتحدٍّ أنها ستنتشر بيانات سريرية من نظام تحليل الدم الخاص بشركتها لتدحض تقرير الصحفي. قالت في ٢٦ تشرين الأول، ٢٠١٥، في مؤتمر استضافته كليفلاند كلينيك «إن البيانات شيء خارق لأنها ستحدث عن نفسها». بعد ذلك بستتين وثلاثة أشهر، لبت أخيراً ذلك الوعد: في كانون الثاني ٢٠١٨، نشرت ثيرانوس ورقة حول المختبر المصغر في الصحيفة العلمية للطب الانتقالي التي يراجعها نظراء المهنة بايوانجينيرينغ آند ترانسلاشنال ميدسين. وصفت الصحيفة مكونات الجهاز وعمله الداخلي وتضمنت بعض البيانات الهادفة إلى اظهار تماسكه أمام الأجهزة المرخصة من قبل إدارة الغذاء والدواء. لكن هناك نقص جوهري: سُحِبَ الدم الذي استخدمته ثيرانوس في دراستها بالطريقة التقليدية، بغرز إبرة في الذراع. لم تجد مبدأ هولمز الرئيسي في الصحيفة - والذي كان يعدُّ بنتائج تحاليل سريعة ودقيقة من نقطة أو نقطتي دم مسحوب من وخزة إصبع.

كشفت قراءة متمعنة نقائص هامة أخرى. من ناحية، تضمنت الصحيفة بيانات تخص عدداً قليلاً جداً من التحاليل الدموية.

واختلفت نتائج اثنين من هذه التحاليل، الكولسترول الحميد والكولسترول الضار، عن نتائج تحاليل الأجهزة التي وافقت عليها إدارة الغذاء والدواء بهامش قالت عنه ثيرانوس نفسها أنه «يتخطى الحدود التي ينصح بها.» سلّمت الشركة أيضاً أنها عاجلت المواد المراد تحليلها واحداً تلو الآخر، مكذّبة ادعاء هولمز السابق بقدرة التكنولوجيا الخاصة بها على إجراء العشرات من التحاليل في وقت واحد على عينة دموية واحدة. أخيراً وليس آخراً، تطلب التحليل المُجرى أشكالاً مختلفة من المختبر المصغّر لأن ثيرانوس لم تكتشف بعد كيف تضع جميع المكونات في علبة واحدة. كان كل ذلك صحيحة بعيدة عن الاختراع الثوري الذي تبجحت به هولمز حين أطلقت ثيرانوس تحاليلها في متاجر وولغرينز في خريف عام ٢٠١٣.

أدرج اسم هولمز من ضمن الكتاب المشاركين في الصحيفة لكن لم يدرج اسم بالواني. وبعد انفصالهما ومغادرته الشركة في ربيع عام ٢٠١٦، بدا بالواني وكأنه اختفى عن وجه الأرض. خرجت هولمز من المنزل الذي امتلكه في أثرتون والذي تبلغ مساحته ٦٥٥٥ قدماً (اشتراه بقيمة ٩ مليون دولار في عام ٢٠١٣ عبر شركة محدودة المسؤولية)، ولم يكن واضحاً إن كان لا يزال يعيش هناك. لفترة من الوقت، سرّت شكوك بين موظفي ثيرانوس سابقين حول حول مغادرته البلاد ليتفادى المحققين الفيدراليين.

دحضت هذه الشائعات في صباح ٦ آذار، ٢٠١٧، حين دخل تيلر شولتز غرفة مؤتمرات في مكاتب غيسون، دَن وكروتشر في

شارع ميشن في سان فرانسيسكو. وفي وقوفه بين ستة محامين حاضرين لأخذ إفادته في دعوى بارتتر فاند كان الشخصية المتجهمه الصغيرة ذا التكشيرة الغاضبة والذي أَرهَب موظفي ثيرانوس. وكمَدعى عليه بالاسم في الدعوى القضائية، كان حضور بالواني غير اعتيادي وبدا أن له هدفاً واحداً فقط: إرهاب الشاهد. وإذا كان هذا هو الهدف بالفعل، فقد فشل. فخلال الساعات الثمانية والنصف التالية، ركّز تيلر على إعطاء أجوبة صادقة للأسئلة التي سئلت له وصدّ الحضور الصامت لرئيسه السابق سريع الغضب الجالس في الطرف المقابل من طاولة الاجتماعات. بعد ذلك بسبعة أسابيع، سوّت ثيرانوس القضية لقاء ٤٣ مليون دولار أمريكي في مساء الاستماع لإفادة بالواني بالذات. (بعد ذلك بوقت قصير، سوّيت الدعوى القضائية التي رفعتها وولغرينز لقاء أكثر من ٢٥ مليون دولار).

في أواخر ٢٠١٧، كانت ثيرانوس مستنفدة القوى لكنها لا تزال قائمة، وقد أحرقت معظم الـ ٩٠٠ مليون دولار التي جمعتها من المستثمرين، إذ أنفق معظم المبلغ كمصاريف قضائية. وقلصت عدة جولات من التسريح حجم قواها العاملة إلى أقل من ١٣٠ موظفاً بعد أن بلغ عددهم ٨٠٠ في ٢٠١٥. ولكي توفر في نفقات الإيجار، نقلت الشركة كامل طاقمها المتبقي إلى منشأة نيوارك عبر خليج سان فرانسيسكو. لاح في الأفق شبح تقديم تقرير إفلاس. لكن قبل عيد الميلاد بأيام قليلة، أعلنت هولمز أنها أمنت قرضاً بقيمة ١٠٠ مليون دولار من شركة أسهم عادية خاصة. جاء خط

الحياة المالي بشروط صارمة: رافق القرض ملف رخصة ثيرانوس وعلى الشركة أن تحقق خطوات جبارة معينة في الإنتاج والعمل لتحصل على المال.

بعد أقل من ثلاثة أشهر، بدأت الجدران بالتداعي مجدداً: في ١٤ آذار، ٢٠١٨، وجهت مفوضية الأوراق المالية والبورصة تهماً إلى ثيرانوس، وهولمز، وبالواني بممارسة «احتياال منظم، ممتد لسنوات.» وبغية معالجة التهم المدنية للوكالة، أجبرت هولمز على التخلي عن سيطرتها على التصويت في الشركة، فتخلت عن شطر كبير من أسهمها، ودفعت غرامة بلغت ٥٠٠٠٠٠ دولار. كما وافقت على منعها من تولي مسؤولية أو إدارة شركة عامة لعشر سنوات. ومع عجز هيئة الأوراق المالية والبورصة عن التوصل إلى تسوية مع بالواني، قاضته في محكمة كاليفورنيا الفيدرالية. في هذه الأثناء، يتابع التحقيق الجنائي حشد المزيد من قواه في القضية.

ابتكر مصطلح «سلعة بخارية» في أوائل عام ١٩٨٠ لوصف برامج الكمبيوتر ومكوناته الصلبة التي أعلن عنها مع جعجة كبيرة على الرغم من أنها تحتاج سنوات لتصبح حقيقة، إن كتب لها أن تصبح حقيقة. كانت انعكاساً لميل صناعة الكمبيوتر إلى اتباع نهج السرعة والتراخي حين يأتي الأمر إلى التسويق. اهتم مايكروسوفت، وآبل، وأوراكل جميعها باتباع هذا النهج في مرحلة أو في أخرى. وأصبحت الوعود الرنانة مظهراً حتمياً في وادي السيليكون. وكان الأذى الذي يلحق بالزبائن شيئاً هامشياً، بالمقارنة مع الإحباط والتائج الهزيلة المنتظرة.

وبتمركز ثيرانوس كشركة تكنولوجيا في قلب وادي السيليكون، بثت هولمز ثقافة (انشر الزيف إلى أن ينجح الأمر)، وذهبت إلى مدى متطرف في إخفاء الزيف. فدفعت العديد من الشركات موظفيها للتوقيع على اتفاقات سرية، لكن في ثيرانوس بلغت السرية مستوى مختلفاً كلياً. فقد مُنع الموظفون من وضع ثيرانوس في حساباتهم في لينكداين، بدلاً من ذلك، أُوعِزَ إليهم أن يكتبوا أنهم يعملون في شركة «تقانة حيوية خاصة». تلقى بعض الموظفين السابقين رسائل «توقف - وكف» من محامي ثيرانوس لوضع وصف وظيفي لعملهم في الشركة اعتُبر حافلاً جداً بالتفاصيل. كما راقب بالواني البريد الإلكتروني للموظفين وتاريخ تصفح الانترنت الخاص بهم روتينياً. ومنعهم أيضاً من استخدام غوغل كروم على أساس أن غوغل بإمكانها استخدام المتصفح للتجسس على البحث والتطوير الخاصين بثيرانوس. مُنع الموظفون العاملون في مجمع المكاتب في نيوارك من استخدام النادي الرياضي هناك لأن ذلك قد يقودهم إلى الاختلاط بعاملين في شركات أخرى استأجرت مساحة في الموقع.

في قسم المختبر السريري المسمى «نورماندي»، نُصِّبَت الحواجز حول أجهزة إديسون بحيث لا يتمكن تقنيو سيمنز من رؤيتها حين يأتون لصيانة آلات المصنّع الألماني. وحولت الحواجز الغرفة إلى متاهة وسدت المخرج. كانت شبابيك المختبر ملونة، بحيث أصبح من المستحيل تقريباً رؤية شيء حين تنظر من الخارج، مع ذلك ألصقت الشركة لوحات من البلاستيك المصمت في الداخل.

وجهزت الأبواب التي تقود إلى الرواق المؤدي إلى غرف المخابر وغرف المخابر ذاتها بماسحات بصمات أصابع. فإذا دخل أكثر من شخص في المرة الواحدة، تطلق الحساسات إنذاراً وتفعّل كاميرا ترسل صورة إلى مكتب الأمن. وأما كاميرات المراقبة، فقد توزعت في كل مكان. كانت من النوع الذي له غطاء على شكل قبة زرقاء داكنة بحيث يجعلك تتساءل إلى أي جهة تتجه العدسات. كان كل هذا ظاهرياً لحماية أسرار الصنعة، لكن من الواضح الآن أنها كانت أيضاً طريقة تغطّي فيها هولمز على أكاذيبها بشأن حالة تكنولوجيا ثيرانوس.

كان الإعلان المبالغ به عن منتجك لتحصل على التمويل بينما تخفي تقدمك الحقيقي آملاً أن يلحق الواقع في النهاية بالإعلان أمراً يمكن احتماله في عالم التكنولوجيا. لكن من الضروري ألا ننسى أن ثيرانوس لم تكن شركة تكنولوجيا بالمعنى التقليدي. بل كانت أولاً وأساساً شركة رعاية صحية. لم يكن منتجها برنامجاً بل جهازاً طبياً يحلل دم الناس. كما أحبت هولمز نفسها أن تشير في اللقاءات الإعلامية والظهورات العامة في ذروة شهرتها، فإن الأطباء يعتمدون في ٧٠ بالمئة من قرارات العلاج التي يتخذونها على نتائج تحاليل المخابر. يعتمدون على أن تؤدي تجهيزات المخابر وظيفتها كما يقول الإعلان عنها. وإلا تتعرض صحة المريض للخطر.

فكيف إذا استطاعت هولمز أن تسوّغ المقامرة بحياة الناس؟ تقول إحدى مدارس التفكير إن تأثير بالواني المشين قد أسرها.



ووفقاً لهذه النظرية، فإن بالواني كان سفينغالي<sup>(١)</sup> الخاص بهولمز وأعدّها- وهي الشابة الساذجة المبتدئة التي تحمل أحلاماً كبيرة- لتأسيس شركة ناشئة تديرها الأنثى مبكرة النضوج التي تاق إليها وادي السيليكون، كما أنه كان مسناً جداً، ذكورياً جداً، وهندياً جداً ليلعب بنفسه. لا شك أن تأثير بالواني كان سيئاً. لكن رمي اللوم بكامله على عاتقه ليس استسهالاً شديداً فحسب، بل غير دقيق. وقد وصف موظفون قالوا إنهم شاهدوا الاثنين يتواصلان عن قرب بشراكةٍ كان هولمز فيها القول الأخير، على الرغم من أنها أصغر منه بعشرين سنة. أضف أن بالواني لم ينضم إلى ثيرانوس حتى أواخر عام ٢٠٠٩. وبحلول ذلك الوقت، كانت هولمز قد ضللت لسنوات الشركات الصيدلانية حول جهوزية التكنولوجيا الخاصة بها. وبأفعال تراوحت بين ابتزاز مديرها المالي واستغلال موظفين سابقين، كانت قد أظهرت نمطا من القسوة تتعارض مع صورتها كامرأة شابة حسنة النية تلاعب بها رجل أكبر سناً.

علمت هولمز تماماً ما كانت تفعل وكانت تُحكم سيطرتها على الأمور. وحين تقدم موظف سابق لمقابلة للعمل في ثيرانوس في صيف عام ٢٠١١، سأل هولمز عن دور مجلس إدارة الشركة. شعرت بإهانة في السؤال. وتذكر أنها قالت، «المجلس هو مجرد وكيل هنا.» «أقوم بجميع القرارات هنا.» بدا انزعاجها واضحاً إلى درجة ظن أنه أفسد مقابلاته. بعد ذلك بعامين، حرصت

(١) هو رجل يغوي ويهيمن ويستغل Trilby، الفتاة الإيرلندية، ويجعلها مغنية مشهورة.

هولمز على ألا يكون المجلس أكثر من وكيل. في كانون الأول ٢٠١٣، فرضت صدور قرار منح مئة صوت لكل سهم امتلكته، مما أعطاهما ٩٩،٧ بالمئة من حق التصويت. ومنذ تلك المرحلة فصاعداً، لم يتمكن مجلس إدارة ثيرانوس من الوصول إلى نصاب قانوني دون هولمز. حين سُئل جورج شولتز لاحقاً أثناء أخذ إفادته عن تداولات المجلس، قال، «لم نصوت يوماً في ثيرانوس. كان ذلك بلا فائدة، كانت إليزابيت تقرر كل ما شاءت أن تقررهِ». وهذا ما يساعد في شرح السبب بعدم توكيل المجلس ذات يوم شركة قانونية للقيام بتحقيق مستقل حول ما حدث. ففي شركة مساهمة عامة، سيظهر تحقيق كهذا خلال أيام أو أسابيع في أوائل تصريحات الاعلام. لكن في ثيرانوس، لا يمكن أن يقرّر أو يُفعل شيء دون موافقة هولمز.

إن كان ثمة متلاعب، فهو هولمز. وواحدًا تلو الآخر، لفت الأشخاص حول إصبعها وأقنعتهم بالرضوخ لإرادتها. كان أول من وقع في سحرها تشانينغ روبرتسون، بروفيسور الهندسة في جامعة ستانفورد الذي ساعدت سمعته على منحها المصداقية حين كانت لا تزال مراهقة. ومن ثم كان دونالد ل. لوكاس، الرأسمالي المغامر المعمّر الذي مكّنها دعمه وعلاقاته من متابعة جمع المال. دكتور. ج ثم ويد ميكلون في وولغرينز والمدير التنفيذي في سيفواي ستيف بيرد كانوا اللاحقين، يليهم جيمس ماتيس، جورج شولتز، وهنري كيسينجر (كما ثبت لم يشكل تورط ماتيس مع ثيرانوس عائقاً أمام تعيينه كوزير دفاع في عهد الرئيس دونالد

ترامب). أكمل اللائحة ديفيد بويز وروبرت مردوخ، علماً أنني لم أذكر كثيرين ممن اجتذبهم مزيج السحر، والذكاء، والكاريزما التي امتلكتها هولمز.

يوصف غالباً السيكوباتي على أنه شخص لديه القليل من الضمير أو لا ضمير على الإطلاق. سأترك الأمر للأطباء النفسيين ليقرروا ما تتمتع هولمز من الصفات السريية للسيكوباتي، لكن لا ريب أن بوصلتها الأخلاقية كانت منحرفة. أنا متأكد في الواقع من أنها لم تخطط منذ البداية لخداع المستثمرين وتعريض المرضى للخطر حين تركت جامعة ستانفورد منذ خمس عشرة سنة خلت. ومع أخذ كل شيء بعين الاعتبار، كانت لديها رؤيا آمنت بها بصدق وألقت بنفسها في سبيل تحقيقها. لكن في مسعاها الذي استنفد جميع الموارد كي تكون ستيف جوبز القادمة في خضم التدافع من أجل الذهب ووسط فورة «أحاديي القرن»، وصلت إلى نقطة توقفت معها على الاستماع إلى النصيحة الحكيمة وبدأت تضل الطريق. كان طموحها ضارياً ولم يحتمل تدخل أحد. وإن حدثت أضرار جانبية في سعيها للمال والشهرة، فلن يهملها الأمر.

مكتبة

t.me/soramnqraa

## شكر وعرفان

هذا الكتاب، الذي نتج عن عملي في كشف فضيحة ثيرانوس على صفحات وول ستريت جورنال، لم يكن ممكناً دون مساعدة المصادر السرية التي تحدثت إلي وتحملت مخاطر شخصية كبيرة خلال أعوام ٢٠١٥ و ٢٠١٦. بعضها، مثل تيلر شولتز، الذي ظهر على الملأ منذ ذلك الحين وكشف شخصيته الحقيقية في سياق السرد. أما المصادر الأخرى فقد ظهرت تحت أسماء مستعارة أو ذكرت كمصادر مكتومة الاسم. كان الحافز الرئيسي الذي دفعهم جميعاً للتحدث إلي، على الرغم من المخاطر القضائية والمهنية التي واجهوها: حماية المرضى الذين تُركوا ليعانوا الأذى من نتائج تحاليل الدم الخاطئة لدى ثيرانوس. وسأكون ممتناً ما حييت لنزاهتهم وشجاعتهم. فهم الأبطال الحقيقيون في هذه القصة.

لم يكن هذا الكتاب أيضاً ليرى النور لولا عشرات من موظفين سابقين آخرين في ثيرانوس تخطوا هيجانهم الذي تعرضوا له في البداية ليشاركوا تجاربهم معي ويساعدوني في إعادة هيكلة تاريخ الشركة الذي بلغ خمسة عشر عاماً. كان كل شخص منهم، كريماً في وقته وداعماً بشكل هائل لهذا العمل. أدين أيضاً إلى خبراء المخابر الذين أرشدوني في هذا العالم السري لكن المذهل المسمى

بعلم التحليل الدموي. كان أحدهم لطيفاً بما يكفي ليراجع المخطوط قبل نشره للمساعدة في تجنب الأخطاء، وهو ستيفن ماستر من مركز كورنيل الطبي في نيويورك.

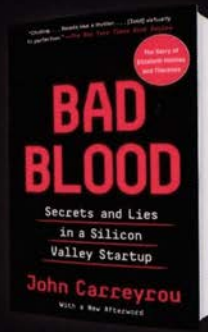
بدأ هذه الكتاب بسبب معلومة وصلتني في أوائل عام ٢٠١٥. أرغب بشكر الشخص الذي أفسح لي المجال الواسع والدعم الراسخ اللذين احتجتهما لأتابع هذه المعلومة إلى حيث قادت: وهو محرري في الجورنال، مايك سيكونولفي. كان مايك مرشداً، ليس لي فقط لكن لأجيال من الصحفيين، وحامل معايير للمؤسسة الصحفية العظيمة والتي هي وول ستريت جورنال. لم يكن مايك حليفي الوحيد في السعي لإخراج هذه الأحداث إلى النور: فقد أمضى كل من جيسون كونتي، وهو الآن المستشار العام لداو جونز وشركاه، وجاكوب غولدشتاين، نائبه، ساعات لا تحصى يتحققان من تقارير الصحفيين ويواجهان التهديدات القضائية التي أطلقها محامو ثيرانوس. كما أدين بجزيل الامتنان إلى زميلي في فريق التحريات كريستوفر ويفر، الذي ساعدني بتغطية التساؤلات التنظيمية والتائج العرضية الأخرى على مدى أكثر من عام، بما فيها زيادة أعباء العمل عليه حين كنت منصرفاً إلى تأليف الكتاب.

كانت إحدى عوائد العمل في وول ستريت جورنال الصداقات التي جنيتها هناك عبر السنوات. لقد ألّف أحد أولئك الأصدقاء، وهو كريستوفر ستوارت، العديد من كتب الدراسات وشاركني بسخاء خبرته في عالم النشر ومعارفه. التقيت وكيلى عبر كريس،

وهو إيريك لوبفر من فليتشر وشركاه، الذي رأى مباشرة آفاق هذا المشروع ودفعني لمتابعة إنجازاه على الرغم من العقبات المختلفة التي برزت في الطريق. كان تفاؤل إيريك الدائم مُعدياً ومضاداً مثالياً للحظات الشك التي اعترتني.

محظوظ جداً أن هذا الكتاب حطّ في Knopf وبين اليدين الحاذقتين لآندرو ميلر. منحني حماس آندرو وإيمانه الذي لا يلين بي الثقة التي احتجتها كي أنجزه. وأتقدم بامتناني الكبير أيضاً لحظوتي بدعم رئيس آندرو في العمل، سوني ميهتا، رئيس مجموعة Knopf دوبليدي للنشر. ومنذ اللحظة التي دخلتُ فيها برج Random House، رحب بي آندرو، وسوني، وزملاؤهم واستقبلوني وكأنني في منزلي. وأتمنى أن أكون قد ارتقيت إلى مستوى توقعاتهم.

استهلكت هذه الملحمة السنوات الثلاث والنصف الأخيرة من حياتي. خلال كل تلك الفترة، كنت محظوظاً لقدرتي على الاعتماد على النصيحة، والدعم، والدفء من الأصدقاء والعائلة. إيانثي دوغان، باولو برادا، فيليب شيشكين، وماثيو كامينسكي - ولأسمّ بعضهم فقط - الذين منحوني التشجيع المتكرر والارتياح من خلال الطرافة التي تحتاجها بشدة في وقت كهذا. وكذلك شجعني والداي، جاين وجيرارد، وأختي، ألكساندرا، حتى بلغتُ خط النهاية. أما مصدري المطلق الأكبر للقوة والالهام فأتى من أربعة أشخاص أشاركهم حياتي: زوجتي مولي، وأطفالي الثلاثة، سيباستيان، جاك، وفرانشيسكا. وإليهم أهدي كتابي هذا.



هذا الكتاب الفائز بـ Financial Times و McKinsey Business Book of the Year Award ومن أهم عشرة كتب في السنوات الأخيرة، يسرد قصة إيليزابيث هولمز، التي أسست شركة "ثيرانوس" لإنتاج أجهزة تحليل الدم (بقطرة دم من وخزة إصبع) وهي لم تتجاوز بعد الثانية والعشرين، من مجرد حلم رافقها لسنوات عديدة. وأطلقت شركتها، اعتماداً على رؤوس الأموال المغامرة، وجاذبيتها الأنثوية ودكايتها بالإضافة إلى الكاريزما التي تتمتع بها، يحدوها الأمل في أن تسير على خطا بقية شركات وادي السيليكون الناشئة، مثل مايكروسوفت وياهو وغوغل وآبل. وفي سبيل ذلك وظفت فريق عمل يضم العديد من العلماء والخبراء المشهود بكفاءتهم في وادي السيليكون.

ومع ذيوع صيت (ثيرانوس)، بدأت بعض الوقائع بالتكشف عن عدم جهرية، بل عدم صلاحية، الأجهزة المنتجة، رغم أن إيليزابيث قد فتحت قنوات تسويقية كبيرة مع كبريات الشركات الدوائية (نوفارتيس)، وسلسلة المتاجر الصيدلانية الكبرى (وولغرينز)، ومتاجر الأغذية متعددة الفروع (سيفواي). ومع تسرب أخبار تؤكد أن الأجهزة مزودة ببرنامج يظهر نتائج عشوائية لعينات الدم، الأمر الذي قد يودي بحيوات أناس كثيرين، وعلى الرغم من أن مجلس إدارة الشركة قد استقطب مجموعة من السياسيين والعسكريين المخضرمين في أعلى هرم السياسة الأميركية، مثل جورج شولتز وهنري كيسنجر وروبرت مردوخ وجيمس ماتيس، وحتى أوباما، الذي استقبلها في مكتبه البيضاوي. على الرغم من ذلك، وفي حقل مليء بالتهديدات والألغام، بدأت رحلة الصحافي الكبير جون كاريرو في وول ستريت جورنال، إثر معلومة وصلته في ٢٠١٥، في تحري أسرار ثيرانوس، من أفواه الشرفاء الذين قدموا استقالاتهم من الشركة، وعلى رأسهم تيلر شولتز، حفيد جورج شولتز، والحصول على الوثائق والأدلة التي تثبت تورط الشركة في أسوأ عملية غش طالت المرضى قبل المستثمرين ومالكي الأسهم في ثيرانوس.

يفضح هذا الكتاب، الذي استغرق إنجازه ثلاث سنوات ونصف السنة، رؤوس الفساد في قلب المؤسسة السلطوية الأميركية من جهة، ويشير إلى الضمائر النبيلة التي قدمت الأدلة الدامغة على تورط ثيرانوس من جهة أخرى، الأمر الذي قاد إيليزابيث هولمز، السايكوباثية بحسب تعبير كاريرو، مع أزلامها، إلى قاعات المحاكم، لتنتهي أسطورة شركتها التي بلغ رأسمالها تسعة مليارات دولار.

